الله ليس جسمًا

كتاب موثَّقٌ بصحيح النَّقل وصريح العقل
على أن الله ليس جسمًا ولا يشبه الأجسام

الشيخ الدكتور طارق محمد نجيب اللحام
غفر الله له ولوالديه ومشايخه

شركة دار المشاريع

الطبعة الثانية

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

شركة دار المشاريع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

ISBN 978-9953-20-753-7

9789953207537

email: dar.nashr@gmail.com

www.dmcpublisher.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي تنـزّه عن صفات المخلوقات من روح وجسد ووالد وولد، والحمد لله الذي عصم مذهب أهل السُّنة والجماعة عن الزيغ والضلال والانحراف في المعتقد، وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الذي تعالى عن وجوه التشبيه ولوازم التجسيم، وصلى الله على نبينا محمد الداعي إلى الرشد، وصحابته الطاهرين وآله الميامين أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

وبعد، فإن وصف البارئ سبحانه بشيء من أوصاف الأجسام خروج عن ملة الإسلام، ومخالف لما كان عليه النبيّ ﷺ وصحابته الطيبون وآل بيته الطاهرون، ومستنكفٌ[1] عند العقلاء وأصحاب الفطرة السليمة، لأنَّ العقول السليمة تقضي أنَّ الخالق لا يشبه المخلوق في أيّ صفة من الصّفات.

فلما خاض قوم في المتشابه خوضًا مذمومًا، ووصفوا البارئ بصفات الأجسام وخواصها، قام أهلُ السنَّة والجماعة بدفع البدع ونقض التشبيه، وسلكوا في هذه النصوص مسلكًا أرادوا به إثبات الحق ونفي الجسمية في حقّ البارئ سبحانه، وبيّنوا خطر ما يوصل إليه الخوض في المتشابه من التحريف والفتنة ممن لم يكن على عقيدة راسخة في التنزيه، وأقاموا الأدلة النقلية والعقلية التي تؤيد تنزيه الخالق سبحانه عن الجسمية، لأنَّ مَن عَبَدَ جسمًا كان عابدًا لغير الله تعالى، غير عارف بربه كما صرّح بذلك إمام أهل السُّنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه وأرضاه[2]، وسيأتي

---

١) «استنكف: تذمم». **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ن ك ف، ١٢/ ٢٢٠.

٢)عليّ بن إسماعيل بن إسحاق ت ٣٢٤هـ، أبو الحسن، إمام أهل السّنة والجماعة من نسل الصحابيّ الجليل أبي موسى الأشعريّ، وتنتسب إليه الأشاعرة، كان=

لاحقًا بإذن الله تعالى.

ثمّ إنَّ وَهْمَ بعض أهل الزيغ دَفَعهم إلى وصف الخالق سبحانه بأحكام المحسوسات من الأجسام، الأمر الذي أوقعهم في أسفل مدارك الجهل والضلال. ومعلوم أن النقل والعقل قَطَعا بتنزيه الله عزَّ وجلَّ عن الجسمية ولوازمها، ثم تفاوتت النفوس البشرية في هجر العقل والإذعان لحكم الوهم، وتدرّج المذعنون لأوهامهم بين مصرّح بإثبات التجسيم وبين مخفٍ مثبت بعض لوازمه والعياذ بالله تعالى، وكِلا الأمرين كفرٌ وضلال.

وقد جاء في القرآن الكريم آيات بيّنات تدل على تنـزيه الله عزَّ وجلَّ عن الجسمية، منها قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1] (الشورى)، وقوله عزَّ مِن قائل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[2] (الإخلاص)، وقوله سبحانه: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[3] (مريم)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[4] (النحل)، أي لله الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، فلا يوصف ربُّنا عزَّ وجلَّ بصفات المخلوقين من الجسم والحركة والسكون

=إمام المتكلمين، ولد في البصرة، وتوفي ببغداد. قيل بلغت مصنَّفاته ثلاثمائة كتاب، ولابن عساكر كتاب «تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٢٦٣.

١) قال القرطبي في تفسيره **الجامع لأحكام القرآن** ١٦/ ٨: «أي ليس مثلَهُ شيءٌ» اهـ. وقال أبو السعود في تفسيره **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ٦/ ٧٣: «أي ليس مثلَه شيءٌ في شأنٍ من الشؤونِ» اهـ.

٢) قال القرطبي في تفسيره **الجامع لأحكام القرآن** ٢٠/ ٢٤٦: «أي لم يكن له مثلًا أحد» اهـ.

٣) قال القرطبي في تفسيره **الجامع لأحكام القرآن** ١١/ ٨٣: «قال مجاهد وغيره: ـ سميًّا ـ معناه مثلًا ونظيرًا» اهـ.

٤) قال القرطبي في تفسيره **الجامع لأحكام القرآن** ١٠/ ١١٩: «أي الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد، ليس كمثله شيء» اهـ.

والهيئة والصورة والتغيُّر والتطوّر والتحوّل والتحيز في الأماكن والسُّكْنى فوق العرش أو في السماء أو في غير ذلك، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الإمام أبو جعفر الطحاويّ[1] الذي هو من السلف الصالح في كتابه العقيدة الطحاوية التي ذكر في مقدمتها أنها بيان عقيدة أهل السُّنة والجماعة[2]: «تعالى ـ يعني الله ـ عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدَعات» اهـ. والطحاويّ رضي الله عنه من رؤوس السلف الصالح أهل السّنة والجماعة.

وقال المفسّر اللغويّ أبو حيان الأندلسيّ[3] في تفسيره[4]: «﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ﴿٦٠﴾﴾ (النحل) أي الصفة العليا من تنـزيهه تعالى عن الولد والصاحبة وجميع ما تنسبه الكفرة إليه مما لا يليق به تعالى كالتشبيه والانتقال وظهوره تعالى في صورة» اهـ. تأمل معي كيف أكَّد أبو حيان الأندلسي أن التشبيه هو من صفات الكفرة.

---

١) أحمد بن محمد بن سلامة الأزديّ الطحاويّ ت ٣٢١هـ، أبو جعفر، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في طحا من صعيد مصر وتفقه على مذهب الشافعيّ ثم تحول حنفيًّا، وتوفي في القاهرة. وهو ابن أخت المزنيّ صاحب الإمام الشافعيّ. من تصانيفه: «شرح معاني الآثار في الحديث»، و«بيان السّنة» رسالة، و«أحكام القرآن»، و«المختصر في الفقه»، و«الاختلاف بين الفقهاء». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٢٠٦.

٢) **النفائس**، كمال الحوت، ص٩، ١٣.

٣) أبو حيان، محمد بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطيّ الأندلسيّ الجيانيّ، أثير الدين، ت ٧٤٥هـ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة ورحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. من كتبه: «البحر المحيط» في تفسير القرآن، و«النهر المادّ» اختصر به البحر المحيط. **فوات الوفيات**، الكتبيّ، ٢/ ٢٨٢. **بغية الوعاة**، السيوطيّ، ص١٢١. **الدرر الكامنة**، ابن حجر، ٤/ ٣٠٢. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ١٥٢.

٤) **النهر المادّ**، أبو حيان، ١/ ٢٥٣.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ (النحل) أي لا تجعلوا لله الشبيه والمثيل، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا مثيل له، فلا ذاته يشبه الذوات ولا صفاته تشبه الصفات(١).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴿٣﴾﴾ (الحديد).

وقال المجتهد المفسّر ابن جرير الطبريّ(٢) رحمه الله في تفسيره(٣): «فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ (ق)» اهـ. ففي قول الطبري هذا نفيٌ للقرب الحسّيّ الذي تقول به المجسّمة، وأما القرب المعنويّ فإنه لا ينفيه، وهذا دليل على تنـزيه الله عن المكان والجهة.

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴿١١٥﴾﴾ (البقرة) أي قِبلة الله، قال المفسّر اللغويّ أبو حيان الأندلسيّ ما نصّه(٤): «وفي قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ردٌّ على من يقول إنه ـ أي الله ـ في حيّز أو جهة لأنه لمّا خُيّر في استقبال جميع الجهات دلَّ على أنه ليس في جهة ولا حيّز، ولو كان في حيّز لكان استقباله والتوجّه إليه أحقّ من جميع الأماكن، فحيث لم يُخَصّص مكانًا علمنا أنه لا في جهة ولا في حيّز، بل جميع الجهات في ملكه وتحت ملكه، فأيّ جهة توجّهنا إليه فيها على وجه الخضوع كنا معظّمين له ممتثلين لأمره» اهـ. والمراد أنّه لنا استقبال جهة

---

١) **جامع البيان**، الطبري، ١٤/ ٣٠٥.

٢) ابن جرير الطبريّ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ت ٣١٠هـ، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: «أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ» اهـ. وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهدًا في أحكام الدين لا يقلد أحدًا بل قلّده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. له: «أخبار الرسل والملوك» يعرف بتاريخ الطبري، و«جامع البيان في تفسير القرآن» يعرف بتفسير الطبري، و«اختلاف الفقهاء». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٦٩.

٣) **جامع البيان**، الطبريّ، ٢٧/ ٢١٥.

٤) **البحر المحيط**، أبو حيان، ١/ ٣٦١.

مقصدنا أيَّ جهة كانت في صلاة النافلة في السفر على الدابة.

ومما جاء في الأحاديث النبويّة الشريفة مما يدل على تنـزيه ربّ العالمين عن صفات المخلوقين قول رسول الله ﷺ: «**كان اللهُ ولم يكن شىء غيرُه**» رواه البخاريّ[1] والحاكم[2] وابن الجارود والبيهقيّ[3]، قال الحافظ البيهقيّ[4]: «قوله: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**» يدل على أنه ـ أي الله تعالى ـ لم يكن شىء غيره – يعني في الأزل – لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، وكل ذلك أغيار – معناه كل ذلك غيرُ الله –» اهـ.

---

١)**صحيح البخاري**، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب وكان عرشه على الماء، ٦/ ٢٦٩٩، رقم ٣٠١٩.
البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ت٢٥٦هـ، حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ، وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ وجمع نحو ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. له: «الضعفاء في رجال الحديث»، و«خلق أفعال العباد»، و«الأدب المفرد». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٣٤.

٢)**المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، ٢/ ٣٧١.
محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبيّ، الطهمانيّ النيسابوريّ ت ٤٠٥هـ، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البَيّع، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ. وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩هـ، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنّف كتبًا كثيرة جدًّا، منها: «تاريخ نيسابور»، و«المستدرك على الصحيحين»، و«الإكليل» و«المدخل» في أصول الحديث. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٢٧.

٣)**السنن الكبرى**، البيهقي، ٩/ ٢.
أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ الشافعيّ ت ٤٥٨هـ، من أئمة الحديث، قال إمام الحرمين: «ما من شافعيّ إلا وللشافعيّ فضل عليه غير البيهقيّ، فإن له المنّة والفضل على الشافعيّ لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه» اهـ. صنّف زهاء ألف جزء، منها: «السنن الكبرى»، و«الأسماء والصفات»، و«دلائل النبوة». **الأعلام**، الزركليّ، ١/ ١١٦.

٤) **الاعتقاد والهداية**، البيهقيّ، ١/ ٩٢.

وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «**أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَىءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَىءٌ**» رواه مسلم[1].

قال الحافظ البيهقيّ[2]: «استدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه ـ أي عن الله عزَّ وجلَّ ـ بقولِ النَّبيّ ﷺ: «**أنتَ الظَّاهرُ فليسَ فَوْقَكَ شَىءٌ وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَىءٌ**»، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» اهـ.

وقال أيضًا[3]: «قال أبو سليمان الخطابي[4]: هو ـ يعني الله ـ الظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة وشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته». ثم قال: «وقال الحليمي[5]: الباطن الذي لا يُحَسُّ وإنما يدرك بآثاره وأفعاله» اهـ.

---

١)**صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ٨/ ٧٨، رقم ٧٠٦٤.
مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين ت ٢٦١هـ، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور، أشهر كتبه صحيح مسلم جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبه في خمس عشرة سنة. وله: «المسند الكبير»، و«الكنى والأسماء». **الأعلام**. الزركلي، ٧/ ٢٢١.

٢)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٤٠٠.

٣)**الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٢٧.

٤)أبو سليمان الخطابيّ ت ٣٨٨هـ، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب البستيّ، الإمام العلامة، الحافظ اللغويّ، صاحب التصانيف، أخذ الفقه على المذهب الشافعيّ عن أبي بكر القفال الشاشيّ، وأبي عليّ بن أبي هريرة ونظرائهما. وحدّث عنه: أبو عبد الله الحاكم وهو من أقرانه في السن والسند، والإمام أبو حامد الأسفرايينيّ وغيرهما كثير، من كتبه: «شرح السنن»، و«غريب الحديث»، و«شرح أسماء الله الحسنى». **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ٣٣/ ١٤.

٥)الحسين بن الحسن البخاريّ ت ٤٠٣هـ، أبو عبد الله الحليميّ، فقيه شافعي، قاض. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له: «المنهاج في شعب الإيمان»، ثلاثة أجزاء. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٢٣٥.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**أقربُ ما يكونُ العبدُ مِن ربّهِ وهو ساجدٌ فأكثِرُوا الدُّعاءَ**»[١]، قال الحافظ جلال الدين السيوطيّ[٢]: «قال البدر بن الصاحب[٣] في تذكرته: «في الحديث إشارة إلى نفي الجهة عن الله تعالى» اهـ.

وقول رسول الله ﷺ: «**ما ينبغي لعبدٍ أن يقولَ: إني خيرٌ من يونسَ ابن متَّى**» رواه البخاريّ[٤] ومسلم[٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال القرطبيّ[٦] في تفسيره ما نصُّه[٧]: «قال أبو المعالي[٨]: قوله ﷺ: «**لا تفضّلُوني**

---

١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ٢/ ٤٩، رقم١١١.

٢) **شرح السيوطي لسنن النسائي**، السيوطي، ٢/ ٢٢٦.
عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيريّ السيوطيّ ت ٩١١هـ، فقيه حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها: «الإتقان في علوم القرآن»، و«الأحاديث المنيفة»، و«تاريخ الخلفاء». **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٦٩.

٣) **التذكرة**، البدر بن الصاحب، (نقله الحافظ جلال الدين السيوطيّ في شرحه لسنن النسائيّ) ١/ ٥٧٦.

٤) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾، ٤/ ١٨٦، رقم ٣٣٩٥.

٥) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، ٧/ ١٠٢، رقم ٦٣١٠.

٦) القرطبي (المفسّر)، محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاريّ الخزرجيّ الأندلسيّ، أبو عبد الله، من كبار المفسّرين صالح متعبّد من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقرّ في شمالي أسيوط بمصر وتوفي فيها، من كتبه: «الجامع لأحكام القرآن» ويعرف بتفسير القرطبيّ، و«قمع الحرص بالزهد والقناعة»، و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، و«التذكار في أفضل الأذكار»، و«التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة». توفي سنة ٦٧١هـ. **الأعلام**، الزركليّ، ٥/ ٣٢٢.

٧) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ١١/ ٣٣٣.

٨) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينيّ، أبو المعالي ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين ت ٤٧٨هـ، ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعًا طرق المذاهب، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها.=

على **يونسَ بنِ متّى**» المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرة المنتهى بأقرب إلى الله منه وهو ـ أي يونس بن متّى ـ في قعر البحر في بطن الحوت، وهذا يدل على أن البارئ سبحانه وتعالى ليس في جهة» اهـ. المعنى أن هذا بمجرده لا يجعلني أفضل من يونس من هذه الحيثية، وهذا الحديث وإن كان ظاهره تفضيل سيّدنا يونس، لكن نزل على نبينا ﷺ من النصوص ما يدلُّ على أفضليته على سائر الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين(١).

ومما يدل على أن الله تعالى منزَّه عن الجسمية ولوازمها كالمكان والتحيُّز والحد والمقدار ما رواه مسلم في صحيحه(٢) عن أنس بن مالك(٣) رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ استسقى فأشار بظهر كَفَّيْه إلى السماء، أي أن النبيّ عليه صلوات ربي وسلامه جعل بطون كفَّيْه إلى جهة الأرض، فبطل استدلال المشبهة برفع اليدين في الدعاء إلى السماء على أن الله متحيز في جهة فوق لما في فعل النبي ﷺ هذا من الإشارة إلى أن الله عزَّ وجلَّ ليس متحيّزًا في جهة العلوّ، وأنه تعالى ليس متحيّزًا في جهة السُّفل كذلك ولا في أي جهة من الجهات.

= وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة منها: «العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية»، و«الشامل في أصول الدين على مذهب الأشاعرة»، و«الإرشاد»، توفي بنيسابور. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ١/ ٢٨٧. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١٦٠.

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق، ٧/ ٥٩، رقم ٦٠٧٩.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء للاستسقاء، ٣/ ٢٤، رقم ٢١١١.

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري ت ٩٣هـ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثًا، مولده بالمدينة وأسلم صغيرًا وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات فيها. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٢٥.

وروى البخاريّ في صحيحه[1] أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ أحدَكُم إذا قامَ في صلاتِهِ فإنهُ يناجي ربَّه** أو **إنَّ ربَّهُ بينَهُ وبينَ القِبلةِ فلا يَبزُقَنَّ أحدُكُم قِبَلَ قِبلَتِهِ**». قال ابن حجر[2]: «وفيه الردّ على من زعم أنه ـ تعالى ـ على العرش بذاته» اهـ. فليس استواء الله تعالى بالجلوس، بل هو استواء القهر والحفظ[3].

وذكر لنا شيخنا شيخ الإسلام عبد الله الهرري[4] رضي الله عنه ورحمه في بعض محاضراته أنه «مما استدل به أهل السّنة والجماعة على أن العروج بالنبيّ ﷺ إلى ذلك المستوى الذي لمّا وصل إليه سمع كلام الله لم يكن لأن الله تعالى متحيزٌ في تلك الجهة، أنَّ سيدنا موسى عليه السلام سمع كلام الله الذي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة، ولم يكن عليه السلام في محلّ

---

١)**صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، ١/ ١١٣، رقم٤٠٥.

٢)**فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، ١/ ٥٠٨.
أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، حافظ مؤرخ ت ٨٥٢هـ، أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة. انشغل بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ وعلت له شهرة. تصانيفه كثيرة جدًّا منها: «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، و«لسان الميزان». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ١٧٨.

٣)**الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٥١٩.

٤)عبد الله بن محمد بن يوسف الهرريّ الشيبيّ العبدري ت ١٤٢٩هـ، مفتي هرر ومحدث الديار الشامية، خليفة الشيخ بدر الدين الحسني، أولى علم الحديث اهتمامه قراءة ودراية للكتب الستة وغيرها، وأُجيز بالفتوى ورواية الحديث وهو دون الثامنة عشرة، تلقى العلم عن كبار العلماء في عصره في الدول الإسلامية، وعمل على نشر العلوم النافعة في كثير من دول الأرض حيث حلّ، عمل على إصلاح عقائد الناس ومحاربة أهل الإلحاد وقمع فتن أهل البدع والأهواء، ترك مصنفات كثيرة منها: «شرح ألفية السيوطيّ في مصطلح الحديث»، و«الصراط المستقيم»، و«الدليل القويم»، و«إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية»، و«المقالات السنية في الرد على ابن تيمية». **الدليل القويم**، عبد الله الهرري، ص ٦، ٧.

كالمحلّ الذي سمع عنده سيدنا محمد ﷺ كلام الله ليلة الإسراء والمعراج بل سمع - أي سيدنا موسى - وهو على الطّور. فعُلِمَ من هذا أن الله تعالى موجودٌ بلا مكان، وأن سماع كلام الله ليس مشروطًا بالمكان وأن صفاته تعالى ليست متحيزة بالمكان. فالله جعل سماع محمد لكلامه الأزليّ الأبديّ في وقت كان فيه نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام في مستوى فوق السموات السبع وموسى كان سماعُه لكلام الله تعالى وهو - أي موسى - في الطّور» اهـ.

ويناسب أن يذكر هنا أن كلام الله الذاتي الأزلي الأبدي ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة، ويقال: "القرآن كلام الله" ويراد به ما في المصحف على معنى أنه وحي الله إلى محمد عليه الصلاة والسلام نزل به الرّوح الأمين جبريل عليه السلام.

ولا يخفى على عاقل خطر مقالة التجسيم، على أنه لم يكن خطر هذه المقالة في يوم من الأيام مستمدًّا من استناد لعقل صحيح سليم لأنها مقالة أساسها اعتقادات المشركين واليهود الذين نسبوا القعود إلى الله تعالى، وأخبار مُنكَرة متشابهة وشبهات واهية في مقابلة نصوص محكمة متواترة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. وخطر هذه المقالة يظهر في دأب وسلوك معتنقيها الخارجين عن دائرة الإسلام الذين يختارون الكُمون والاستتار حالَ وجودِ العلماء وقوة السلطان السياسيّ في دولة الإسلام، فإذا ما غاب دور العلماء وضعُفت سلطة الإسلام وجد الخائضون في المتشابه متنفسًا لاتباع المتشابه، واستغلوا هذا الضعف للمجاهرة بخوضهم الفاسد بين العوامّ الذين يغترّون بإظهار الزهد والنسك، ورفعوا شعارات البراءة من علم الكلام على طريقة أهل السّنة والجماعة حيث شبّهه أولئك الفاسدون بالفلسفة اليونانية، وهذا تشبيه فاسد لأن علم الكلام الذي هو على طريقة أهل السّنة والجماعة هو للدفاع عن الدين أمام شُبَه المبتدعة وأهل الأهواء[1]،

---

١)العلم بالله تعالى وصفاته أجلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، ويسمى علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة، ويسمى هذا العلم أيضًا مع أدلته العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة علم الكلام، والسبب في تسميته بهذا الاسم كثرة=

فيتترّسون بالعوامّ الغيورين على ما يعتقدونه دينًا، فيستغل العوامّ باسم محاربة البدعة في إثارة الفتن والتسلط على علماء الأمة بما يقدرون عليه من الأذى.

ويحفظ التاريخ أن ظهور هذه المقالة مَقْرونٌ بضعف حال المسلمين، وأن ظهور المسلمين على أعدائهم يقترن بظهور التنـزيه. ومن الأمثلة التاريخية على ذلك أن الملك نور الدين زنكي[1] بلغه أن إنسانًا بدمشق أظهر شيئًا من التشبيه وغلَّفه بشيء من الزهد والنسك، وقد كثر حوله الأتباع من العوامّ، فأحضره وأركبه حمارًا وأمر بصفعه فطيف به في البلاد جميعها ونودي عليه: هذا جزاء من أظهر في الدين البدع، وما زال الناصر صلاح الدين[2] فاتحُ بيت المقدس ناصرًا للتوحيد وقامعًا جميع أهل البدع، يدني أهل التنـزيه ويقصي أهل التشبيه[3].

=المخالفين فيه من المنتسبين إلى الإسلام، وطول الكلام فيه من أهل السنّة والجماعة لتقرير الحقّ، وقيل لأن أشهر الخلافات فيه مسألة كلام الله تعالى أنه قديم ـ وهو الحقّ ـ أو حادث ـ وهو باطل ـ. فالحشوية قالت: كلامه صوت وحرف، وهذا ضلال وخروج عن الإسلام، حتى بالغ بعضهم فقال: إن هذا الصوت أزليّ قديم، وإن أشكال الحروف التي في المصحف أزلية قديمة، فخرجوا عن دائرة العقل، وقالت طائفة أخرى وهم المعتزلة قبحهم الله: إن الله تعالى متكلّم بمعنى أنه خالق الكلام في غيره كالشجرة التي سمع عندها موسى كلام الله، لا بمعنى أنه قام بذات الله، أي ثبت له كلامٌ هو صفة من صفاته. وقال أهل السنّة والجماعة: إن الله متكلّم بكلام ذاتيّ أزليّ أبديّ ليس حرفًا ولا صوتًا ولا يختلف باختلاف اللغات، وهذا هو الحق الذي عليه كل المسلمين.

١) محمود بن زنكي بن أقسنقر ت ٥٦٩هـ، ملَك الشام وديار الجزيرة ومصر والموصل وبعض بلاد المغرب وجانبًا من اليمن، كان عارفًا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث وأسمعه. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ١٧٠.

٢) يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، كان أبوه وأهله من قرية دوين وهم من قبيلة الهذانية من الأكراد نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، نشأ في دمشق وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، توفي بدمشق. **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ٢٢٠.

٣) **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، أبو شامة المقدسيّ، ١/ ٥٠

أهمية الكتاب وسبب اختياره:

سيأتي أن الكلام في التجسيم في حقّ الله تعالى نبت من كلام اليهود ومن اتَّبعوهم في الخوض في المتشابه بغير حقّ، ومن يقلّب كثيرًا في مؤلفات العقيدة في هذا العصر يقف على ما فيها من آثار الخوض في المتشابه بما يخالف كتاب الله تعالى وسُنّة نبيه ﷺ، ولا يخفى ما حوته من تفسيق وتبديع وتضليل للمسلمين والعياذ بالله، كما لا يخفى ما يفتريه بعض المعلّقين الذين يعتقدون التجسيم على كثير من الكتب من تفاسير للقرآن الكريم وشروح للحديث الشريف باتهام مؤلفيها المنزهين بأنهم انحرفوا عن منهج السلف وزلّوا في الاعتقاد.

ولما بحثنا وتفحّصنا ما قالوه وجدنا الزلل الذي وقع به هؤلاء المشبهة هو في وصف البارئ سبحانه، ورأينا فتنة يصل شرها وزُورها إلى الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب المعتبرة، وكبار العلماء والسلاطين والخلفاء الراشدين، وأمعنّا النظر في كتابات المعاصرين المجسّمين فرأينا أن هؤلاء المعلّقين من المجسمة يَعْدِلون عن الموضوعية ويتّبعون أهواءهم وأوهامهم ويميلون إلى الانفعال وينعتون المنزّهين الموحّدين بأبشع النعوت، فعزمنا على الكتابة في بيان تنزيه الله تعالى عن التجسيم كتابًا لا يغفل عن حاجة المسلمين وواقعهم، يتمسك بالموضوعية والمنهجية العلمية. فما أسمى أن ندفع عن الدين وعن عقيدة نبينا ﷺ وعن المفسرين والمحدّثين والمتكلمين من أهل السّنة تهمة البدعة ومخالفة السلف، وأن ندفع عن العوامّ خطر مآل الخوض في المتشابه بغير علم.

ولا يسع المسلمين السكوتُ عن انتشار الخوض في المتشابه بغير حقّ وعن رمي جملة علماء المسلمين الذين كرهوا الخوض فيه بالبدعة. وقد رأيتُ في كلام الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام(1) ما ثبَّت هذا المعنى في

و٤/ ٣٨٠.

١)عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الشافعيّ=

النفس حيث أجاب مَنْ أَمَرَهُ بالسكوت زاعمًا أن ذلك من الاقتداء بالسلف قائلا[1]: «وكيف يُدَّعى على السلف أنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه أو يسكتون عند ظهور البِدع». ثم قال: «والعلماء ورثة الأنبياء فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ (آل عمران)، ومِنْ أنكرِ المنكرات التَّجسيمُ والتشبيهُ، ومن أَفضل المعروف التوحيدُ والتنـزيه. وإنّما سكت السَّلف قبل ظُهور البدع، فَوَرَبِّ السماء ذات الرَّجع[2] والأرض ذات الصَّدع[3] لقد تشمَّر السَّلف للبدع لمّا ظهرت فقمعوها أتمَّ القمع...، فجاهدوا في الله حَقَّ جِهاده. والجهادُ ضربان: ضَربٌ بالجدل والبيان، وضَربٌ بالسيف والسّنان» إلى أن قال: «ولم تزل هذه الطائفة المبتدعة ـ يعني المجسمة المشبهة ـ قد ضُربت عليهم الذلَّة أينما ثقفُوا ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ (المائدة)، لا تلوح لهم فُرصة إلا طاروا إليها، ولا فتنة إلا أكبُّوا عليها، وأحمد بن حنبل[4] وفضلاء أصحابه وسائر

= ت ٦٦٠هـ، المعروف بالعز بن عبد السلام، فقيه شافعي. ولد ونشأ في دمشق. وزار بغداد سنة ٥٩٩هـ، فأقام شهرًا، وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي. روى عنه أئمة كابن دقيق العيد والدمياطيّ، وتفقّه على الإمام فخر الدين بن عساكر. توفي بالقاهرة. من كتبه: «التفسير الكبير» و«الإلمام في أدلة الأحكام». **فوات الوفيات**، الكتبي، ١/ ٦٨٢. **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ٤٥، ٤٦.

١) **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين السبكي، ٨/ ١١٦، ١١٧.

٢) قال الزَّبيديّ في **تاج العروس**، مادة ر ج ع: «من المجازِ قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١﴾ (الطارق)، أَي ذاتِ المَطَرِ بعدَ المطَرِ، سُمّيَ به لأَنَّه يَرجِع مَرَّةً بعدَ مَرَّة» اهـ. ٢١/ ٧٠.

٣) قال الزَّبيديّ في **تاج العروس**، مادة ص د ع: «وفي التنزيل: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ (الطارق)، قال ثعلب: هي الأرضُ تَنْصَدِعُ بالنبات وهو مجاز» اهـ. ٢١/ ٣٢١.

٤) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيبانيّ ت ٢٤١هـ، إمام المذهب الحنبليّ وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. ولد ببغداد، ونشأ=

علماء السلف برءاء إلى الله ممّا نسبوه إليهم...، والكلامُ في مثل هذا يطول، ولولا ما وجب على العلماء من إعزاز الدين وإخمال المبتدعين، وما طوَّلت به الحشويّة ـ أي المشبهة ـ ألسنتهم في هذا الزمان مِن الطَّعن في أعراض الموحّدين والإزراء[1] على كلام المنزهين، لما أطلتُ النَّفَسَ في مثل هذا مع إيضاحه، ولكن قد أمرنا اللهُ بالجهاد في نصرة دينه، إلا أن سلاح العالِـم عِلمُه ولسانُه كما أنّ سلاح المِلك سيفُه وسِنانُه، فكما لا يجوز للملوك إغمادُ أسلحتهم عن الملحدين والمشركين لا يجوز للعلماء إغمادُ ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين، وما زال المنــزّهون والموحّدون يُفتون بذلك على رؤوس الأشهاد في المحافل والمشاهد، ويجهرون به في المدارس والمساجد، وبِدعة الحشوية كامنة خفية لا يتمكنون من المجاهرة بها، بل يدُسُّونها إلى جهلة العوامّ، وقد جهروا بها في هذا الأوان» اهـ. فيتبين من كلام الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام أن الغيرة على الدين والذبّ عن عقيدة المسلمين ليس أمرًا مستحدثًا في هذا العصر لا سيما في إنكار منكر مثل التشبيه والتجسيم، وما من يوم يأتي إلا والذي بعده شرّ منه، فإن كان هذا الحال في زمنه فماذا نقول في زمننا هذا!

وما يُروى عن الإمام محمد بن إدريس الشافعيّ[2] رضي الله عنه أنه

=منكبًّا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارًا كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والمغرب والجزائر وفارس وخراسان وغيرها، وصنّف «المسند» يحتوي على ثلاثين ألف حديث. وله كتب في التاريخ والناسخ والمنسوخ والرد على الزنادقة في ما ادّعته في متشابه القرآن. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٢٠٣.

١)قال ابن منظور في **لسان العرب** مادة زرى: «وأَزْرَى به بالأَلف إِزْراءً قَصَّرَ به وحَقَّرَه وهَوَّنه» اهـ. ١٤/ ٣٥٦.

٢)الإمام الشافعيّ، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشيّ المطلبيّ ت ٢٠٤هـ، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السّنة وإليه نسبة الشافعية، ولد في غزة بفلسطين على قول، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩هـ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة، وقال الإمام ابن حنبل: «ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعيّ في رقبته منَّة» اهـ.=

قال: «لأن يلقى اللهَ العبدُ بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام» بهذا اللفظ فهو غير ثابت عنه، واللفظ الثابت عنه هو[1]: «لأن يلقى اللهَ عزَّ وجلَّ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء» اهـ. والأهواء جمع هوى، وهو ما مالت إليه نفوس المبتدعة الخارجين عما كان عليه السلف الصالح المنــزّهون لله عن التشبيهوالجسمية، أي ما تعلَّقَ به البِدْعِيُّون في الاعتقاد كالخوارج[2]

=وقال المبرد: «كان الشافعيّ أشعر الناس وأعرفهم بالفقه والقراءات» اهـ. وكان من أحذق قريش بالرمي، يصيب من العشرة عشرة، برع في ذلك أولًا كما برع في الشعر واللغة وأخبار أيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وكان ذكيًّا مفرطًا. له تصانيف كثيرة أشهرها: «كتاب الأم» في الفقه، و«المسند» في الحديث، و«أحكام القرآن». **حلية الأولياء**، أبو نُعيم، ٩/ ٦٣ . **تاريخ بغداد**، البغداديّ، ٢/ ٥٦، ٧٣. **تذكرة الحفاظ**، الذهبيّ، ١/ ٣٢٩. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٦، ٢٧.

١)**معرفة السنن والآثار**، البيهقيّ، باب ما يستدل به على صحة اعتقاد الشافعيّ رحمه الله في أصول الدين، ١/ ١٨٩.

٢)الخوارج: سبب ظهورهم أن معاوية بن أبي سفيان خرج ومعه أهل الشام على سيدنا عليّ رضي الله عنه، فبلغ ذلك عليًّا فسار إليهم، والتقوا بصفّين في صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة، ودام القتال بها أيامًا، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها، مكيدة من عمرو بن العاص فكره الناس الحرب وتداعَوْا إلى الصلح، وحكّموا الحكمَيْنِ، فخرجت على سيدنا عليّ الخَوارجُ من أصحابه ومَنْ كان معه وقالوا: لا حُكْمَ إلا لله، وعسكروا بحروراء ـ موضع بالكوفة ـ وبعث إليهم ابن عباس، فخاصمهم وحجّهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان فعرضوا للسبيل، فسار إليهم عليّ فقتلهم بالنهروان وتشتت الباقون وانقسموا فرقًا بلغوا إلى عشرين فرقة يجمعهم إكفارُ عليّ وعثمان وأصحاب الجمل والحكمَيْن ومَنْ رضي بالتحكيم وصوَّب الحكمين أو أحدهما، ووجوبُ الخروج على السلطان الجائر. **الفرق بين الفرق**، البغدادي، الفصل ٢، ص٥٤، ٥٥. **تاريخ الخلفاء**، السيوطي، ص ١٣٨.

والمعتزلة(١) والمرجئة(٢) وغيرها من الفرق التي بلغت إلى اثنتين وسبعين فرقة كما ورد في الحديث المشهور: «**وإنَّ هذهِ المِلَّةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ، ثِنْتانِ وسبعونَ في النارِ، وواحدةٌ في الجنّةِ وهيَ الجماعةُ**» رواه أبو داود(٣)، فليس كلام الشافعيّ على إطلاقه، إنما هو في المبتدعة القدرية وغيرهم الذين جانبوا نصوص الشريعة كتابًا وسنّةً وتعمّقوا في الأهواء الفاسدة.

وأما الكلام الموافق للكتاب والسنّة الموضح لحقائق الشريعة عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء قاطبة، قال الإمام الحافظ ابن عساكر(٤) في

---

١) المعتزلة: ينقسمون إلى أكثر من عشرين فرقة وهي الواصلية والعمرية والهذيلية والنظامية والإسوارية والمعمرية والإسكافية والجعفرية والبشرية والمرادارية والهشامية والتمامية والجاحظية والحايطية والحمارية والخياطية وأصحاب صالح قبة والمويسية والشحامية والكعبية والجبابية والبهشمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي، منهم من يقول: إن الله كان قادرًا على خلق حركات العباد وسكناتهم قبل أن يعطيهم القدرة عليها ثم بعد أن أعطاهم القدرة صار عاجزًا عن خلقها، وهذا كفر والعياذ بالله تعالى، ومنهم من ينفي عن الله الصفات من علم وسمع وبصر وحياة وكلام وغير ذلك من صفاته سبحانه، وهؤلاء لا شك في كفرهم أيضًا، ومنهم من ينتسب إليهم ولا يقول بمقالاتهم الكفرية بل يوافقهم في القول بعدم رؤية المؤمنين لله في الآخرة ولهم في هذا نوع تأويل يدفع عنهم التكفير. **الفرق بين الفرق**، البغدادي، ص١٨، **التعاون على النهي عن المنكر**، الهرري، ص٤٤.

٢) المرجئة: الإرجاء في اللغة هو التأخير وقد سموا مرجئة لأنهم يؤخّرون العمل عن الإيمان على معنى أنهم يقولون: «لا تضر المعصية مع الإيمان»، وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسلمين قبلهم وهؤلاء افترقوا خمس فرق: اليونسية، الغسانية، التومنية، الثوبانية والمريسية. **التبصير في الدين**، الأسفراييني، ص٩٧، ٩٩. **الفرق بين الفرق**، البغدادي، ص ١٩٠.

٣) **سنن أبي داود**، أبو داود، كتاب السّنة، باب شرح السّنة، ٤/ ١٠٢.
أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي ت ٢٧٥هـ، إمام أهل الحديث في زمانه. أصله من سجستان رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة. له «السنن» وهو أحد الكتب الستة، و«المراسيل» و«كتاب الزهد». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ١٢٢.

٤) ابن عساكر عليّ بن الحسن بن هبة الله الدمشقيّ ت ٥٧١هـ، المؤرخ الحافظ الرحالة، كان محدث الديار الشامية ورفيق السمعانيّ صاحب الأنساب في رحلاته،=

كتابه الذي ألّفه في الدفاع عن الإمام أبي الحسن الأشعريّ رضي الله عنه وبيّن فيه كذب من افترى عليه ما نصّه[1]: «والكلامُ المذموم كلام أصحاب الأهوية وما يزخرفه أرباب البدع المُرْدية، فأما الكلام الموافق للكتاب والسنّة الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه، وقد كان الشافعيّ يحسنه ويفهمه، وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع، وأقام الحجة عليه حتى انقطع»[2] اهـ. فالكلام الذي يوضح حقائق أصول الدين عند ظهور المبتدعة محمود عند العلماء.

=مولده ووفاته في دمشق. له كتب كثيرة منها: «تاريخ دمشق الكبير» يعرف بتاريخ ابن عساكر، و«الإشراف على معرفة الأطراف في الحديث»، و«تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري»، و«كشف المغطى في فضل الموطّأ»، و«أربعون حديثًا من أربعين شيخًا من أربعين مدينة». **وفيات الأعيان،** ابن خلكان، ١/ ٣٣٥. **الأعلام،** الزركلي، ٤/ ٢٧٣.

١)**تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري،** ابن عساكر، ص٣٩٣.

٢)ناظرالإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه بِشْرًا المريسيّ وحفصًا الفرد فقطعهما بإقامة الحجة عليهما.

تعريف الجسم لغةً

الجسم كلمة وردت في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ (البقرة).

وقد حفلت معاجم اللغة العربية بشروحات لهذه الكلمة:

في معجم مقاييس اللغة لابن فارس[١]: «(جسم) الجيم والسين والميم يدلُّ على تجمُّع الشيء. فالجسم كلُّ شخصٍ مُدْرَكٍ. كذا قال ابن دريد[٢]. والجَسيم: العظيم الجِسم، وكذلك الجُسام. والجُسْمان: الشخص. (جسد) الجيم والسين والدال يدلُّ على تجمُّع الشيء أيضًا واشتدادِه» اهـ.

وقال الرازي[٣]: «قال أبو زيد: الجِسْمُ الجسد، وكذا الجُسْمانُ والجُثْمانُ.

---

١) **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، مادة ج س م، ١/ ٤٥٧.
ابن فارس الإمام العلامة اللغويّ المحدِّث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ابن محمّد بن حبيب القَزْوينيّ، المعروف بالرازيّ المالكيّ نزيل هَمَذان وصاحب كتاب «المـُجْمَل»، كان رأسًا في الأدب، بصيرًا بفقه مالك، مناظرًا متكلّمًا على طريقة أهل الحقّ، وله مصنّفات ورسائل، وتخرّج على يديه الأئمة، توفّي بالرَّيّ في صفر سنة ٣٩٥هـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١١/ ٥١، ٥٢، رقم الترجمة ٣٨٣١.

٢) **جمهرة اللغة**، ابن دريد، ٢/ ٩٤.
محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عمان من قحطان، أبو بكر ت ٣٢١هـ، من أئمة اللغة والأدب. وهو صاحب «المقصورة الدريدية». ولد في البصرة سنة ٢٢٣هـ، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عامًا، وعاد إلى البصرة. ثم رحل إلى نواحي فارس، من كتبه: «الاشتقاق» في الأنساب، و«المقصور والممدود». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٨٠.

٣) **مختار الصحاح**، الرازي، مادة ج س م، ص١٢٧. =

وقال الأصمعيّ[1]: «الجسم والجسمان: الجسد، والجثمان: الشخص. وقال جماعة: جسم الإنسان أيضًا يقال له الجسمان مثل ذئب وذؤْبان، وقد جَسُمَ الشيء أي عظم فهو جَسِيمٌ وجُسَامٌ بالضم وبابه ظرف، والجِسَامُ بالكسر جمع جَسيمٍ، وتجسَّم من الجسم» اهـ.

وقال ابن منظور[2]: «الجِسْمُ: جماعة البَدَنِ أو الأعضاء من الناس والإبل والدوابّ وغيرهم من الأنواع العظيمة الخَلْق، والجمع أَجْسامٌ وجُسومٌ، والجُسْمانُ جماعة الجِسْمِ، والجُسْمانُ جِسْمُ الرجل، ويقال: إنه لنَحيفُ الجُسْمان، وجُسمانُ الرجل وجُثْمانُه واحد، ورجُل جُسْمانيٌّ وجثْمانيٌّ إذا كان ضَخْم الجُثَّة» اهـ.

= محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي زين الدين، صاحب «مختار الصحاح» في اللغة، فرغ من تأليفه أول رمضان سنة ٦٦٠ هـ وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب. أصله من الري، زار مصر والشام، وكان في قونية سنة ٦٦٦هـ وهو آخر العهد به. ومن كتبه: «شرح المقامات الحريرية» و«حدائق الحقائق». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٥٥.

١) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي ت ٢١٦هـ، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، أخباره كثيرة جدًّا. وتصانيفه كثيرة منها: «الإبل»، و«خلق الإنسان»، و«المترادف». **الأعلام**، الزركليّ، ٤/ ١٦٢.

٢) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ج س م، ٢/ ٩٩، ١٠٠.
ابن منظور هو محمد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ ت ٧١١هـ، صاحب «لسان العرب»، اللغويّ المشهور من نسل رويفع ابن ثابت الأنصاريّ. ولد بمصر وقيل في طرابلس الغرب وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها، ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، من كتبه: «لسان العرب» عشرون مجلدًا، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعًا. ومن كتبه: «مختصر مفردات ابن البيطار»، و«نثار الأزهار في الليل والنهار». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ١٠٨.

وقال الفيوميّ[1]: «(ج س م): جَسُمَ الشَّيْءُ جَسامةً وِزَانُ ضَخُمَ ضَخامةً، وَجَسِمَ جَسَمًا مِنْ باب تَعِبَ عَظُمَ فهو جَسِيمٌ وَجَمْعُهُ جِسَامٌ، والجسمُ قال ابن دُرَيْدٍ ـ عن الجسم ـ هو كلُّ شخصٍ مُدرَكٍ، وقال أبو زيدٍ: الجسمُ: الجسد. وَفِي التَّهذيب ما يُوافقه قال: الجسمُ مَجمعُ البَدَنِ وأعضاؤُهُ من النَّاس والإبلِ والدَّوابِّ ونحوِ ذلك ممَّا عظُمَ منْ الخلقِ الجسيم، وعلى قول ابنِ دُرَيْدٍ يكون الجسمُ حيوانًا وجمادًا ونباتًا ولا يصحُّ ذلك على قول أبي زَيْدٍ، والجسمانُ بالضَّمّ الجثْمانُ» اهـ.

وقال اللغويّ محمد مرتضى الزَّبيديّ[2] في تاج العروس ممزوجًا بمتن القاموس[3]: «ج س م: الجسمُ بالكسرِ: جماعةُ البَدَنِ أو الأعضاءِ. ومن النّاسِ والإبلِ والدَّوابِّ وسائر الأنواع: العظيمة الخَلْقِ، كالجُسمان بالضَّمّ. قال أَبو زيدٍ: الجسمُ: الجسدُ، وكذلك الجسمان. والجُثمان: الشخص، ويُقال: إنَّه لنحيفُ الجُسمان. وقال بعضهم: إنَّ الجُثمان والجُسمان واحد.

---

١) **المصباح المنير**، الفيوميّ، مادة ج س م، ص١٠١.
أحمد بن محمّد بن عليّ الفيوميّ ثم الحمويّ، أبو العبّاس، لغويّ، اشتهر بكتابه «المصباح المنير»، ولد ونشأ بالفيّوم بمصر، ورحل إلى حماة بسورية فقطنها، وله أيضًا: «نثر الجمان في تراجم الأعيان»، توفّي نحو سنة ٧٧٠هـ. **الأعلام**، الزركليّ، ١/ ٢٢٧.

٢) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينيّ الزَّبيديّ ت ١٢٠٥هـ، أبو الفيض الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط في العراق ومولده بالهند ونشأ في زبيد باليمن. رحل إلى الحجاز وأقام بمصر فاشتهر علمه وكاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر، وزاد اعتقاد الناس فيه، وتوفي بالطاعون في مصر. من كتبه: «تاج العروس في شرح القاموس»، و«إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين»، و«أسانيد الكتب الستة»، و«عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة»، و«كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام»، و«عقد الجمان في بيان شعب الإيمان». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٧٠.

٣) **تاج العروس شرح القاموس**، الزَّبيديّ، مادة ج س م، ٣١، ٣٢/ ٢١١، ٢١٢.

وقال الراغب[1]: الجِسْمُ: ما له طولٌ وعَرْضٌ وعُمْقٌ، ولا تَخرُج أجزاء الجسمِ عن كونها أجسامًا وإنْ قُطِعَ وجُزّئ، بخلاف الشَّخص فإنَّه يخرج عن كونه شخصًا بتجزئتِهِ، (ج: أجسامٌ وجُسومٌ و) جَسُمَ (كَكَرُمَ)جسامَةً: (عَظُمَ فهو جَسِيمٌ)، كأميرٍ. والجَمْعُ جِسامٌ، (وجُسامٌ، كغُرابٍ، وهي بهاء) قال: [الرجز]

(أَنْعَتُ عَيْرًا سَهْوَقًا جُسامًا والجَسِيمُ: البَدِينُ) أي: العَظِيمُ البَدَنِ. وَممّا يُستدركُ عليه: رجلٌ جُسمانيٌّ: إذا كان عظيم الجُثَّة، والجُسُمُ، بضمَّتين: الأمور العِظامُ، وأيضًا: الرجالُ العقلاءُ، ويقال: هو من جِسام الأمور وجَسِيماتِ الخُطُوب، وفلانٌ يتجشَّمُ المـجاشم، ويتجسَّمُ المـعاظم. وتجسَّم في عيْني كذا: تصوَّر. وتجسَّم فلانٌ من الكرمِ. وكأنَّه كَرَمٌ قد تجسَّم. وكلُّ ذلك مجازٌ» اهـ.

الخلاصة:

يدل كلام أئمة اللغة المتقدمين منهم والمتأخرين على أن الجسم في اللغة يدلّ على التجمّع والتركيب والتأليف والتشخيص وذوي الأبعاد، وقد يُعَبَّر عن الجسم بالجوهر إذ هما بمعنى واحد، إلا أن الجسم أخصّ اصطلاحًا لأنه المركّب من الجواهر، وقد عرّف اللغويّ الزَّبيديّ في شرح إحياء علوم الدين الجوهر فقال ما نصّه[2]: «الجوهر: ما له قيام بذاته بمعنى أنه لا يفتقر إلى محلّ يقوم به، والعَرَض: ما يفتقر إلى محلّ يقوم به، وقد يعبّر بعضهم بدل الجواهر بالأجسام، وعليه جرى المصنّف ـ أي الغزاليّ[3] ـ،

---

١)الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب ت٥٠٢هـ، أديب من الحكماء العلماء. من أهل أصبهان، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بأبي حامد الغزالي. من كتبه: «محاضرات الأدباء» مجلدان، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«الأخلاق» ويسمى «أخلاق الراغب». **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٢٥٥.

٢)**إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، ٢/ ١٤٨.

٣)أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعيّ ت ٥٠٥هـ، له =

وهما في اللغة بمعنى، وإن كان الجسم أخصّ من الجوهر اصطلاحًا، لأنه المؤلَّف من جوهرين أو أكثر» اهـ.

قال الشيخ أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني[1] في معرض شرحه لبعض مصطلحات أهل العلم[2]: «فإن كان الجوهر دقيقًا بحيث انتهى في الدقة إلى أنه لا يقبل الانقسام بوجه فهو المسمى بالجوهر الفرد، وإن كان يقبل الانقسام فهو المسمّى بالجسم، ويسمى كل واحد من أجزائه جسمًا، وإن كان ذلك الجزء قد انتهى في الدقة إلى أنه لا يقبل القسمة فإنه لا يسمى جسمًا، وإنما يمتنعون من تسمية الدقيق الذي لا يقبل القسمة جسمًا إذا كان وحده منفردًا عن انضمام مثله إليه، هذا هو اصطلاحهم»اهـ.

وهي تعريفات اصطلاحية وستمرّ معنا تفصيلًا في طيّات هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

=مصنفات كثيرة، منها: «إحياء علوم الدين». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٢٢.

١) سعيد بن محمد التجيبي التلمساني العقباني، قاض، فقيه مالكي من أهل تلمسان. ولي القضاء فيها وفي بجاية ومراكش وسلا ووهران وحمدت سيرته. نسبته إلى عقبان (قرية بالأندلس). له كتب منها: «شرح جمل الخونجي»، و«العقيدة البرهانية»، و«شرح الحوفية» في الفرائض على مذهب مالك، و«المختصر في أصول الدين»، ولد عام ٧٢٠هـ، وتوفي عام ٨١١هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٦٧.

٢) **كتاب الوسيلة بذات الله وصفاته**، سعيد بن محمد العقباني، ص٤٠.

تعريف الجسم اصطلاحًا

بعد أن بيّنّا المعنى اللّغوي لكلمة الجسم ننتقل إلى بيان المعنى الاصطلاحي، فنقول وبالله التوفيق:

قال الشريف الجرجانيّ[٣]: «الجسم جوهر قابل للأبعاد الثلاثة ـ أي الطول والعرض والعمق ـ وقيل: الجسم هو المركّب المؤلف من الجوهر.

الجسم التعليميّ: هو الذي يقبل الانقسام طولًا وعرضًا وعمقًا، ونهايته السطح وهو نهاية الجسم الطبيعيّ، ويسمّى جسمًا تعليميًّا إذ يُبْحَثُ عنه في العلوم التعليمية، أي الرياضية الباحثة عن أحوال الكمّ المتصل والمنفصل منسوبة إلى التعليم والرياضة فإنهم كانوا يبتدئون بها في تعاليمهم ورياضتهم لنفوس الصبيان لأنها أسهل إدراكًا» اهـ.

وقال المُناويّ[٤]: «الجسم: ما له طول وعرض وعمق، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجسامًا وإن قُطّعَ وجُزّئ ـ أي تصبح أجسامًا صغيرة ـ بخلاف الشخص فإنه يخرج عن كونه شخصًا بتجزئته، كذا عبّر عنه الراغب» اهـ. يريد الراغب الأصبهاني.

---

٣)**التعريفات**، الجرجانيّ ١/ ١٠٤.
علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. له نحو خمسين مصنفًا، منها: «التعريفات» و«مقاليد العلوم». وتوفي في شيراز سنة ٨١٦ هـ. **الأعلام**، الزركلي، ١٠/ ١٣.

٤)**التعاريف**، المُناويّ، ١/ ٢٤٥.
محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري زين الدين من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، من كتبه: «كنوز الحقائق» في الحديث، و«التيسير في شرح الجامع الصغير» مجلدان اختصره من شرحه الكبير «فيض القدير». عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١ هـ. كان مولده سنة ٩٥٢هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٠٤.

ويروى عن إمام أهل السّنة والجماعة أبي الحسن الأشعريّ رضي الله عنه أنّه قال[1]: «اختلف المتكلّمون ـ من الذين تكلموا وألَّفوا في علم الكلام من أهل السّنة والجماعة ومن غيرهم ـ في الجسم ما هو على اثنتي عشرة مقالة:

١- **فقال قائلون:** الجسم هو ما احتمل الأعراض كالحركات والسكون وما أشبه ذلك، فلا جسم إلا ما احتمل الأعراض...، وزعموا أن الجزء الذي لا يتجزّأ جسم يحتمل الأعراض.

٢- **وقال قائلون:** الجسم إنما كان جسمًا للتأليف والاجتماع، وزعم هؤلاء أن الجزء الذي لا يتجزأ إذا جامع جزءًا آخر لا يتجزأ، فكل واحد منهما جسم في حال الاجتماع لأنه مؤتلف بالآخر، فإذا افترقا لم يكونا ولا واحد منهما جسمًا، وهذا قول بعض البغداديين.

٣- **وقال قائلون:** معنى الجسم أنه مؤتلف، وأقل الأجسام جزآن، ويزعمون أن الجزءين إذا تآلفا فليس كل واحد منهما جسمًا ولكن الجسم هو الجزآن جميعًا، وأنه يستحيل أن يكون التركيب في واحد، والواحد يحتمل اللون والطعم والرائحة وجميع الأعراض إلا التركيب.

٤- **وقال أبو الهذيل (المعتزلي)**[2]: الجسم هو ما له يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل، وأقلّ ما يكون الجسم ستة أجزاء أحدها يمين والآخر شمال، وأحدها ظهر والآخر بطن، وأحدها أعلى والآخر أسفل.

٥- **وزعم بعض المتكلمين:** أنه ـ أي الجسم ـ الجزآن اللذان لا يتجزآن يحلّهما جميعًا التأليف، وأن التأليف الواحد يكون في مكانين، وهذا قول الجبّائي ـ المعتزليّ[3] ـ.

---

١) **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ينسب الكتاب للأشعري، ٢/ ٤، ٥.

٢) أبو الهذيل العلاف المبتدع، شيخ البصريين في الاعتزال، ت ٢٣٥هـ، كان له مناظرات مع هشام بن الحكم. **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص ١٨٥.

٣) محمد بن عبد الوهاب الجبائيّ، أبو عليّ، ت ٣٠٣هـ، من أئمة المعتزلة في عصره، وإليه=

٦- **وقال معمر**[١]: هو الطويل العريض العميق، وأقلّ الأجسام ثمانية أجزاء فإذا اجتمعت الأجزاء وجبت الأعراض، وإن كل جزء يفعل في نفسه ما يحلّه من الأعراض، وزعم أنه إذا انضمّ جزء إلى جزء حدث طول، وأن العرض يكون بانضمام جزءين إليهما، وأن العمق يحدث بأن يطبق على أربعة أجزاء أربعة أجزاء، فتكون الثمانية الأجزاء جسمًا عريضًا طويلًا عميقًا.

٧- **وقال هشام بن عمرو الفوطيّ**[٢]: إن الجسم ستة وثلاثون جزءًا لا يتجزّأ، وذلك أنه جعله ستة أركان، وجعل كل ركن منه ستة أجزاء، فالذي قال أبو الهذيل إنه جزء جعله هشام ركنًا.

٨- **وقال قائلون**: الجسم الذي سمّاه أهل اللغة جسمًا هو ما كان طويلًا عريضًا عميقًا ولم يحدّدوا في ذلك عددًا من الأجزاء وإن كان لأجزاء الجسم عدد معلوم.

٩- **وقال هشام بن الحكم**[٣]: معنى الجسم أنه موجود، وكان يقول: إنما

=نسبة الطائفة الجبائية الضّالة المبتدعة. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، وقد ردّ عليه الإمام الأشعريّ رضي الله عنه. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٥٦.

١) معمر بن عباد السلميّ، ت ٢١٥هـ، معتزليّ من الغلاة، سكن بغداد، وناظر النظام، وكان أشد القدرية غلوًّا، انفرد بمسائل، وتنسب إليه طائفة تعرف بالمعمرية. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٢٧٢.

٢) هشام بن عمرو الفوطيّ ممن بالغ في القول بالقدر، وقدح في إمامة عليّ رضي الله عنه بقوله: إن الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيهم- وهذا باطل -. والفوطيّ والأصمّ المعتزليان اتفقا على أن الله تعالى يستحيل أن يكون عالـمًا بالأشياء قبل كونها - وهذا ضد عقيدة الإسلام -، وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى البارئ تعالى وإن ورد بها التنزيل (وهذا لا شك ردٌّ للنصوص قال النسفي في عقيدته المشهورة «ورَدُّ النصوص كفر» اهـ.) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، المقدمة الرابعة، ص٢٥.

٣) هشام بن الحكم الشيبانيّ بالولاء الكوفيّ، كان شيخ الإمامية في وقته، من كتبه: «الإمامة والقدر». وكان مشبهًا يقول بالجسمية. **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١٧٢. **الأعلام**، الزركليّ، ٨/ ٨٥.

أريد بقولي: جسم أنه موجود وأنه شيء وأنه قائم بنفسه. - وهذا خلط واضح منه لأنه يعرف معنى الجسم ومحاولة للتهرّب من الكفر الذي هو غارق فيه باعتقاده في الله الجسمية والعياذ بالله العظيم، وهذا كفر بالله العظيم -.

١٠- **وقال النَّظام**[١]: الجسم هو الطويل العريض العميق وليس لأجزائه عدد يوقف عليه، وأنه لا نصف إلا وله نصف ولا جزء إلا وله جزء، وكانت الفلاسفة تجعل حدّ الجسم أنه العريض العميق.

١١- **وقال عبّاد بن سليمان**[٢]: الجسم هو الجوهر والأعراض التي لا ينفكّ منها وما كان قد ينفك منها من الأعراض، فليس ذلك من الجسم بل ذلك غير الجسم.

١٢- **وقال ضرار بن عمرو**[٣]: الجسم أعراض أُلّفت وجمعت فقامت وثبتت فصارت جسمًا يحتمل الأعراض إذا حلَّ والتغيير من حال إلى حال، وتلك الأعراض هي ما لا تخلو الأجسام منه أو من ضده نحو الحياة والموت اهـ.

---

١)إبراهيم بن سيار بن هانئ البصريّ، ت ٢٣١هـ، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، تبحَّر في علوم الفلسفة وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية نسبة إليه. وفي كتاب الفرق بين الفرق أن النظام عاشر في زمان شبابه وخالط ملاحدة الفلاسفة وأخذ عن الجميع. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٤٣.

٢)عباد بن سليمان كان من أصحاب هشام بن عمرو الفوطي وزاد عليه بدعة فقال: ما خلق الله سبحانه وتعالى كافرًا قط، قال: لأن الكافر يشتمل على ذاته وكفره، قال: والله لا يخلق الكفر عندي، ولأن الأعراض لا تدل على شيء وركب عليه، فقال: إن انشقاق القمر وفلق البحر وقلب العصا حية لا يدل على شيء من معجزاتهم ـ أي الأنبياء عليهم السلام ـ. **التبصير في الدين**، الأسفراييني، ص٧٦.

٣)ضرار بن عمرو الغطفانيّ، ت ١٩٠هـ، قاض من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده فلم يدركها. فخالفهم فكفروه وطردوه. وشهد عليه الإمام أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن الجمحيّ فأفتى بضرب عنقه، فهرب. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٢١٥.

وقد عرفنا مما سبق معنى الجسم في اللغة والاصطلاح، ويظهر أن هناك توافقًا واضحًا بين المعنى اللغويّ والمعنى الاصطلاحيّ، فهو في اللغة يدلّ على التأليف والتركيب والتشخيص، وهو في الاصطلاح يدلّ على التركيب والتشخيص وقبول الأبعاد.

ثم الأجسام منها ما هو كثيف يضبط باليد، يستطيع الواحد أن يمسكه بكفه كجسم الإنسان والحيوان والنبات وسائر الجمادات، ومنها ما هو لطيف لا يضبط باليد، لا يستطيع الواحد أن يمسكه بكفه كالروح والريح والضوء والهواء. قال أبو حيّان الأندلسي في البحر المحيط[1] ما نصُّه: «والريح جسم لطيف شفاف غير مرئي» اهـ. وقال أيضًا[2]: «إنّ الشيطان وهو إبليس يبصركم هو وجنوده ونوعه وذريته من الجهة التي لا تبصرونه منها، وهم أجسام لطيفة معلوم من هذه الشريعة وجودهم ، كما أنّ الملائكة أيضًا معلوم وجودهم من هذه الشريعة ولا يستنكر وجود أجسام لطيفة جدًّا لا نراها نحن، ألا ترى أنّ الهواء جسم لطيف لا ندركه نحن وقد قام البرهان العقلي القاطع على وجوده» اهـ. وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن[3] أثناء كلامه عن الروح: «والصحيح فيه أنه جسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة» اهـ. وقال البغويُّ[4] في تفسيره[5]: «الرّوح جسم لطيف يحيا به الإنسان» اهـ.

---

١)**البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، ١/ ٤٠٧.

٢)**البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، ٤/ ٢٣٢.

٣)**الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ١٥/ ٢٦٢.

٤)البغويّ الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء أو ابن الفراء، ت ٥١٠هـ ، فقيه محدث مفسر، نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. له: «التهذيب في فقه الشافعية»، و«شرح السّنة» في الحديث، و«لباب التأويل في معالم التنزيل» في التفسير، و«مصابيح السّنة»، و«الجمع بين الصحيحين» وغير ذلك. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٢٥٩.

٥)**معالم التنزيل**، البغوي، ٤/ ٣٨٠.

فالله سبحانه ليس بجسم ولا جوهر، لا كثيف ولا لطيف، وبعبارة أخرى نقول: ليس لذات الله تعالى جرم ولا حجم ولا حد ولا كثافة ولا تشخيص ولا تشكيل ولا تأليف ولا جمع ولا تفريق ولا حركة ولا سكون، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

وهذا ما عليه جميع الأنبياء عليهم السلام، وهو مذهب السلف الصالح من أهل السّنة والحديث وعلماء الكلام الذين ينزّهون الله تعالى عن الجسم والهيئة والكيف، وهذا هو الذي دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل الحقّ والعقل، بل قد وافقت المعتزلةُ والجهميةُ[١] والزيديةُ[٢] والجعفرية[٣]

---

١) الجهمية فرقة ضالة تنسب إلى جهم بن صفوان الراسبيّ، كان ينكر الصفات لله ويزعم أن الله تعالى في الأمكنة كلها، وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز بمرو في أواخر ملك بني أمية سنة ١٢٨هـ، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. **الملل والنحل**، الشهرستاني، ١/ ١١٣.

٢) الزيدية ثلاث فرق: الجارودية والسليمانية والأبترية، أما الجارودية فهم أتباع أبي الجارود وكان مذهبه أن النبي نص على إمامة علي بالصفة لا بالاسم وكان من مذهبه أن الصحابة كفروا كلهم بتركهم بيعة علي ومخالفتهم النص الوارد عليه، وأما السليمانية فهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي وكان يقول: إن الإمامة شورى ومتى ما عقدها اثنان من أخيار الأئمة لمن يصلح لها فهو إمام في الحقيقة وكان يقر بإمامة أبي بكر وعمر ويجوّز إمامة المفضول وكان يقول: إن الصحابة تركوا الأصلح بتركهم بيعة علي، وأما الأبترية منهم فهم أتباع الحسن بن صالح بن حي وكثير النواء الملقب بالأبتر وقول هؤلاء كقول السليمانية غير أنهم يتوقفون في عثمان ولا يقولون فيه خيرًا ولا شرًا. وجميع فرق الزيدية يجمعهم القول بتخليد أهل الكبائر في النار ووافقوا القدرية والخوارج في هذا المعنى، وهؤلاء الفرق الثلاثة إنما يسمّون زيدية لقولهم بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي في وقته. **التبصير في الدين**، الأسفراييني، ص٢٩.

٣) الجعفرية أتباع جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب اللذين كانا أصلين في الجهالة والضلالة، كان جعفر بن مبشر يقول: فساق هذه الأمة شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة، مع قوله بأنهم موحدون في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، وكان جعفر بن حرب على ضلالة أستاذه. **التبصير في الدين**، الأسفراييني، ص٧٧.

والإباضية[1] والخوارج كلامَ أهلِ السّنة في هذه المسألة وإن ضلَّت في مسائل غيرها، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الشواذ من الفرق التي انتسبت إلى الإسلام، والإسلام منها براء من مشبهة ومجسّمة ومن تبعهم.

١)الإباضية من الخوارج، ينسبون إلى عبد الله بن إباضٍ التميميّ، وهم قوم من الحروريَّة، زعموا أن مخالفهم كافر لا مشرك تجوز مناكحته، وكفَّروا عليًّا وأكثر الصَّحابة، وكان مبدأ ظهوره ـ أي عبد الله بن إباض ـ في خلافة مروان. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، ١٨/ ٢٢٠.

مسألة مهمة عن لفظ الكيف والتكييف

معنى الكيفية في اللغة:

قال المحدّث اللّغوي محمد مرتضى الزَّبيديّ[٢]: «الكيف: القطع، وقد كافَهُ يَكِيفُهُ، ومنه كيَّفَ الأديم (الجلد) تكييفًا: إذا قطعه ... والغالب فيه أن يكون استفهامًا عن الأحوال إما حقيقيًّا ككيف زيد؟ أو غيرَه مثل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴿٢٨﴾﴾ (البقرة)، فإنه أُخرِج مُخرجَ التعجّب والتوبيخ.

ويقع خبرًا قبل ما لا يُستغنى عنه ككيف أنت؟ وكيف كنت؟ ويكون حالًا لا سؤالَ معه، كقولك: لأُكرمنّك كيف كنت أي: على أيّ حال كنتَ، وحالًا قبل ما يستغنى عنه ككيف جاء زيد؟ ويقع مفعولًا مطلقًا مثل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴿٦﴾﴾ (الفجر)» اهـ.

وقال الرازيّ[٣]: «كيف اسم مبهم غير متمكّن، وإنما حُرّك آخره لالتقاء الساكنين وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء.

- وهو للاستفهام عن الأحوال.
- وقد يقع بمعنى التعجّب كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴿٢٨﴾﴾ (البقرة).
- وإذا ضُمَّ إليه «ما» صحّ أن يجازى به، تقول: كيفما تفعل أفعل» اهـ.
- إذًا «كيف» في اللغة العربية تستعمل بمعنى:
- الاستفهام عن الأحوال أو الحال دون استفهام، وهذا المعنى هو المراد والذي نحن بصدده.
- الإخبار عن الأحوال.

---

٢)**تاج العروس**، الزَّبيديّ، ٢٤/ ٣٤٩.

٣)**مختار الصحاح**، الرازيّ، ١/ ٢٤٤.

- أو القطع، وهذا أيضًا له تعلّق بما نحن فيه لأن ما له مقطع ونهاية هو جسم.
- أو التعجّب.
- أو الجزاء.

الكيفية مصدر «كيف»:

قال ابن منظور[1]: «وقال ـ أي الزجّاج[2] ـ في مصدر كيَّفَ: الكيفية» اهـ.

وقال الزَّبيديّ[3]: «وأما قول شيخنا ـ أي ابن الشرقيّ[4]ـ: وينبغي أن يزيد قولهم: الكيفية أيضًا، فإنها لا تكاد توجد في الكلام العربيّ. قلتُ: نعم، قد ذكره الزجّاج فقال: والكيفية مصدر كيَّف، فتأمّل» اهـ.

فإذا كانت الكيفية هي المصدر من كيّف فمعناها إذًا: «الحالة التي عليها الشيء»، والتكييف هو «جعل الشيء ذا كيفية».

---

١)**لسان العرب**، ابن منظور، مادة ك ي ف، ٩/ ٣١٢.

٢)إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت ٣١١هـ، عالم بالنحو واللغة ولد ومات ببغداد. لزم المبرد وتعلم منه، وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبًا لابنه القاسم فدله المبرد على الزجاج فطلبه الوزير فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه فجعله القاسم من كتّابه. من كتبه: «معاني القرآن»، و«الاشتقاق»، و«خلق الإنسان». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٤٠.

٣)**تاج العروس**، الزبيدي، مادة ك ي ف، ١٤/ ٣٥٣.

٤) محمد بن الطيب محمد بن محمد بن محمد الشرقيّ الفاسيّ المالكيّ، ت ١١٧٠هـ، محدّث، علامة باللغة والأدب. مولده بفاس، ووفاته بالمدينة. وهو شيخ الزَّبيديّ صاحب تاج العروس. والشرقيّ نسبة إلى شراقة على مرحلة من فاس. من كتبه: «المسلسلات في الحديث»، و«فيض نشر الانشراح حاشية على كتاب الاقتراح» للسيوطي في النحو، و«إضاءة الراموس حاشية على قاموس الفيروزأبادي». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ١٧٧ ، ١٧٨.

نفي الكيفية عن الله تعالى:

الكيفية عن الله تعالى وعن صفاته منفية لأنّها تستعمل في حق المخلوق، وممّا يدلّ على ذلك قول الإمام مالك رضي الله عنه[١] في حق الله تعالى[٢]: «والكيف غير معقول»، وفي رواية[٣]: «والكيف عنه مرفوع» يعني أن الجسمية والتشخّص غير معقولين في صفات ربّ العالمين، وهما مرفوعان عنه سبحانه، معناه لا يليقان بالله.

وقد أخرج البيهقيّ[٤]: «أن رجلًا دخل على الإمام مالك فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ (طه) كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضاء[٥] ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه، فأُخرج الرجل» اهـ. وفي رواية: «الاستواء معلوم، ولا يقال كيف، والكيف غير معقول[٦]» اهـ. ومعنى «الاستواء معلوم» أي معلوم وروده في القرآن أي بأنه مستوٍ على عرشه استواءً يليق به، ومعنى «والكيف غير معقول» أي الشكل والهيئة والجلوس والاستقرار

---

١)مالك بن أنس بن مالك الأصبحيّ الحميري أبو عبد الله، ت ١٧٩هـ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السّنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، صنَّف «الموطأ». وله كتاب «المسائل»، و«رسالة الرد على القدرية». **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٢٥٧.

٢)**اعتقاد أهل السُّنَّة**، اللالكائيّ، ٣/ ٤٤١، ٤٤٢.

٣) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٠٨.

٤)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٠٨.

٥)«الرُّحَضاء: العَرَقُ إثْرَ الحُمَّى أو عَرَقٌ يَغْسِلُ الجِلْدَ كثْرَةً، وقد رُحِضَ المَحْمُومُ كعُنِيَ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ر ح ض، ص ٨٢٩.

٦)أي أن الاستواء بمعنى الكيف أي الهيئة كالجلوس لا يُعقل في حق الله، أي لا يقبله العقل لكونه من صفات الخلق، لأن الجلوس لا يصح إلا من ذي أعضاء أي كألية وركبة والله تعالى منزَّهٌ عن ذلك، فلا مسوغ لقول من قال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة.

ونحو ذلك غير معقول، أي لا يقبله العقل وهذه لا تجوز على الله لأن ذلك من صفات الأجسام.

قال القرافيّ[1]: «ومعنى قول مالك: «الاستواء غير مجهول» أن عقولنا دلّتنا على الاستواء اللائق بالله وجلاله وعظمته وهو الاستيلاء دون الجلوس ونحوه مما لا يكون إلا في الأجسام، وقوله «والكيف غير معقول» معناه **أن ذات الله لا يوصف بما وَضعت له العرب لفظ «كيف»، وهو الأحوال المتنَقِلة والهيئات الجسمية، فلا يعقل ذلك في حقه لاستحالته في جهةِ الربوبية**» اهـ. أي لاستحالته في حقّ الله.

---

١)**الذخيرة**، القرافيّ ١٣/ ٢٤٢.
أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافيّ، ت ٦٨٤هـ،من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعيّ) بالقاهرة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول منها: «أنوار البروق في أنواء الفروق»، و«الذخيرة في فقه المالكية» و«اليواقيت في أحكام المواقيت». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٩٤، ٩٥.

من استعمالات الأئمة «الكيف» بمعنى الجسمية والتَّشَخُّص

استعمل كبار علماء الأصول كلمة «الكيف» بالمعنى اللغويّ الموضوع له أصلًا، وعرّفوه بالجسمية والتَّشَخُّص، ومما يدل على ذلك ما رواه البيهقيّ[1] وغيره: «عن إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ[2] قال: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر[3]: يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «**ينزل ربُّنا كلَّ ليلة**» كيف ينزل؟ قلت: أعزَّ الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف إنما ينزل بلا كيف» اهـ. وأراد بذلك تنزيه الله عن الكيف الذي هو النزول الحسّي الذي يتصور بالجسم والمتحيِز، أما النزول الوارد في هذا الحديث فمعناه أن الله يُحدِث كل ليلة ما شاء وهو ما جاء مفسرًا في بعض الروايات بنزول الـمَلَك.

ومن ذلك ما قاله البغويّ[4]: «والـمُنكِرُ مُعَطِّل **والـمُكَيِّف مُشَبِّه**، تعالى

---

١)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٥٢.

٢)إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه ت٢٣٨هـ، عالم خراسان في عصره. من سكان مرو (قاعدة خراسان) وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وكان إسحاق ثقة في الحديث، قال فيه الخطيب البغدادي: «اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد» اهـ. ورحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن. وله تصانيف منها: «المسند». استوطن نيسابور وتوفي بها. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٢٩٢.

٣)عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء، أبو العباس ت٢٣٠هـ، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان، وكان جدّه الأعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات، وولي عبد الله بن طاهر إمرة الشام مدة، ونقل إلى مصر سنة ٢١١ هـ، فأقام سنة ونقل إلى الدينور. ثم ولّاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والريّ والسواد وما يتصل بتلك الأطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٩٣.

٤)نقله عنه صاحب **تحفة الأحوذيّ**، المباركفوري أبو العلا، ٧/ ٢٣٣.

الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)» اهـ.

ومن ذلك ما قاله القاضي عياض[1]: «ويا ليت شعري ما الذي جمع أهل السُّنَّة والحقّ كلّهم على وجوب الإمساك عن الفكر في الذّات كما أُمِروا، وسكتوا لحيرة العقل، واتفقوا على **تحريم التكييف والتشكيل**، وأن ذلك من وقوفهم وإمساكهم غير شاكّ في الوجود والموجود، وغير قادح في التوحيد، بل هو حقيقته» اهـ. فترك التفكر في ذات الله من التوحيد، ونحن مأمورون بالتّفكر في مخلوقات الله، ذلك أن التّفكر في الله يوصل إلى التشبيه والتجسيم لله عزّ وجلّ.

ومن ذلك ما قاله الحافظ ابن عساكر[2]: «وكذلك قالت الحشوية والمشبّهة: إن الله سبحانه وتعالى يُرى مكيَّفًا محدودًا كسائر المرئيات، وقالت المعتزلة والجهمية والنجارية: إنه سبحانه لا يُرى بحال من الأحوال، فسلك ـ أي الأشعريّ ـ رضي الله عنه طريقة بينهما فقال: **يُرى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف**، كما يرانا هو سبحانه وتعالى وهو غير محدود[3] ولا مكيَّف، فكذلك نراه وهو غير محدود ولا مكيَّف» اهـ.

ومن ذلك أيضًا قول الإمام الخطّابيّ[4] في باب الردّ على الجهمية والمعتزلة عن حديث الأَطيط، وهو من الأحاديث المتشابهة التي لا تؤخذ على ظاهرها بل تؤوّل فقد قال: «قال أبو داود: حدَّثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن

---

١) نقله عنه النوويّ في **شرح مسلم**، ٥/ ٢٥.
القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل ت ٥٤٤هـ، عالم المغرب، كان أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة، من تصانيفه: «الغنية» و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك». **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٩٩.

٢) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، ص١٥٠.

٣) أي لا حجم له، ولا يجوز اعتقاد أن الله له حدّ غير متناه نحن لا نعرفه لأنّ الله منزّه عن الحدّ كلّه.

٤) **معالم السنن**، الخطابيّ، ٤/ ٣٢٨.

المثنى ومحمد بن بشار وأحمد بن سعيد الرباطيّ قالوا: حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيّ فقال: يا رسول الله، جُهدت الأنفس وضاع العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك! قال رسول الله ﷺ: «**ويحك، أتدري ما تقول؟**» وسبّح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك، أتدري ما الله؟ إن عرشه على سمواته لهكذا** وقال بأصابعه مثل القبة عليه **وإنه ليئطّ به أطيط الرَّحل بالراكب**». قال الشيخ: هذا الكلام إذا جرى على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، **والكيفية عن الله وصفاته منفية، فعُقِل أَنْ ليسَ المرادُ** منه تحقيقَ هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله وجلاله سبحانه، وإنما قصد به إفهام السائل من حيث يدركه فهمه إذ كان أعرابيًّا جلفًا[1] لا علم له بمعاني ما دقّ من الكلام وبما لطف منه عن درك الأفهام، وفي الكلام حذف وإضمار فمعنى قوله: «**أتدري ما الله؟**» معناه أتدري ما عظمةُ الله وجلاله؟ وقوله: «**إنه ليئِطُّ به**» معناه أنه ليعجز عن جلاله وعظمته حتى يئطّ به، إذ كان معلومًا أن أَطيطَ الرَّحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه ولعجزه عن احتماله، فقرر بهذا النوع من التمثيل عنده معنى عظمة الله وجلاله وارتفاع عرشه، ليعلم أن الموصوف بعلوّ الشأن وجلالة القدر وفخامة الذكر لا يجعل شفيعًا إلى من هو دونه في القدر وأسفل منه في الدرجة، وتعالى الله عن أن يكون مشبهًا بشيء أو مكيَّفًا بصورة خَلْقٍ أو مدرَكًا بحدّ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى). وذكر البخاريّ هذا الحديث في التاريخ من رواية جبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده، ولم يدخله في

---

١)«العربي الجلف الجافي الذي لم يتزيّ بزيّ الحضر في رقتهم ولين أخلاقهم» اهـ. **المصباح المنير**، الفيومي اللغوي، مادة ج ل ف، ص٤١.

الجامع الصحيح» اهـ.

وقال الخطّابيّ أيضًا: «وليس قولنا: إن الله على العرش أي مماسّ له أو متمكّن فيه أو متحيّز في جهة من جهاته، بل هو خبر جاء به التوقيف، فقلنا به ونفينا عنه التكييف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى) وبالله التوفيق» اهـ. نقله الحافظ ابن حجر العسقلانيّ[١].

ومن ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر[٢] في شرحه لحديث النزول: «ومنهم مَن أجراه على ما ورد مؤمنًا به على طريق الإجمال، **منزّهًا الله تعالى عن الكيفية والتشبيه**، وهم جمهور السلف، ونقله البيهقيّ وغيره عن الأئمة الأربعة والسُّفْيانين[٣] والحَمَّادين[٤] والأوزاعيّ[٥] والليث[٦]وغيرهم» اهـ.

---

١)**فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٤١٣.

٢)**فتح الباري**، ابن حجر، ٣/ ٣٠.

٣)المقصود: سفيان الثوريّ، ت ١٦١هـ، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أمير المؤمنين في الحديث. له من الكتب «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» كلاهما في الحديث. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ١٠٤. والثاني: سفيان بن عيينة الهلاليّ الكوفيّ، ت ١٩٨هـ، محدّث الحرم المكيّ، كان حافظًا ثقة واسع العلم كبير القدر، قال الشافعيّ: «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز» اهـ. له: «الجامع في الحديث»، و«كتاب في التفسير». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ١٠٥.

٤)المقصود: حمّاد بن سلمة بن دينار، ت ١٦٧هـ، سمع من ابن أبي مليكة وهو أكبر شيخ له، وثابت البنانيّ وغيرهما، وسمع منه ابن جريج وابن المبارك وأبو نُعَيم وخلق كثير، قال عنه أحمد بن حنبل: «حمّاد بن سلمة عندنا من الثقات، ما نزداد فيه كلّ يوم إلا بصيرة» اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ١٤/ ٦. وحمّاد الآخر هو حمّاد بن زيد، ت ١٧٩هـ، العلامة الحافظ الثبت محدّث سمع من أنس بن سيرين وعمرو بن دينار ومحمد بن واسع وغيرهم، قال عنه أحمد بن حنبل: «حمّاد بن زيد من أئمة المسلمين، من أهل الدين» اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٤/ ٦، ١٥.

٥)عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعيّ، ت ١٥٧هـ، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٣٢٠.

٦)الليث بن سعد، ت ١٧٥هـ، الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الدّيار المصرية،=

ومن ذلك ما رواه الدارقطنيّ[1]: «عن الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعيّ ومالك بن أنس وسفيان الثوريّ والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك فقالوا: **أَمْضِها بلا كيف**» اهـ.

مع ملاحظة أنه قد تستعمل «الكيفية» على معنى الحقيقة كما أوردها بعض الأئمة، لأنها وردت في اللغة بمعنى الحقيقة، قال الشاعر: [البسيط]

كيفيةُ المرءِ ليسَ المرءُ يُدْرِكُها فكيف كيفيّةُ الجبَّارِ في القِدَمِ

فالكيفية هنا تعني الحقيقة بلا أدنى شك لأن المرءَ لا يعرفُ كيفيتَهُ، فالمراد هنا حقيقتُه كما هو واضح. فحيث وردت عبارة: «والكيف مجهول» في بعض المؤلفات المنسوبة إلى بعض المشاهير فمرادهم الحقيقة لا التجسيم، وإن كان لا يصح استعمال هذه العبارة لأن ظاهرها موهم، وهو وَهْمٌ مدفوع بالدليل الشرعيّ الصحيح من الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل الحقّ على نفي الشكل والحدّ والجسم عن الله الذي ليس كمثله شىء.

فلا مجال لمن حمل هذه اللفظة على التشبيه أي وصف استواء الله بكيفية ثم جعلها بمعنى التحيز أو الجلوس لمجرد تمسكه بعبارة مروية لا تثبت عن أئمة العلم.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا فِكْرَةَ في الرَّبّ**» رواه السيوطيّ في تفسيره[2]. فمعرفة الله تعالى لا تُطلَبُ بالوهم، لأنّ الإنسانَ وهمُه يدور حول ما أَلِفَهُ

= سمع عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة ونافعًا العمريّ وغيرهم كثير، وروى عنه خلق كثيرون منهم ابن عجلان شيخه وابن لهيعة وابن المبارك وآدم بن أبي إياس وغيرهم. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٢٤٨.

١) **الصفات**، الدارقطنيّ، ص٧٥.
الدارقطني، أبو الحسن عليّ بن عمر بن أحمد البغداديّ الحافظ المجوّد المقرئ من أهل محلة دار القطن ببغداد، ولد سنة ٣٠٦هـ. من مصنفاته: «السنن والعلل». توفّي سنة ٣٨٥هـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٠/ ٦٠٨، ٦١٢.

٢) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، السيوطي، ١٤/ ٤٩.

من الشيء المحسوس الذي له حدٌّ وشكل وهيئة، وليس محور الاعتقاد على الوهم بل على ما يقتضيه العقلُ الصحيح السليم الذي هو شاهد الشرع، ويفهم من هذا أن الله لا يجوز تصوّره بكيفية أو شكل أو مقدار أو مساحة أو لون أو كلّ ما هو من صفات الخلق، لأنّ الله تبارك وتعالى لا يجوز أن يقاس بالمخلوقات، فلا يتصوّر في الوهم ولا يتكيّف في العقل ولا تلحقه الأوهام، والأفكار. والقرآن أثبت أنّ الله تبارك وتعالى لا تدركه الأوهام. قال تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام) أَي لا تحيط به الأوهام، وعن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم)[1] قال[2]: «**لا فِكْرَةَ في الرَّبّ**»، قال أُبَيّ رضي الله عنه[3]: «إليه ينتهي فكر مَنْ تفكَّر فلا تصل إليه أفكار العباد»، كذا قال التابعيّ المشهور ابن أبي نُعم[4] في تفسير هذه الآية: «إليه ينتهي فكر مَنْ تفكّر» اهـ.

ويُروى أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال[5]: [البسيط]

العجزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكُ ... والبحثُ عن ذاتِهِ كفرٌ وإشراكُ

المعنى أنَّ الإنسان إذا عرفَ أنَّ الله تعالى موجودٌ بلا مكانٍ ولا كيفيةٍ،

---

١)

٢)**تفسير البغوي**، البغوي، تفسير الآية: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم)، ٧/ ٤١٧. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ١٧/ ١١٥. **الدر المنثور**، السيوطيّ، ٧/ ٦٦٢. **كنز العمال**، المتقي، ٣/ ٣٦٩.

٣)**شرح الإرشاد**، أبو القاسم الأنصاري، ص٥٨، ٥٩.

٤) الإمام الحجة القدوة الرباني أبو الحكم البجلي الكوفي، حدَّث عن المغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وليس بالمكثر، روى عنه: ابنه الحكم وعمارة بن القعقاع وفضيل بن غزوان وسعيد بن مسروق ويزيد بن مردانبة وفضيل بن مرزوق وطائفة. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ٥/ ٦٤.

٥)**التبصير في الدين**، الأسفراييني، ص١٦٠. **غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر**، أحمد بن محمد الحنفيّ الحمويّ، ٣/ ٤٥٤.

موجودٌ لا يُشبه الموجودات، لا يَتصوّر في حقّه مكانًا ولا هيئةً ولا كيفية، ولم يبحث عن ذات الله، هذا يقال فيه: إنه عرف الله.

أما الذي لا يكتفي بذلك ويريد أن يتصوَّر الله فهذا يكفر بالله تبارك وتعالى لأنّ وهمه يذهب إلى أنه تعالى مثل الإنسان أو أنه كتلة نورانية أو يتصوَّره جسمًا قاعدًا فوق العرش والعياذ بالله، وهذا الذي قال عنه سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه: «والبحث عن ذاته كفر وإشراك» اهـ.

الباب الأول
الفصل الأول

أقوال أئمة السلف في تنزيه الله عن الجسمية

السّلف هم أهل القرون الثلاثة الأولى، وقد جاءت في مدحهم أحاديث عن النبيّ عليه الصلاة والسلام منها قوله[1]: «**خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الذِينَ يلونَهم ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم**» أي الذين هم في القرن الذي أنا فيه ثم بعد ذلك من جاء بعدهم ثم بعد ذلك من جاء بعدهم. والقرن على أحد تفسيرين مائة سنة، وهذا معروف في لغة العرب، وعلى ذلك فُسّر الحديث بأهل الثلاثمائة الأولى كما بيّن ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري[2] ودخل فيهم الإمام أبو الحسن الأشعريّ والإمام أبو منصور الماتريديّ[3] رضي الله عنهما، ومنهم أيضًا الإمام أبو جعفر الطحاويّ رضي الله عنه فإنه عاش أغلب حياته قبل انتهاء القرن الثالث وتُوفي في أوائل الرابع.

ثم جاءت الوهابية بعدهم بمئات السنين فانحرفت عن منهج أهل السّنة والجماعة فشبّهوا الله بخلقه ونسبوا له الجلوس، والعياذ بالله، وغير ذلك من الصفات القبيحة التي لا تليق بالله سبحانه وتعالى.

وقد قال الشيخ ابن عابدين الحنفيّ[4] في الوهابية: «مطلب في أتباع ابن

---

١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ٣/ ٢٢٤.

٢) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، ص١٤٦.

٣) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، ت ٣٣٣هـ، من أئمة علماء الكلام نسبته إلى ماتريد (محلة بسمرقند) ـ وكان إمامَ أهل السنّة رضي الله عنه ـ. من كتبه: «التوحيد»، و«أوهام المعتزلة» و«الجدل». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ١٩.

٤) **حاشية رد المحتار**، ابن عابدين الحنفيّ، ٤/ ٢٦٢.
محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، ت ١٢٥٢هـ، فقيه الديار الشامية، مولده ووفاته في دمشق. له: «رد المحتار على الدر المختار»، و«رفع=

عبد الوهّاب الخوارج في زماننا، كما وقع في زماننا في أتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأنَّ مَن خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قَتْلَ أهلِ السُّنَّة وقَتْلَ علمائِهم» اهـ.

وأما تسمية الوهابية أنفسهم «سلفية» فكذب ظاهر، فلا يجوز تسميتهم بهذا الاسم الذي أطلقوه على أنفسهم ليوهموا الناس أنهم على مذهب السلف، إنما يسمَّون وهابية، وهذا الاسم هو الاسم الذي سمَّاهم به المسلمون مـن أول ظهورهم، وذلك من نحو ثلاثمائة سنة إلى يومنا هذا.

السلف في اللغة:

هم مَن سبق، قال الجوهريّ[1]: «سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفًا، أي مضى، والقومُ السُّلَّافُ: المتقدّمون، وسَلَفُ الرجل: آباؤه المتقدّمون، والجمع أَسْلافٌ وسُلَّافٌ» اهـ.

السلف في الاصطلاح:

قال الغزاليّ رحمه الله[2]: «اعلم أن الحقّ الصحيح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف، أعني الصحابة والتابعين رضي الله عنهم» اهـ.

ومن أهل العلم من يضيف إليهم أتباع التابعين ومن كان من أهل القرون الثلاثة الأولى المفضّلة.

=الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار»، و«الرحيق المختوم». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٤٢.

١) **الصحاح**، الجوهريّ، مادة س ل ف، ١/ ٣٢٦.
الجوهريّ إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٣هـ، أبو نصر، لغويّ من الأئمة. أشهر كتبه «الصحاح»، وله كتاب في العروض، دخل العراق صغيرًا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٣١٣.

٢) **إلجام العوام**، الغزاليّ، ص ٥١.

وأقوال السلف ومن على طريقتهم في تنـــزيه الله تعالى عن الجسمية ولوازمها كثيرة جدًّا، وسنذكر بعضًا منها في هذا الكتاب.

وليعلم أن أهل السّنة والجماعة هم جمهور الأمة المحمدية وهم الموافقون لِـمَا كان عليه الصحابة ومن تبعهم في المعتقد أي أصول الاعتقاد وهي الأمور الستة المذكورة في الحديث المشهور بحديث جبريل عليه السلام والذي فيه أن الرسول ﷺ قال[1]: «**الإيمانُ أنْ تُؤمِنَ بالله وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخِرِ والقَدَرِ خيرِهِ وشرّهِ**»، وأفضل هؤلاء كما تقدّم في الحديث أهل القرون الثلاثة الأولى، وهم المرادون أيضًا بحديث الترمذيّ[2] وغيره: «**أوصيكُم بأصحابي ثُمَّ الذينَ يَلونَهُم ثُمَّ الذين يَلُونَهم**»، وفيه قوله ﷺ: «**عليكُم بالجماعَةِ وإيَّاكُم والفُرْقَةَ، فإنَّ الشَّيطانَ معَ الواحِدِ وهوَ مِنَ الاثنينِ أبعدُ، فمَنْ أرادَ بُحبُوحَةَ الجَنَّةِ فلْيَلزَمِ الجَمَاعَةَ**» صحّحه الحاكم[3]، وهم المرادون أيضًا بالجماعة الواردة في ما رواه أبو داود[4]: «**وإنَّ هذهِ الملَّةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً، ثنتانِ وسبعونَ في النَّارِ وواحدةٌ في الجنَّةِ وهيَ الجماعةُ**». والجماعة هم السواد الأعظم، وليس معناه هنا صلاة الجماعة كما يوضح ذلك حديث زيد بن ثابت[5] رضي الله عنه أن الرسول ﷺ

---

١)**صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والقدر، ١/ ٢٨.

٢)**سنن الترمذيّ**، الترمذي، ٤/ ٣٥.
محمد بن عيسى بن سورة بن مسلم السلمي الترمذي أبو عيسى، ت ٢٧٩هـ، من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ تتلمذ للبخاري، قام برحلة إلى خراسان والحجاز وعمي في آخر عمره، وكان يضرب فيه المثل في الحفظ، مات بترمذ. من تصانيفه: «الجامع الكبير»، و«الشمائل النبوية»، و«التاريخ والعلل» في الحديث. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٣٢٢.

٣)**المستدرك**، الحاكم، كتاب العلم، ١/ ١٩٩.

٤)**سنن أبي داود**، أبو داود، كتاب الطب، ٤/ ١٩٨.

٥)زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة صحابي من الأكابر، ت ٤٥هـ، كان كاتب الوحي، ولد في المدينة ونشأ بمكة وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابن إحدى عشرة سنة وتعلم وتفقه في الدين، كان عمر رضي الله عنه يستخلفه=

قال(١): «**ثلاثٌ لا يُغَلُّ عليهنَّ قلبُ مسلمٍ: إخلاصُ العملِ لله، ومناصحةُ ولاةِ الأمرِ، ولزومُ الجماعَةِ، فإنَّ دعوتَهُم تُحيطُ مِن ورائِهِمْ**(٢)».

ثمّ السلف منهم من أوّل تأويلًا تفصيليًّا، ولكن الغالب عليهم أنهم يؤوّلون الآيات المتشابهات تأويلًا إجماليًّا بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنًى يليق بجلال الله وعظمته بلا تعيين، بل ردُّوا تلك الآيات إلى الآيات المحكمة كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، وعندما كانوا يُسألون عن هذه الآيات أو يتكلمون عليها لم يكونوا يُفصّلون في تفسيرها في الغالب، إنما كانوا يُعطون معنًى إجماليًّا فيه تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، كما قال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه(٣): «آمنتُ بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله» اهـ. يعني الشافعيُّ رضي الله عنه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسيّة الجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى، وكما قال أيضًا الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه(٤): «استوى كما أخبر لا كما يخطُر للبشر» اهـ. معناه ليس كالجلوس وغير ذلك مما يتصوّره ويتخيّله البشر. وكما قال الإمام مالك رضي الله عنه(٥): «الاستواء معلوم والكيف غير معقول» اهـ. يعني أن الاستواء معلوم أنه ورد في القرآن لكن لا يُعقل أن يُنسب الكيف إلى الله، وفي رواية عنه رضي الله عنه أنه قال: «والكيف

= على المدينة إذا سافر. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٥٧.

١) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، ٢/ ٤٥٥.

٢) قال ابن الأثير في **النهاية في غريب الحديث والأثر** ٢/ ٢٨٠: «الحديث: «**فإنَّ دعوتَهُم تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِم**» أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم، يريد أهل السنة دون أهل البدعة» اهـ.

٣) **دفع شبه من شبه وتمرد**، تقي الدين الحصني، ص٥٦.

٤) **البرهان المؤيد**، الإمام أحمد الرفاعي، ص٢٤. **دفع شبه من شبه وتمرد**، تقي الدين الحصني، ص١٧.

٥) **الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٤٠٨.

مرفوع» عن الله فاستواؤه سبحانه ليس كاستواء مخلوقاته كما مرَّ سابقًا.

فالغالب بين السلف أنهم كانوا لا يفصّلون في تأويل تلك الآيات المتشابهات، والسبب أنّ البدع كانت قليلة في زمانهم، ليس كما انتشرت بعدهم، وكانت أفهام الناس قويّة، فكان يكفي أن يقال لهم: لا كصفات المخلوقين، ليفهموا نفي كلّ ما كان من صفات الخلق عن الله عزَّ وجلَّ.

فالتأويل الإجمالي هو الذي غلب على السلف الصالح وهو قولهم: بلا كيف، إلا أنه ثبت عن بعض من السلف التأويل التفصيلي، فنفي التأويل التفصيليّ عن السلف كما زعم بعض المجسمة مردود بما في صحيح البخاريّ في كتاب تفسير القرآن[1]، وعبارتُه هناك: «سورة القصص ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾ إلا مُلكه» اهـ. فملك الله صفة من صفاته الأزلية ليس كالمُلك الذي يعطيه للمخلوقين، وفيه غير هذا الموضع كتأويل الضحك الوارد في الحديث بالرحمة[2]. كذلك الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أوّل تأويلًا تفصيليًّا في بعض الآيات وذلك كتأويله لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴿٣٥﴾﴾ (النور) فإنه تأوّل الآية بمعنى «هادي أهل السموات والأرض»[3] اهـ.[4]

وروى أنس رضي الله عنه أن النبيَّ صلوات الله وسلامه عليه قال[5]:

---

١)**صحيح البخاري**، البخاري، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة القصص، ٦/ ١٤١.

٢)**الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٤٧٠. والمراد أن الله تعالى رضي عن فعل هذين الزوجين اللذين آثرا ضيفهما على نفسيهما وأولادهما.

٣) **صحيفة عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس**، علي بن أبي طلحة الوالبي، ١/ ٨٦.

٤)

٥)عزاه الزَّبيديّ في **شرح الإحياء** ٦/ ٥٣٦ لأبي الشيخ من حديث أبي ذرّ، وله شاهد موقوف على ابن عباس رواه البيهقيّ في **الأسماء والصفات** ص٤٢٠ بلفظ: «**تَفَكَّرُوا في كُلِّ شيءٍ ولا تَفَكَّرُوا في ذاتِ الله عزَّ وجلَّ**»، ذكره الحافظ ابن حجر في **فتح الباري**، ١٣/ ٣٨٣، وعزاه للبيهقيّ وقال: «موقوف وسنده جيد» اهـ.

«تَفَكَّرُوا في الخَلْقِ ولا تَتَفَكَّرُوا في الخالِقِ» اهـ.

وإذا علم ذلك فإنا سنشرع بذكر أقوالٍ وردت عن بعض أئمة السلف الصالح في تنزيه الله عن الجسمية، لبيان أن هذا هو منهجهم رضي الله عنهم.

أقوال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت٤٠هـ)

قال الإمام عليّ رضي الله عنه[١]: «سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارًا» فقال رجل: يا أمير المؤمنين، كفرهم بماذا أبالإحداث أم بالإنكار؟ قال: «بل بالإنكار، ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء[٢]» اهـ. ومعنى سؤاله: أبالإحداث؟ أي هل يكفرون بوصفهم له تعالى بما لا يليق به.

وقال رضي الله عنه[٣]: «من زعم أنّ إلهنا محدود فقد جهل الخالقَ المعبود» اهـ. والمحدود عند علماء التوحيد ما له حجم صغيرًا كان أو كبيرًا، فالحدُّ عندهم هو الحجم صغيرًا كان أو كبيرًا، فالذَّرَّة محدودة والعرش محدود والنور والظلام والريح كلٌّ محدود. قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ (الأنعام)، السموات والأرض هما من الأجسام الكثيفة، والنور والظلام هما من الأجسام اللطيفة، فالآية فيها دليل على أن الله خالقٌ للأجسام الكثيفة واللطيفة وهو لا يشبهها، علمًا أنَّ الجسم الكثيف هو ما يُضبط باليد كالإنسان والشجر والشمس والماء،

---

١) **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، ص٥٥١.
ابن المعلم هو محمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن عبد الخالق بن حسن القرشيّ المصريّ فخر الدين بن محيي الدين، ولد في شوال ٦٦٠هـ، كان فاضلًا، وولي قضاء بلد الخليل وأذرعات، وله مصنفات، توفي سنة ٧٢٥هـ بدمشق. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ابن حجر، ٤/ ١٩٧.

٢) لأنّ الذي وصف الله بالجسم والأعضاء ما عرَفَهُ وما أثبت وجوده على الوجه اللائق به فيكون منكرًا لوجود الله. المجسّمة يعترفون باللسان بوجود الله لكنّهم يعبدون غيره، يعبدون شكلًا وصورة، فهم مشركون أنكروا ما يليق به سبحانه.

٣) **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصبهاني، ١/ ٧٣.

وأما الجسم اللطيف فهو ما لا يُضبط باليد كالنور والظلام والروح والهواء، والأجسام الكثيفة، واللطيفة لها حدّ ومقدار وحجم وكمية، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾ (الرعد)، فالتحيُّز في المكان والجهة من صفات الحجم، والله ليس حجمًا. والذَّرَّة هي أصغر حجم خلقه الله مما تراه العيون وهي الهَبَاء. وهناك شيء يطلق عليه علماء التوحيد «الجَوْهَر الفَرْد» وهو أصغر حجم خلقه الله وهو لا يُرى بالعين المجرّدة وهو الجزء الذي لا يتجزّأ. فالحدّ معناه الحجم، وليس معنى المحدود مخصوصًا فقط بما له حجم صغير بل مَن كان له حجم كبير هو محدود أيضًا.

وروى الحافظ أبو نُعَيم الأصبهاني[1]: «عن النعمان بن سعد، قال: كنت بالكوفة في دار الإمارة - دار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه - إذ دخل علينا نوف بن عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين بالباب أربعون رجلًا من اليهود، فقال عليّ: عليَّ بهم، فلمّا وقفوا بين يديه قالوا له: يا عليّ، صِفْ لنا ربَّك هذا الذي في السماء[2]، كيف هو؟ وكيف كان؟ ومتى كان؟ وعلى أيّ شيء كان؟

فاستوى عليٌّ جالسًا وقال: «معشر اليهود، اسمعوا مني ولا تبالوا ألّا تسألوا أحدًا غيري، إن ربي هو الأول لم يبدُ ممّا - أي ليس له بداية -، ولا ممازج معما - أي لا يحلّ في شيء -، ولا حالٌّ وهمًا - أي ليس كما يقتضي الوهم -، ولا شبح يُتَقَصى - أي ليس جسمًا -، ولا محجوب فيحوى - أي لا يحويه مكان -، ولا كان بعدَ أن لم يكن فيقال حادث، بل جلَّ أن يُكَيَّف المكيّف للأشياء كيف كان، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان ولا

---

١)**حلية الأولياء**، أبو نُعَيْم الأصبهاني، ١/ ٧٢، ٧٣.
أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيّ، ت ٤٣٠هـ، أبو نعيم، حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في أصبهان. من تصانيفه: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، و«معرفة الصحابة»، و«طبقات المحدثين والرواة». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ١٥٧.

٢)يزعم اليهود أن الله يسكن السماء ويجلس على العرش، وهذا ضدّ المعتقد الحق.

لتقلّب شأن بعد شأن، وكيف يوصف بالأشباح، وكيف ينعت بالألسن الفصاح، مَن لم يكن في الأشياء فيقال بائن[١]، ولم يبن عنها فيقال كائن، بل هو بلا كيفية» اهـ.

ثم قال: «علمه بالأموات البائدين كعلمه بالأحياء المتقلّبين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرض السفلى وعلمه بكل شيء، لا تحيّره الأصوات، ولا تشغله اللغات، سميع للأصوات المختلفة بلا جوارح له مؤتلفة، مدبّر بصير، عالم بالأمور، حيٌّ قيّوم، سبحانه كلّم موسى تكليمًا بلا جوارح ولا أدوات، ولا شفة ولا لَهَوات[٢]، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات، **من زعم أن إلهنا محدود، فقد جهل الخالق المعبود**» اهـ. فمن زعم أن الله محدود أي له حدّ فقد جهل خالقه لأنَّ معرفته بالله لم تصحّ.

وروى الإمام المقدَّم الأستاذ أبو منصور البغداديّ[٣] أن عليًّا كرّم الله وجهه قال: «كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان» اهـ. أي بلا مكان، لأنَّه تعالى موجود بلا كيفٍ ولا مكان، فلو كان لله تعالى مكان وجِهة لكان له أمثال وأبعاد وطول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان مُحدَثًا مخلوقًا محدودًا له حجم محتاجًا لِمن حدَّه بِالطول والعرض والعُمق.

---

١) الله لا يشبه أحدًا من خلقه.

٢) «اللَّهاةُ: اللَّحْمَةُ المُشْرِفَةُ على الحَلْقِ أَو ما بينِ مُنْقَطَعِ أَصْلِ اللِسانِ إلى مُنْقَطَعِ القلْبِ من أَعْلَى الفَمِ، والجمعُ: لَهَواتٌ ولَهَياتٌ ولُهِيٌّ ولِهِيٌّ ولَـهَاءٌ ولِـهَاءٌ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ل هـ ا، ص ١٧١٨.

٣) **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص ٣٣٣.
عبد القاهر بن طاهر الأسفرايينيّ، ت ٤٢٩هـ، عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره، ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور، وفارقها على أثر فتنة التركمان، قال السبكي: «ومن حسرات نيسابور اضطرار مثله إلى مفارقتها» اهـ. ومات في أسفرائين. كان يدرّس في سبعة عشر فنًّا. من تصانيفه: «أصول الدين»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«تفسير أسماء الله الحسنى»، و«فضائح القدرية»، و«تأويل المتشابهات في الأخبار والآيات»، و«الفَرْق بين الفِرَق». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٤٨.

وفي الكتاب نفسه[1] روى البغداديّ أنّ الإمام عليًّا رضي الله عنه قال: «إن الله تعالى خلق العرش إظهارًا لقدرته ولم يتخذْه مكانًا لذاته» اهـ. رواهما في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنّة. فالله تبارك وتعالى هو خالقُ السَّموات السبع والأرضين والعرش والكرسيّ وخالق الأماكن كلها، لذلك لا يجوز أن يُعتقد أنَّ الله تعالى موجود في مكان أو في كل الأمكنة أو أنَّه موجود في السَّماء، أو مُتمكّن وجالس على العرش، أو مُنبَثّ ومنتشر في الفضاء، أو أنَّه قريبٌ منا أو بعيدٌ بالمسافة، تعالى الله سبحانه وتنـزَّه عن هذه الكيفيات كلها.

وقد سئل الإمام عليّ رضي الله عنه[2]: «أين كان ربّنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟» فقال: «أين توجب المكان وكان الله عزّ وجلّ ولا مكان» اهـ.

وفي كتاب بحر الكلام[3] لأبي المعين النسفي[4] عن سيّدنا عليّ رضي الله عنه أنّه سئل: أين كان ربّنا قبل أن يخلق العرش فقال رضي الله عنه: «أين سؤال عن المكان، وكان الله ولا مكان ولا زمان، وهو الآن كما كان» اهـ.

وقال رضي الله عنه أيضًا[5]: «إن الذي أيّن الأين لا أين له، وإنّ الذي كيّف الكيف لا كيف له» اهـ. ومعناه أن الذي خلق المكان لا يحتاج إلى المكان، والذي خلق الكيفيّات ـ وهي كل ما كان من صفات المخلوقين ـ لا كيف له.

وقوله: «إن الذي أيّن الأين لا أين له» معناه أن الله موجود لا مكان له،

---

١) **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص٣٣٣.

٢) **العقد الفريد**، ابن عبد ربه الأندلسي، ٢/ ٩٢.

٣) **بحر الكلام**، أبو المعين النسفي، ص١١٧.

٤) ميمون بن محمد بن محمد بن معبد بن مكحول، أبو المعين النسفي الحنفي، ت ٥٠٨هـ، عالم بالأصول والكلام. كان بسمرقند وسكن بخارى. من كتبه: «بحر الكلام »، و«تبصرة الأدلة» في الكلام، و«التمهيد لقواعد التوحيد»، و«العمدة في أصول الدين». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٣٤١.

٥) **التبصير في الدين**، الأسفراييني، ص١٦٢.

لأن الله خلق المكان وكان موجودًا قبله بلا مكان ولا جهة، ولا يزال الله كما كان في الأزل بلا مكان ولا جهة.

وقوله: «وإن الذي كيّف الكيف لا كيف له» أي أن الله هو خالق الأجرام وصفاتها، فلا يجوز أن يكون جِرْمًا أو أن يتصف بصفات الجِرْم، والجِرْم هو الجسم. فمعرفة الله لا تُطلب بالتصوُّر ولا بالتوهُّم، لأنَّ حكْم الوهم يُؤدّي إلى الغلط. بعض الجهال من شدة جهلهم لا يقبلون أن يعتقدوا بوجود الله تعالى دون أن يتصوَّروه، يقولون: كيف نعتقد بوجود موجود دون أن نتصوَّره؟ هؤلاء يقال لهم: الله تبارك وتعالى لا يجوز أن تُطلَبَ معرفته بالتصوُّر لأن الله ليس شيئًا يُتصوَّر، لذلك مهما أتعب الإنسانُ فكْرَهُ ليتصوَّرَ اللهَ بزعمه لن يصل إلى نتيجة صحيحة لأن الله لا صورة له، فكيف يُتَصَوَّر ما ليس له صورة. ولأنه تعالى لا كيف له، فكيف يُتَوَهَّم ما لا تحيط به الأوهام وهو خالقها وخالق كلّ وهم. ونحن لسنا مكلفين باتباع الوهم، بل نحن مكلفون باتّباع الشرع، والقرآن أثبت أن الله تبارك وتعالى لا تدركه الأوهام والأفكار، قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام) أَيْ لا تُحِيطُ به الأوهامُ[1].

بل من أسماء الله المصَوّر أي خالق الصّوَرِ وهو قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى) ليدلّنا على أنه لا يشبه شيئًا من خلقه ولا يشبهه من خلقه شيء، والصّورة هي التخاطيط، ولا يتّصف بذلك إلا مخلوق، قال الله تعالى: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ (الانفطار)، والمركَّب محتاج إلى من ركَّبه، وتلك صفة المخلوق، والله خالق وليس بمخلوق.

ولا تبلغ الله تعالى العقولُ، هذا الذي أثبته الشرع، وهذا الذي يقبله العقل، لأن العقل السليم شاهد للشرع، وأهل السُّنَّة هداهم الله تعالى للمعاني التي توافق الشرع والعقل. أما أولئك الذين لا تقبل عقولهم إلا

---

١) **مفاتيح الغيب**، الرازي، ١٣/ ٩٨.

أنْ يتصوَّروا الله فمحرومون من هذا، محرومون من التفكر الذي أمرنا الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأعراف). فالله تعالى أمرنا بالتفكر في مصنوعاته (أي مخلوقاته) حتى نعرفَ أنه لا يشبهها، وهذه الآية تأمرنا بالتفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى، والتفكر في خلق الله مطلوب، لأنه يقوّي اليقين بوجود الله وقدرته وعلمه، أما التفكر في ذات الله فممنوع، لأنه سبحانه وتعالى لا يشبه شيئًا، فلا يمكن لنا تصوّره في نفوسنا.

قول السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها[1] (ت ٦٢هـ) وربيعة بن أبي عبد الرحمن[2] (ت ١٣٦هـ)

روى اللالكائيّ[3] عن أم سلمة رضي الله عنها والإمام الفقيه ربيعة بن أبي عبد الرّحمن أنّهما قالا: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود به كفر» اهـ. ومرادهما بقولهما: «غير مجهول» أنه معلوم وروده في القرآن بدليل رواية أخرى عند اللالكائيّ وهي: «الاستواء

١) هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية ويقال اسمه حذيفة، ويعرف بزاد الراكب بن المغيرة، ت ٦٢هـ، القرشية المخزومية، أم سلمة رضي الله عنها، من زوجات النبي ﷺ، تزوجها في السّنة الرابعة للهجرة، وكانت من أكمل النساء عقلًا وخلقًا رضي الله عنها، وهي قديمة الإسلام، وكان لها «يوم الحديبية» رأي أشارت به على النبيّ ﷺ دلَّ على وفور عقلها، وكانت وفاتها بالمدينة. **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ٩٧، ٩٨. **طبقات ابن سعد**، ابن سعد، ٨/ ٦٠، ٦١.

٢) ربيعة بن أبي عبد الرحمن الإمام أبو عثمان التيميّ المدنيّ الفقيه مولى آل المنكدر، ت ١٣٦هـ، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد، وعنه سفيان ومالك والأوزاعيّ. وكان إمامًا حافظًا فقيهًا مجتهدًا بصيرًا بالرأي، ولذلك يقال له: ربيعة الرأي. **تذكرة الحفاظ**، الذهبيّ، ١/ ١١٩.

٣) **شرح السّنة**، اللالكائيّ، ٣/ ٤٤١، ٤٤٢.
هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي أبو القاسم اللالكائيّ، ت ٤١٨هـ، حافظ للحديث من فقهاء الشافعية من أهل طبرستان، استوطن بغداد وخرج في آخر أيامه إلى الدينور فمات بها كهلًا. له: «شرح السّنة» و«السنن». **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ٧١.

مذكور» اهـ. أي مذكور في القرآن، ولا يعنيان أنه بمعنى الجلوس وأن كيفية الجلوس مجهولة كما زعم بعض المشبهة! ويردّ زعمهم تكملة قول أم سلمة وربيعة رضي الله عنهما: «والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود به كفر» فإن معناه أن الاستواء بمعنى الهيئة كالجلوس لا يُعْقَلُ في حق الله أي لا يقبله العقل لأن الجلوس لا يصح إلا من ذي أعضاء كالألية والركبة، تعالى الله عن ذلك، فلا معنى لقول بعضهم: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة»[1] يقصدون بالاستواء جلوسًا كيفيّته غير معلومة، وهذا ضلال لأنّ الجلوس كيفما كان لا يكون إلا بأعضاء، ووَصْفُ الله بالجلوس كفر ولو بزيادة «لا كجلوسنا» فقد قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه[2]: «يكفر من يقول الله جسم لا كالأجسام» اهـ. وهؤلاء يوهمون الناس أن هذا هو مراد الإمام مالك رضي الله عنه بما روي عنه ولم يثبت: «والكيف مجهول»، ولو ثبت ـ وهو لم يثبت ـ لكان مراده ما قدّمناه وهو أنه لا تصل إلى حقيقته العقول والأذهان، والتعبير بذلك لا يثبت فلا يغتر بتمويهات المشبهة.

قول الإمام زين العابدين[3] رضي الله عنه (ت ٩٤هـ)

قال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ[4] رضي الله عنهم:

---

١)هذا اللفظ لم يثبت عن الإمام مالك رضي الله عنه ولا غيره من الأئمة إسنادًا فلا اعتداد به.

٢)ذكر ذلك المحدث الفقيه بدر الدين الزركشي في **تشنيف المسامع**، ٤/ ٦٤٨.

٣)عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ القرشيّ ت٩٤هـ، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين. أحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. يقال له: «عليّ الأصغر» للتمييز بينه وبين أخيه «عليّ الأكبر» الذي توفي مع والده في كربلاء، مولده ووفاته بالمدينة. وليس للحسين «السبط» رضي الله عنه عقب إلا منه. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٢٧٧. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ١/ ٣٢٠. **طبقات ابن سعد**، ابن سعد، ٥/ ١٥٦ . **صفة الصفوة**، ابن الجوزيّ، ٢/ ٥٢.

٤)**إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، ٤/ ٣٨٠.

«أنت الله الذي لا يحويك مكان» اهـ. وقال: «سبحانك لا تُحسّ ولا تُمسّ ولا تُجسّ[1]» اهـ. فالحسُّ والمسُّ والجسُّ يقتضي الحجمية، وهي عن ذات الله منفية أي مستحيلة لأنَّ الله ليس جسمًا.

قول الإمام جعفر الصادق[2] رضي الله عنه (ت ١٤٨هـ)

قال الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ بن الحسين بن علي رضي الله عنهم[3]: «من زعم أنَّ الله في شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك، إذ لو كان على شىء لكان محمولًا، ولو كان في شىء لكان محصورًا، ولو كان من شىء لكان محدَثًا ـ أي مخلوقًا ـ» اهـ. فالله تعالى غنيٌّ عن العالمين أي مستغنٍ عن كلّ ما سواه أزلًا وأبدًا، فلا يحتاج إلى مكان يقوم به أو شىء يحلّ به أو إلى جهة.

ويكفي في تنزيه الله عن المكان والحيّز والجهة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، فلو كان له مكان لكان له أمثال وأبعاد طول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان مُحْدَثًا محتاجًا لمن حدَّه بهذا الطول وبهذا العرض وبهذا العمق، والمحتاج لا يكون إلهًا، والله يتنزه عن ذلك سبحانه.

---

١) «أَحَسَّ به وأَحَسَّه شعر به» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ح س س، ٦/ ٤٩، وقال أيضًا: «أَمَسُّه مَسًّا ومَسيسًا لَمَسْتُه» اهـ. مادة م س س، ٦/ ٢١٧، وقال: «الجَسُّ اللَّمْسُ باليد» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ج س س، ٦/ ٣٨.

٢) جعفر الصادق هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشميّ القرشيّ، ت ١٤٨هـ، كان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما. كان جريئًا صدَّاعًا بالحق، مولده ووفاته بالمدينة. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ١٢٦.

٣) **الرسالة القشيرية**، القشيريّ، ص ٦.

أقوال الإمام أبي حنيفة[1] رضي الله عنه (ت ١٥٠هـ)

قال الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ[2] رضي الله عنه: «وصفاته كلّها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كَعِلْمِنا، يقدِر لا كَقُدرتنا، يرى لا كرؤيتنا، يتكلّم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا، نحن نتكلّم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلّم بلا حروف ولا آلة، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وهو - أي الله - شيء لا كالأشياء، ومعنى الشيء **إثباته تعالى بلا جسم ولا جوهر ولا عَرَض ولا حدَّ له** ولا نِدَّ له ولا مثل له، وله يد ووجه ونَفْسٌ[3] كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنَّفْس، فهو له صفة بلا كيف» اهـ. وكلام أبي حنيفة رضي الله عنه معناه أن الذي يقول: إنَّ الله يتكلَّم بالآلة والحرف والصوت شبَّهه بخلقه. هذا البيان ليس شيئًا جديدًا بل قاله السلف الصالح والإمام

---

١)الإمام النعمان بن ثابت التيميّ الكوفيّ، ت ١٥٠هـ، أبو حنيفة، الفقيه المجتهد المحقّق، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المعتبرة عند أهل السّنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة، وكان يبيع الخَزّ (وهو نوع من النسيج) ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة أمير العراقين على القضاء، فامتنع وَرَعًا. وأراده المنصور العباسيّ بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة لا يفعل، فحبسه إلى أن مات، قال ابن خلكان: «هذا هو الصحيح». كان قويّ الحجة، من أحسن الناس منطقًا، وكان كريمًا في أخلاقه جَوَادًا حسن المنطق والصورة، جهوريّ الصوت، إذا حدّث انطلق في القول وكان لكلامه دويّ، وعن الإمام الشافعيّ رضي الله عنه: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة» اهـ. له: «مسند» في الحديث جمعه تلاميذه، و«المخارج في الفقه» صغير رواه عنه تلميذه أبو يوسف و«رسالة الفقه الأكبر» ومن رسائله «الفقه الأبسط» و«الوصية» و«العالم والمتعلم». **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ٣٦.

٢)**الفقه الأكبر**، أبو حنيفة، ص٢.

٣)قال الله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ (المائدة)، قال المفسرون: أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك. وقيل: المعنى تعلم ما لا أعلم ولا أعلم ما تعلم. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ٤/ ٥٨. وليس المعنى أن الله له نَفْس بمعنى الروح، بل الله هو خالق الروح وخالق الجسد فليس روحًا وليس جسدًا.

أبو حنيفة رضي الله عنه من أئمتهم فقوله: «نحن نتكلّم بالآلات والحروف» معناه بعض الحروف تخرج من الشفة وبعضها من الحلق وبعضها من طرف اللسان، فالحروف لها مخارج. والذي يقول: الله يتكلَّم بالحرف والصوت جعله كخلقه، فالذي يظنّ أنَّ الله يتكلّم ثم يسكت، ثم يتكلّم ثم يسكت أو يظنّ أنّ الله علم أشياء ثم علم أشياء ثم علم أشياء بعد ذلك يكون جعل الله مثل خلقه، جعل الله حادثًا. والله لا تقوم به صفة حادثة، قال الإمام أبو حنيفة[1]: «من اعتقد أنّه ـ أي الله ـ تقوم به صفة حادثة أو شكّ أو توقَّف فهو كافر» اهـ. فالقرآن بمعنى اللفظ المنزل نقول «عنه كلام الله» لا بمعنى أنّ الله قرأه بالحرف والصوت، بل نقول عنه «كلام الله» لأنه عبارة عن كلام الله الذاتي الأزليّ الذي ليس حرفًا ولا صوتًا، كما إذا قلنا لفظ الجلالة «الله»، نكون قد ذكرنا الله بالحرف والصوت لكن الله الذي نذكره شىء لا كالأشياء.

وليعلم أنّ كلام الله كلام واحد ليس متجزّئًا وليس له أبعاض، هو كلام واحد. كلام الله الأزليّ الأبديّ الذي ليس حرفًا ولا صوتًا لم يسمعه في الدنيا من البشر إلا سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ من بين الأنبياء كلهم، أما في الآخرة فيسمعه كلّ البشر والجنّ، كلّهم يسمعون ذلك الكلام الذي ليس حرفًا ولا صوتًا. سيّدنا موسى وسيدنا محمد عليهما السلام سمعا كلام الله الذي ليس حرفًا ولا صوتًا وليس له ابتِداء ولا انتهاء. والذي يعتقد أنَّ كلام الله حرف وصوت فليس مؤمنًا، لأنه ليس عارفًا بالله.

وأما قول رسول الله ﷺ[2]: «**إِنَّ اللهَ تعالَى فَرَضَ فرائِضَ فلا تُضَيّعُوهَا، وَحَرَّمَ حُرُماتٍ فلا تنتهِكُوهَا، وحدَّ حدُودًا فلا تعْتدوها، وَسَكَتَ عن أشياءَ غيرَ نسيانٍ فلا تبحثُوا عنهَا**» فليس معناه أن الله يسكت كما تسكت

١) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص٤٧.

٢) **سنن الدارقطني**، الدارقطني، ٥/ ٣٢٦.

المخلوقات عن الكلام، إنما المعنى أنَّ الله ما أنزلها في القرآن ولا على لسان الرسول ﷺ، أي ما أوردها في القرآن ولا أنزلها في شريعة الرسول ﷺ، وليس معنى «**سَكَتَ**» أنَّ الله يجوز عليه السكوت، بل هو متكلّم أزلًا وأبدًا لأنّ كلامه ليس حرفًا ولا يتخلّله انقطاع. ولفظ «**سكَتَ**» في هذا الحديثِ ليس معناه أنّ الله تكلّم بأشياء ثم سكت ثم تكلّم ثم سكت، فإنه لو كان الله يتكلم ثم يسكت ثم يتكلم ثم يسكت لكان مثلنا، ولا يجوز عقلًا ولا شرعًا أن يكون الخالقُ مثل خَلقِه وإلا لجاز عليه ما يجوز على الحادثات، فالحادثات يجوز عليها ما يجوز على بعضها.

كذلك قدرة الله تعالى قدرة واحدة ليست كقدرتنا، نحن نقدر على شيء ثم نقدر على شيء آخر، وقد تضعف قدرتنا وقد تقوى. أما الله فقادر على كل شيء بقدرة واحدة أزليّة أبديّة. وكذلك له سبحانه مشيئة واحدة ليس له مشيئات متعددة كالخلق. فالمخلوق يشاء شيئًا ثم يشاء شيئًا ثم يشاء شيئًا، أما الله فليس كذلك، فالله شاء وجود كل ما دخل في الوجود وما سيدخل في ما بعد بمشيئة واحدة، كل ذلك شاءه بمشيئة واحدة.

وكذلك عِلمُ الله عِلمٌ واحد دائم ليس شيئًا له أجزاء، فعلم الله لا يزيد ولا ينقص، بل علم شامل لكل شيء. ليس له ابتداء ولا انتهاء، يعلم به كل شيء. علمه ليس كعلمنا، فعلمُنا حادث وقدرتنا حادثة، أول ما نخرج من بطون أمهاتنا نخرج لا نعلم شيئًا ثم يحصل لنا بعد ذلك علم شيء ثم شيء آخر ثم شيء آخر وهكذا. أما علم الله تعالى فواحد شامل لكل شيء لا يزيد ولا ينقص. هذا العالَمُ كله خلقه الله بقدرة واحدة وبعلم واحد عَلِمَهُ وبمشيئة واحدة شاءه.

وقال الإمام أبو حنيفة[1] رضي الله عنه كذلك: «**وليس قُرْبُ الله تعالى ولا بُعْدُهُ من طريق طول المسافة وقِصَرِها**، ولكن على معنى الكرامة والهوان، **ولكن المطيع قريبٌ منه بلا كيف والعاصي بعيد عنه بلا كيف**، والقرب

١) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص ١٧٦، ١٧٨.

والبُعد والإقبال يقع على الـمُنَاجي» اهـ.

وقال رضي الله عنه أيضًا[1]: «ونَصِفُهُ ـ أي الله تعالى ـ كما وصف نفسه: أحد صمد[2]، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد[3]، حيٌّ قيّوم قادر سميع بصير عالم، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ١٠﴾ (الفتح) **ليست كأيدي خلقه وليست جارحة** وهو خالق الأيادي، ووجهه[4] ليس كوجوه خَلْقِهِ وهو خالق كلّ الوجوه، ونفسه ليست كنفس خلقه وهو خالق كل النفوس، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)» اهـ.

وقال ملّا علي القاري[5] في شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة[6]: «**بلا جسم ولا جوهر ولا عَرَض**، أي في اعتبار صفاته ـ أي الله ـ **لأن الجسم** متركّب ومتحيّز وذلك أمارة الحدوث، والجوهر متحيّز وجزء لا يتجزّأ من **الجسم**، والعَرَض كلّ موجود يحدث في الجواهر **والأجسام**، وهو ـ أي العَرَض ـ قائم بغيره لا بذاته كالألوان والأكوان من الاجتماع والافتراق والحركة

---

١) **الشرح الميسّر على الفقهين الأبسط والأكبر**، أبو حنيفة، ١/ ١٥٩.

٢) الصمد في حق الله معناه الذي تفتقر إليه جميع المخلوقات، مع استغنائه عن كلّ موجود، والذي يُقصد عند الشدّة بجميع أنواعها ولا يَجتلب بخلقه نفعًا لنفسه ولا يدفع بهم عن نفسه ضرًّا.

٣) أي لم يكن له شبيه ولا عِدْل- بكسر العين وهو المثل- ولا نظير له بوجه من الوجوه.

٤) ورد في القرآن إطلاق الوجه على الله بمعنى الذات كقوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ (الرحمن)، وهنا يتعيّن تفسيره بالذات لأنه ورد مرفوعًا موصوفًا بـ: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ (الرحمن)، والذات المقدّس هو الموصوف بالجلال والإكرام. **الاعتقاد والهداية**، البيهقيّ، ص٤٢.

٥) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري ت ١٠١٤هـ، فقيه حنفي من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. صنف كتبًا كثيرة منها: «تفسير القرآن»، و«الأثمار الجنية في أسماء الحنفية»، و«سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني» رسالة. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ١٢.

٦) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص ٦٥.

والسكون وكالطعوم والروائح، والله تعالى منزّه عن ذلك. وحاصله أن العالَمَ أعيان وأعراض، فالأعيان ما لها قيام بذاتها، وهو إما مركّب وهو **الجسم** أو غير مركّب كالجوهر وهو الذي لا يتجزّأ، والله سبحانه منزّه عن ذلك كلّه» اهـ. والأعيانُ هي الأشياء التي لها حجمٌ، إن كانت صغيرة كالذَّرَّة أو أصغر حجم خلقه الله وهو الجزء الذي لا يتجزأ لكونه في منتهى القِلة، أو كبيرة كالعرش الذي هو أكبر المخلوقات حجمًا وأوسعها مِساحةً، والعَرَضُ ما لا يقوم بذاته بل بغيره، والأعيان لا تخلو من الأعراض كالحركة والسكون وهذا أمر ظاهر مُدرَك بالبديهة.

ونقل ملّا علي القاري قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه[١]: «والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم **بلا تشبيه ولا كمية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة**» اهـ. فهذا نفي للجهة والمكان عن الله تعالى.

وقال الإمام أبو حنيفة[٢] أيضًا: «**ولقاءُ الله تعالى لأهل الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا جـهـة حقٌّ**» اهـ.

فهذه جملة من كلام هذا الإمام الكبير من زمن السلف الصالح تفيد أن هذا العلم وهذا الاعتقاد ليس جديدًا، إنما هو منقول عن السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، فلا عبرة بمن يدّعي أن هذا العلم محدَثٌ مبتدع، بل هي العقيدة التي تناقلها الخلف عن السلف بحمد الله.

قول الإمام مالك رضي الله عنه (ت ١٧٩هـ)

قال الإمام مالك رضي الله عنه في ما رواه عنه الحافظ المجتهد أبو بكر ابن المنذر[٣]: «أرى في أهل الأهواء أن يعرضوا على السيف، فإن ردعوا

---

١)ذكره الإمام أبو حنيفة في **الفقه الأكبر**. **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص ١٣٦، ١٣٧.

٢)**الوصية**، أبو حنيفة، ص٤. ونقله ملا علي القاري في **شرح الفقه الأكبر**، ص ١٣٨.

٣)محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوريّ، ت ٣١٩هـ، فقيه مجتهد، من الحفاظ،=

وإلا ضربت أعناقهم» اهـ. وأهل الأهواء كالمشبهة والمجسّمة والمعتزلة والجهمية.

وقد تقدم أن البيهقيّ أخرج[1]: «أن رجلًا دخل على الإمام مالك فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه) كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضاء ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كما وصف نفسه ولا يقال: كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، فأُخرج الرجل» اهـ.وفي رواية: «الاستواء معلوم ولا يقال كيف، والكيف غير معقول» اهـ. ومعنى «الاستواء معلوم»: أي معلوم وروده في القرآن بأنه مستوٍ على عرشه استواءً يليق به، ومعنى «والكيف غير معقول»: يريد الكيف من الشكل والهيئة والجلوس والاستقرار ونحو ذلك من صفات المخلوقين هذا غير معقول في حقّ الله، أي لا يقبله العقل السليم ولا تجوز هذه الصفات على الله لأنها من صفات الأجسام.

ولا يصح عن مالك رضي الله عنه ولا عن غيره من السلف أنه قال: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة» فهذه العبارة لم تثبت من حيث الإسنادُ عن أحد من السلف كما تقدّم، وهي موهمة معنًى فاسدًا، وهو أن استواء الله على العرش هو استواء له هيئة وشكل نحن لا نعلمه، وهذا خلاف مراد السلف بقولهم: «والكيف غير معقول».

ولا يُغترّ بوجود هذه العبارة في كتب بعض المشاهير فهم لا يفهمون ما تفهمه المشبهة المجسمة لأنهم صَرَّحوا في كتبهم بأن الله منزّه عن الجسمية والتحيّز في المكان وعن الحدّ والمقدار لأن الحدّ والمقدار من صفات

=قال الذهبيّ: «ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنَّف مثلها» اهـ، منها: «المبسوط» في الفقه، و«الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف». **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٢٩٤.

١) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٥١٥.

المخلوق، قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الرعد)، فالتحيّز في المكان والجهة من صفات الحجم والله ليس حجمًا ولا يجوز عليه ما يجوز على الأحجام من الصفات.

وعبارة: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة» وإن وُجِدت في بعض الكتب إلا أنها غلطة لا أساس ولا إسناد لها عن السلف، لا عن الإمام مالك ولا عن غيره، وهي شنيعة لأنها يفهم منها المشبّه المجسّم كيفًا لكن لا نعلمه، هو مجهول عندنا، وأما بعض من أوردها من أهل السّنة بلا إسناد فلا يفهمون هذا المعنى، بل يفهمون منها أن حقيقة الاستواء غير معلومة للخلق، ولكن المجسّمة تقصد بها ما يناسب معتقدها من أن الله حجم له حيّز. والعجب كيف يقولون إن الاستواء على العرش حسّيّ ثم يصفونه بأنه مجهول! ولعلّهم يريدون بهذا هل هو جلوس تَرَبُّع أم على شكل آخر، والعياذ بالله تعالى.

وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم[1] للالكائيّ، وكتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة[2]: «عن الإمام المجتهد سفيان بن عيينة أنه سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (طه) كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله تعالى الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق» اهـ.

ويستدل بقول الله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الرعد)

---

١) **شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة**، اللالكائيّ، ١/ ٣٩٨.

٢) **الإبانة**، ابن بطة، ٣/ ١٦٤.
ابن بطة عبيد الله بن محمد العكبريّ الحنبليّ، ت ٣٠٤هـ. عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة. من أهل عكبرا مولدًا ووفاة، رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث، ثم لزم بيته أربعين سنة، فصنَّف كتبه وهي تزيد على مائة، منها: «الشرح والإبانة على أصول السّنة والديانة»، و«التفرد والعزلة». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١٩٧.

على أنّ الله خلق كل شىء على كميّة مخصوصة أي على حجمٍ مخصوص، فالعرشُ له حجمٌ وهو أكبرُ جسمٍ خلقه الله تعالى من حيث المِساحة. وكذلك الذَّرَّة لها حجمٌ، ولكن الله تعالى الذي خلق كل شىءٍ على حجمٍ مخصوصٍ لا يجوزُ أن يكون ذا حجمٍ، ويُفهم من هذه الآية أنّ الله لا يجوز أن يُوصف بصفاتِ الأحجام وهي الأجسام، وصفاتُ الأحجامِ كثيرةٌ منها الحركةُ والسكونُ والاتصالُ والانفصالُ واللونُ والبرودةُ والحرارةُ واليُبوسةُ والجلوسُ والاستقرارُ والتغيّرُ. والله تعالى جعل الأجسامَ على أحوالٍ منها ما هو ساكنٌ على الدوامِ كالعرشِ والسماواتِ السبعِ، ومنها ما هو متحرّكٌ أحيانًا وساكنٌ أحيانًا كالإنسان والملائكةِ والجنِ، ومنها ما هو متحركٌ دومًا كالنجومِ. فالله الذي خلق هذه الأشياء لا يجوز أن يكون مُشبهًا لها ولا متصفًا بصفةٍ من صفاتها. وهذا العرش المجيد خلقه الله ليكون قِبلةً للملائكة الحافّين حوله يتوجهون إليه ويطوفون به كما أنّ المؤمنين في الأرض يتوجهون إلى الكعبة ويطوفون حولها ويُعظّمونها.

فكما أنّه لا مناسبةَ بين الله والكعبةِ، كذلك لا مناسبةَ بين الله والعرشِ. ثم فوق العرش يوجدُ مكانٌ، والله لا يجوز عليه أن يكون في مكانٍ فقد ورد في صحيح البخاريّ[1] وصحيح ابن حِبّان[2] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الله كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخلْقَ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**» معناه يوجدُ كتابٌ فوق العرش مكتوبٌ فيه هذه الجملة: «**إِنَّ رَحمتي سَبَقَتْ غَضَبي**»، فدلّ الحديث على وجود مكان فوق العرش.

---

١)**صحيح البخاريّ**، البخاري، ٩/ ١٩٦.

٢)**صحيح ابن حبان**، ابن حبان، ١٤/ ١٣. وروايته: «**لَمَّا قَضَى الله الخلقَ كَتَبَ في كِتَاب عِنْدَهُ: غَلَبَتْ** أَوْ قَالَ: **سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضْبِي** (الشك من الراوي) قَالَ: **فَهِيَ عِنْدَه فَوْقَ العَرْشِ**».
محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم البستي، ت ٣٥٤هـ، محدّث مؤرخ علامة جغرافي. ولد في بلاد سجستان وتنقل في الأقطار وهو أحد المكثرين في التصنيف. من كتبه «المسند الصحيح»، و«روضة العقلاء» في الأدب. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٧٨.

ومعنى «**إِنَّ رحمتي سَبَقَتْ غَضَبي**» أنّ مظاهرَ رحمةِ الله كالجنّةِ والملائكةِ أسبق وجودًا وأعظمُ من مظاهرِ الغضبِ كالنارِ والشياطينِ، وليس معناه أن الله لهُ صفة تسبقُ صفة، فاللهُ تعالى صفاتُهُ كلها أزليّة ليس فيها سابقٌ ومسبوقٌ.

أقوال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه (ت ٢٠٤هـ)

قال ابن المعلّم القرشيّ[١]: «وهذا مُنْتَظمٌ مَن كُفْرُه مُجمع عليه، ومَن كفّرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرآن[٢]، وبأنه ـ أي الله تعالى ـ لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومَن لا يؤمن بالقَدَر، **وكذا مَن يعتقد أن الله جالس على العرش،** كما حَكَاه القاضي حسين[٣] عن نصّ الشافعيّ» اهـ.

وقال كذلك[٤]: «ثبت أن الشافعيّ قال: من قال: الله جالس على العرش كافر» اهـ.

وقال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه[٥]: «واعلموا أن خالق العالم واحد لا شريك له، فَرْدٌ لا ثاني له، ومعنى الوحدانية في صفاته أنه يستحيل عليه التجزئة والتبعُّض وهمًا أو تقديرًا، واعلموا أن الحدَّ والنهاية لا تجوز على الله تعالى، ومعنى الحدّ طَرَف الشيء ونهايته.

---

١)**نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، مخطوط، ص٥٥١.

٢)أي من قال: إن صفة الله مخلوقة، أو قال: إنَّ لله شفتين وأسنانًا ولهاة أو إن كلامه الأزليّ أصوات وحروف، فهذا مجمع على كفره، والعياذ بالله تعالى.

٣)القاضي حسين بن محمد بن أحمد المروروذيّ، ت ٤٦٢هـ، من كبار فقهاء الشافعية، له التعليقة المشهورة، روى الحديث عن أبي نعيم عبد الملك الأسفرايينيّ، وروى عنه عبد الرزاق المنيعيّ وتلميذه البغويّ وغيرهما، وتفقَّه على القفال المروزيّ، قال الرافعيّ: «وكان يقال له: حبر الأمة» اهـ. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٣/ ١٥٥.

٤)**نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، مخطوط، ص ٥٥٥.

٥)**رسالة الفقه الأكبر**، تنسب للإمام الشافعيّ، ص ١١.

واعلموا أن البارئ تعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عَرَض، ومحال أن يكون جسمًا لأن الجسم هو المجتمع المؤتلف، ومنه قول أهل اللغة: هو جسيم وذلك أجسم منه فيصفونه بالمبالغة إذا كثر تأليفه واجتماعه، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ٢٤٧﴾ (البقرة)، أي في عِظم الجثة والشخص، والبارئ سبحانه ليس بذي أجزاء وأبعاض، بل هو واحد أحد، والمجتمع المؤتلف لا يكون واحدًا، ومحال أن يكون عَرَضًا، لأن العَرَض ما يستحيل عليه البقاء أو يقلّ بقاؤه.

واعلموا أن الصورة والتركيب يستحيلان على الله للمعنى الذي ذكرناه في الجسم، واعلموا أنه لا يجوز على الله تعالى اللون والطعم والرائحة والبرودة ونحو ذلك، لأنّ هذه صفات الحوادث وعلامات الصنع، والموصوف بشيء منها مع جواز غيره لا يختصّ به إلا بمخصّصٍ هو جاعلُه وخالقُه، وذلك من سِمات الحدوث» اهـ. أي من صفات المخلوقات.

وقال رضي الله عنه[1]: «إنه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان، لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته» اهـ.

وقال عليه رضوان الله: «من انتهض لمعرفة مُدَبّرِهِ فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبّه[2]، ومن انتهى إلى العدم الصّرْفِ فهو مُعطّل[3]، ومن انتهى إلى موجود واعترف بعجزه عن إدراكه فهو موحّد[4]» اهـ. رواه البيهقيّ وغيره[5]. لذلك نهى السلف الصالح عن التفكر في ذات الله تعالى

---

١) **إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، ٢/ ٢٤.

٢) أي انتهى إلى شىء له صورة وهيئة، فهو مشبّه غيرُ مؤمن.

٣) أي أَوْدَى به تفكيره إلى نفي وجود مُوجِدٍ خالقٍ للعالم، فهو كذلك غير مؤمن.

٤) أي سلَّمَ وصدّق بوجود مُوجِد لا يشبه أحدًا هو خالق هذا العالم برمّته، وشهد بلسانه وصدّق بنبوّة سيدنا محمد ﷺ، فهو مؤمن.

٥) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص١٥٢. **البرهان المؤيد**، أحمد الرفاعي، ص١٦.

للوصول إلى حقيقته، لأنه لا يعلم اللّـهَ على الحقيقة إلا اللّـه، إنما معرفتنا بالله هي بمعرفة ما يجب له تعالى وما يستحيل في حقه وما يجوز في حقّه. وكلُّ من يتفكر في ذاته تعالى فيتخيّل بخياله صورةً أو يتوهّمها بوهمه ويعتقد أن ما تخيّله وتوهَّمه هو الله فهو ليس مسلمًا موحّدًا إذ لا فَرْق بينه وبين عابد الصنم، فعابد الصنم عَبَدَ صورةً نَحَتَها وهذا عَبَدَ صورةً تخيَّلها، وأما المؤمن المصدق فيعبد من لا شبيه له ولا مثيل.

وقال الشافعيّ رضي الله عنه كذلك[١]: «**المُجَسّمُ كافر**» اهـ. أي أن المشبه المجسّم الذي اعتقد في الله الجسميةَ والحجمَ غير مسلم ولا مؤمن، بل هو تائه في المعتقد لأنه خالف الشرع والعقل بقوله: إن الله جالس على العرش، ومنهم من يقول: إنه مستقرّ عليه، ومن المجسمة من يقول[٢]: إنّ الله ترك مكانًا يُجْلِسُ فيه معه محمدًا يوم القيامة، ومنهم من يقول[٣]: إن الله متحيّز في مكان فوق العرش بذاته، ومنهم من يقول[٤]: إن الله يتحرّك كل ليلة بنزوله من العرش إلى السماء الدنيا، حتى إن بعض هؤلاء قال: إن الله يضع رِجلَه في جهنّم لكنها لا تحترق والعياذ بالله تعالى، وغير ذلك من أقوالهم ممَّا يدلّ على التشبيه والتجسيم، وهذا لقياسهم الخالق على المخلوق واتّباعهم الوهم، وكله كفر وضلال.

---

١)**الأشباه والنظائر**، السيوطي، ١/ ٧٤٤.

٢)**الفتاوى**، ابن تيمية، ٣/ ٢٢٩.

٣)**منهاج السّنة النبوية**، ابن تيمية، ٣/ ٢٠٥.

٤)**منهاج السّنة النبوية**، ابن تيمية، ١/ ٢١٠. **موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**، ابن تيمية ٢/ ٢٦، ٢/ ٤، ٥. **شرح حديث النزول**، ابن تيمية، ص٢٣، ٦٦.

قول نعيم بن حمّاد الخزاعي[1] رحمه الله
(ت ٢٢٨ هـ)

قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمه الله[2]: «**من شبّه الله بخلقه كفر**» اهـ.

أقوال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه
(ت ٢٤١هـ)

هذا الإمام أحمد رضي الله عنه يقول بتنزيه الله عن الجسمية وصفات المخلوقات، وهو الذي افتُري عليه كثيرًا وادّعى أناس من المجسّمة أنهم على مذهبه وهو منهم بريء، فمذهب الإمام أحمد ليس مذهب التجسيم بحال من الأحوال.

قال أبو الفضل عبد الواحد التميميّ الحنبلي(ت ٤١٠ هـ)[3]: «**وأنكر** ـ أي الإمام أحمد ـ **على مَن يقول بالجسم**، وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة

---

١)نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، أبو عبد الله، ت ٢٢٨هـ، أول من جمع «المسند» في الحديث. كان من أعلم الناس بالفرائض، ولد في مرو الشاهجان، وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم، وسئل عن القرآن: أمخلوق هو؟ فأبى أن يجيب، فحبس في سامرا، ومات في سجنه. من كتبه «الفتن والملاحم». **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ٤٠.

٢)**تفسير ابن كثير**، ابن كثير، ٣/ ٤٢٧.

٣)**اعتقاد الإمام المبجّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل**، أبو الفضل عبد الواحد التميميّ، ١/ ٢٩٨.

أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث، البغداديّ الحنبليّ ت ٤١٠هـ، رئيس الحنابلة، حدّث عن أبيه وعبد الله بن إسحاق الخراسانيّ وأبي بكر النجاد وأحمد بن كامل وعدة. وروى عنه الخطيب وعمر بن عبيد الله بن عمر المقرئ وجماعة. قال الخطيب: «كان صدوقًا، دفن إلى جنب قبر الإمام أحمد، وحدّثني أبي ـ وكان ممن مشى في جنازته ـ أنه صلى عليه نحو من خمسين ألفًا رحمه الله» اهـ. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغداديّ، ١١/ ١٤.

واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على **كلّ ذي طول وعرض وسَمْك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كلّه، فلم يَجُزْ أن يسمّى جسما لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجئ في الشريعة ذلك فبَطَلَ**» اهـ.

قوله: «وأنكر على مَن يقول بالجسم» أي أنكر الإمام أحمد رضي الله عنه على مَن وصف الله بالجسم، فهذا تصريح من الإمام أحمد رضي الله عنه في تنـزيهه لله عن هذه الأشياء الستة لأنها من لوازم الجسمية، فنزّه الله تعالى عن الطُّول والعَرْض والسَّمْك والتركيب والصورة والتأليف، وهذا الذي قال به الأشاعرة والماتريدية وهم أهل السُّنَّة والجماعة الموافقون لأحمد وغيره من السلف الصالح في أصول المعتقد.

وأما قوله: «إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة» فمعناه أن أسماء الأشياء تُعرف إما من طريق اللغة وإما من الشرع، فهناك أشياء عُرفت أسماؤها من اللغة كالرجل والفرس، وأشياء عُرفت أسماؤها من طريق الشرع مثل الصلاة الشرعية. والجسم في اللغة يُطلَق على ما له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله لا يُوصَف بشىء من ذلك وإلا لكان مشابهًا لخلقه، وذلك ضدّ قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، ثم لو كان الله جسمًا ذا طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف لاحتاج لمن خصَّصَه بذلك الطول وذلك العرض وذلك السَّمك وذلك التركيب وتلك الصورة، والمحتاج لا يصح في العقل أن يكون إلهًا، فمعنى الجسم لا يجوز وصف الله به شرعًا ولا عقلًا ولا لغة، واللفظ أي لفظ الجسم لم يرد في الشرع إطلاقه عليه ولا يجوز في الشرع تسمية الله إلا بما سمّى به نفسه، أي إلا بما ثبت في الشرع تسميته به، كما ذكر إمام أهل السّنة أبو الحسن الأشعريّ رضي الله عنه[1] وغيره «ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه ﷺ أو أجمعت عليه الأمة» اهـ. فبَطَل إطلاق صفات الأجسام على الله تعالى بل نقل صاحب

1) **مجرد مقالات الأشعري**، ابن فورك، ص٤٢.

الخصال[1] عن الإمام أَحمد نفسه «تكفير مَن قال: الله جسم لا كالأجسام» كما ذكر ذلك المحدّث الأصوليّ بدر الدين الزركشيّ[2]، وقال بعد ذكر قول الإمام أحمد رضي الله عنه: «ونقل عن بعض الأشعرية أنه ـ يعني المجسّم ـ يفسّق وهذا النقل عن الأشعرية ليس بصحيح» اهـ.

وأما قول الإمام أحمد رضي الله عنه: «وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم» فمعنى «وضعوا» أنَّ هذا عُرِف بالنقل، أي عُرِف أن إطلاق هذا الاسم أي الجسم يكون على ذي طول وعرض وسَمْك وتركيب وصورة وتأليف لأن اللغة العربية ليست شيئًا بالمواضعة إنما هي بالوحي، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾ ﴾ (البقرة)، فمعنى «أطلقوا» أو «وضعوا» نقلوا إلينا، ليس معناه اجتمعوا وقرّروا أن يطلقوا هذا الاسم (أي الجسم) على صاحب هذه الأشياء الستة، فمنَ الأنبياء عليهم السلام تعلَّم البشرُ اللغات.

وقول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «والله تعالى خارج عن ذلك كلّه» أي كلّ هذا يستحيل على الله لأن الله لا يشبه شيئًا من خلقه، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى)، ثم لو كان الله جسمًا كبيرًا أو صغيرًا، كثيفًا كالبشر والحجر أو لطيفًا كالنور والهواء لاحتاج لمن خصّصه بهذه الصورة والكيفية، والمحتاج لا يصحّ في العقل أن يكون إلهًا.

---

١)صاحب الخصال هو أبو محمد البغدادي كما رواه الزركشي في **تشنيف المسامع**، ٤/ ٦٨٤، وهو والد ابن أبي يعلى مؤلف كتاب طبقات الحنابلة، ويقول الابن في تعداد كتب أبيه «صاحب الخصال»، والوالد هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن أحمد بن الفراء.

٢)**تشنيف المسامع**، الزركشيّ، ٤/ ٦٨٤.
محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين، ت ٧٩٤هـ، عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها: «لقطة العجلان» في أصول الفقه، و«البحر المحيط» ثلاثة مجلدات في أصول الفقه. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٦٠، ٦١.

وقول الإمام أحمد: «فلم يجُزْ أن يسمّى جسمًا، لخروجه ـ أي الله ـ عن معنى الجسمية، ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل» أي لم يأتِ في الشريعة إطلاق الجسم على الله، بل الذي جاء في الشريعة تنـزيه الله عن الجسم وعن صفات الجسم، ومَن أطلق ذلك ـ أي الجسم ـ على الله فكلامه باطل مخالف لعقيدة المسلمين، فيلزمه ترك هذا والرجوع إلى الإسلام بالنطق بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقال التميميّ أيضًا: «وكان يقول ـ أي الإمام أحمد رضي الله عنه ـ: إن لله تعالى يدين...» ثم قال: «**ليستا بجارحتين وليستا بمركّبتين ولا جسم ولا جنس من الأجسام ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح ولا يُقاس على ذلك، ولا مرفق ولا عضد** ولا في ما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم يد إلا ما نطق القرآن به، أو صحّت عن رسول الله ﷺ السُنَّة فيه»[١] اهـ. واليد إذا أضيفت إلى الله فلا يراد بها الجارحة التي للإنسان ونحوه، قال الحافظ البيهقيّ رحمه الله[٢]: «وأن يده ليست بجارحة» اهـ. وقال أيضًا في كتابه الأسماء والصفات ما نصه[٣]: «وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: ليس في ما يضاف إلى الله من صفة اليدين شمال لأن الشمال محل النقص والضعف، وقد روي «**وكِلْتا يديهِ يمينٌ**»[٤]، وليس معنى اليد عندنا الجارحة إنما هو صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيّفها وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهو مذهب أهل السّنة والجماعة» اهـ. وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه[٥]: «ولكن يده صفته بلا كيف» اهـ.

---

١) **اعتقاد الإمام المبجّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل**، أبو الفضل عبد الواحد التميميّ، ١/ ٢٩٤.

٢) **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، البيهقيّ، ١/ ١١٧.

٣) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٥١٥.

٤) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل وعقوبة الجائر، ٦/ ٧.

٥) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص٦٧.

وقال الإمام أحمد أيضًا[1]: «ولا يجوز أن يقال: **استوى بمماسّة ولا بملاقاة**، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، **والله لم يلحقه تغيُّرٌ ولا تبدُّلٌ، ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش**» اهـ. وهو مأخوذ من قول الإمام عليّ رضي الله عنه[2]: «قد كان ـ الله ـ ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان» اهـ. أي أن الله غنيّ عن العالمين وهو مستغنٍ عن كل ما سواه أزلًا وأبدًا فلا يحتاج إلى مكان يقوم به أو شيء يحلّ به أو إلى جهة، فلو كان له مكان لكان له أمثال وأبعاد طول وعرض وعمق ومن كان كذلك كان محدَثًا محتاجًا لمن حدَّه بهذا الطول وبهذا العرض وبهذا العمق، أما الله تعالى فهو موجود قبل المكان بلا مكان بل وهو الذي خلق المكان فليس بحاجة إليه.

وقال التميميّ[3]: «جملة اعتقاد أحمد رحمه الله في الذي كان يذهب إليه أنَّ الله واحد لا من عدد، لا يجوز عليه التجزُّؤ ولا القسمة» اهـ.

وفي كتاب مناقب أحمد للبيهقيّ: «قال: وأنبأنا الحاكم قال: حدّثنا أبو عمرو السمّاك قال: حدّثنا حنبل بن إسحاق قال: سمعت عمي أبا عبد الله يعني الإمام أحمد يقول: احتجّوا عليَّ يومئذ ـ يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين ـ فقالوا: تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك؟ فقلت: إنما هو الثواب، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ (الفجر) إنما تأتي قدرته، وإنما القرآن أمثال ومواعظ» اهـ.

وقال ابن كثير[4]: «قال البيهقي: هذا إسناد صحيح لا غبار عليه» اهـ.

---

١) **اعتقاد الإمام المبجّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل**، أبو الفضل عبد الواحد التميميّ، ١/ ٢٩٧.

٢) **الفرق بين الفرق**، البغدادي، ص٣٣٣.

٣) **اعتقاد الإمام المبجّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل**، أبو الفضل عبد الواحد التميميّ، ١/ ٢٩٣.

٤) **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٠/ ٣٦١.

وقال البيهقي أيضًا: «وفي كلام الإمام أحمد دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السُّنَّة انتقالًا من مكان إلى مكان، كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، فعبّر أي الله عن إظهاره إيّاها بمجيئه، وهذا الذي أجابهم به أبو عبد الله ـ أي الإمام أحمد ـ لا يهتدي إليه إلا الحذّاق من أهل العلم، المنـزّهون عن التشبيه» انتهى ما ذكره البيهقيّ في مناقب أحمد[١].

وقال رضي الله عنه في آية الاستواء[٢]: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر» اهـ.

وقال عليه رضوان الله أيضًا[٣]: «مهما تصوّرت ببالك فالله بخلاف ذلك» اهـ. أي لا يشبه ذلك الذي تصوّرته ببالك.

أقوال الإمام ذي النون المصريّ[٤] رضي الله عنه (ت ٢٤٥هـ)

روى الحافظ أبو نُعَيم الأصبهانيّ في حلية الأولياء[٥]: «أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد البغداديّ في كتابه وقد رأيته، وحدّثني عنه عثمان بن محمد العثمانيّ، قال: أنشدني محمد بن عبد الملك بن هاشم لذي النون المصريّ

---

١) **تعليق الكوثريّ على السيف الصقيل**، السبكيّ، ص ١٢٠، ١٢١.

٢) **دفع شبه من شبّه وتمرّد**، الحصنيّ، ص١٧.

٣) **العقيدة برواية أبي بكر الخلال**، أحمد بن حنبل، ١/ ١١٦.

٤) ذو النون المصريّ ثوبان بن إبراهيم أبو الفياض أو أبو الفيض، ت ٢٤٥هـ، شيخ الديار المصرية وأحد كبار الزهّاد العبّاد المشهورين. روى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وطائفة. وروى عنه أحمد بن صبيح الفيوميّ وربيعة بن محمد الطائيّ وحسن بن مصعب والجنيد بن محمد الزاهد ومقدام بن داود الرعينيّ وآخرون. قال ابن يونس: «كان عالـِمًا فصيحًا حكيمًا» اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١١/ ٥٣٢، ٥٣٦. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ١٠٢.

٥) **حلية الأولياء**، أبو نُعَيم، ٩/ ٣٨٨.

رحمه الله تعالى: [البسيط]

شكرًا لِـمَا خصَّنا مِنْ فَضْلِ نِعْمَتِهِ — مِنَ الهدى ولطيفِ الصُّنعِ والرَّفَدِ[1]

ربي تعالى فلا شــيءٌ يُحِيطُ بهِ — وَهْوَ المحيطُ بنا[2] في كلّ مُرْتَصَدِ

لا الأينُ والحيثُ حاشا كيفَ يُدْرِكُهُ — ولا يُحَــدُّ بمقدارٍ ولا أَمَــدِ[3]

وكَـيْـفَ يُـدْرِكُـهُ حـدٌّ ولم تَـرَهُ — عينٌ وليس له في المِثْلِ من أَحَدِ

أمْ كيفَ يبلغُهُ وهْـمٌ بلا شَبَهٍ — وقد تعالى عنِ الأشباهِ والولدِ

مَـنْ أَنْشَأ قبلَ الكونِ مبتدعًا — من غيرِ شيءٍ قديم كانَ في الأبدِ

ودهَّرَ الدَهْرَ والأوقاتِ واختلفَتْ — بما يشاءُ فَلَمْ يُنْقِصْ ولم يَـزِدِ

إذ لا سماءٌ ولا أرضٌ ولا شبحٌ — في الكَونِ سبحانَهُ من قاهرٍ صَمَدِ

وقال ذو النون المصري رضي الله عنه[4]: «**مهما تصوّرت ببالك فالله بخلاف ذلك**» اهـ. أي أنّ ما يتصوّره الإنسان بباله خيال ومثال، والله منـزّه عن ذلك كله. وهي قاعدة عظيمة مهمة جدًّا، فالله تعالى لا يدركه الوهم، وذلك لأنَّ الوهم يدرك الأشياء التي أَلِفَها أو التي هي من جنس ما أَلِفه كالإنسان والغمام والمطر والشجر والضوء والظلام والريح والظل ونحو ذلك، والإنسان يستطيع أن يتصوَّر الأشياء المخلوقة التي رآها والأشياء

---

١) «الرفد: العطاء» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، ٣/ ١٨١.

٢) المحيط بنا علمًا، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ (الطلاق)، أما إحاطة الجهة بالجسم فهذه لا تجوز على الله.

٣) «أمد: قال الراغب في المفردات: يقال باعتبار الغاية والزمان عام في الغاية والمبتدأ، ويعبر به مجازًا عن سائر المدة. والأمد المنتهى من الأعمار، يقال: ما أمدك أي منتهى عمرك. قال شمر: الأمد منتهى الأجل» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيدي، مادة أ م د، ٧/ ٣٩١.

٤) **الرسالة القشيرية**، القشيريّ، ص٣. **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، ١٧/ ٤٠٤.

المخلوقة التي لم يَرَها، وأمَّا الله فلا تدركه تصوُّرات العباد ولا أوهامهم.

قول الشيخ عمرو بن عثمان المكّيّ[1] رحمه الله (ت ٢٩٧هـ)

قال المناويّ في طبقاته[2]: «قال عمرو بن عثمان المكّيّ: كلّ ما توهّمه قلبك أو سَنَحَ[3] في مجاري فكرك أو خطر في معارضات لُبّك[4] **من حسن أو بهاء أو أنس أو ضياء أو جمال أو شبح أو نور أو شخص أو خيال فالله بعيد عن ذلك منـزّه عنه** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ (الشورى)» اهـ. وانظر إلى استعمال عمرو بن عثمان لفظ «بعيد» بمعنى أن الله سبحانه منـزّه عن صفات الخلق، والمقصود من هذه الكلمة في حقّ الله في هذا السياق هو البعد المعنويّ، وهو شيء كان معروفًا استعماله عند السلف، وكذلك القرب إذا أُضيف إلى الله تعالى فهو القرب المعنويّ.

قول الإمام المجتهد ابن جرير الطبريّ رحمه الله (ت ٣١٠هـ)

قال الإمام المفسر محمد بن جرير الطبريّ تحت باب عنوانه[5]: «القول في الدلالة على أن الله عزَّ وجلَّ القديم الأول قبل كلّ شيء، وأنه هو المُحدِث كلّ شيء بقدرته تعالى ذكره:

---

١)عمرو بن عثمان، أبو عبد الله المكيّ، ت ٢٩٧هـ، صوفيّ عالم بالأصول، من أهل مكة، له مصنفات في التصوف، وأجوبة لطيفة في العبارات والإشارات. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٨١.

٢)**طبقات المناوي الكبرى**، المناويّ، ١/ ٣٧٢.

٣)«سَنَحَ لي رَأْيٌ: عَرَضَ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة س ن ح، ص ٢٨٨.

٤)«لُبُّ الرَّجُل ما جُعِل في قَلْبه من العَقْل» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ل ب ب، ١/ ٧٢٩.

٥)**تاريخ الأمم والملوك**، الطبريّ، ١/ ٢٥.

فمن الدّلالة على ذلك أنه لا شىء في العالم مشاهد إلا جسمٌ أو قائمٌ بجسم، وأنه لا جسم إلا مفترق أو مجتمع، وأنه لا مفترق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الافتراق، وأنه متى عدم أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزآن منه بعد الافتراق فمعلوم أن اجتماعهما حادث بعد أن لم يكن.

وإذا كان الأمر في ما في العالَمِ من شىء كذلك، وكان حكم ما لم يُشاهَد وما هو من جنس ما شاهدنا في معنى جسم أو قائم بجسم، وكان ما لم يخلُ من الحَدَثِ لا شكّ أنه محدَث بتأليفِ مؤلّفٍ (بكسر اللام المشددة) له إن كان مجتمعًا، وتفريق مفرّق (بكسر الراء المشدّدة) له إن كان مفترقًا، **وكان معلومًا بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعًا، ومفرّقه إن كان مفترقًا، من لا يشبهه ومن لا يجوز عليه الاجتماع والافتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات الذي لا يشبهه شىء، وهو على كلّ شىء قدير**، فبُيّنَ ممّا وصفنا أن بارئ الأشياء ومحدِثَها كان قبل كلّ شىء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات محدَثات، وأن محدِثَها الذي يدبّرها ويصرّفها قبلها، إذ كان من المحال أن يكون شىء يُحدِث شيئًا إلا ومحدثه قَبلَه، وإن في قوله تعالى ذِكْرُهُ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية) لأبلغ الحجج وأدلّ الدلائل لمن فكّر بعقل واعتبر بفهم على قِدَمِ بارئها وحدوث كلّ ما جانسها وأن لها خالقًا لا يشبهها» اهـ.

فإن قيل: روى البيهقيّ بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال[1]: «تفكّروا في كل شىء ولا تفكروا في ذات الله» اهـ. فالجواب: أن النّهي ورد عن التفكر في الخالق مع الأمر بالتّفكر في الخلق، فإنه يوجب النظر وإعمال الفكر والتأمّل في ملكوت السموات والأرض ليستدلّ بذلك على

---

١) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٤٢٠، **فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٣٨٣، وعزاه للبيهقيّ وقال: «موقوف وسنده جيد» اهـ.

وجود الخالق الصانع وعلى أنه لا يشبه شيئًا من خلقه، ومن لم يعرف الخالق من المخلوق لا يكون عارفًا بالله تعالى، وعليه فلا يكون عاملًا بهذا الأثر الصحيح. وقد أمر القرآن بتعلّم الأدلة على العقائد الإسلامية على وجوده تعالى وعلى ثبوت العلم له والقدرة والمشيئة والوحدانية إلى غير ذلك من الصفات الواجبة له سبحانه ولم يطعن إمام معتبر في هذا العلم الذي هو مقصد أهل السنّة والجماعة من السلف والخلف.

قول اللغويّ الزَّجَّاج (ت ٣١١هـ)

قال إبراهيم بن السّري الزّجاج أحد مشاهير اللغويين ما نصه[١]: «العليّ هو فَعِيل في معنى فاعل، فالله تعالى عالٍ على خلقه وهو عليٌّ عليهم بقدرته، ولا يجب أن يُذهب بالعلو ارتفاع مكانٍ إذ قد بيَّنَّا أن ذلك لا يجوز في صفاته تقدَّست، ولا يجوز أن يكون على أن يُتصوَّر بذهن، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا» اهـ.

وقال أيضًا[٢]: «والله تعالى عالٍ على كل شَىء، وليس المراد بالعلو ارتفاع المحلّ لأن الله تعالى يجلُّ عن المحلِّ والمكان، وإنَّما العُلو علوُّ الشأن وارتفاعُ السلطان» اهـ.

وهو كلام نفيس جدًّا ولا أدري كيف غاب مثل هذا الكلام عن التداول بين كثير من الناس حتى توهم بعضهم أن الله يوصف بالعلو الحسيّ وهو باطل بلا ريب.

قول الإمام أبي جعفر الطحاويّ أحمد بن سلامة رضي الله عنه (ت ٣٢١هـ)

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في أول عقيدته المشهورة المعروفة بالعقيدة الطحاوية: «**هذا ذكر بيان عقيدة أهل السّنة والجماعة**» يريد

---

١) **تفسير أسماء الله الحسنى**، الزَّجَّاج، ص٤٨.

٢) **تفسير أسماء الله الحسنى**، الزَّجَّاج، ص٦٠.

الطحاوي أن هذه العقيدة أجمع عليها السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين في تنـزيه الله عن الـمكان والجهة والجسمية، وكلام الطحاويّ في غاية الأهمية فهو من علـماء الحديث ومن كبار الفقهاء، وقال أيضًا: «ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه زلَّ ولم يصب التنـزيه، فإن ربّنا جلَّ وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود[١] والغايات[٢] والأركان[٣] والأعضاء[٤] والأدوات[٥] لا تحويه الجهات الستّ كسائر المبتدعات[٦]» اهـ.

---

١) الحدّ معناه نهاية الشىء، والحجم والجرم لهما حدّ، فالعرش والكرسيّ والجنة والنار والسموات والأرضون، كل ذلك له مساحة لكن نحن البشر لا نعلم مساحة العرش كم هي ولا الكرسيّ ولا السموات السبع ولا الجنة ولا جهنم، وليس معنى نفي الحدّ عن الله أنه ممتدّ إلى غير نهاية، فليحذر هذا التوهم لأنه كفر وضلال.

٢) الغايات جمع غاية، والغاية ما ينتهي إليه الشىء.

٣) الأركان معناه الجوانب، فالله تعالى منزه أن يكون له جوانب لأن الشىء الذي يكون له أركان يكون محدودًا لا محالة.

٤) الأعضاء هي الجوارح الكبيرة كاليد والرّجل والرأس والبطن ونحوه، ومعنى كلام الطحاويّ أنَّ الله منزه أن يكون له عضو كما أن للإنسان وغيره من ذوي الأرواح أعضاء.

٥) الأدوات جمع أداة، والأدوات هي الأجزاء الصغيرة كاللسان والأضراس، وفسَّر بعضهم الأدوات بالآلات التي يستعين بها الإنسان في تحقيق أفعاله كآلات البناء، فالله منـزّه عن ذلك لما عُلِمَ من كلام أهل الحق أن الله فاعل بلا علاج - أي من غير مباشرة -، لا يحتاج إلى مزاولة بالحركات والسكنات والآلات، بل يخلق ما يشاء بدون ذلك، فما أراد الله في الأزل أن يدخل في الوجود يُوجِدُه ويكوّنه بقدرته الأزلية.

٦) لا تحوي اللهَ تعالى الجهاتُ الستُّ كما تحوي جميع المخلوقات، وذلك لأنّ المخلوقات لا تخلو عن التحيز في إحدى الجهات الست لأن الحادث لا بد أن يكون في مكان، أما الله فليس بحادث فهو موجود بلا مكان.

أقوال إمام أهل السّنة أبي الحسن الأشعريّ رضي الله عنه (ت ٣٢٤هـ)

قال الإمام أبو الحسن الأشعريّ[١]: «**من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وإنه كافر به**» اهـ.

ويروى عنه أنّه قال[٢]: «قال أهل السّنة وأصحاب الحديث: **ليس** - أي الله - **بجسم ولا يشبه الأشياء**، وإنه على العرش كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه)، ولا نقدّم بين يدي الله في القول، بل نقول: استوى بلا كيف» اهـ. وفي هذا نفي للجلوس والتحيّز والاستقرار عن الله تعالى، فقوله: «استوى بلا كيف» نفي أن يكون الاستواء بكيفية، والكيف هو من صفات المخلوقات التي يتنزّه الله عن الاتّصاف بها.

وقال رضي الله عنه أيضًا[٣]: «الإجماع الثامن: وأجمعوا على أنّه عزَّ وجلَّ يجيء يوم القيامة[٤] والمَلَكُ صفًّا صفًّا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين ويعذّب منهم من يشاء كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالًا وإنما يكون المجيء حركة وزوالًا **إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فإذا ثبت أنه عزَّ وجلَّ ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نُقْلَة أو حركة**، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: جاءت زيدًا الحمّى، أنها تنقلت إليه أو تحرّكت من مكان كانت فيه! إذ لم تكن جسمًا ولا جوهرًا، وإنما مجيئها إليه وجودها به.

وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما رُوِي عن النبيّ ﷺ، **وليس نزول نقلة لأنه ليس بجسم ولا جوهر**» اهـ.

---

١) **إشارات المرام**، البياضي، ص٢٠٠.

٢) **مقالات الإسلاميين**، ينسب الكتاب للأشعري، ١/ ٢١١.

٣) **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**، الأشعريّ، ١/ ٢٢٧.

٤) أي يجيء أثرٌ من آثار قدرة الله، فتظهر في ذلك اليوم مظاهرُ عظيمةٌ لقدرة الله.

وقد نقل الإمام أبو منصور البغدادي عن الأشعري تكفير المجسّمة والمشبهة فقال في كتابه تفسير الأسماء والصفات[1]: «إن الأشعري وأكثر المتكلمين قالوا بتكفير كلّ مبتدع كانت بدعته كفرًا أو أدّت إلى كفر، كمن زعم أنّ لمعبوده صورة أو أنّ له حدًّا ونهاية أو أنّه يجوز عليه الحركة والسكون، **ولا شكّ لذي لبّ** (عقل) **في تكفير الكرامية مجسّمة خراسان في قولهم: إنّ الله جسم له حدّ ونهاية من تحته وإنه مماسّ لعرشه**» اهـ.

قول إمام أهل السنّة أبي منصور الماتريدي رضي الله عنه (ت٣٣٣هـ)

قال الإمام أبو منصور الماتريديّ[2]: «مسألة: لا يجوز إطلاق لفظ **الجسم** على الله تعالى» اهـ.

وقال أيضًا[3]: «في إثبات رؤية المؤمنين لله في الآخرة: فإن قيل: كيف يُرى؟ قيل: **بلا كيف إذ الكيفية تكون لذي صورة، بل يُرى** ـ أي الله تعالى ـ **بلا وصف قيام وقعود واتكاء وتعلّق واتصال وانفصال ومقابلة ومدابرة وقصيرة وطويلة ونور وظلمة وساكن ومتحرّك ومماسّ ومباين وخارج وداخل** ولا معنى يأخذه الوهم أو يقدّره العقل، لتعاليه عن ذلك» اهـ.

هذه بعض النقول عن السلف الصالح في تنزيه الله عن الجسمية وعن صفات الأجسام، تبارك وتعالى وتنزّه ربّنا عمّا يقول الظّالمون علوًّا كبيرًا.

---

١) **تفسير الأسماء والصفات**، البغدادي، ص ١٨٨، ١٨٩ .

٢) **التوحيد**، الماتريديّ، ص٣٨.

٣) **التوحيد**، الماتريديّ، ص٨٥.

مباحث في أدلة أهل السّنة والجماعة على تنزيه الله عن الجسمية وصفات الأجسام من النقل

قال الإمام الرازيّ رحمه الله[1]: «تقرير الدلائل السمعية على أنه سبحانه وتعالى منزّه عن الجسمية والحيز والجهة، ويدلّ عليه وجوه:

الحجة الأولى:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص).

اعلم أنه قد اشتهر في التفسير أن النبيَّ ﷺ سُئِل عن الله ونعته وصفته، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه السورة.

إذا عرفت هذا فنقول هذه السورة من المحكمات لا من المتشابهات لأنه تعالى جعلها جوابًا عن سؤال السائل وأنزلها عند الحاجة وذلك يقتضي كونها من المحكمات لا من المتشابهات، وإذا ثبت هذا وجب الجزم بأن كل مذهب يخالف هذه السورة يكون باطلًا.

فنقول: إنَّ قوله تعالى: ﴿أَحَدٌ﴾ يدلّ على نفي الجسمية، لأن الجسم أقلّه أن يكون مركَّبًا من جوهرين وذلك ينافي الوحدة، ولمّا كان قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَحَدٌ﴾ مبالغة في الوَحدانية كان قوله﴿أَحَدٌ﴾منافيًا للجسمية.

١) **أساس التقديس**، الرازيّ، ص ٣٠، ٣١ (باختصار).

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي، ت ٦٠٦هـ، الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل وهو قرشي النسب أصله من طبرستان ومولده في الري وإليها نسبته. من تصانيفه: «مفاتيح الغيب»، و«لوامع البيان في شرح أسماء الله تعالى والصفات». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٣٠٢، ٣٠٣.

ولو كان جوهرًا لكان كل جوهر فرد كفوًا له، **فدلّت السورة من الوجه الذي قرّرناه على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر...**

واعلم أنه تعالى كما نصّ على أنه واحد فقد نصَّ أيضًا على البرهان الذي لأجله يجب الحكم بأنه أَحَدٌ، وذلك أنه قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (الإخلاص)، وكونه إلهًا يقتضي كونه غنيًّا عمّا سواه، وكلّ مركّب مفتقر إلى كل واحد من أجزائه وكل واحد من أجزائه غيره، فكلّ مركّب هو مفتقر إلى غيره، وكونه إلهًا يمنع من كونه مفتقرًا إلى غيره، وذلك يوجب القطع بأنه أحد، **وكونه أحدًا يوجب القطع بأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا في حيّز**، فثبت أن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (الإخلاص) برهان قاطع على ثبوت هذه المطالب.

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ (الإخلاص)، فالصمد هو السيد المصمود إليه في الحوائج، **وذلك يدلّ على أنه ليس بجسم، وبيان دلالته على نفي الجسمية من وجوه:**

الأول: إن كلّ جسم هو مركّب وكلّ مركّب محتاج إلى كل واحد من أجزائه وكل واحد من أجزائه غيره، فكل مركّب محتاج إلى غيره والمحتاج إلى الغير لا يكون غنيًّا محتاجًا إليه، فلم يكن صمدًا مطلقًا.

الثاني: لو كان مركّبًا من الجوارح والأعضاء لاحتاج في الإبصار إلى العين ـ الحدقة ـ، وفي الفعل إلى اليد، وذلك ينافي كونه ـ أي الله ـ صمدًا مطلقًا.

الثالث: أنّا سنُقيم الدلالة على أن الأجسام متماثلة، والأشياء المتماثلة يجب اشتراكها في اللوازم، فلو احتاج بعض الأجسام إلى بعض لزم كون الكل محتاجًا إلى ذلك الجسم ولزم أيضًا كونه محتاجًا لذلك الجسم ولزم أيضًا كونه محتاجًا إلى نفسه وكل ذلك محال، ولمّا كان ذلك محالًا وجب ألّا يحتاج ـ أي الله ـ إلى شيء من الأجسام، ولو كان كذلك ـ أي محتاجًا ـ لم يكن صمدًا على الإطلاق.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص)،

فهذا أيضًا يدلّ على أنه ليس بجسم ولا جوهر، لأنَّا سنقيم الدلالة على أن الجواهر متماثلة، فلو كان تعالى جوهرًا لكان مثلًا لجميع الجواهر فكان كلّ واحد من الجواهر كفؤًا له، ولو كان جسمًا لكان مؤلّفًا من الجواهر لأن الجسم يكون كذلك، وحينئذ يعود الإلزام المذكور، فثبت أن هذه السورة من أظهر الدلائل **على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر**...

واعلم أنه كما أن الكفّار سألوا الرسول ﷺ عن صفة ربّه فأجاب الله بهذه السورة **الدالّة على كونه تعالى منزَّهًا عن أن يكون جسمًا أو جوهرًا أو مختصًّا بالمكان، كذلك فرعون سأل موسى عليه السلام عن صفة الله تعالى فقال:** ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (الشعراء)، ثم إنَّ موسى لم يذكر الجواب عن هذا السؤال إلا بكونه تعالى خالقًا للناس ومدبّرًا لهم وخالقًا للسموات والأرض ومدبّرًا لهما» اهـ.

قال القرطبيّ في تفسير هذه الآيات[1]: «لما غلب موسى فرعونَ بالحجة ولم يجد اللعين من تقريره على التربية وغير ذلك حجة رجع إلى معارضة موسى في قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (الزخرف)، فاستفهمه استفهامًا عن مجهول من الأشياء. قال مكيّ وغيره: كما يستفهم عن الأجناس فلذلك استفهم بـ «ما». قال مكيّ: وقد ورد له استفهام بـ «من» في موضع آخر ويشبه أنها مواطن، فأتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق، وقد سأل فرعون عن الجنس ولا جنس لله تعالى لأن الأجناس محدَثة، فعلم موسى جهله فأضرب عن سؤاله وأعلمه بعظيم قدرة الله التي تبيّن للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها. فقال فرعون: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ على معنى الإغراء والتعجب من سفه المقالة ـ على زعمه ـ إذ كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم، والفراعنة قبله كذلك. فزاد موسى في البيان بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ

١) **تفسير القرطبيّ**، القرطبي، ١٣/ ٩٨.

ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (الشعراء) فجاء بدليل يفهمونه عنه لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم آباء وأنهم قد فنوا وأنه لا بدَّ لهم من مغيّر، وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا وأنهم لا بد لهم من مكوّن» اهـ.

ثم قال الفخر الرازي رحمه الله: «فثبت أنه كما أن جواب محمد ﷺ عن سؤال الكفار عن صفة الله تعالى يدلّ على تنـزيه الله تعالى عن التحيُّز، فكذلك جواب موسى عليه السلام عن سؤال فرعون عن صفة الله عزَّ وجلّ يدلّ على تنـــزيه الله تعالى.

أما الخليل عليه السلام فقد حكى الله تعالى عنه في كتابه بأنه استدلّ بحصول التغيُّر في أحوال الكواكب على حدوثها، ثم قال عند تمام الاستدلال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ (الأنعام)، واعلم أن هذه الواقعة تدلّ على تنـــزيه الله تعالى وتقديسه عن التحيُّز.

وأما دلالتها على تنـزيه الله تعالى عن التحيّز فمن وجوه:

أحدها: ما صحَّ على أحد المِثلين وجب أن يصحَّ على المثل الآخر، فلو كان تعالى جسمًا أو جوهرًا وجب أن يصحَّ عليه كلّ ما صحّ على غيره، وأن يصحّ على غيره كلّ ما صحَّ عليه، وذلك يقتضي جواز التغيُّر عليه، ولمّا حكم الخليل عليه السلام بأن المتغيّر من حال إلى حال لا يصلح للإلهية، وثبت أنه لو كان جسمًا لصحَّ عليه التغيُّر، لزم القطع بأنه تعالى ليس بمتحيّز أصلًا.

الثاني: أنه عليه السلام قال عند تمام الاستدلال: ﴿وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ (الأنعام) فلم يذكر من صفات الله تعالى إلا كونه خالقًا للعالم، والله تعالى مدحه على هذا الكلام وعظّمه فقال: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ٨٣﴾ (الأنعام). **ولو كان إله العالم جسمًا موصوفًا بمقدار مخصوص وشكل مخصوص لـمَا كمل العلم به تعالى إلا بعد العلم بكونه جسمًا متحيّزًا**. ولو كان كذلك لما

كان مستحقًّا للمدح والتعظيم بمجرّد معرفة كونه خالقًا للعالم، ولـمَّا كان هذا القدر من المعرفة كافيًا في كمال معرفة الله تعالى دلّ ذلك على أنه تعالى ليس بمتحيّز.

الثالث: أنه تعالى لو كان جسمًا لكان كلّ جسم مشاركًا له في تمام الماهية، فالقول بكونه تعالى جسمًا يقتضي إثبات الشريك لله سبحانه وتعالى، وذلك ينافي قول الخليل عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ (الأنعام). **فثبت بما ذكرناه أن الأنبياء صلوات الله عليهم كانوا قاطعين بتنزيه الله تعالى وتقديسه عن الجسمية والجوهرية والجهة، وبالله التوفيق.**

الحجة الثانية:

من القرآن: قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ (الشورى)، وهذه الآية هي أوضح دليل نقليّ في نفي الجسمية عن الله تعالى، لأن ﴿شَيۡءٞ﴾ نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم[1]، فالله تبارك وتعالى نفى بهذه الجملة عن نفسه مشابهة الأجرام والأجسام والأعراض، ولم يقيّد تبارك وتعالى نفي الشبه عنه بنوع من أنواع الحوادث، بل شمل نفي مشابهته لكلّ أفراد الحادثات.

ولو كان ـ الله ـ جسمًا، لكان مثلًا لسائر الأجسام في تمام الماهية، لأنّا سنبيّن إن شاء الله تعالى بالدلائل الباهرة أن الأجسام كلها متماثلة ـ من حيث كونها مؤلفة مركبة تحلّ فيها الصفات والأعراض ـ، وذلك كالمناقض لهذا النص.

فإن قيل: لمَ لا يجوز أن يقال: إنه تعالى، وإن كان جسمًا، مخالف لغيره من الأجسام، كما أن الإنسان والفرس وإن اشتركا في الجسمية مختلفان في الأحوال والصفات، ولـمَّا ـ كان ـ لا يجوز أن يقال الفرس مثل الإنسان، فكذا هنا؟

---

١) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، ١/ ١٦٠. ذكر ذلك في مواضع كثيرة من تفسيره.

فالجواب من وجهين:

الأول: أنّا سنقيم الدلالة إن شاء الله تعالى على أن الأجسام كلّها متماثلة في تمام الماهية، وعليه فلو كان تعالى جسمًا لكان ذاته مثلًا لسائر الأجسام، وذلك مخالف لهذا النصّ[1]، والإنسان والفرس ذات كل منهما متماثلة لذات الآخر ـ من حيث كونهما مركبين ـ، والاختلاف إنما وقع في الصفات والأعراض، والذاتان إذا كانتا متماثلتين كان اختصاص كل واحدة منهما بصفاتها المخصوصة يكون من الجائزات لا من الواجبات، لأنّ الأشياء المتماثلة في تمام الذات والماهية لا يجوز اختلافها في اللوازم، فلو كان البارئ تعالى جسمًا لوجب أن يكون اختصاصه بصفاته المخصوصة من الجائزات، ولو كان كذلك لزم افتقاره إلى المدبّر والمخصّص، وذلك يبطل القول بكونه تعالى إله العالم.

الثاني: بتقدير أن يكون هو تعالى مشاركًا لسائر الأجسام في الجسمية ومخالفًا لها في ماهيته المخصوصة، هذا يوجب وقوع الكثرة في ذات الله تعالى لأن الجسمية مشترك فيها بين الله تعالى وبين غيره، وخصوصية ذاته غير مشتركة فيها بين الله تعالى وبين غيره، وما به المشاركة غير ما به المايزة، وذلك يقتضي وقوع التركيب في ذاته المخصوص، وكل مركّب ممكن[2] لا واجب[3] على ما بيّنّاه فثبت لك أن هذا السؤال ساقط.

الحجة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴿٣٨﴾﴾ (محمد).

١)أي قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

٢)كانت الممكنات العقلية معدومةً ثم دخل بعضها في الوجودِ بتخصيصِ الله تعالى لوجودِ ذلك البعض الذي قدّر له أن يوجد، إذ كانَ في العقل جائزًا ألّا توجدَ، فوجودها بتخصيصِ الله تعالى. ويقال عن الممكن: الجائز العقليّ، وهو ما يُتَصوَّر في العقل وجوده تارة وعدمه تارة أخرى.

٣)الواجب الوجود أو الواجب العقليّ هو ما لا يُتَصوَّر في العقل عدمه، وهو الله وصفاته.

دلّت هذه الآية على كونه تعالى غنيًّا، ولو كان جسمًا لما كان غنيًّا لأن كل جسم مركّب، وكلّ مركّب محتاج إلى كل واحد من أجزائه، وأيضًا لو وجب اختصاصه بالجهة لكان محتاجًا إلى الجهة، وذلك يقدح في كونه غنيًّا على الإطلاق.

الحجة الرابعة:

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (البقرة).

والقيوم من يكون قائمًا بنفسه مقومًا لغيره، فكونه قائمًا بنفسه عبارة عن كونه غنيًّا عن كل ما سواه، وكونه ـ تعالى ـ مُقَوِمًا لغيره عبارة عن احتياج كل ما سواه إليه، فلو كان جسمًا لكان هو مفتقرًا إلى غيره وهو جزؤه، ولكان غيره غنيًّا عنه وهو جزؤه وحينئذ لا يكون قيومًا. وأيضًا لو وجب حصوله في شيء من الأحياز لكان مفتقرًا محتاجًا إلى ذلك الحيّز، فلم يكن قيّومًا على الإطلاق.

الحجة الخامسة:

قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ (مريم).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «هل تعلم له مثلًا». ولو كان متحيّزًا لكان كل واحد من الجواهر مثلًا له.

الحجة السادسة:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحشر).

وجه الاستدلال به أنّا بيّنّا في سائر كتبنا أن الخالق في اللغة هو المقدّر ـ بكسر الدال المعجمة المشدّدة ـ، ولو كان جسمًا لكان متناهيًا، ولو كان متناهيًا لكان مخصوصًا بمقدار معيّن، ولـمَّا وصف نفسه بكونه خالقًا وجب أن يكون تعالى هو المقدّر لجميع المقدورات بمقاديرها المخصوصة. وإذا كان هو مقدَّرًا في ذاته بمقدار مخصوص، لزم كونه مقدِرًا لنفسه، وذلك محال.

وأيضًا لو كان جسمًا لكان متناهيًا، وكلّ متناه محيط به حدٌّ أو حدود

مختلفة، وكلّ ما كان كذلك فهو مشكَّل وكلّ مشكَّل فله صورة، فلو كان جسمًا لكان له صورة، ثم إنه تعالى وصف نفسه بكونه مصوِرًا[1]، فيلزم كونه مصوّرًا لنفسه وذلك محال، فيلزم أن يكون منزَّهًا عن الصورة والجسمية حتى لا يلزم هذا المحال.

الحجة السابعة:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴿٣﴾﴾ (الحديد).

وصف نفسه بكونه ظاهرًا وباطنًا، ولو كان جسمًا لكان ظاهره غير باطنه، فلم يكن الشيء الواحد موصوفًا بأنه ظاهر وبأنه باطن، لأن على تقدير كونه جسمًا يكون الظاهر منه سطحه، والباطن منه عمقه، فلم يكن الشيء الواحد ظاهرًا وباطنًا.

وأيضًا فالمفسرون قالوا: إنه ظاهر بحسب الدلائل[2]، باطن بحسب أنه لا يدركه الحِسُّ ولا يصل إليه الخيال، ولو كان جسمًا لما أمكن وصفه بأنه لا يدركه الحس ولا يصل إليه الخيال.

وفي صحيح مسلم[3]: كان أبو صالح[4] يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن

---

١)أي خالق الصور.

٢)الظاهرُ فوقَ كلّ شيءٍ بالقهرِ والقوةِ والغَلَبَةِ لا بالمكانِ والصورةِ والكيفيةِ فإنها من صفاتِ الخلقِ.

٣)**صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ٨/ ٧٨.

٤)أبو صالح السمان، ت١٠١هـ، ذِكْوَان بن عبد الله مولى أم المؤمنين جويرية الغطفانية، الحافظ الحجة، كان من كبار العلماء بالمدينة، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، وسمع من سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عباس وغيرهم. لازم أبا هريرة مدة، حدث عنه ابنه سهيل بن أبي صالح، والأعمش، وعبد الله بن دينار، وخلق سواهم. ذكره الإمام أحمد فقال: «ثقة ثقة» اهـ. من أجلّ الناس وأوثقهم، وعن الأعمش قال: «سمعت من أبي صالح السمان ألف حديث» اهـ. وقال أبو حاتم: «ثقة، صالح الحديث، يحتج بحديثه» اهـ.=

يضطجع على شقّه الأيمن ثم يقول: «**اللهمَّ ربَّ السمواتِ والأرضِ وربَّ العرشِ العظيمِ، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحَبِّ والنَّوَى ومُنَـزِّلَ التوراةِ والإنجيلِ والفرقانِ، أعوذُ بكَ مِنْ شرّ كلِّ شيءٍ أنتَ آخذٌ بناصيتِهِ**[1]، **اللهمَّ أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ وأنتَ الباطنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ، اقضِ عنَّا الدَّيْنَ وأغْنِنَا مِنَ الفقرِ**»، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة[2] عن النبيِّ ﷺ، رواه الترمذيّ[3] وغيره.

الحجة الثامنة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ (طه)، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأنعام).

وذلك يدلّ على كونه تعالى منزَّهًا عن المقدار والشكل والصورة وإلا لكان الإدراك والعلم محيطَيْن به، وذلك على خلاف هذين النصَّيْن. فإن

=**سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ٥/ ٢٠، ٢١.

١) «النَّاصِيةُ واحدة النَّواصي، ابن سيده: الناصِيةُ، قُصاصُ الشعر في مُقدَّم الرأْس. وقال الفراء في قوله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ (العلق)، ناصِيَتُه مقدَّمُ رأْسه، أَي لنَهْصُرَنَّها لنأْخُذَنَّ بها أَي لنُقيمَنَّه ولَنُذِلَّنَّه. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ (هود)، قال الزجاج: معناه في قبضته تَنالُه بما شاء قُدرته» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، **١٥/ ٣٢٧**. قال النوويّ في شرحه: «قَوْله: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ كُلّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ**» أَيْ مِنْ شَرّ كُلّ شَيْء مِنَ الْمَخْلُوقَات، لِأَنها كُلّهَا فِي سُلْطَانه، وَهُوَ آخِذ بِنَوَاصِيهَا» اهـ. **شرح صحيح مسلم**، النووي، ٩/ ٧٩.

٢) عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة، ت ٥٩هـ، كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث ورواية له، نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر فأسلم سنة ٧هـ ولزم صحبة النبي ﷺ فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي، توفي بالمدينة. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٣٠٨.

٣) **سنن الترمذيّ**، الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، ٥/ ٤٧٢.

قيل: لم لا يجوز أن يقال: إنه إن كان جسمًا كبيرًا، فلهذا المعنى لا يحيط به الإدراك والعلم؟ قلنا: لو كان الأمر كذلك لصحَّ أن يقال بأن علوم الخلق وأبصارهم لا تحيط بالسموات ولا بالجبال ولا بالبحار ولا بالمفاوز[1]، فإن هذه الأشياء أجسام كبيرة والأبصار لا تحيط بأطرافها، والعلوم لا تصل إلى تمام أجزائها. ولو كان الأمر كذلك لما كان في تخصيص ذات الله تعالى بهذا الوصف فائدة، وكلام الله منزه عن الضعف والركاكة، فالقرآن معجزة في الفصاحة والبلاغة، والله أحكم الحاكمين.

الحجة التاسعة:

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (البقرة).

والند المثل، ولو كان تعالى جسمًا لكان مثلًا لكل واحد من الأجسام لِمَا بيّنّا سابقًا أن الأجسام كلها متماثلة وحينئذ يكون الندّ موجودًا على هذا التقدير وذلك على مضادّة هذا النص» اهـ.

١) «المَفَازَةُ: المَنْجاةُ والمَهْلَكَةُ والفَلاةُ لا ماء بها» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة: ف و ز، ص ٦٦٩، «المَفَازَةُ: البَرِيَّةُ، وكُلُّ قَفْرٍ مَفازَةٌ. وقيل: المَفَازَةُ: الفَلاةُ التي لا ماءَ بها، قاله ابن شُمَيْل. والجمع: مفاوز» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، ١٥/ ٢٧٣.

آيات قرآنية كريمة تدلُّ على تنزيه الله تعالى عن الجسمية زيادة على ما ذكره الفخر الرازي رحمه الله

قال أبو حيّان الأندلسيّ في تفسيره البحر المحيط[1] في شرح قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٠﴾ (النحل): «أي الصفة العليا ـ من تنزهه تعالى عن الولد والصاحبة وجميع ما تنسب الكفرةُ إليه مما لا يليق به تعالى كالتشبيه والانتقال وظهوره تعالى في صورة ـ وهي ـ أي هذه الصفة العليا ـ الغِنَى عن العالمين، والنزاهة عن سمات المحدَثين» اهـ. فيستحيل على الله عقلًا أن يكون صورة كالإنسان، لأنّه لو كان صورة لاحتاج إلى مُصَوّر يصوّره، أما الحديث الذي رواه مسلم[2] من حديث أبي هريرة عن النّبي ﷺ: «**إذا قاتلَ أحدُكُمْ أخاهُ فَلْيجتنبِ الوجهَ فإنَّ الله خلَقَ آدمَ على صورتِهِ**»، وأن النبي ﷺ رأى شخصًا يلطم وجهَ عبدٍ فأنكر عليه وقال: «**إنَّ الله خَلَقَ آدمَ على صورتِهِ**» رواه البخاريّ[3]، فالمراد إنْ أُعيد الضمير إلى الأخ المضروب أو وجه العبد أن الله خلق آدم عليه السلام على صورة ذاك المضروب، وقيل: إنها تعود على آدم بمعنى أن الله تعالى خلق آدم على الصورة التي كان عليها ولم يردّده في أطوار الخِلقة كما خُلِقنا نحن من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وإن أُعيد الضمير إلى الله كان على معنى المِلك فتكون الإضافة للتشريف فكأنه قال: خلقه على الصورة التي هي مِلْك له مُشَرَّفَة عنده، وهكذا يُقال في حديث[4]: «**لا**

---

١) **تفسير البحر المحيط**، أبو حيان، تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٠﴾ (النحل)، ٦/ ٥٤٩.

٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، ٨/ ٣٢.

٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ٨/ ٦٢.

٤) **المعجم الكبير**، الطبراني، ١٢/ ٣٢٩. وقال الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ٨/ ٢٢: «الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني=

تُقَبِّحُوا الوجهَ فإنَّ الله خَلَقَ آدمَ على صورةِ الرحمنِ»، ولا يَصحّ تفسير الحديث بما قال بعضهم من أن المراد أنّه خلقه على صفاته من السمع والبصر والعلم، ولا يصحّ عقلًا أن يتصف العبد بصفة من صفاته تعالى لأن الحادث لا يتصف بالأزليّ، فلا يكون الحادث أزليًّا ولا الأزليّ حادثًا.

قال القاضي عياض المالكي[1]: «واعلم أن هذا الحديث غلط فيه ابن قتيبة[2] وأجراه على ظاهره وقال: فإن الله سبحانه له صورة لا كالصور، فأجرى الحديث على ظاهره، والذي قاله لا يخفى فساده لأن الصورة تفيد التركيب، وكل مركّب محدَث، والبارئ ـ سبحانه وتعالى ـ ليس بمحدَث فليس بمركّب، وما ليس بمركّب فليس بمصوَّر، وهذا من جنس قول المبتدعة: إن البارئ ـ جلّ وعزّ ـ جسم لا كالأجسام لما رأوا أهل السّنة قالوا: شيء لا كالأشياء، طرد واحد، فقالوا: جسم لا كالأجسام. وقال ابن قتيبة: صورة لا كالصور.

والفرق بين ما قلناه وما قالوه أن لفظة «شيء» لا تفيد الحدوث ولا تتضمن ما يقتضيه، وقولهم: جسم وصورة يتضمن التأليف والتركيب، وذلك دليل الحدوث.

وعجبًا لابن قتيبة في قوله: صورة لا كالصور، مع كون هذا الحديث يقتضي ظاهره عنده خلق آدم على صورته، فقد صارت على زعمه صورة البارئ ـ سبحانه ـ على صورة آدم ـ عليه السلام ـ على ظاهر هذا على أصله، فكيف يكون على صورة آدم ويقول: إنها لا كالصور، وهذا تناقض» اهـ.

ويقال له أيضًا: إن أردت بقولك: «صورة لا كالصور» أنه ليس بمؤلّف

=وهو ثقة وفيه ضعف» اهـ. وقال البوصيري في **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة** ٦/ ٤٥: «هذا إسنادٌ رواتُه ثقات» اهـ.

[1] **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، القاضي عياض، ص٨٧، ٨٨.

[2] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ النحويّ اللغويّ، ت ٢٧٦هـ، قال البيهقيّ: «كان ابن قتيبة كرّاميًّا» اهـ. وقال الدارقطنيّ: «كان يميل إلى التشبيه» اهـ. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، السيوطيّ، ٢/ ٦٢.

ولا مركّب فليس بصورة على الحقيقة، وأنت مثبت تسمية تفيد في اللغة معنى مستحيلًا عليه تعالى مع نفي ذلك.

وقال الحافظ ابن الجوزيّ[١] رحمه الله في تفسيره زاد المسير[٢]: «قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ (النحل)، أي لا تشبّهوه بخلقه لأنه لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء» اهـ.

وقال البيضاويّ[٣] في تفسيره[٤] في شرح قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (النحل): «فلا تجعلوا له مثلًا تشركونه به أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ فساد ما تعولون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم في ما تفعلون. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو عليم للنهي، أو أنه يعلم كُنْهَ (حقيقة) الأشياء وأنتم لا تعلمونه، فدعوا رأيكم دون نصه. ويجوز أن يراد ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ (النحل) فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون» اهـ.

---

١) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي أبو الفرج، ت ٥٩٧هـ، علّامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد ونسبته إلى مشرعة الجوز. له نحو ثلاثمائة مصنف منها: «الأذكياء وأخبارهم»، و«مناقب عمر ابن عبد العزيز»، و«زاد المسير في علم التفسير». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٣١٦.

٢) **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزيّ، ٤/ ٤٧١.

٣) عبد الله بن عمر بن محمد بن عليّ الشيرازيّ أبو سعيد أو أبو الخير ناصر الدين البيضاويّ، ت ٦٨٥هـ، قاض مفسر، ولد في المدينة البيضاء بفارس ـ قرب شيراز ـ وولي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» يعرف بتفسير البيضاويّ، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«لب اللباب في علم الإعراب». **بغية الوعاة**، السيوطيّ، ١/ ٢٨٦. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١١٠.

٤) **تفسير البيضاوي**، البيضاوي، ٣/ ٤١١.

وقال الحافظ المجتهد ابن جرير الطبريّ[1] رضي الله عنه: «قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (الأعراف)، وقال سبحانه: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ ﴿٨٨﴾ ﴾ (طه): «يُخبر جلَّ ذكره عنهم أنهم ضَلّوا بما لا يضلّ بمثله أهل العقل، وذلك أن الربَّ جلَّ جلاله الذي له مُلك السموات والأرض ومدبّر ذلك لا يجوز أن يكون جسدًا له خُوار» اهـ. والجسد هو جسم الإنسان والجن والملائكة كما قال الفيروزأبادي[2].

وقال القرطبيّ في تفسيره[3]: «﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ﴿٧٤﴾ ﴾ (النحل)، أي الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص، أي لا تضربوا لله مَثَلًا يقتضي نقصًا وتشبيهًا بالخلق، و﴿ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ وصفه بما لا شبيه له ولا نظير، جلَّ وتعالى عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا» اهـ.

---

١) **جامع البيان في تفسير القرآن**، الطبريّ، ٦/ ٦٢.

٢) **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، ص ٣٤٨.

٣) **تفسير القرطبيّ**، القرطبي، ١٠/ ١٠٦.

استدلالات عقلية لأئمة أهل السنّة على تنـزيه الله تعالى عن الجسميّة

نذكر هنا بعض ما استدل به أهل السّنة والجماعة على تنزيه الله عن الجسمية وصفات الأجسام.

استدلال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه (ت ٢٠٤هـ)

قال الإمام الشافعيّ[١]: «واعلموا أن الحدّ والنهاية لا يجوز على الله تعالى، ومعنى الحدّ طرف الشىء ونهايته. والدليل عليه هو أن من لا يكون محدود البداية لا يكون محدود الذات والنهاية، ومعناه من لا يكون لوجوده ابتداء لا يكون لذاته انتهاء، وأنَّ كل ما كان محدودًا متناهيًا صحَّ أن يُتوهم فيه الزيادة والنقصان وأن يوجد مثله، فكان لاختصاصه بنوع من النهاية والتحديد الذي يصحّ أن يكون أكبر منه أو أصغر يقتضي أن يكون له مخصّص خصّصه على حدّ ونهاية وخلقه على قدره وذلك دلالة الحدوث، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا» اهـ.

وقَدْ جرت عادة العلماء على ذكر أن الحكم العقليّ ينقسم إلى ثلاثة: الوجوب والاستحالة والجواز.

الوجوب: ما لا يُتَصوَّر في العقل عدمه وهو الله وصفاته، فالله تعالى ذاته واجب الوجود، ويقال له واجب عقليّ، وكذلك صفاته، أي أن العقل يُحتّم وجوده ولا يقبل انتفاءَهُ.

المستحيل: ما لا يُتصوَّر في العقل وجوده، وقد يعبّرون عنه بالممتنع، وهو كوجود الشريك لله تعالى والعجز والجهل بالنسبة إلى الله، فكل ما لا يجوز على الله فهو مستحيل عقليّ. ومن المستحيل العقليّ كون الحادث أزليًّا. **أما المستحيل العادي** فيصحّ وجوده عقلًا لكن عادة لا يحصل كوجود جبل من زئبق، فهذا لا يحصل في الدنيا على حسب العادة.

---

١) **رسالة الفقه الأكبر**، تنسب للإمام الشافعيّ، ص ١١.

الجائز: ما يُتصوَّر في العقل وجوده وعدمه ويقال له الممكن العقليّ، أي يمكن وجوده بعد عدمه وإعدامه بعد وجوده بالنظر لذاته في حكم العقل وهو هذا العالَم.

استدلال الإمام الجنيد البغداديّ[1] رضي الله عنه (ت ٢٩٧هـ)

قال الإمام الجنيد البغداديّ[2]: «أشرف كلمة في التوحيد قول الصّدّيق: الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلًا إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته» اهـ. ومعناه أن العبد لا يستطيع أن يحيط معرفة بذات الله تعالى، ومعرفة الله تكون بمعرفة ما يجب لله وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه سبحانه، فمن رضي بهذا واعتقد أن الله موجود لا يشبه الموجودات، موجود بلا مكان ولا جهة فهذا عرف الله تعالى، اعتقد أنَّ الله ليس حجمًا كثيفًا كالإنسان والنبات والحجر، وليس جسمًا لطيفًا كالريح والروح والـمَلَك والجنّ، وليس موصوفًا بأوصاف الخلق كالحركة والسكون والحرارة والبرودة والشكل والهيئة والصورة، فهذا عرف الله، أما من لم يَرْضَ بهذا فشبّه الله بخلقه ووصفه بالجلوس أو الاستقرار أو الحركة أو السكون أو وصف كلامه بأنه حرف أو صوت أو لغة، فهذا مشبّه لم يعرف الله وليس من المسلمين.

---

١)الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز أبو القاسم، ت ٢٩٧هـ، صوفي من العلماء بالدين مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند وعرف بالخزاز لأنه كان يعمل بالخز، قال أحد معاصريه: «ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه» اهـ. وقال ابن الأثير في وصفه: «إمام أهل السّنة في زمانه» اهـ. له «دواء الأرواح». **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ١٤١.

٢)**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقري التلمسانيّ، ٧/ ٢٦٧.

استدلال الإمام البيهقيّ (ت ٤٥٨هـ)

قال الحافظ البيهقيّ[١]: «فإن قال قائل: فما الدليل على أنه ـ أي الله ـ ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَض؟ قيل: لأنه لو كان جسمًا لكان مؤلَّفًا، والمؤلّف شيئان، وهو سبحانه شيء واحد[٢] لا يحتمل التأليف.

وليس بجوهر لأن الجوهر هو الحامل للأعراض القابل للمتضادّات، ولو كان كذلك لكان ذلك دليلًا على حدوثه، وهو سبحانه وتعالى قديم لم يزل.

وليس بعَرَض لأنّ العَرَضَ لا يصحّ بقاؤه ولا يقوم بنفسه، وهو سبحانه قائم بنفسه[٣] لم يزل موجودًا ولا يصحّ عَدَمه.

فإن قال قائل: فإذا كان القديم سبحانه شيئًا لا كالأشياء، لِـمَ أنكرتم أن يكون جسمًا لا كالأجسام؟

قيل له: لو لزم ذلك للزم أن يكون صورة لا كالصور، وجسدًا لا كالأجساد، وجوهرًا لا كالجواهر، فلمّا لم يلزم ذلك لم يلزم هذا» اهـ.

وقال رحمه الله أيضًا[٤]: «والحدّ يوجب الحَدَثَ لحاجة الحدّ إلى حادّ خصَّه به، والبارئ قديم لم يزل» اهـ.

---

١) **شعب الإيمان**، البيهقيّ، ١/ ١٣٦.

٢) أي أن الله تعالى ليس بشيء يتجزّأ ويتقسّم، فالله واحد لا بمعنى العدد ولكن بمعنى أنه لا شريك له.

٣) معنى قيامه بنفسه تعالى هو استغناؤه عن كلّ ما سواه، فلا يحتاج إلى مخصّص له بالوجود، لأنّ الاحتياج إلى الغير ينافي القِدم والأولية، وقد ثبت وجوب قِدمه تعالى وبقائه، فوجب استغناؤه تعالى عن كلّ مخلوق.

٤) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤١٥.

استدلال الشيخ أبي سعيد المتولّي الشافعيّ الأشعريّ[1] رحمه الله (ت ٤٧٨هـ)

قال الشيخ أبو سعيد المتولي الشافعيّ الأشعريّ[2] ما نصه: «والغرض من هذا الفصل نفي الحاجة إلى المحل والجهة خلافًا للكرّامية والحشوية والمشبهة الذين قالوا: إن لله جهة فوق. وأطلق بعضهم القول بأنه جالس على العرش مستقرّ عليه، تعالى الله عن قولهم. والدليل على أنه مستغنٍ عن المحل أنه لو افتقر إلى المحلّ لزم أن يكون المحلّ قديمًا لأنه قديم أو يكون ـ يعني الله ـ حادثًا كما أن المحلّ حادث، وكلاهما كفر. والدليل عليه أنه لو كان على العرش على ما زعموا لكان لا يخلو إما أن يكون مِثْل العرش أو أصغر منه أو أكبر، وفي جميع ذلك إثبات التقدير والحدّ والنهاية وهو كفر. والدليل عليه أنه لو كان في جهة وقدّرنا شخصًا أعطاه الله تعالى قوة عظيمة واشتغل بقطع المسافة والصعود إلى فوق لا يخلو إما أن يصل إليه وقتًا ما أو لا يصل إليه. فإن قالوا: لا يصل إليه فهو قول بنفي الصانع لأن كل موجودين بينهما مسافة معلومة، وأحدهما لا يزال يقطع تلك المسافة ولا يصل إليه يدل على أنه ليس بموجود. فإن قالوا: يجوز أن يصل إليه ويحاذيه فيجوز أن يماسّه أيضًا، ويلزم من ذلك كفران: أحدهما: قدم العالم لأنَّا نستدل على حدوث العالم بالافتراق والاجتماع، والثاني: إثبات الولد والزوجة» اهـ.

---

١)عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري أبو سعيد، ت ٤٧٨هـ، فقيه مناظر عالم بالأصول، ولد بنيسابور سنة ٤٢٦هـ وتعلم بمرو. وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وتوفي بها. كان جامعًا بين العلم والدّين وحسن السيرة وتحقيق المناظرة. له يد قوية في الأصول والفقه والخلاف. له: «تتمة الإبانة»، و«الغنية في أصول الدين». **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ٣/ ١٣٣، ١٣٤. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٣٢٣.

٢)**الغُنية في أصول الدين**، المتولي، ص٧٣، ٧٥.

استدلال الشيخ أبي حامد الغزالي
رحمه الله (ت ٥٠٥هـ)

قال الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد[١]: «صانع العالم ليس بجسم، لأن كل جسم فهو متألف من جوهرين متحيزين، وإذا استحال أن يكون جوهرًا استحال أن يكون جسمًا، ونحن لا نعني بالجسم إلا هذا» اهـ.

---

١) **الاقتصاد في الاعتقاد**، أبو حامد الغزالي، ص١٢.

الفصل الثاني

أقوال بعض أئمة الخلف في تنـزيه الله عن الجسمية

بينّا أنّ السلف هم أهل القرون الثلاثة الأولى قرن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، هؤلاءِ يسمَّون السلف ومن جاءوا بعد ذلك يسمَّون الخلف، ومن العلماء من حدّ عصر السلف بالمائتين والعشرين سنةً من مبعث الرسول ﷺ. فالسلف الغالب عليهم أن يؤوّلوا الآيات المتشابهة تأويلًا إجماليًّا بلا تعيين، يؤمنون بها ويعتقدون أن لها معانيَ تليق بجلال الله وعظمته لا تشبه صفات المخلوقين كتفسيرهم آية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ (طه)، و﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ١٠﴾ (فاطر) وحديث النزول بقولهم: بلا كيفٍ أو على ما يليق بالله أي من غير أن يكون بهيئة ومن غير أن يكون جلوسًا واستقرارًا وجارحةً وطولًا وعرضًا وعمقًا ومساحة وحركة وسكونًا وانفعالًا ونحو ذلك مما هو صفة حادثة. هذا مسلك السلف ردّوها من حيث الاعتقاد إلى الآيات المحكمة كقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، وتركوا تعيين معنى معيَّن لها مع نفي تشبيه الله بخلقه. وأمَّا الخلفُ فمسلكهم أنهم يُؤوّلونها تفصيلًا بتعيين معان لها مما تقتضيه لغة العرب ولا يحملونها على ظواهرها كالسلف. فالسلف والخلف متّفقان على عدم الحمل على الظاهر لكن هؤلاء بقولهم: بلا كيف، وأولئك بقولهم: استوى أي قهر، ومن قال: استولى فالمعنى واحد أي قهر[1]، وكِلا الفريقين لا يحمل الاستواء ونحوه على الظاهر، لكن هؤلاء عيّنوا معنى وأولئك لم يعيّنوا إنما قالوا بلا كيف أي استواء لا يشبه استواء المخلوقين، ولا بأس بسلوك مسلك الخلف ولا سيّما عند الخوف من تزلزل العقيدة حفظًا من

---

١) كما في **غريب القرآن وتفسيره** لابن المبارك، ص١١٣، و**تأويلات أهل السّنة** للماتريدي، ١/ ٨٥، و**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** للفيروزأبادي، ٢/ ١٠٦، وغيرهم كثير.

التشبيه.

وهاكم أقوالَ بعض علماء الخلف:

قول الحافظ الإمام ابن حبان البستيّ رحمه الله (ت ٣٥٤هـ)

قال الحافظ ابن حبان[١]: «الحمد لله الذي **ليس له حدٌّ محدود فيحتوى،** ولا له أجل معدود فيفنى، ولا يحيط به جوامع المكان، ولا يشتمل عليه تواتر الزمان» اهـ.

قول الحافظ الإسماعيليّ[٢] (ت ٣٧١هـ)

قال الحافظ الإسماعيليّ[٣]: «**ولا يعتقد فيه ـ أي في الله ـ الأعضاء والجوارح ولا الطول والعرض والغِلظ والدقّة ونحو هذا مما يكون مثله في الخلق،** وأنه ليس كمثله شىء تبارك وجه ربنا ذو الجلال والإكرام» اهـ.

وقال رحمه الله أيضًا[٤]: «ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عزَّ وجلَّ في القيامة دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثوابًا له في الآخرة كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ (القيامة)، وقال في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ (المطففين)، فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه كانوا جميعًا عنه محجوبين، **وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله سبحانه ولا التحديد له، ولكن يرونه جلَّ**

---

١)**الثقات**، ابن حبان، ١/ ١.

٢)أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجانيّ الإسماعيليّ الشافعيّ، أبو بكر ت ٣٧١هـ، حافظ، صاحب الصحيح، من أهل جرجان عرف بالمروءة والسخاء، جمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا. له مؤلفات منها: «المعجم»، و«الصحيح»، و«مسند عمر». **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٦/ ٢٩٥. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٨٦.

٣)**اعتقاد أهل الحديث**، الإسماعيليّ، ص ٥١.

٤)**اعتقاد أهل الحديث**، الإسماعيليّ، ص ٦٣.

وعزَّ بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف» اهـ.

وروى الفرّاء[١] عنه أنه قال[٢]: «اعلموا رحمكم الله أن مذاهب أهل الحديث الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به كتاب الله وما صحّت به الرواية عن رسول الله ﷺ، لا معدل عن ذلك. ويعتقدون بأن الله مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي وصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه، خلق آدم بيديه، ويداه مبسوطتان بلا اعتقاد كيف، واستوى على العرش بلا كيف، وذكر سائر الاعتقاد» اهـ.

قول الإمام الجَصَّاص رحمه الله[٣] (ت ٣٧٠هـ)

قال الإمام الجصّاص[٤]: «ففي إنشاء الله تعالى السحابَ في الجو وخلق الماء فيه وتصريفه من موضع إلى موضع أدلُّ دليل على توحيده وقدرته **وأنه ليس بجسم ولا مشبهٍ الأجسام**، إذ الأجسام لا يمكنها فعل ذلك ولا ترومه[٥] ولا تطمع فيه» اهـ.

وقال أيضًا[٦]: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ (آل عمران) **قد دلّت هذه الآيات**

---

١) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، ت ٢٠٧هـ، مولى بني أسد أبو زكريا المعروف بالفراء إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة، من كتبه: «المقصور والممدود». **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ١٤٥.

٢) **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٦/ ٢٩٥.

٣) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصَّاص، ت ٣٧٠هـ، أصوليّ فقيه من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألَّف كتاب «أحكام القرآن» وكتابًا في أصول الفقه. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ١٧١.

٤) **أحكام القرآن**، الجصاص، ١/ ١٢٨.

٥) «رام الشيء يرومه رومًا ومرامًا طلبه» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ر و م، ١٢/ ٢٥٨.

٦) **أحكام القرآن**، الجصَّاص، ٢/ ٣٣٥.

المذكورة في الآية القرآنية الكريمة على أن خالق الأجسام لا يشبهها لأن الفاعل لا يشبه فعله، وفيها الدلالة على أن خالقها قادر لا يعجزه شيء، إذ كان خالقها وخالق الأعراض المُضَمَّنة بها وهو قادر على أضدادها» اهـ.

ثم قال: «ويدلّ على أن فاعلها قديم لم يزل، لأن صحة وجودها متعلقة بصانع قديم ولولا ذلك لاحتاج الفاعل إلى فاعل آخر إلى ما لا نهاية له، ويدلّ على أن صانعها عالم من حيث استحال وجود الفعل المتقن المحكم إلا من عالم به قبل أن يفعله، ويدلّ على أنه حكيم عدل لأنه مستغنٍ عن فعل القبيح عالمٌ بقبحه، فلا تكون أفعاله إلا عدلًا وصوابًا. ويدلّ على أنه لا يشبهها لأنه لو أشبهها لم يخلُ من أن يشبهها من جميع الوجوه أو من بعضها، فإن أشبهها من جميع الوجوه فهو محدَث مثلها، وإن أشبهها من بعض الوجوه فواجب أن يكون محدَثًا من ذلك الوجه لأن حكم المشبهَيْنِ واحد من حيث اشتبها، فوجب أن يتساويا في حكم الحدوث من ذلك الوجه.

ويدلّ وقوف السموات والأرض من غير عَمَد أن ممسكها[1] **لا يشبهها لاستحالة وقوفها من غير عمد من جسم مثلها**، إلى غير ذلك من الدلائل المضمنة بها. ودلالة الليل والنهار على الله تعالى أن الليل والنهار محدَثان لوجود كل منهما بعد أن لم يكن موجودًا، ومعلوم أن الأجسام لا تقدر على إيجادها ولا على الزيادة والنقصان فيها، وقد اقتضيا محدِثًا من حيث كانا مُحْدَثَيْنِ لاستحالة وجود حادث لا محدِث له، فوجب أن محدِثهما **ليس بجسم ولا مشبه للأجسام** لوجهين:

- أحدهما: أن الأجسام لا تقدر على إحداث مثلها.
- والثاني: المشبه للجسم يجرى عليه ما يجرى عليه من حكم الحدوث، فلو كان فاعلها حادثًا لاحتاج إلى محدِث، ثم كذلك يحتاج الثاني إلى الثالث إلى ما لا نهاية وذلك محال، **فلا بدّ من إثبات صانع قديم لا يشبه**

---

١)أي بقدرته لا بالجوارح .

الأجسام، والله أعلم» اهـ.

قول الشيخ أبي بكر الكلَّاباذيّ[1] (ت ٣٨٠هـ) وحكايته ذلك عن صوفية أهل السُّنَّة

قال الشيخ أبو بكر الكلَّاباذيّ في التعرّف لمذهب أهل التصوّف[2]: «الباب الخامس: شرح قولهم في التوحيد: اجتمعت الصوفية على أن الله واحد أحد، فرد صمد قديم عالم قادر حيٌّ سميع بصير عزيز عظيم جليل كبير جَوَادٌ رؤوف متكبّر جبار باقٍ أول، إله سيّد[3] مالك ربٌّ رحمن رحيم مريد حكيم متكلّم خالق رزاق موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته، مسمًّى بكل ما سمّى به نفسه. لم يزل قديمًا بأسمائه وصفاته، غير مشبه للخلق بوجه من الوجوه، لا يشبه ذاته الذوات، ولا صفته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدالّة على حدثهم، لم يزل سابقًا متقدّمًا للمحدَثات، موجودًا قبل كلّ شيء، لا قديم غيرُهُ[4] ولا إله سواه، **ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا عَرَض لا اجتماع له ولا افتراق لا يتحرّك ولا يسكن ولا ينقص ولا يزيد ليس بذي أبعاض ولا أجزاء ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذي جهات ولا أماكن**

---

١) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلَّاباذي البخاري، أبو بكر، ت٣٨٠هـ من حفاظ الحديث، من أهل بخارى. له: «بحر الفوائد» ويعرف بمعاني الأخبار، جمع فيه ٥٩٢ حديثًا، و« التعرف لمذهب أهل التصوف». **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٢٩٥.

٢) **التعرُّف لمذهب أهل التصوّف**، الكلَّاباذيّ، ص٣٣، ٣٤.

٣) «قال ابن الأَنباريّ: إن قال قائل: كيف سمى الله عزَّ وجلَّ يحيى سيّدًا وحَصُورًا، والسيّد هو الله إذ كان مالك الخلق أجمعين ولا مالك لهم سواه؟ قيل له: لم يُرِد بالسيّد ههنا المالك، وإِنما أراد الرئيسَ والإِمامَ في الخير، كما تقول العرب: فلان سيدنا أَي رئيسنا والذي نعظمه» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة س و د، ٣/ ٢٢٤.

٤) القديم في حق الله معناه الذي لا بداية لوجوده، فلا قديم غيره أي بهذا المعنى.

لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السّنات[1] ولا تداوله الأوقات ولا تعينه الإشارات، لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان، لا تجوز عليه المماسّة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن، لا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الأبصار، وأجمعوا على أنه لا تدركه العيون ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغيّر صفاته ولا تتبدّل أسماؤه لم يزل كذلك ولا يزال كذلك هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

الباب السادس: شرح قولهم في الصفات:

أجمعوا على أن لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف من العلم والقدرة والقوة والعزّ والحلم والحكمة والكبرياء[2] والجبروت[3] والقِدَم والحياة، والإرادة والمشيئة والكلام، **وأنها** ـ أي صفات الله ـ **ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر، كما أن ذاته ليس بجسم ولا عَرَض ولا جوهر**» اهـ.

تنبيه: ليعلم أن رؤية الله تعالى بالعين في الدنيا لم تقع لأحد من خلقه، وأما في الآخرة فواقعة باتفاق أهل الحق ولا يحيل العقل ذلك. فكما صح علم المؤمنين بوجوده تعالى بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة جاز رؤيتهم له سبحانه بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة. قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر[4]: «والله تعالى يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة» اهـ. وقال أيضًا: «ولقاء الله لأهل الجنة بلا جهة ولا تشبيه ولا كيفٍ حقّ» اهـ.

---

١)«الوَسَن والسِنَة: النعاس» اهـ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة و س ن، ١/ ٧٤٠.

٢)«الكِبْرُ والكبرياء: العَظَمَة» اهـ. **مختار الصحاح**، الرازيّ، مادة ك ب ر، ص٥٨٦.

٣)«في الحديث: «**سبحان ذي الجَبَرُوت والمَلَكُوت**» هو فَعَلُوتٌ من الجَبْر والقَهْرِ» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ج ب ر، ٤/ ١١٣.

٤)**شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ١٣٦، ١٣٧.

وقال الإمام أبو منصور الماتريديّ في كتاب التوحيد[1]: «إن رؤية الله في الآخرة واجبة سمعًا بلا كيف، فإن قيل: كيف يُرى؟ قيل: **بلا كيف إذ الكيفية تكون لذي صورة. بل يُرى** ـ أي الله تعالى ـ **بلا وصفِ قيام وقعودٍ واتكاءٍ وتعلقٍ واتصالٍ وانفصالٍ ومقابلةٍ ومدابرةٍ وقصيرة وطويلة ونورٍ وظلمة وساكنٍ متحركٍ ومماسٍ**»، ثم قال: «ولا معنى يأخذه الوهم أو يقدره العقل لتعاليه عن ذلك» انتهى كلام الماتريديّ رحمه الله.

والمؤمنون يرون الله في الآخرة ولا يرونه في الدنيا، أما الكفار فمحرومون من رؤية الله لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ (المطففين). قال أهل الحقّ: علّة صحة الرؤية عقلًا الوجود، والله تعالى يُرى بلا مسافة لأنه ليس من لازم الرؤية المسافة، وقالت المعتزلة: لا يُرى الشيء إلا مع مسافة ولا يُرى إلا في جهة، والمرئيّ لا بد أن يكون في جهة، وقالوا إن ما يرى جسم، وأجاب أهل الحق بأن الجسمية ليست شرطًا للرؤية وإنما شرط الرؤية الوجود، ودليلنا الأعراض فإننا نرى العَرَض وليس جسمًا، والمشترك بين العرض والجسم هو الوجود كما ذكر الزَّبيدي[2]: «والبارئ موجود فصحَّ أن يُرى» اهـ. أما ما ذكره المعتزلة من شروط فهي شروط عادية، ولو شاء الله لرأينا البعيد جدًّا كما حصل مع سيدنا عمر رضي الله عنه[3]، ثم النبي ﷺ كان يرى في الصلاة من خلفه[4]، فالمقابلة ليست شرطًا للرؤية، فاعتقاد المعتزلة أن الله موجود بلا مكان حقّ، لكن اعتقادهم أنه تعالى لا يُرى باطل، وسبب هذه المقالة أنهم قاسوا الخالق بالمخلوق كما فعلت المشبهة الذين قالوا: الموجود لا بد أن يكون في مكان، إذًا الله في مكان والعياذ بالله، ولا بد أن يكون في جهة والله في جهة،

---

١)**التوحيد**، الماتريديّ، ص٨٥.

٢)**إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، الزَّبيدي، ٢/ ١١٩.

٣)**الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتمي، ص٣٠١.

٤)**دلائل النبوة**، البيهقي، ٦/ ٧٤.

ثم قالوا: المعهود المألوف في عقولنا أن يكون الشيء له حدّ، فالله له حدّ، وقد ضلّ الفريقان.

قول القاضي أبي علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي[1] (ت ٣٨٤هـ)

قال القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي[2]: «حضرت مجلس أبي محمد المهلبي[3] وكانت العامة ببغداد قد هاجت في أيام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين[4] وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة، وحملهم إلى بيروذ (من نواحي أهواز) وحبسهم هناك.

فاستهانوا بالقصة وكثف أمرهم وكثر كلام القصاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف من تجديد الفتنة، فقبض على خلق منهم، وحبسهم وأحضر أبا السائب[5] قاضي القضاة إذ ذاك وجماعة من القضاة والشهود

---

١) القاضي التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي. قاض من العلماء الأدباء الشعراء، ولد ونشأ في البصرة، وولي القضاء في جزيرة ابن عمر وعسكر مكرم، وتقلَّد أعمالًا، وسكن بغداد، فتوفي فيها. من كتبه: «الفرج بعد الشدة»، و«جامع التواريخ» المسمى «نشوار المحاضرة»، وديوان شعر. ولد ٣٢٧هـ وتوفي ٣٨٤هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٢٨٨.

٢) **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، القاضي التنوخي، ٢/ ١٥٣، ١٥٤.

٣) الوزير المهلبي، الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو محمد. من كبار الوزراء الأدباء الشعراء، اتصل بمعز الدولة ابن بويه فكان كاتبًا في ديوانه ثم استوزره وكان من رجال العلم حزمًا ودهاءً وكرمًا وشهامة، وله شعر رقيق مع فصاحة بالفارسية وعلم برسوم الوزارة. ولد بالبصرة، وتوفي في طريق واسط، وحمل إلى بغداد. ولد ٢٩١هـ، وتوفي ٣٥٢هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٢١٣.

٤) «عارَ الرجلُ في القوم يضربهم بالسيف، وعارَ الرجلُ يَعِير عَيَرانًا وهو تردّدُهُ في ذهابه ومجيئه» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ع و ر، ٤/ ٦٢٠.

٥) أبو السائب الهمذاني، عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمذاني، أبو السائب. قاض من أهل همذان، غلب عليه في ابتداء أمره علم التصوف والميل إلى أهل الزهد، وقصد بغداد فتفقَّه على مذهب الشافعي وسافر إلى المراغة فتقلد الحكم بها=

والفقهاء، وكنت فيهم لمناظرتهم وأصحاب الشرط لنأمن مضرتهم إذا قامت الحجج عليهم.

فاتفق أن بُدِئَ برجل من رؤساء الصوفية، يعرف بأبي إسحاق بن ثابت[1]، ينزل بباب الشام أحد الربانيين عند أصحابه فقال له[2]: بلغني أنك تقول في دعائك: «يا واحدي بالتحقيق يا جاري اللصيق»، فمن لا يعلم بأن الله لا يجوز أن يوصف بأنه لصيق على الحقيقة فهو كافر، لأن الملاصقة من صفات الأجسام، **ومن جعل الله جسمًا كفر**، فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس؟» اهـ. يريد الإنكار عليه.

قول الإمام الحافظ الخطّابيّ (ت ٣٨٨هـ)

قال الحافظ ابن حجر[3]: «قال الخطّابي في حديث رسول الله ﷺ[4]: «**ولا يصعدُ إلى الله إلا الطَّيِّبُ فإنَّ الله يتقبَّلُها بيمينِهِ**» ما نصه: «ذكر اليمين في هذا الحديث معناه حسن القبول، فإن العادة قد جرت من ذوي الأدب بأن تُصان اليمين عن مسّ الأشياء الدنيئة، وإنما تباشر بها الأشياء التي لها قدر ومزيّة، وليس في ما يضاف إلى الله تعالى من صفة اليدين شمال لأن الشمال لمحلّ النقص في الضعف، وقد روي: «**كِلْتَا يديهِ يمينٌ**»[5]، **وليس اليد عندنا الجارحة إنما هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما**

=وبأذربيجان ونشبت فتنة فعاد إلى بغداد. وعرف فضله فتقلد أعمالًا جليلة بالكوفة وديار مضر والأهواز. ثم كان قاضي القضاة ببغداد سنة ٣٣٨هـ. ولد ٢٦٤هـ، وتوفي ٣٥٠هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٢٠١.

١)وهو من أدعياء التصوف.

٢)أي قال أبو محمد المهلبي لأبي إسحاق بن ثابت.

٣)**فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٤١٧.

٤)**صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التوحيد، باب من انتظر حتى تدفن (الجنازة) ٩/ ١٥٤.

٥)**صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، ٦/ ٧.

جاءت ولا نكيّفها، وهذا مذهب أهل السّنة والجماعة» اهـ.

قال البيهقيّ[١]: «وقال أبو سليمان الخطابيّ رحمه الله: ليس في ما يضاف إلى الله من صفة اليدين شمال لأنّ الشمال محل النقص والضعف وقد روي «**وكِلْتَا يديهِ يمينٌ**» اهـ.

وقال ابن حجر أيضًا[٢]: «قوله باب قول النبي ﷺ: «**لا شخصَ أغيرُ منَ الله**» كذا لهم، ووقع عند ابن بطال[٣] بلفظ «أحد» بدل «شخص» وكأنه من تغييره ـ أي الراوي ـ. وأما الخطّابيّ فبنى على هذا أن هذا التركيب يقتضي إثبات هذا الوصف لله تعالى، فبالغ في الإنكار وتخطئة الراوي فقال: **إطلاق الشخص في صفات الله تعالى غير جائز لأن الشخص لا يكون إلا جسمًا مؤلَّفًا، فخليقٌ**[٤] **ألّا تكون هذه اللفظة صحيحة** وأن تكون تصحيفًا من الراوي. ودليل ذلك أن أبا عَوانة[٥] روى هذا الخبر عن عبد الملك[٦] فلم يذكرها، ووقع في حديث أبي هريرة وأسماء بنت أبي

---

١)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٣٣٢.

٢)**فتح الباري**، ابن حجر، كتاب التوحيد، ١٣/ ٣٩٩.

٣)علي بن خلف بن عبد الملك بن بطَّال، أبو الحسن، ت ٤٤٩هـ، عالم بالحديث من أهل قرطبة. شرح البخاري. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٢٨٥.

٤)«فلان خَلِيق لكذا أي جدير به، وأَنت خَليق بذلك أَي جدير» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة خ ل ق، ١٠/ ٨٥.

٥)أبو عوانة الوضاح بن خالد اليشكريّ البصريّ، ت ١٧٦هـ، من حفاظ الحديث الثقات، كان مع سعة علمه شبه أُمّيّ يقرأ ويستعين بمن يكتب له. **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ١١٦.

٦)عبد الملك بن عمير، ويقال أبو عمر الكوفيّ الحافظ، ت ١٣٦هـ، ويعرف بالقبطيّ رأى عليًّا وأبا موسى الأشعريّ رضي الله عنهما. وحدّث عن جندب البجليّ، وجابر ابن سمرة، وموسى بن طلحة، وأبي بردة بن أبي موسى وخلق من الصحابة وكبار التابعين، وعمّر دهرًا طويلًا وصار مسند أهل الكوفة. واختُلِفَ فيه فقال النسائيّ وغيره: «ليس به بأس» اهـ. وقال أبو حاتم: «صالح الحديث، ليس بحافظ، تغيّر حفظه قبل موته» اهـ. وروى إسحاق الكوسج عن يحيى بن معين قال: «مخلط» اهـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ٥/ ٤٣٨، ٤٤١.

بكر بلفظ: «**شيء**»، والشيء والشخص في الوزن سواء، فمن لم يمعن في الاستماع لم يأمن الوهم، وليس كل من الرواة يراعي لفظ الحديث حتى لا يتعدّاه، بل كثير منهم يُحدّث بالمعنى، وليس كلهم فَهِمًا بل في كلام بعضهم جفاء وتعجرف، فلعلّ لفظ «شخص» جرى على هذا السبيل إن لم يكن غلطًا من قبيل التصحيف[1] يعني السمعيّ. قال: ثم إن عبيد الله بن عمرو انفرد عن عبد الملك فلم يتابع عليه، واعتوره الفساد من هذه الأوجه. وقد تلقّى هذه عن الخطّابيّ أبو بكر بن فورك[2] فقال: «لفظ الشخص غير ثابت من طريق السند، فإن صحَّ فبيانه في الحديث الآخر وهو قوله: «**لا أحد**» فاستعمل الراوي لفظ «شخص» موضع «أحد» ثم ذكر نحو ما تقدّم عن ابن بطَّال، ومنه أخذ ابن بطَّال.

ثم قال ابن فورك: «**وإنما مَنَعَنَا من إطلاق لفظ الشخص أمورٌ، أحدها أن اللفظ لم يثبت من طريق السمع. والثاني الإجماع على المنع منه. والثالث أن معناه الجسم المؤلّف المركّب**» اهـ.

---

١) «التَّصْحِيفُ: الخَطَأُ في الصَّحيفَة بأَشْباهِ الحُرُوفِ، مُوَلَّدَةٌ، وقد تَصَحَّفَ عَلَيْه لَفْظُ كذا» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ص ح ف، ٢٤/ ٦.

٢) محمد بن الحسن بن فورك الأنصاريّ الأصبهانيّ أبو بكر، ت ٤٠٦هـ، واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية. سمع بالبصرة وبغداد، وحدَّث بنيسابور، له كتب كثيرة، قال ابن عساكر: «بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريبًا من المائة» اهـ. ومنها: «حلّ الآيات المتشابهات»، و«مشكل الحديث وغريبه»، و«غريب القرآن»، و«رسالة في التوحيد». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٨٣.

قول الفقيه ابن أبي زمنيْن محمد بن عبد الله الإلبيريّ[١] (ت ٣٩٩هـ)

قال الفقيه ابن أبي زمنيْنِ[٢]: «ومن قول أهل السنّة: إن الله عزَّ وجلَّ ينزل إلى السماء الدنيا، **ويؤمنون بذلك من غير أن يَحُدُّوا فيه حَدًّا.**

وأخبرني وهبٌ عم ابن وضّاح عن زهير بن عُبادة قال: كلُّ مَن أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل بن عياض[٣] وعيسى[٤] وابن المبارك[٥] ووكيع[٦] كانوا يقولون: النـزول حقّ.

---

١) محمد بن عبد الله بن عيسى المريّ، أبو عبد الله، المعروف بابن أبي زمنين، ت ٣٩٩هـ، فقيه مالكيّ، من الوعّاظ الأدباء. من أهل إلبيرة، سكن قرطبة، ثم عاد إلى إلبيرة فتوفي بها. له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ، منها: «أصول السُّنَّة»، و«منتخب الأحكام»، و«تفسير القرآن». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٢٧.

٢) **رياض الجنة بتخريج أصول السّنة**، ابن أبي زمنين، ص ١٣.

٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التميميّ اليربوعيّ، أبو عليّ، ت ١٨٧هـ، شيخ الحرم المكّيّ، من أكابر العباد المصلحين، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعيّ. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ١٥٣.

٤) عيسى بن يونس بن عمرو السبيعيّ الهمدانيّ ١٨٧هـ، أبو عمرو، محدّث ثقة، من بيت علم وحديث. غزا خمسًا وأربعين غزوة، وحجّ خمسًا وأربعين حجة، ولد بالكوفة، وسكن الحَدَث بقرب بيروت مرابطًا، وقصد بغداد في شيء من أمر الحصون، فأمر له بمال، فأبى أن يقبل. وعاد إلى سورية، ومات بالحدث. **تذكرة الحفاظ**، الذهبيّ، ١/ ٢٥٧. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ١١١.

٥) عبد الله بن المبارك بن واضح التميميّ المروزيّ، أبو عبد الرحمن، ت ١٨١هـ، الحافظ شيخ الإسلام المجاهد، صاحب التصانيف والرحلات، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، من كتبه: «الجهاد» وهو أول من صنَّف فيه، و«الرقائق». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١١٥.

٦) وكيع بن الجرّاح بن مليح، أبو سفيان، ت ١٩٧هـ، حافظ للحديث ثبت، كان محدّث العراق في عصره وكان يصوم الدهر، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما رأيت أحدًا أوعى ولا أحفظ منه، وكيع إمام المسلمين» اهـ. من كتبه: «تفسير القرآن»، و«السنن»، و«المعرفة والتاريخ». **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ١١٧.

قال ابن وضّاح: وسألت يوسفَ بن عَدِيّ[1] عن النزول، فقال: **نعم، أُقِرُّ به ولا أَحُدُّ حدًّا، وسألت عنه ابن مَعِين[2]، فقال: نعم، أُقِرُّ به ولا أَحُدُّ فيه حدًّا**» اهـ. يريدون تنزيه الله عن الحد.

قول الإمام أبي بكر الباقلاني[3] رحمه الله (ت ٤٠٣هـ)

قال الباقلاني[4]: «وإذا صحَّ حدوث العالم فلا بد له من محدِث أحدثه ومصوّر صوَّرَهُ، والدليل على ذلك أن الكتابة لا بد لها من كاتب كتبها، والصورة لا بد لها من مصوّر صوَّرها، والبناء لا بد له من بان بناه، فإنَّا لا نشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لا من كاتب، وصناعة لا من صانع، وحياكة لا من ناسج. وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم

---

١) يوسف بن عديّ بن زَرِيْق بن إسماعيل الكوفيّ، ت ٢٣٢هـ، الإمام الثقة الحافظ أبو يعقوب التيميّ أخو الحافظ المجود زكريا بن عدي. سكن مصر، وحدّث بها، وسكن أخوه بغداد، وهما من الكوفة. روى عن: شريك، وأبي الأحوص، وعمرو ابن أبي المقدام، ومالك بن أنس. قال أبو زرعة عنه: «ثقة» اهـ. ذهب إلى مصر في التجارة ومات بها. وقال ابن حبان: «في الثقات» اهـ. **العبر في خبر من عبر**، الذهبيّ ١/ ٣٢٤. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٩/ ٤٧٩.

٢) يحيى بن مَعِين البغداديّ، أبو زكريا، ت ٢٣٣هـ، من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله. وقال ابن حنبل: «أعلمنا بالرجال» اهـ. سيد الحفّاظ، وقال العسقلانيّ: «إمام الجرح والتعديل» اهـ. كان والده مَعِين على خراج الري فمات= = فخلف ليحيى ابنه ألف ألف درهم، فأنفقه كله على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه. ومن كلامه: «كتبت بيدي ألف ألف حديث» اهـ. له: «التاريخ والعلل في الرجال». **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ٢١/ ٨٠، ١٠٧. **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ١٧٢، ١٧٣.

٣) أبو بكر الباقلانيّ، محمّد بن الطيّب بن محمّد بن جعفر بن قاسم البصريّ ثم البغداديّ، ابنُ الباقلانيّ، الإمام العلامة مقدّم الأصوليين القاضي صاحب التصانيف، ضُرب المثل بفهمه وذكائه، كان ثقة إمامًا بارعًا، صنّف في الردّ على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرّاميّة، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعريّ، ذكره القاضي عياض في «طبقات المالكيّة»، مات في ذي القعدة سنة ٤٠٣هـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ١١/ ٩٦، ٩٨.

٤) **الإنصاف**، الباقلاني، ص٤٤.

وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها ومحدِث أحدثها، إذ كانت ألطف وأعجب صنعًا من سائر ما يتعذر وجوده إلا من صانع.

دليل ثان: ويدل على ذلك أيضًا علمنا بتقدم الحوادث بعضها على بعض، وتأخر بعضها عن بعض مع علمنا بتجانسها وتشاكلها، فلا يجوز أن يكون المتقدم منها متقدمًا لنفسه لأنه لو تقدم لنفسه لوجب تقديم كل ما هو من جنسه معه، وكذلك المتأخر منها لو تأخر لنفسه وجنسه لم يكن المتقدم منها بالتقدم أولى منه بالتأخر، وفي علمنا بأن المتقدم من المتماثلات بالتقدم أَوْلى منه بالتأخر دليل على أنَّ له مقدّمًا قدَّمَهُ وعاجلًا عجَّله في الوجود، مقصورًا على مشيئته.

ويدل على صحة ذلك أيضًا علمنا بأن الصور الموجودة منها ما هو مربع، ومنها ما هو مدوَّر ومنها شخص أطول من شخص، وآخر أعرض من آخر مع تجانسها، ولا يجوز أن يكون المربع منها ربَّع نفْسَه، ولا المطول منها طوّل نفسه ولا القبيح منها قبّح نفسه ولا الحسن منها حسّن نفسه، فلم يبق إلا أن لها مصوّرًا صوَّرها، طويلة وقصيرة وقبيحة وحسنة، على حسب إرادته ومشيئته» اهـ.

ثم قال: «ويدل على صحة ذلك أيضًا: أنّا وجدنا أنفَسَ الموجودات في العالَم، الحي القادر العاقل المحصل وهو الآدمي، ثم أكمل ما تكون تعلم وتحقق أنه كان في ابتداء أمره نطفة ميتة لا حياة فيها ولا قدرة ثم نقل إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم من حال إلى حال ثم بعد خروجه حيًّا من الأحشاء إلى الدنيا. تعلم وتحقق أنه كان في تلك الحالة جاهلًا بنفسه وتكييفه، وتركيبه، ثم بعد كمال عقله وتصوره وحذقه[1] وفهمه لا يقدر في حال كماله أن يحدث في بدنه شعرة ولا شيئًا ولا عرقًا فكيف يكون محدِثًا لنفسه ومنقلًا لها في حال نقصه من صورة إلى صورة ومن حالة إلى حالة، وإذا بطل ذلك منه في حال كماله، كان أَوْلى أن يبطل ذلك منه في حال نقصه. ولم يبق إلا أنَّ

١) «الحِذْقُ والحَذاقةُ: المهارة في كل عمل» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ح ذ ق، ١٠/ ٤٠.

له محدِثًا أحدثه ومصوّرًا صوَّره ومنقلًا نقله وهو الله سبحانه وتعالى.

مسألة: وإذا ثبت أن للعالم صانعًا صنعه ومحدِثًا أحدثه فيجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يكون مشبهًا للعالم المصنوع المحدَث لأنه لو جاز ذلك لم يخل: إما أن يشبهه في الجنس أو في الصورة، ولا يجوز أن يكون مشبهًا له في الجنس لأنه لو أشبهه في الجنس لجاز أن يكون محدَثًا كالعالم المحدَث، أو يكون العالم قديمًا كهو لأن حقيقة المشتبهين المتجانسين ما سدَّ أحدهما مسدَّ الآخر وناب منابه، وجاز عليه ما يجوز عليه، ولا يجوز أن يكون يشبه العالم في الصورة لأن حقيقة الصورة هي الجسم المؤلَّف، والتأليف لا يكون إلا من شيئين فصاعدًا، ولأنه لو كان صورة لاحتاج إلى مصوّر صوَّرَهُ، لأن الصورة لا تكون إلا من مصور على ما قدَّمنا بيانه، وقد بيَّن ذلك تعالى بأحسن بيان فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴿١٧﴾ ﴾ (النحل). وقد سئل بعض أهل التحقيق عن التوحيد ما هو؟ فقال: هو أن تعلم أنه بايَنَهُم بقِدَمِهِ كما باينوه بحدوثهم» اهـ. أي أنَّ الله تعالى مباينٌ أي غير مشابه لجميع المخلوقات في الذات والصفات والأفعال فهو الأزلي وما سواه حادث.

وقال في كتابه تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل[1]: «فإن قال قائل: فَلِمَ أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لم تعقلوا يد صفة ووجه صفة لا جارحة؟

يقال له: لا يجب ذلك كما لا يجب إذا لم نعقل حيًّا عالما قادرًا إلا جسمًا أن نقضي نحن وأنتم على الله تعالى بذلك. وكما لا يجب متى كان قائمًا بذاته أن يكون جوهرًا أو جسمًا لأنَّا وإياكم لم نجد قائمًا بنفسه في شاهدنا إلا كذلك» اهـ.

---

١) **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، الباقلاني، ص ٢٩٨.

قول الإمام الحليميّ الحسين بن الحسن الشافعيّ (ت ٤٠٣هـ)

قال الحافظ البيهقيّ[١]: «قال الشيخ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليميّ الشافعيّ ـ وهو أحد أساطين المذهب الشافعي ومن مشايخ الحافظ البيهقيّ ـ: وأما البراءة من التشبيه بإثبات أنه ـ تعالى ـ ليس بجوهر ولا عَرَض فلأنّ قومًا زاغوا عن الحق فوصفوا البارئ جلَّ ثناؤه ببعض صفات المحدَثين، فمنهم من قال: إنه جوهر ومنهم من قال إنه جسم، ومنهم من أجاز أن يكون على العرش كما يكون الملِك على سريره، وكان ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله كالتعطيل والتشريك[٢].

فإذا أثبت المثبتُ أنه ليس كمثله شيء، وجماع ذلك أنه ليس بجوهر ولا عَرَض فقد انتفى التشبيه لأنه لو كان جوهرًا أو عَرَضًا لجاز عليه ما يجوز على سائر الجواهر والأعراض، ولأنه إذا لم يكن جوهرًا ولا عرضًا لم يجز عليه ما يجوز على الجواهر من حيث إنها جواهر **كالتآلف والتجسّم وشغل الأمكنة والحركة والسكون**، ولا ما يجوز على الأعراض من حيث إنها أعراض كالحدوث وعدم البقاء» اهـ.

وقد سبق الحليمي والبيهقي في تكفير المجسمة إمام المذهب، وهو إجماع، قال الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه[٣]: «**مَن اعتقد أنّ الله جَالس على العرش كفر**» اهـ. وقد تقدّم.

---

١) **شعب الإيمان**، البيهقيّ، ١/ ١٨٤.

٢) وهذا لا شك تكفير صريح من الحليمي للمجسّم الذي ينسب الجسمية لله تعالى، وأقرّه البيهقي، فالتجسيم كفر كالتعطيل بإنكار وجود الله، وكفر كالشرك باعتقاد وجود إله مع الله أو عبادة غير الله.

٣) حكاه الإمام نجم الدين بن الرّفعة في كتابه **كفاية النبيه في شرح التنبيه** نقلًا عن القاضي حسين ٤/ ٢٤.

قول النيسابوري المفسر[1] (ت ٤٠٦هـ)

قال النيسابوري في تفسيره[2]: « المجسّم خالف في الذات لأنه يقول: إن الإله جسم، **والبرهان دلَّ على أن إله العالم ليس بجسم ولا جسماني**» اهـ.

قول أبي إسحاق الأسفراييني[3] (ت ٤١٨هـ)

قال الشيخ أبو إسحاق الأسفراييني[4]: «جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحق في كلمتين:

الأولى: الاعتقاد بأن كلَّ ما تصوّر في الأوهام فالله تعالى بخلافه.

والثانية: أنَّ ذاته سبحانه ليس كالذوات ولا معطّلًا عن الصفات» اهـ.

---

١) ابن حبيب، العلامة، أبو القاسم الحسن بن محمّد بن حبيب بن أيوب النيسابوريّ، المفسّر، الواعظ، صاحب كتاب «عقلاء المجانين». صنّف في التفسير والآداب، توفّي في ذي الحجة سنة ٤٠٦هـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ١١/ ١٢٢.

٢) **تفسير النيسابوري**، النيسابوري، ٤/ ١٣٢.

٣) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق، ت ٤١٨هـ. عالم بالفقه والأصول، كان يلقب بركن الدين، قال ابن تغري بردي: «وهو أول من لقب من الفقهاء» اهـ. نشأ في أسفرايين بين نيسابور وجرجان، ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرَّس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر وكان ثقة في رواية الحديث، وله مناظرات مع المعتزلة، له كتاب «الجامع» في أصول الدين وهو خمس مجلدات، ورسالة في أصول الفقه. مات في نيسابور، ودفن في أسفرايين. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٦١.

٤) **شرح إضاءة الدُّجنة في عقائد أهل السُّنة**، عبد الغني النابلسي، ص٤٨.

قول القاضي عبد الوهاب بن عليّ بن نصر البغداديّ المالكيّ(١) (ت ٤٢٢هـ)

قال القاضي عبد الوهاب بن عليّ بن نصر البغداديّ المالكيّ(٢): «ولا يجوز أن يثبت له ـ يعني الله تعالى ـ كيفية لأن الشرع لم يرد بذلك ولا أخبر النبيّ عليه السلام فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه، ولأن ذلك يرجع إلى التنقّل والتحوّل وإشغال الحيّز والافتقار إلى الأماكن، **وذلك يؤُول إلى التجسيم وإلى قِدم الأجسام وهذا كفر عند كافة أهل الإسلام**» اهـ. أي أنّ الإجماعَ انعقد في أنَّ من نسب إلى الله الجسمية فهو كافر.

قول الشيخ أبي عليّ بن أبي موسى(٣) الحنبليّ (ت ٤٢٨هـ)

قال ابن العماد(٤): «قال ابن أبي يعلى في طبقاته، كان أبو عليّ بن أبي موسى سامي الذكر له القدم العالي والحظّ الوافر عند الإمامين القادر بالله(٥)

---

١)عبد الوهاب بن عليّ بن نصر الثعلبيّ البغداديّ، ت٤٢٢هـ، أبو محمد، قاضٍ من فقهاء المالكية، له نظم ومعرفة بالأدب. ولد ببغداد وولي القضاء في أسعرد، وبادرايا في العراق، ورحل إلى الشام ثم توجَّه إلى مصر فعلت شهرته وتوفي فيها. له «التلقين في فقه المالكية»، و«عيون المسائل»، و«النصرة لمذهب مالك». **شذرات الذهب**، ابن العماد، ٣/ ٢٢٣. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١٨٤.

٢)**شرح عقيدة المعروف بمالك الصغير**، القاضي عبد الوهاب، ص ٢٨.

٣)محمد بن أحمد بن أبي موسى، أبو علي الهاشميّ الحنبليّ البغداديّ، ت ٤٢٨هـ، صاحب التصانيف، أخذ عن أبي الحسن التميميّ وغيره، وحدّث عن ابن المظفر. وكان رئيسًا بعيد الصيت. **شذرات الذهب**، ابن العماد، ٣/ ٢٣٨، ٢٤١.

٤)**شذرات الذهب**، ابن العماد، ٣/ ٢٣٨.

٥)أحمد بن إسحاق بن المقتدر، أبو العباس، الخليفة العباسيّ القادر بالله، ت ٤٥٠هـ، قال الخطيب: «كان القادر من الستر والديانة والسيادة وإدامة التهجّد بالليل وكثرة البر والصدقات وحسن الطريقة على صفة اشتهرت عنه وعرف بها كل أحد مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد، وقد صنّف كتابًا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز وإكفار المعتزلة القائلين بخلق القرآن – أي الذين قالوا عن=

والقائم بأمر الله[1]، صنّف الإرشاد في المذهب، وشرح كتاب الخرقي، وكانت حلقته بجامع المنصور يفتي ويُشْهد.

قرأت على المبارك بن عبد الجبار من أصله في حلقتنا بجامع المنصور، قلت له: حدّثك القاضي الشريف أبو عليّ قال: باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب الديانات:

حقيقة الإيمان عند أهل الأديان الاعتقادُ بالقلب والنطق باللسان أن الله عزَّ وجلَّ واحد أحد فرد صمد لا يُغَيّرُه الأبدُ، ليس له والد ولا وَلَد وأنه سميع بصير بديع قدير حكيم خبير عليٌّ كبير وليٌّ نصير قويٌّ مجير ليس له شبيه ولا نظير ولا عون ولا ظهير[2] ولا شريك ولا وزير ولا ندٌّ[3] ولا مشير[4].

سبق الأشياء فهو قديم لا كقِدَمها، وعلم كون وجودها في نهاية عدمها، لم تملكه الخواطر فتكيّفه ولم يعدمه زمان فينطلق عليه التأوين[5]، ولم يتقدّمه دهر ولا حين ولا كان قبله كون ولا تكوين، ولا تجري ماهيته في مقال ولا يدخل في الأمثال والأشكال، صفاته كذاته[6]، **ليس بجسم في صفاته**، جلَّ

=صفة الله: إنها مخلوقة –» اهـ. **تاريخ الخلفاء**، السيوطيّ، ص ٣٢٩.

١) عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن القادر بالله، أبو جعفر، الخليفة العباسيّ القائم بأمر الله، ت ٤٦٧ هـ، قال ابن الأثير: «كان جميلًا مليح الوجه أبيض مشربًا بحمرة حسن الجسم ورعًا ديّنًا زاهدًا عالـمًا، قويّ اليقين بالله تعالى، كثير الصدقة والصبر، له عناية بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة، مؤثرًا للعدل والإحسان وقضاء الحوائج، لا يرى المنع في شيء طُلِبَ منه» اهـ. **تاريخ الخلفاء**، السيوطيّ، ص ٣٣٤.

٢) «الظَّهِيرُ المُعِين» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ظ هـ ر، ٤/ ٥٢٠.

٣) «النِّدُّ بالكسر المثل والنظير» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ن ل ل، ٣/ ٤١٣.

٤) «أَشارَ يُشِيرُ إِذا مَا وَجَّه الرَّأْيَ» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ش و ر، ١٢/ ٢٥٧. ومعنى ولا مشير له: لا آمر ولا وزير له.

٥) من الأوان أي لا يجري عليه زمان سبحانه.

٦) أي صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن ذاته لا يشبه ذوات المخلوقين.

أن يشبَّه بمبتدعاته أو يضاف إلى مصنوعاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى). خلق الخلائق وأفعالهم وقدّر أرزاقهم وآجالهم، لا سَمِيَّ له في أرضه وسماواته، على العرش استوى[١]، وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالأشياء.

كذلك سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ٧﴾ (المجادلة)، فقال: علمه» اهـ. وهذا يدلُّ أن السلف الصالح كان منهم من يؤول تأويلًا تفصيليًّا بإعطاء الآية المتشابهة معنى مما تحتمله اللغة العربية ويوافق الشريعة الغرّاء، وسيأتي بيانه.

قول الإمام عبد القاهر التميميّ البغداديّ (ت ٤٢٩هـ)

قال الإمام عبد القاهر التميميّ البغداديّ[٢]: «لو كان الإله مقدَّرًا بحدّ ونهاية لم يخلُ من أن يكون مقداره مثل أقلّ المقادير فيكون كالجزء الذي لا يتجزّأ، أو يختصّ ببعض المقادير فتتعارض فيه المقادير فلا يكون بعضها أَوْلَى من بعض إلا بمخصّص خصَّه ببعضها، وإذا بَطَل هذان الوجهان **صحَّ أنه بلا حدّ ولا نهاية**» اهـ. أي لا حجم له.

وقال رحمه الله ما نصُّه[٣]: «وأجمعوا ـ أي أهل السنّة والجماعة ـ على أنه ـ أي الله ـ لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان» اهـ.

وقال أيضًا[٤]: « إنّ أهل السنة اتفقوا على نفي النهاية والحدّ عن صانع

---

١) أي قهر العرش وحفظه، أو يقال: استوى استواءً يعلمه هو مع تنـزيهه عن استواء المخلوقين كالجلوس والاستقرار.

٢) **أصول الدين**، البغدادي، ص ٧٣.

٣) **الفرق بين الفرق**، البغدادي، ص ٣٣٣.

٤) **الفرق بين الفرق**، البغدادي، ص ٣٣٢.

العالم خلافًا للهشامية والكرَّامية والمجسّمة» اهـ.

وقال أيضًا[1]: «كل من شبَّه ربَّه بصورة الإنسان من البيانية[2] والمغيرية والجواربية المنسوبة إلى داود الجواربي والهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي[3] فإنما يعبد إنسانًا مثله، ويكون حكمه في الذبيحة والنكاح كحكم عبدة الأوثان فيها» اهـ. ثم قال: «وأما جسمية ـ أي مجسمة ـ خراسان من الكرَّاميّة فتكفيرهم واجب لقولهم بأنَّ الله له حدّ ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه، ولقولهم بأنَّ الله تعالى محل للحوادث» اهـ.

وقال أيضًا عند الكلام عن المجسّم[4]: «لا تجوز الصلاة عليه ولا الصلاة خلفه، ولا تحلّ المرأة منهم ـ يعني المجسّمة ـ للسنّي، ولا يصحّ نكاح السنيّة منهم» اهـ.

قول الإمام ابن بطّال المالكيّ شارح البخاريّ (ت ٤٤٩هـ)

قال الإمام ابن بطّال[5]: «ومعنى قول عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسِع سَمْعُه الأصوات» أدرك سمعُه الأصوات لا أنه اتسع سمعه لها، لأن الموصوف بالسعة يصحّ وصفه بالضيق بدلًا منه، والوصفان جميعًا من صفات الأجسام» اهـ.

وقال ابن حجر العسقلانيّ[6]: «وقال ابن بطّال: تضمّنت ترجمة الباب ـ أي قول البخاريّ: كتاب التوحيد ـ **أن الله ليس بجسم لأن الجسم مركّب من أشياء مؤلّفة**، وذلك يردّ على الجهمية في زعمهم أنه **جسم**. كذا وجدت

---

١)**أصول الدين**، البغدادي، ص٣٣٧.

٢)سيأتي مبحث عن التعريف بكل هذه الفرق إن شاء الله.

٣)**الفرق بين الفرق**، البغداديّ ص٤٧.

٤)**الفرق بين الفرق**، البغدادي، ص٢٢٢.

٥)**شرح البخاريّ**، ابن بطال، ١/ ٤١٧.

٦)**فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٣٤٥.

فيه، ولعلّه أراد أن يقول: المشبهة، وأما الجهمية فلم يختلف أحد ممن صنّف في المقالات أنهم ينفون الصفات حتى نُسِبوا إلى التعطيل» اهـ.

وقال ابن حجر أيضًا[1]: «قال ابن بطّال: احتجّت المجسّمة بهذا الحديث فقالوا في قوله «وأشار بيده ـ أي النبي ﷺ ـ إلى عينه»: دلالة على أن عينه كسائر الأعين، **وتُعُقّبَ باستحالة الجسمية عليه لأن الجسم حادث وهو قديم**، فدلّ على أن المراد نفي النقص عنه» اهـ.

وقال أيضًا[2]: «وأما قول المجسّمة ففاسد أيضًا **لأن الاستقرار من صفات الأجسام، ويلزم منه الحلول والتناهي، وهو محال في حق الله تعالى، ولائق بالمخلوقات** لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴿٢٨﴾﴾ (المؤمنون)، وقوله: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴿١٣﴾﴾ (الزخرف)» اهـ.

فائدة: وفي شرح لمعاني الاستواء قال الإمام القاضي أبو بكر بن العربيّ محمد بن عبد الله[3] المُتوفّى سنة ٥٤٣ هجرية رحمه الله[4]: «والذي يجب أن يُعتقدَ في ذلك أنّ الله كان ولا شيء معه، ثمّ خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش[5]، فلم يتعيّن بها ولا حدث له جهة منها، ولا كان له مكان فيها، فإنّه لا يحول ولا يزول، قدّوس[6] لا يتغيّر ولا يستحيل، وللاستواء

---

١) **فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٣٩٠.

٢) **فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٤٠٦.

٣) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي، ت ٥٤٣هـ، قاض من حفاظ الحديث ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ، صنّف كتبًا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، من كتبه: «العواصم من القواصم»، و«عارضة الأحوذي». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٣٠.

٤) **عارضة الأحوذيّ بشرح صحيح الترمذيّ**، أبو بكر بن العربيّ المالكيّ، ٢/ ٢٣٦ .

٥) قال الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله في بعض دروسه: «هو شيء واسع كالغطاء تحت الأرض السابعة فوق جهنم» اهـ.

٦) «القدوس: المُنَزَّهُ عنِ العُيُوبِ والنَّقائصِ» اهـ. **تاج العروس**، الزبيدي، ١٦/ ٣٥٧.

في كلام العرب خمسة عشر معنى ما بين حقيقة ومجاز. منها ما يجوز على الله فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز على الله بحال، **وهو إذا كان الاستواء بمعنى التمكّن أو الاستقرار أو الاتصال أو المحاذاة، فإنّ شيئًا من ذلك لا يجوز على البارئ تعالى ولا يُضربُ له الأمثال به في المخلوقات**» اهـ.

وفي معاني الاستواء قال محمد مرتضى الزَّبيديّ وهو أحد كبار اللغويين وخاتمتهم[1]: «استوى: قد يُسند إليه فاعلان فصاعدًا، ويكون بمعنى اعتدل في ذاته ـ وهذا في حق غير الله تعالى ـ، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (النجم)، و﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴿٢٨﴾ ﴾ (المؤمنون)، و﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴿١٣﴾ ﴾ (الزخرف)، و﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح). وقولهم: استوى فلان على عمالته، واستوى يأمر.

ومن ذلك: استوى الرَّجل إذا بلغ أَشُدَّه، فعلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴿١٤﴾ ﴾ (القصص) يكون استوى عطف تفسير، أو بلغ أربعين سنة، وبه فسّرت الآية. وفي الصّحاح: استوى الرجل إذا انتهى شبابه. وفي التهذيب: المستوي من الرجال الذي بلغ الغاية من شبابه وتمام خلقه وعقله، وذلك بتمام ثمان وعشرين إلى تمام ثلاثين، ثم يدخل في حدّ الكهولة، ويحتمل كون بلوغ الأربعين غاية الاستواء وكمال العقل. ولا يقال في شيء من الأشياء استوى بنفسه حتى يُضمّ إلى غيره فيُقال استوى فلان وفلان، إلّا في معنى بلوغ الرجل النهاية فيُقال: استوى، ومثله اجتمع.

قال الرّاغب: ومتى ما عُدّي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء كقوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (طه) ومنه قول الأخطل[2] أنشده

---

١) **تاج العروس**، الزَّبيدي، ٣٨/ ٣٣٠، ٣٣٢.

٢) الأخطل غياث بن غوث، من بني تغلب أبو مالك، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على النصرانية، له ديوان شعر، ولد ١٩هـ، وتوفي ٩٠هـ، **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ١٢٣.

الجوهريّ: [الرجز]

قد استوى بِشْرٌ على العراقِ   منْ غيرِ سيفٍ ودمٍ مُهْراقِ

ثم قال الراغب: وقيل معناه استوى كلّ شىء في النسبة إليه، فلا شىء أقرب إليه من شىء **إذ كان عزّ وجلّ ليس كالأجسام الحالّة في مكان دون مكان**» اهـ.

ومن معاني الاستواء الجلوس والنضوج والتمام بعد النقصان، فلو قال شخص، استوت الفاكهة بمعنى جلست، واستوى القمر أي صار ناضجًا بعد أن كان نيئًا، تضحك الناس على عقله، فتشبيه المخلوق بالمخلوق على هذا النحو غير مقبول، فكيف بتشبيه الخالق بالمخلوق؟!.

قول الحافظ البيهقيّ رحمه الله (ت ٤٥٨هـ)

قال البيهقيّ[١]: «وفي الجملة يجب أن يُعْلَمَ أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان ولا مماسّة لشىء من خلقه، لكنه مستوٍ على عرشه كما أخبر بلا كيف، بلا أين، بائن من جميع خلقه[٢] **وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بِنُقْلة وأن نفسه ليس بجسم وأن وجهه ليس بصورة وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها ونفينا عنها التكييف**، فقد قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، وقال: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ (الإخلاص)، وقال: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ (مريم).

وقال رحمه الله أيضًا[٣]: «فصل في معرفة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة صفاته وأسمائه: حقيقة المعرفة أن تعرفه موجودًا قديمًا لم يزل ولا يفنى، أحدًا صمدًا،

---

١) **الاعتقاد والهداية**، البيهقيّ، ١/ ١١٧.

٢) أي لا يشبهُ الله أحدًا من خلقه.

٣) **شُعَب الإيمان**، البيهقيّ، ١/ ١١٢.

شيئًا واحدًا لا يُتَصوَّر في الوهم **ولا يتبعّض ولا يتجزَّأ، ليس بجوهر ولا عَرَض ولا جسم**، قائمًا بنفسه[1]، مستغنيًا عن غيره، حيًّا قادرًا عالِـمًا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلّمًا، له الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام، لم يزل ولا يزال هو بهذه الصفات ولا يشبه شيء منها شيئًا من صفات المصنوعات.

ولا يقال فيها إنها هو ولا غيرُه، ولا هي هو وغيرُه، ولا يقال إنها تفارقه أو تجاوزه أو تخالفه أو توافقه أو تحلّه، بل هي نعوت له أزلية، وصفات له أبدية تقوم به[2]، موجودة بوجوده دائمة بدوامه **ليست بأعراض ولا بأغيار ولا حالّة في أعضاء، غير مكيّفة بالتصوّر في الأذهان**، ولا مقدورة بالتمثيل في الأوهام، فقدرته تعمّ المقدورات، وعلمه يعمّ المعلومات، وإرادته تعمّ المرادات. لا يكون إلا ما يريد ولا يريد ما لا يكون وهو المتعالي عن الحدود والجهات والأقطار والغايات المستغني عن الأماكن والأزمان، لا تناله الحاجات، ولا تمسّه المنافع والمضرّات ولا تلحقه اللذّات ولا الدواعي ولا الشهوات، ولا يجوز عليه شيء مما جاز على المحدَثات فدلّ على حدوثها.

ومعناه أنه لا يجوز عليه الحركة ولا السكون والاجتماع والافتراق والمحاذاة والمقابلة والمماسّة والمجاورة ولا قيام شيء حادث به ولا بطلان صفة أزلية عنه، ولا يصحّ عليه العدم، ويستحيل أن يكون له ولد أو زوجة أو شريك، قادر على إماتة كلّ حيّ غيره، ويجوز منه إفناء كل شيء غيره»، ثم قال: «له الملك وله الحمد، كلّ ما أنعم به تفضّل منه، وكل ما أضرّ به عدل منه، لا يجوز عليه جَوْر[3]، ولا يصحّ منه ظلم» اهـ.

---

١)أي لا يحتاج إلى غيره.

٢)تقوم به: أي ثابتة له.

٣)«الجَوْرُ: نَقيضُ العَدْلِ وضِدُّ القَصْدِ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ج و ر، ص٤٧٠.

قول الحافظ الخطيب البغداديّ[1] رحمه الله (ت ٤٦٣هـ)

قال الحافظ الخطيب البغداديّ[2]: «أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن والصحاح مذهب السلف رضوان الله عليهم ـ هو ـ إثباتها **ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها** ـ أي الصفات ـ **قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحقّقها** ـ أي الكيفية والتشبيه ـ **قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتعطيل.**

والفصل إنما هو في سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه، والأصل في هذا الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حذوه ومثاله، **وإذا كان معلومًا أن إثبات ربّ العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.**

ولا نقول إنها جوارح ولا نشبّهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأنَّ التوقيف وَرَدَ بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى) و﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ (الإخلاص)» اهـ.

وقال الخطيب البغداديّ[3]: «ويتجنّب المحدّث في أماليّه روايةَ ما لا تحتمله عقول العوامّ لما لا يؤمَن عليهم فيه من دخول الخطأ والأوهام،

---

١)أحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ، ت ٤٦٣هـ، أبو بكر، المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين المقدَّمين. مولده في غزية، وكان فصيح اللهجة عارفًا بالأدب، يقول الشعر، ولوعًا بالمطالعة والتأليف، ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتابًا من مصنفاته، من أهمها: «تاريخ بغداد»، و«الكفاية في علم الرواية» في مصطلح الحديث، و«الفوائد المنتخبة» في الحديث، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ١٧٢.

٢)**رسالة الصفات**، الخطيب البغداديّ، ١/ ٣.

٣)**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، الخطيب البغدادي، ٤/ ٣٤، ٣٧.

وأن يشبّهوا الله تعالى بخلقه ويلحقوا به ما يستحيل في وصفه، وذلك نحو أحاديث الصفات التي **ظاهرها يقتضي التشبيه والتجسيم وإثبات الجوارح والأعضاء للأزليّ القديم** وإن كانت الأحاديث صحاحًا ولها في التأويل طرق ووجوه، إلا أن من حقها ألّا تُروى إلا لأهلها خوفًا مَن أن يَضِلَّ بها مَن جهل معانيها، فيحملها على ظاهرها، أو يستنكرها فيردّها ويكذّب رواتها ونَقَلَتَها» اهـ.

ثم روى بسنده عن عليّ رضي الله عنه[١]: «أيها الناس، تحبّون أن يُكَذَّب اللهُ ورسولُه، حدّثوا الناسَ بما يعرفون ودعوا ما يُنكرون» اهـ. ثم روى بسنده عن ابن مسعود[٢] رضي الله عنه[٣]: «إنَّ الرجل ليحدّث بالحديث فيسمعه مَن لا يبلغ عقله فَهْمُ ذلك الحديث فيكون عليه فتنة» اهـ.

قول الإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيريّ[٤] (ت ٤٦٥هـ)

قال الإمام القشيريّ[٥]: «وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم

---

١) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، الخطيب البغدادي، ٤/ ٣٤، ٣٧.

٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، ت ٣٢هـ، صحابي من أكابرهم فضلًا وعقلًا وقربًا من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. نظر إليه عمر يومًا وقال: «وعاء ملئ علمًا» اهـ. له ٨٤٨ حديثًا. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١٣٧.

٣) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، الخطيب البغدادي، ٤/ ٣٧.

٤) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوريّ القشيريّ، ت ٤٦٥هـ، من بني قشير بن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام شيخ خراسان في عصره زهدًا وعلمًا بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. من كتبه: «التيسير في التفسير» ويقال له التفسير الكبير، و«لطائف الإشارات»، و«الرسالة القشيرية». **تاريخ بغداد**، الخطيب، ١١/ ٨٣. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ٣/ ٢٤٣، ٢٤٨. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٥٧.

٥) **الرسالة القشيرية**، القشيري، ص٧.

ـ أي الصوفية الصادقين ـ في مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب، قال شيوخ هذه الطريقة على ما يدلّ عليه متفرّقاتُ كلامِهم ومجموعاتها ومصنّفاتهم في التوحيد: **إن الحقَّ سبحانه وتعالى موجود قديم لا يشبهه شيء من المخلوقات، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا صفاته أعراض**، ولا يُتَصَوّر في الأوهام، ولا يتقدّر في العقول، ولا له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت وزمان» اهـ.

قول الإمام أبي المظفّر الأسفرايينيّ[1] (ت ٤٧١هـ)

قال الإمام أبو المظفّر الأسفرايينيّ[2] وهو من أعيان الأشاعرة رحمه الله: «وأن تعلم **أن القديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر لأن الجسم يكون فيه التأليف، والجوهر يجوز فيه التأليف والاتصال**، وكلّ ما كان له الاتصال أو جاز عليه الاتصال يكون له حدٌّ ونهاية، وقد دللنا على استحالة الحدّ والنهاية على البارئ سبحانه وتعالى، وقد ذكر الله تعالى في صفة الجسم الزيادة، فقال: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ٢٤٧﴾ (البقرة)، فبيّن أن ما كان جسمًا جازت عليه الزيادة والنقصان، ولا تجوز الزيادة والنقصان على البارئ سبحانه» اهـ.

---

١) طاهر بن محمد الأسفرايينيّ، ويقال: شهفور بن طاهر بن محمد كما سماه السبكيّ في **طبقات الشافعية** ٣/ ١٧٥، ت ٤٧١ هـ، أبو المظفر، عالم بالأصول مفسّر من فقهاء الشافعية. قال السبكيّ: «ارتبطه نظام الملك بطوس» اهـ. وصنّف التفسير الكبير المشهور، وصنّف في الأصول، ومن كتبه: «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٢٢٣.

٢) **التبصير في الدين**، أبو المظفّر الأسفرايينيّ، ص ١٥٩.

قول الإمام أبي إسحاق الشيرازيّ[1]
(ت ٤٧٦هـ)

قال أبو إسحاق الشيرازيّ[2]: «**وأن استواءه ليس باستقرار ولا ملاصقة، لأنَّ الاستقرار والملاصقة صفة الأجسام المخلوقة، والربّ عزَّ وجلَّ قديم أزليٌّ**، فدلَّ على أنه كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو على ما عليه كان» اهـ.

وقد جعل الشيرازي المجسّمة كالقائلين بالتثليث (طائفة من النصارى يقولون: الله هو الأب والابن والروح القدس يعنون بالأول الله وبالثاني عيسى وبالثالث جبريل) فهم عنده كفّار[3].

---

١)إبراهيم بن عليّ بن يوسف الفيروزأبادي الشيرازيّ، ت ٤٧٦هـ، أبو إسحاق العلامة المناظر. ولد في فيروزأباد وانتقل إلى شيراز فقرأ على علمائها، وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد سنة ٤١٥هـ فأتم ما بدأ به من الدرس والبحث. وظهر نبوغه في علوم الشريعة، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة. له تصانيف كثيرة منها: «التنبيه»، و«المهذب» في الفقه، و«التبصرة في أصول الشافعية»، و«طبقات الفقهاء»، و«اللمع». مات ببغداد. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٣/ ٨٨. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٥١.

٢)**الإشارة إلى مذهب أهل الحق**، أبو إسحاق الشيرازيّ، ص٢٣٥.

٣)**اللمع**، أبو إسحاق الشيرازيّ، ص٧٢.

قول إمام الحرمين أبي المعالي
عبد الملك بن عبد الله الجوينيّ[٤] رحمه الله (ت ٤٧٨هـ)

قال إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجوينيّ الأشعريّ ما نصه[٥]: «البارئ سبحانه وتعالى قائمٌ بنفسه، واعلم أن معنى قيامه بنفسه هو استغناؤه عن كلّ ما سواه، فلا يحتاج إلى مخصّص له بالوجود، لأنَّ الاحتياج إلى الغير ينافي قِدَمَه، وقد ثبت وجوب قِدَمه وبقائه، متعالٍ عن الافتقار إلى محلّ يحلّه أو مكانٍ يُقلّه» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[٦]: «مذهب أهل الحقّ قاطبةً أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيّز والتخصّص بالجهات» اهـ.

وقال أيضًا[٧]: «إن سميتم البارئ جسمًا وأثبتم له حقائق الأجسام فقد تعرضتم لأمرين: إما نقض دلالة حدث الجواهر، فإنّ مبناها على قبولها للتأليف والمماسة والمباينة ـ أي الانفصال ـ وإما تطردوها وتقضوا بقيام دلالة الحدث في وجود الصانع، وكلاهما خروج عن الدين، وانسلال عن ربقة المسلمين» اهـ.

ثم قال: «وتفصيل ذلك أن الحدوث فينا منعوت بالجواز، فنقدّسُ الإلهَ عنه، **والتركّب والتصوّر عنه والتقدّر في صفاتنا موسومة بالجواز، فلا تَركّب إلا ويجوز فرض خلافه، ولا قَدْر ولا حدّ ولا طول ولا عرض إلا والعقل**

---

٤)عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي، ت ٤٧٨هـ، ملقب بإمام الحرمين. ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين وذهب إلى المدينة وأخذ ودرس جامعًا طرق المذهب ثم عاد إلى نيسابور. له مصنفات كثيرة، منها: «العقيدة النظامية». **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ١/ ٢٨٧، **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١٦٠.

٥)**الإرشاد إلى قواطع الأدلة**، الجوينيّ، ص٥٣.

٦)**الإرشاد إلى قواطع الأدلة**، الجويني، ص٥٨.

٧)**الإرشاد إلى قواطع الأدلة**، الجويني، ص٦١.

يُجوّزُ أمثالها وخلافها، وهذه الصفات لجوازها افتقرت إلى تخصيص بارئها، فتعالى الصانع عنها» اهـ.

وقال أيضًا[1]: «نقول: **من انتهض لمعرفة مدبّره فإن اطمأنّ إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبّه**[2]، **وإن اطمأنّ إلى النفي المحض فهو معطّل**[3]، **وإن قطع بموجود واعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحّد**[4]، وهو معنى ما روي عن الصّدّيق رضي الله عنه: [البسيط]

العجزُ عن دَرَكِ الإدْراكِ إدراكُ ... والبحثُ عن ذاتِهِ كفرٌ وإشراكُ

فإن قيل: فغايتكم إذًا حيرة ودهشة؟ قلنا: العقول حائرة في درك الحقيقة ـ أي حقيقة الله ـ قاطعة بالموجود المنزَّه عن صفات الافتقار» اهـ. ومثل ذلك ما قاله الإمام الشافعيّ رضي الله عنه، فما أدقّها من عبارة وما أوسع معناها، شفى بها صدور قوم مؤمنين، فرضي الله عنه وجزاه عنا وعن الإسلام خيرًا، وقد أخذها من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، ومن قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص)، ومن قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ (النحل)، ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم). وكل هذا يدلّ على أن الإمام الشافعي رضي الله عنه أكّد على تنزيه الله عما يخطر في الأذهان من معاني الجسمية وصفاتها كالجلوس والتحيز في جهة وفي مكان والحركة والسكون ونحو ذلك، فقد روى السيوطيّ[5] وغيره أن الإمام الشافعيّ قال: «**المجسّم كافر**» اهـ.

---

١)**العقيدة النظامية**، الجوينيّ، ص٢٣.

٢)مشبّه أي شبّه الله تعالى بخلقه، فهو غير مؤمن وغير مسلم.

٣)معطّل أي منكر وجود الله تعالى، فهو غير مؤمن وغير مسلم.

٤)موحّد أي آمن بالله تعالى وصدّق به، وهذا هو المسلم المؤمن الناجي يوم القيامة.

٥)**الأشباه والنظائر**، السيوطي، ص٤٨٨.

وقال إمام الحرمين الجويني[1] رحمه الله أيضًا: «فصل مشتمل على الرد على من قال: إنَّ الله تعالى جسم وليس بمتألف.

قد ذهبت بعض المجسمة إلى موافقة أهل الحق في تقدس الربّ سبحانه وتعالى عن خصائص الأجسام وما يثبت لها من الأحكام. وذهبوا إلى منع كونه مؤلّفًا، ثم ساروا إلى أن المعنى بكونه جسمًا: وجوده أو قيامه بالنفس. ومن سلك هذا المسلك آلَ الكلام معه إلى التنازع في الإطلاق والتسمية نفيًا وإثباتًا.

ومما يفسد هذه الطريقة ويوضح بطلانها ما قدمناه من إنباء الجسم عن التأليف، فمن أراد صرفه عن وجهه والعدول عن قضيته في موجب الله كان مصدودًا عن ذلك، إذ لا سبيل إلى إزالة قضايا الألفاظ من غير دلالة.

ولو سوغنا تبديل اللغة ونقلها عن موضوعها في المسميات الجارية تواضعًا واصطلاحًا بين فئة من الناس، فلا سبيل إلى تجويز ذلك في أوصاف الإله لإجماع الأمة، إذ لو جاز ذلك لجاز للمطلق أن يطلق لفظ المؤلَّف، وإذا روجع فيه فسَّره بالوجود، ومهما ثبت إنباء الجسم في اللغة عن التأليف ترتَّب عليه امتناع تسمية الإله به، ولم يجز ذكره في أوصاف الإله نقلًا وخروجًا عن اللغة.

ثم نقول لهم: أنتم لا تخلون في إطلاقكم الجسم: إما أن تقولوا: أطلقنا ذلك بلا دليل ولا اقتضاء من عقل وشرع ولغة، وإما أن تسندوا مذهبكم إلى دليل في ظنّكم. فإن لم تسندوه إلى دليل، كان الذي ذكرتموه محض التلقيب[2] بناءً على التشهي والتمني، ولو ساغ ذلك لساغ إثبات سائر الألقاب كذلك، لتجوز تسميته زيدًا وبكرًا وعمرًا، تعالى الله عن قول الزائغين.

---

١) **الشامل في أصول الدين**، الجويني، ص٤٢٥، ٤٢٦.

٢) «لَقَّبْت الاسْمَ بالفِعلِ تَلْقِيبًا: إِذا جَعَلت له مِثالًا من الفِعل» اهـ. **تاج العروس**، الزبيدي، مادة ل ق بَ، ٤/ ٢٢٠.

وإن أسندتم مذهبكم إلى دليل فأيدوه بتكلم عليه، ولا يجدون إلى إبدائه سبيلًا، إذ مدارك العلوم مضبوطة، وجملتها لا يُتلقَّى منها ما قالوه. فإنَّ من مدارك العلوم العقلَ، ولا يتلقى منه إثبات أصل الأسماء فضلًا عن تفصيلها. ومن مدارك العلوم مواردُ الشرع، وليس في شيء منها ما سوغ تسميته تعالى جسمًا، إذ لم يدل على ذلك كتاب ولا سنة ولا إجماع. ومن مدارك العلوم في الأسامي قضيةُ اللغة، ولو حكمناها في مسألتنا لما قامت على ما يرومه الخصم، إذ ليس في لغة العرب تسمية الوجود جسمًا، بل في لغتهم ما يناقض ذلك. فإنهم يصفون الأعراض بالوجود ولو سميت أجسامًا أَبَوْهُ، فإن من سمى علم المرء أو إرادته أو قدرته أجسامًا، كان ذلك عرفًا مستبشعًا في قضية اللغة. فإذا بطل تلقي مرامهم من هذه الجهات لم يبق إلا التَّحَكُّم[1] المَحْض» اهـ.

قول أبي سعيد النيسابوريّ المعروف بالمتولّي رحمه الله (ت ٤٧٨هـ)

قال الشيخ المتولّي الشافعيّ[2]: «البارئ تعالى ليس بجسم، وذهبت الكرّامية أن الله تعالى جسم، والدليل على فساد قولهم أن الجسم في اللغة بمعنى التأليف واجتماع الأجزاء، والدليل عليه أنه نقول عند زيادة الأجزاء وكثرة التأليف: جِسْمٌ وأَجْسَمُ، كما يقال عند زيادة العلم: عليم وأعلم، وقال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ٢٤٧﴾ (البقرة)، فلمّا كان وصف المبالغة كزيادة التأليف دلّ على أن أصل الاسم للتأليف، فإذا ثبت ما ذكرنا بطل مذهبهم لأن الله تعالى لا يجوز عليه التأليف.

فإن قالوا: نحن نريد بقولنا جسم أنه موجود ولا نريد التأليف، قلنا: هذه التسمية في اللغة ليس لها ذكر ثَمَّ وهي مبنية على المستحيل، فَلِمَ أطلقتم

١) «التحكم: الدعوى بلا دليل» اهـ. **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، عبد الله الهرريّ، ص١٧٨.

٢) **الغنية في أصول الدين**، المتولّي الشافعيّ، ص٨١.

ذلك من غير ورود السمع به، وما الفصل بينكم وبين من يسمّيه جسدًا ويريد به الموجود وإن كان يخالف مقتضى اللغة، فإن قيل: أليس يسمّى نَفْسًا؟ قلنا: اتّبعنا فيه السمع وهو قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦﴾ (المائدة)، ولم يَرِدِ السمعُ بالجسم» اهـ. أي لم يأت في القرآن الكريم تسمية الله بالجسم بل الذي ورد نفي الشبيه عن الله بكل وجه من الوجوه.

قول الشيخ أبي حامد الغزاليّ (ت ٥٠٥هـ)

قال الغزاليّ[١]: «التنـزيه: **أنه ـ** أي الله تعالى ـ **ليس بجسم مصوَّر، ولا جوهر محدود مقدَّر، وإنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وإنه ليس بجوهر ولا تحلّه الجواهر، ولا بعَرَض ولا تحلّه الأعراض، بل لا يماثل موجودًا، ولا يماثله موجود، ليس كمثله شىء ولا هو مثل شىء. وإنه لا يحدّه المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات** وإنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، **استواءً منـزَّهًا عن المماسّة والاستقرار والتمكّن والحلول والانتقال** لا يحمله العرش، بل العرش وحَمَلَتُه محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته[٢].

وهو فوق العرش والسماء وفوق كلّ شىء إلى تخوم[٣] الثرى فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بُعدًا عن الأرض والثرى، بل هو

---

١) **قواعد العقائد**، الغزاليّ، ص ٥١.

٢) الله عزّ وجلّ قائم بنفسه أي لا يحتاج إلى غيره، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ (آل عمران)، فهو المستغني عن كل ما سواه والمفتقرُ إليه كل ما عداه، خلق السماء وكان قبلها وخلق العرش ولا يحتاج إليه، لا يحمله العرش بل العرش وحملة العرش محمولون بلطف قدرته تعالى. ومعنى في قبضته في تصرفه.

٣) «التُّخومُ بالضم: الفصلُ بين الأرضينَ من المَعالِمِ والحدودِ مُؤَنَّثَةٌ، ج: تُخومٌ أيضًا» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ت خ م، ص ١٣٩٩. أي أن الله تعالى قهر كل شىء في السموات والأرض.

رفيع الدرجات عن العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود[١]، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد[٢] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾ (الفتح) **إذ لا يماثل قربُهُ قربَ الأجسام كما لا يماثل ذاته ذوات الأجسام**، وأنه لا يحلّ في شيء ولا يحلّ فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدّس عن أن يحدّه زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان» اهـ.

وقال الغزاليّ أيضًا في الكتاب نفسه[٣]: «الأصل الخامس: **العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلَّف من جواهر**، إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر، وإذا بطل كونه جوهرًا مخصوصًا بحيّز بطل كونه جسمًا، لأنّ كلّ جسم مختص بحيّز ومركّب من جوهر، فالجوهر يستحيل خلوُّهُ عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار، وهذه سمات الحدوث، **ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الألوهية للشمس والقمر، أو لشيء آخر من أقسام الأجسام**» اهـ.

فائدة مهمة: لو قُدّرت مناظرة بين عابد الشّمس وبين المجسم المشبّه الوهابيّ وأمثاله من الذين يجعلون الله حجمًا ـ والوهابية منهم من يقول عن الله هو بقدر العرش لا أصغر منه ولا أكبر، ومنهم من يقول: هو أكبرُ من العرش ـ فإذا قال الوهّابيُّ لهذا الذي يعبُد الشمس: لماذا لا تعبد الله وتترك دينَك هذا الذي هو باطل الذي هو عبادة الشمس؟ يقول له عابد الشمس: أنا معبودي شيءٌ محسوس أراه وأنت تراه وكلّ الناس يرونه، وهو عظيم

---

١) المراد به القرب المعنويّ ليس القرب الحسّيّ.

٢) قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ (ق)، معنى ﴿وَنَحْنُ﴾ لتعظيم نفسه، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي الإنسان، ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي نحن أقرب إليه من نفسه، أي نحن نعلم ما لا يعلمه هو من نفسه، وليس معناه أن الله مستقر داخل عنق كل إنسان. والذي يمنع تفسير القرآن إلا على الظاهر يجعل الله ساكنًا في رقاب عباده، وهذا ضلال وكفر والعياذ بالله. **مفاتيح الغيب**، الرازي، ٢٨/ ١٣٤.

٣) **قواعد العقائد**، الغزاليّ، ص١٥٩.

النفع ينفع الأجسام والنبات والتراب والأشجار والماء والهواء، فالشمس تنفع وهذا شىء محقَّق، فالذي أعبده أنا شىء محسوس أراه ليس شيئًا متوَهَّمًا بل هو شىء أراه بعيني وأنت تراه عظيم النفع، فكيف لا يكون ديني حقًّا؟ وأما أنت فتقول: معبودي شىء موجود فوق العرش لا أنا رأيته ولا أنت رأيته، إنما أنت تتوهّم وتتصوّر في بالك أنه يوجد فوق العرش جِرم كبير، فكيف يكون دينك هذا الذي هو مبنيّ على التّوهم حقًّا وديني الذي هو مبنيّ على الحِسّ والمعاينة والمشاهدة باطلًا؟! يقول الوهابيّ الذي ليس عنده دليل عقليّ: قال الله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴿١٠﴾﴾ (إبراهيم)، فيقول له عابد الشمس: أنا لا أؤمن بكتابك أعطني دليلًا عقليًّا، هنا الوهابيّ ينقطع فقد كسَرَه عابد الشمس، أما أهلُ السّنة الذين ينزّهون الله عن الحدّ والعضو والجهة والمكان والحيّز فيقولون لعابد الشمس: أنت معبودُك هذا له حدّ وشكل، فيحتاج لمن جعله على هذا الحدّ وهذا الشكل، فذلك الذي جعلَه على هذا الحدّ هو الإله، وهو موجود لا يشبه شيئًا من الأشياء ليس محدودًا، ولا يحتاج إلى غيره، وهو ليس ذا شكل، وهذا الموجود الذي لا حدّ له ولا شكل هو الذي يستحق أن يُعبد، فالسُّنّي يغلبه بالدليل العقليّ دون أن يقول له قال الله تعالى، أما الوهابي إن قال ذلك فيرد عليه عابدُ الشمس قائلًا وأنت تقول في معبودك إن له حدًّا فيحتاج إلى من حدَّهُ بذلك الحد، فما الذي يجعل ديني باطلًا ودينك صحيحًا، وهنا الوهابي ينقطع.

قال الغزاليّ[1]: «أما الحشويّة فإنهم لم يتمكنوا من فهم موجود إلا في جهة، فأثبتوا الجهة حتى ألزمتهم بالضرورة الجسمية والتقدير والاختصاص بصفات الحدوث.

وأما المعتزلة فإنهم نفوا الجهة ولم يتمكنوا من إثبات الرؤية دونها وخالفوا به قواطع الشرع وظنوا في إثباتها ـ أي في إثبات الرؤية ـ إثبات

---

١)**الاقتصاد في الاعتقاد**، الغزالي، ص٨٠.

الجهة، فهؤلاء تغلغلوا في التنزيه[1] محترزين من التشبيه فأفرطوا. والحشويّة أثبتوا الجهة احترازًا من التعطيل فشبّهوا.

فوفَّقَ الله سبحانه أهلَ السّنة للقيام بالحق، فتفطَّنوا للمسلك القصد، وعرفوا أن الجهة منفية لأنها للجسمية تابعة وتتمة، وأن الرؤية ثابتة لأنها رديف العلم وفريقه، وهي تكملة له، فانتفاء الجسمية أوجب انتفاء الجهة التي من لوازمها. وثبوت العلم أوجب ثبوت الرؤية التي هي من روادفه وتكملاته ومشاركة له في خاصيته، وهي أنها لا توجب تغييرًا في ذات المرئي، بل تتعلق به على ما هو عليه كالعلم» اهـ.

وقال الغزاليّ[2]: «فعلى العاميّ أن يتحقّق قطعًا ويقينًا أنَّ الرّسول ﷺ لم يرد بذلك جسمًا هو عضو مركَّب من لحم ودم وعظم، وأنَّ ذلك في حقّ الله تعالى محال، وهو عنه مقدّس، فإن خطر بباله أنَّ الله جسم مركّب من أعضاء فهو عابد صنم، فإنَّ كلّ جسم مخلوق وعبادة المخلوق كفر، وعبادة الصنم كانت كفرًا لأنه مخلوق، وكان مخلوقًا لأنه جسم، فمن عبد جسمًا فهو كافر بإجماع الأمة السلف منهم والخلف» اهـ.

فانظر كيف نقل الغزالي رحمه الله إجماع الأمة من سلف وخلف على تكفير المجسم الذي اعتقد أو قال إن الله جسم، تنزّه الله عمّا يقول الظالمون تنزُّهًا كبيرًا.

قول الشيخ أبي المعين النسفي (ت ٥٠٨هـ)

قال لسان المتكلمين أبو المعين ميمون بن محمد النسفي في كتابه تبصرة

---

١)ليس هذا ثناء على المعتزلة بل مراده أنهم من شدة ما يزعمونه من التنزيه في حقّ الله تعالى نفوا الرؤية ليحترزوا من التشبيه كما ادّعوا، فردّوا النص القرآني في إثبات رؤية المؤمنين لله لتوهمهم أن في ذلك إثبات الجهة والتشبيه، لكنّهم أفرطوا فوقعوا في المحظور ولم يوفّقوا بين العقل والشرع.

٢)**إلجام العوام عن علم الكلام**، الغزالي، ص٦٢، ٦٣.

الأدلة[1]: «وقد مرَّ أنَّ القول بتجزئه ـ أي الله ـ مناف للتوحيد، فكان القول بالمكان منافيًا للتوحيد» اهـ. ثم قال: «القول بالتجزؤ ـ أي في حق الله ـ مناف للتوحيد» اهـ.

قول أبي الخطاب الكلوذانيّ[2] الحنبليّ (ت ٥١٠هـ)

قال الحافظ ابن الجوزيّ[3] رحمه الله نقلًا عن أبي الخطّاب محفوظ بن أحمد الكلوذانيّ أنه أنشد لنفسه: [الكامل]

قالوا بما عرفَ المكلفُ ربَّه؟ فأجبتُ بالنظرِ الصحيحِ المرشِدِ
قالوا فهل ربُّ الخلائقِ واحدٌ؟ قلتُ الكمالُ لربِنا المُتَفَرِّدِ
قالوا فهَل للهِ عندَكَ مُشْبِهٌ؟ قلتُ المشَبِّهُ في الجَحيمِ الموصدِ
قالوا فهل تصفُ الإلهِ؟ أَبِنْ لنا قلتُ الصِفاتُ لذي الجَلالِ السَرْمَدِي[4]
قالوا فهَل تلكَ الصِفاتُ قديمةٌ كالذاتِ؟ قلتُ كذاكَ لم تتجدَّدِ
قالوا فأنْتَ تَراهُ جِسمًا مثْلَنا؟ قلتُ المجسّمُ عندَنا كالملحِدِ[5]
قالوا فتَزعُمُ أَنْ على العرشِ استوى؟ قلتُ الصَوابُ كذاكَ أخبرَ سَيِّدي

---

١) **تبصرة الأدلة في أصول الدين**، أبو المعين النسفي، ص٢٢٤.

٢) محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذانيّ، ت ٥١٠هـ، أبو الخطاب إمام الحنابلة في عصره. أصله من كلواذي من ضواحي بغداد ومولده ووفاته ببغداد. من كتبه: «التمهيد في أصول الفقه»، و«الانتصار في المسائل الكبار»، و«رؤوس المسائل»، و«عقيدة أهل الأثر» منظومة صغيرة. وله اشتغال بالأدب، ونظم. **طبقات الحنابلة**، ابن أبي يعلى، ١/ ٤٠٩. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٢٩١.

٣) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ابن الجوزيّ، ٩/ ١٩١.

٤) أي الأبدي.

٥) تكفير الكلوذاني الحنبلي للمجسمة دليل على تبرئة مذهب الإمام أحمد بن حنبل من التجسيم.

قالوا فما مَعنى استِواهُ؟ أبِنْ لنا[1] فأجبتُهم هذا سؤالُ المُعتَدِي
قالوا فكيفَ نزولُه؟ فأجبتُهم لم يُنْقلِ التكييفُ لي في مُسْنَدِ
قالوا فَيُنْظَرُ بالعيونِ؟ أَبِنْ لنا فأجبتُ رؤيتُه لمن هو مُهتَدِي
قالوا فهلْ لله علمٌ؟ قلتُ ما مِـن عـالمٍ إلا بعِلمٍ مُـرتَـدِي
قالوا فيوصَفُ أنـه مُتكلِّمٌ قلتُ السُكوتُ نقيصةُ المُتوَحّدِ
قالوا فما القرآنُ؟ قلتُ كلامُه من غيرِ ما حدثٍ وغيرِ تجدُّدِ
قالوا الذي نتلوهُ، قلتُ كلامُهُ[2] لا ريْـبَ فيهِ عندَ كلِّ مُسَدَّدِ

قول الفقيه الأصوليّ أبي الوفاء بن عقيل البغداديّ الحنبليّ[3] (ت ٥١٣هـ)

قال الحافظ ابن الجوزيّ[4]: «قال ابن عقيل: تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، **هذا عين التجسيم، وليس الحقّ بذي أجزاء وأبعاض يعالج بها**» اهـ.

وقال ابن عقيل أيضًا[5]: «الصورة على الحقيقة تقع على الأشكال والتخاطيط وذلك من صفات الأجسام، والذي صَرَفَنا عن كونه جسمًا الأدلةُ القطعيةُ كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ (الشورى)» اهـ.

١)كلامه هذا يفهم منه الاعتراض على أهل الفتنة الذين يريدون بأسئلتهم الباطل والتشويش على العوام كما تقدّم في قصة الإمام مالك رضي الله عنه.

٢)الذي نتلوه هو عبارة عن الكلام الذاتيّ الأزليّ.

٣) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء، يعرف بابن عقيل، عالم بالعراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته. كان قويّ الحجّة. له تصانيف من أهمّها: «كتاب الفنون»، و«الفرق»، و«الفصول» في فقه الحنابلة. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣١٣.

٤)**دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزيّ، ١/ ١٧٤.

٥)**دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزيّ، ١/ ١٦٠.

قول القاضي أبي الوليد بن رشد الجدّ[1] قاضي الجماعة بقُرطُبَة (ت ٥٢٠هـ)

قال القاضي الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد قاضي الجماعة بقُرطُبَة الـمعروف بابن رُشْد الجَدّ المالكيّ ما نصه[2]: «ليس ـ أي الله ـ في مكان، فقد كان قبل أن يَخْلُقَ الـمكان» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[3]: «وإضافته أي العرش إلى الله تعالى إنَّما هو بمعنى التشريف له كما يقال: بيتُ الله وحَرَمُه لا أنه محلٌّ له وموضع لاستقراره» اهـ. تعالى الله عن ذلك.

وقال أيضًا[4]: «فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لأنه خالق الزمان والـمكان» اهـ.

وذكر ذلك أيضًا الحافظ ابن حجر العسقلانيّ[5] موافقًا له ومقرًّا لكلامه.

---

١)محمد بن أحمد بن رشد، ت ٥٢٠هـ، أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة، من أعيان المالكية، وهو جدّ ابن رشد الفيلسوف (الضَّالّ) محمد بن أحمد، وللجدّ تآليف مهمة منها: «المقدمات الممهدات في الأحكام الشرعية»، و«مختصر شرح معاني الآثار» للطحاويّ، و«الفتاوى»، و«المسائل» مجموعة من فتاويه. مولده ووفاته بقرطبة. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٣١٦، ٣١٧.

٢)**المدخل**، ابن الحاج المالكيّ، فصل في الاشتغال بالعلم يوم الجمعة، ٢/ ١٤٩.

٣)**المدخل**، ابن الحاج المالكيّ، فصل في الاشتغال بالعلم يوم الجمعة، ٢/ ١٤٩.

٤)**المدخل**، ابن الحاج المالكيّ، فصل ينبغي للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة، ٣/ ١٨١.

٥)**فتح الباري**، ابن حجر، ٧/ ١٢٤.

قول الشيخ أبي القاسم النيسابوري[١] (ت ٥٢١هـ)

قال الشيخ أبو القاسم سلمان بن ناصر النيسابوري[٢]: «إذا أحاط العاقل بحدث العالم واستبان له أن له صانعًا مختارًا تعيَّن بعد ذلك النظر في ثلاثة أصول:

أحدها: يشتمل على ذكر ما يجب لله من الصفات.

والثاني: يشتمل على ذكر ما يستحيل عليه.

والثالث: ينطوي على ذكر ما يجوز من أحكامه تعالى.

قال الأستاذ أبو إسحاق رضي الله عنه: قال أهل الحق: إن الله موجود حيّ قادر عالم مريد سميع بصير متكلم، **ليس بجسم ولا جوهر ولا يشغل حيّزًا**، وليس له حدّ ولا جانب، ولا يجوز عليه المجاورة والمحاذاة، ولا يتصوّر في الوهم، وليس هو من قبيل الأعراض، لم يزل ولا يزال بهذه الأوصاف، ولا يتغيّر عنها، ولا شيء يشاركه فيها» اهـ.

قول المازريّ المالكيّ شارح مسلم[٣] (ت ٥٣٦هـ)

قال المازريّ رحمه الله[٤]: «وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث: «**إذا قاتَلَ أحدُكُمْ أخاهُ فَلْيجتنبِ الوجهَ فإنَّ الله خلَقَ آدمَ على صورتِهِ**»، فأجراه على ظاهره، وقال: «لله تعالى صورة لا كالصُّوَر!»، وهذا الذي قاله ظاهر

---

١) سلمان بن ناصر بن عمران الأنصاري النيسابوري الأرغياني، أبو القاسم ت ٥١٢ هـ، من الأئمة في علم الكلام والتفسير. مولده ووفاته في نيسابور، ونسبته إلى أرغيان من نواحيها. كان تلميذًا لإمام الحرمين. من بيت صلاح وتصوُّف وزهد. صنَّف كتاب «الغنية» في فقه الشافعية، و"شرح الإرشاد لإمام الحرمين". **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ١١٢.

٢) **الغنية في الكلام**، أبو القاسم النيسابوري، ص٣٤٥.

٣) محمد بن عليّ بن عمر التميميّ المازريّ، أبو عبد الله ت ٥٣٦هـ، محدّث، من فقهاء المالكية، من كتبه: «التلقين في الفروع»، و«إيضاح المحصول في الأصول»، و«المعلم بفوائد مسلم». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٧٧.

٤) **المعلم بفوائد مسلم**، المازريّ، ١٦/ ١٦٦.

الفساد **لأن الصورة تفيد التركيب، وكل مركّب محدَث، والله تعالى ليس بمحدَث، فليس هو مركَّبًا وليس مصوَّرًا، قال وهذا كقول المجسمة: جسم لا كالأجسام!** لمّا رأوا أهل السُّنَّة يقولون: البارئ سبحانه وتعالى شىء لا كالأشياء، طردوا الاستعمال، فقالوا: جسم لا كالأجسام، والفرق أن لفظ شىء لا يفيد الحدوث، ولا يتضمّن ما يقتضيه، **وأما الجسم والصورة فيتضمّنان التأليف والتركيب، وذلك دليل الحدوث**» اهـ.

فقول المجسمة عن الله جسم لا كالأجسام لا يخلّصُهم من الكفر، كأنهم قالوا هو مخلوق لا كالمخلوقين عاجز لا كالعاجزين والعياذ بالله تعالى.

وقال أيضًا عند تفسيره لحديث[1]: «**حِجابُهُ النُّورُ لوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انتهى إليه بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» ما نصّه[2]: «الضمير الذي في «وجهه» يعود على المخلوق لا على الخالق، إذ الحجاب بمعنى الستر إنما يكون على الأجسام المحدودة، **والبارئ جلّت قدرته ليس بجسم ولا محدود**» اهـ.

قول أبي الثناء اللَّامشيّ الحنفيّ (توفي بعد سنة ٥٣٩هـ)

قال أبو الثناء محمود بن زيد اللَّامشي الحنفيّ الماتريديّ من علماء ما وراء النهر ما نصه[3]: «ثم إن الصانع عزَّ وجلّ لا يوصف بالمكان لما مرَّ أنه لا مشابهة بينه تعالى وبين شىء من أجزاء العالم، فلو كان متمكنًا بمكان لوقعت المشابهة بينه وبين المكان من حيث المقدار، لأن مكان كل متمكن قدر ما يتمكن فيه. والمشابهة منتفية بين الله تعالى وبين شىء من أجزاء العالم لما ذكرنا من الدليل السمعيّ والعقليّ، ولأن في القول بالمكان قولًا

---

١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام «**إنَّ الله لا ينامُ**» وفي قوله «**حجابه النور**»، ١/ ١١١.

٢) **المعلم بفوائد مسلم**، المازريّ، ١٦/ ٢٢٤.

٣) **التمهيد لقواعد التوحيد**، اللامشيّ، ص٦٢، ٦٣. **تاج التراجم**، القاسم بن قطلوبغا، ١/ ٢٩٠.

بِقِدَم المكان أو بحدوث الباريء تعالى، وكل ذلك محال، لأنه لو كان تعالى لم يزل في المكان لكان المكان قديمًا أزليًّا، ولو كان ولا مكان ثم خلق المكان وتمكَّن فيه لتغيَّر عن حاله ولحدثت فيه صفة التمكن بعد أن لم تكن، وقَبول الحوادث من أمارات الحَدَث، وهو على القدير محالٌ» اهـ. يعني أن المكان يستحيل على الله في الحالين فهو موجود بلا مكان.

قول القاضي عبد الحقّ بن عطية الغرناطي[١] (ت٥٤٢هـ)

قال القاضي عبد الحقّ بن عطيّة[٢]: «العليّ يراد به علوّ القدر والمنزلة لا علوّ المكان لأن الله منزّه عن التحيّز، وحكى الطبريّ عن قوم أنّهم قالوا: هو العليّ عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، وهذا قول جهلة مجسّمين، وكان الوجه ألّا يحكى، وكذا «العظيم» هي صفة بمعنى عظم القَدْرِ والخَطَر[٣] لا على معنى عظم الأجرام» اهـ. لأنَّ الله تعالى ليس جرمًا، فعندما نقول عن الله إنَّه «عظيم» فليس معناه أنه جرم كبير كما لو قلنا الله أكبر فمعناه الله أكبر من كل شيء قَدْرًا، فالأجرام هي التي تتفاوت في عِظَم الحجم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قول القاضي عياض المالكيّ (ت ٥٤٤هـ)

قال الحافظ ابن حجر[٤]: «قال عياض: كانت العرب تستعمل الاستعارة كثيرًا، وهو أرفع أدوات بديع فصاحتها وإيجازها، ومنه قوله تعالى:

---

١)ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد. مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية. له: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، و«برنامج» (مخطوط في خزانة الرباط) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. ولد ٤٨١هـ، وتوفي ٥٤٢هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٢٨٢.

٢)**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، ١/ ٣٣٦.

٣)«الخطر: القَدْرُ والمنزلةُ والرِّفْعَةُ » اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة خ ط ر، ٤/ ٢٤٩.

٤)**فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٤٣٢.

﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء)، فمخاطبة النبيّ ﷺ لهم برداء الكبرياء على وجهه ـ يعني حديث: «**وما بينَ القومِ وبينَ أن ينظرُوا إلى ربّهِمْ إلّا رداءُ الكبرياءِ**[1] **على وَجْهِهِ**[2]» ـ ونحو ذلك من هذا المعنى، **ومن لم يفهم ذلك تاه، فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم**، ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزّه عن الذي يقتضيه ظاهرها، إما أن يكذّب نَقَلَتَها، وإما أن يؤولها كأن يقول استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وهيبته وجلاله المانع إدراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداءَ الكبرياء، فإذا شاء تقوية أبصارهم وقلوبهم كشف عنهم حجاب هيبته وموانع عظمته» اهـ.

وفي إثبات رؤية الله تعالى بلا كيف في الآخرة يقول الله عزّ وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (يونس)، وروى الحافظ ابن ماجه[3] في سننه[4] عَنْ صُهَيْبٍ[5] رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية المذكورة ثم قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ نادَى مُنادٍ: يا أَهْلَ الجنةِ إنَّ لكمْ عندَ الله موعِدًا يريدُ أَنْ يُنجِزَكُمُوهُ. فيقولُونَ: وما هوَ ألم يُثَقِّلِ اللهُ مَوَازِينَنَا ويُبَيِّضْ وجُوهَنا وَيُدْخِلنَا الجنةَ وَيُنجّنَا منَ النارِ، قالَ: فيكشِفُ الحجابَ**

---

١) «الكِبْرِياء بالكَسْر عِبارةٌ عن كَمال الذَّاتِ وكَمالِ الوُجوبِ، ولا يُوصف بها إلَّا اللهُ تعالى» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ك ب ر ، ١٤/ ١٢.

٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، ١/ ١١٢.

٣) محمد بن يزيد الربعي القزويني، ابن ماجه ت ٢٧٣هـ، أحد الأئمة في علم الحديث، من أهل قزوين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري في طلب الحديث، وصنف كتابه «سنن ابن ماجه» وهو أحد الكتب الستة المعتمدة وله تفسير القرآن. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ١٤٤.

٤) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، ١/ ١٢٩. **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، ١٦/ ٤٧١.

٥) صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط، صحابي من أرمى العرب سهمًا، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها. له ٣٠٧ حديثًا، توفي في المدينة وكان يعرف بصهيب الرومي. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٢١٠.

فينظرونَ إليهِ فوَالله ما أَعطاهُمُ اللهُ شيئًا أحبَّ إليهِمْ مِن النَّظرِ إليْهِ ولا أقرَّ لأعيُنِهِمْ»، يدلّ هذا الحديث على صحة مذهب أهل السّنة والجماعة في رؤية الله بلا كيف ولا مكان، وأنّ الذي يكشف عنه الحجاب المعنويّ لرؤية الله الذي ليس كمثله شىء هو بصر العبد وليس الله تعالى، لأن الله منـزّه عن أن يكون مخفيًّا، لأن المخفيّ وراء حجاب يحتاج إلى مَن يخفيه، والمحتاج لا يكون إلهًا ولا خالقًا، وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر[1]: «والله تعالى يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا كمية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة» اهـ. وهذا كلام صريح من أحد أئمة التابعين من أوائل السلف رضي الله عنه ينـزّه به الله تعالى عن التشبيه والكيفية والكمية والمكان والمسافة، فالكيفية لا تجوز على الله لأن الله خالق الكيفيات والأشكال كلها وكذلك الكمية سواء كانت قليلة أم كثيرة لا تجوز على الله، لأنَّ كل ذلك مخلوق لله وحده لا شريك له، فكلّ ما له حجم أو كمية فهو يحتاج إلى من جعله على هذا الحجم والكمية، والله منـزه عن ذلك سبحانه، فكلام أئمة السلف واضح في تنزيه الله عن الكيفية والكمية. فمن قال: إن الله له كيفية لا تُعْرف، فقد شبّه الله تعالى بأكثر المخلوقات، لأن ما نعرفه من كيفيات المخلوقات شىء قليل نسبة إلى ما لا نعرفه، فمن قال: إن الله له كيفية لا نعرفها يكون ضالًّا كافرًا غير عارف بربّه سبحانه. وقد بيّن أبو حنيفة ذلك في كتاب الوصية حيث قال[2]: «ولقاء الله تعالى لأهل الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهةٍ حقّ» اهـ.

وقال القاضي عياض[3]: «**ما عرف اللَّـهَ تعالى من شبّهه وجسَّمه** من اليهود أو أجاز عليه البداء[4] أو أضاف إليه الولد منهم، أو أضاف

---

١) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص ١٣٦، ١٣٧.

٢) حكاه عنه ملا علي القاري في **شرح الفقه الأكبر**، ص١٣٨.

٣) **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، القاضي عياض، ١/ ١٩٩، ٢٠٠.

٤) «البداءُ: استصوابُ شىء عُلِمَ بعد أن لم يُعلم، وذلك على الله غير جائز» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ب د ا، ١٤/ ٦٥. وذلك لأنّ فيه نسبة التغير إلى الله =

إليه الصاحبة والولد، وأجاز الحلول عليه والانتقال والامتزاج من النصارى، أو وصفه بما لا يليق به، أو أضاف إليه الشريك. والمعاند في خلقه من المجوس والثنوية، فمعبودهم الذي عبدوه ليس هو الله، وإن سَمَّوه به، إذ ليس موصوفًا بصفات الإله الواجبة له، فإذًا ما عرفوا الله سبحانه» اهـ.

أقوال الشيخ عبد القادر الجيلانيّ[1] رضي الله عنه (ت ٥٦١هـ)

قال الشّيخ عبد القادر الجيلانيّ رضي الله عنه[2]: «باب في معرفة

=عزّ وجلّ، وهو على الله مستحيل، ويكفر القائل به.

١) عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسنيّ، ت ٥٦١هـ، أبو محمد محيي الدين الجيلانيّ، أو الكيلانيّ، أو الجيليّ مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهّاد الصوفية الصادقين، ولد في جيلان وراء طبرستان وانتقل إلى بغداد شابًّا سنة ٤٨٨هـ ،فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب، واشتهر، وتصدَّر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ، وتوفي بها ـ له كتب دُسَّ عليه فيها ـ. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٤٧.

٢) **الغنية**، الجيلانيّ، ص٧١.

فائدة: لقد افتريَ على الشيخ عبد القادر رضي الله عنه الذي هو حنبلي المذهب في كتابه هذا الذي عمله في الفقه الحنبلي، وهذا الكتاب ثابت أنه من تأليفه لكن مجسمة الحنابلة الذين يعتقدون أن الله جسم ساكن في جهة فوق أدخلوا عليه مسألتين افتروهما عليه فزعموا أنه يقول إن الله ساكن في جهة فوق، وزعموا أنه أيضًا يقول بأن حروف المعجم قديمة أي ليس لوجودها ابتداء، وهذا خلاف عقيدة أهل السّنة، فإن عقيدة أهل السّنة أنه لا موجود أزليّ قديم ليس لوجوده ابتداء إلا الله، والحروف مخلوقة حادثة، والشيخ عبد القادر رضي الله عنه لا يخالف في العقيدة شيئًا مما عليه أهل السّنة السلف والخلف من أن الله تعالى متكلم بكلام لا يُشبه كلام الخلق، ومعلوم أن كلام الخلق حرف وصوت حادثان يوجدان شيئًا بعد شيء وهذه صفة البشر، والله تعالى متعال منـزّه عن كل ما هو من صفات البشر، إنما هو متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة. بل عبارته التي في كتابه وهي ما نقلناها هنا تبين أنَّ ما نسبوه إليه إنما هو كذب وافتراء، فإنه موحّد منزّه لا مجسم مشبه.

الصّانع عزَّ وجلَّ: أما معرفة الصانع عزَّ وجلَّ بالآيات والدّلالات على وجه الاختصار، فهي أن يعرف ويتيقّن أنَّه واحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ (الشورى)، لا شبيه له ولا نظير، ولا عون ولا شريك ولا ظهير ولا وزير، ولا نِدَّ ولا مشير له، **ليس بجسم فَيُمَسّ، ولا بجوهر فَيُحَسّ، ولا عَرَض فينقضي، ولا ذي تركيب أو آلة وتأليف وماهية وتحديد**، وهو الله، للسماء رافع، وللأرض واضع، لا طبيعة من الطبائع، ولا طالع من الطوالع، **ولا ظلمة تظهر، ولا نور يزهر**» اهـ.

وقال أيضًا رحمه الله[1]: «فصل في ما لا يجوز إطلاقه على البارئ عزَّ وجلَّ من الصفات ويستحيل إضافته إليه، **ولا يجوز عليه الحدود ولا النهاية، ولا القَبل ولا البَعد، ولا تحت ولا قُدَّام ولا خلف ولا كيف**، لأنّ ذلك ما ورد به الشرع، إلا ما ذكرناه من أنه على العرش استوى[2] على ما ورد به القرآن والأخبار، بل هو عزَّ وجلَّ خالقٌ لجميع الجهات **ولا يجوز عليه الكمية**» اهـ. ثم قال[3]: «**ولا يجوز وصفه بالمباشرة**» اهـ.

وقال رضي الله عنه أيضًا[4]: «ويجوز وصفه بأنه فاعل بمعنى أنه مخترع لذاتِ ما فَعَلَهُ وخالقٌ له وجاعله بقدرته، **فاستحقّ لذلك هذا الوصف لا على معنى المباشرة للأشياء لأنّ حقيقة تلك** - أي المباشرة - **تلاقي الأجسام ومماسّتها**، والله سبحانه متعالٍ عن ذلك» اهـ.

وقال رضي الله عنه أيضًا[5]: «وأما ذكر مقالة المشبّهة فهم ثلاث فرق:

---

١) **الغنية**، الجيلانيّ، ص١٠٣.

٢) أي قهره وحفظه.

٣) **الغنية**، الجيلانيّ، ص١٠٣.

٤) **الغنية**، الجيلانيّ، ص ١٠٥.

٥) **الغنية**، الجيلانيّ، ص١١٧.

الهشامية[١] والمقاتلية[٢] والكرّامية[٣]، والذي اتفقت عليه الفرق الثلاث أن الله تعالى جسم، وأنه لا يجوز أن يعقل الموجود إلا جسمًا» اهـ. والعياذ بالله تعالى من التشبيه والتجسيم والكفر والضلال.

---

١) الهشامية فرقتان، فرقة تنسب إلى هشام بن الحكم الرافضيّ، والفرقة الثانية تنسب إلى هشام بن سالم الجواليقيّ، وقد زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حدّ ونهاية وأنه طويل عريض عميق ، وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه، وقال: ليس ذهابه في جهة الطول أزيد على ذهابه في جهة العرض. وزعم أيضًا أن الله نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها. ثم قال قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرك فحدث مكانه بحركته فصار فيه ومكانه هو العرش. وأمّا هشام بن سالم الجواليقيّ الذي كان مفرطًا في التجسيم والتشبيه فقد زعم أن معبوده على صورة الإنسان ولكنه ليس بلحم ولا دم بل هو نور ساطع بياضًا، وزعم أنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان، وأن نِصفَه الأعلى مجوَّف ونصفه الأسفل مُصْمَت ـ أي لا جوف له ـ. **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ١/ ٤٨، ٥٢.

٢) أتباع مقاتل بن سليمان البلخيّ، من رؤوس المشبهة، قال وكيع: «كان كذّابًا» اهـ. وعن أبي حنيفة رضي الله عنه قال: «أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جَهْم معطّل، ومقاتل مشبّه» اهـ. وقال البخاريّ: «مقاتل لا شىء ألبتة» اهـ. مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ٧/ ٢٠١.

٣) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه. وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة. وأصولها ستة: العابدية والتونية والزرينية والإسحاقية والواحدية والهيصمية، ولكل واحدة منهم رأي. نص أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقرارًا وعلى أنه بجهة فوق ذاتًا، وأطلق عليه اسم الجوهر. ومنهم من قال: إنه على بعض أجزاء العرش. وقال بعضهم: امتلأ العرش به وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق وأنه محاذ للعرش، ثم اختلفوا فقالت العابدية: إن بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولًا بالجواهر لاتصلت به، وقال محمد بن الهيصم: إن بينه وبين العرش بعدًا لا يتناهى وإنه مباينٌ للعالم بينونة أزلية ونفى التحيز والمحاذاة وأثبت الفوقية والمباينة، وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون منهم قالوا: نعني بكونه جسمًا أنه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم وبنوا على هذا أن من حُكْم القائمَيْن بأنفسهما أن يكونا متجاوِرَيْن أو متباينين فقضى بعضهم بالتجاور مع العرش وحكم بعضهم بالتباين. **الملل والنحل**، الشهرستاني، ١/ ١٠٧.

وقد ردّ ابن حجر الهيتميّ[1] على من طعن بالشيخ الجيلانيّ مما نسبه البعض إليه في بعض النسخ المدسوسة عليه من كتاب الغنية وسماه الهيتميّ الغينية فقال: «وإياك أن تغترّ أيضًا بما وقع في الغينية لإمام العارفين وقطب الإسلام والمسلمين الأستاذ عبد القادر الجيلانيّ، فإنه دسّه عليه فيها مَنْ سينتقم الله منه وإلا فهو بريء من ذلك، وكيف تروج عليه هذه المسألة الواهية مع تضلّعه من الكتاب والسّنة وفقه الشافعية والحنابلة حتى كان يفتي على المذهبين، هذا مع ما انضمّ لذلك من أنَّ الله مَنَّ عليه من المعارف والخوارق الظاهرة والباطنة وما أنبأ عنه وما أظهر وتواتر من أحواله، ومنه ما حكاه اليافعيّ[2] رحمه الله وقال: «مما علمناه بالسند الصحيح المتصل أن الشيخ عبد القادر الجيلانيّ أكل دجاجة ثم لما لم يبقَ غير العظم توجَّه إلى الله في إحيائها فأحياها الله إليه وقامت تجري بين يديه كما كانت قبل ذبحها وطبخها، فمن امتنَّ الله عليه بمثل هذه الكرامات الباهرة يُتصوَّر أو يُتوهَّم أنه قائل بتلك القبائح التي لا يصدر مثلها إلا عن اليهود وأمثالهم ممن استحكم فيه الجهل بالله وصفاته وما يجب له ويجوز وما يستحيل ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦﴾ (النور)» اهـ.

---

١) **الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتميّ، ١/ ٤٨٢.
أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين أبو العباس، ت ٩٧٤هـ، فقيه مصري ولد في محلة أبي الهيتم سنة ٩٠٩هـ، تلقى العلم في الأزهر ومات بمكة سنة ٩٤٧هـ. له تصانيف كثيرة، منها: «مبلغ الأدب في فضائل العرب»، و«تحفة المنهاج شرح المنهاج». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٢٣٤.

٢) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين، ت ٧٦٨هـ، مؤرخ باحث متصوف من شافعية اليمن، نسبته إلى يافع بن حمير، مولده ومنشؤه في عدن، حج سنة ٧١٢هـ، فأقام بمكة وتوفي بها. من كتبه: «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الأزمان»، و«أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٧٢.

قول الحافظ أبي القاسم بن عساكر الدمشقيّ رضي الله عنه (ت ٥٧١هـ)

قال الحافظ المؤرخ أبو القاسم بن عساكر[١]: «فإذا وجدوا ـ أي أتباع الإمام الأشعريّ ـ **مَن يقول بالتجسيم أو التكييف من المجسّمة والمشبّهة، ولقوا من يصفه بصفات المحدَثات من القائلين بالحدود والجهة، فحينئذٍ يسلكون طريق التأويل ويُثبتون تنزيهه بأوضح الدليل، ويبالغون في إثبات التقديس له والتنزيه خوفًا من وقوع مَن لا يعلم في ظُلَم التشبيه، فإذا أَمِنُوا من ذلك رأوا أن السكوت أسلم، وتَرْكَ الخوض في التَأويل إلا عند الحاجة أَحْزَم، وما مثالهم في ذلك إلا مثل الطبيب الحاذق، الذي يداوي كلَّ داء من الأدواء بالدواء الموافِق، فإذا تحقّق غَلَبَة البرودة على المريض داواه بالأدوية الحارّة ويعالجه بالأدوية الباردة عند تيقنه منه بغلبة الحرارة**» اهـ. فأهل السّنة والجماعة يبسطون الكلام في التنزيه اختصارًا أو تفصيلًا بحسب حاجة المجتمع والأفراد لذلك، بما تقتضيه الضرورة الشرعية للمنفعة العامة والخاصة.

قول الحافظ أبي الطاهر السّلَفيّ الأصبهانيّ[٢] (ت ٥٧٦هـ)

قال الذهبيّ[٣] نقلًا عن الحافظ عبد الغنيّ أن السّلَفيّ أنشدهم لنفسه:

---

١) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، ص ٣٨٨.

٢) أحمد بن محمد بن سِلَفَة الأصبهانيّ، صدر الدين، أبو طاهر السّلَفِيّ ت ٥٧٦هـ، حافظ مكثر، له من الكتب: «معجم مشيخة أصبهان»، و«معجم مشيخة بغداد»، و«معجم السفر»، و«الفضائل الباهرة في مصر والقاهرة». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٢١٥، ٢١٦.

٣) **تاريخ الإسلام**، الذهبيّ، ١/ ٤٠٦.
محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله ت ٧٤٨هـ، حافظ مؤرخ تركماني الأصل، مولده ووفاته في دمشق. رحل إلى القاهرة وطاف كثيرًا من البلدان وكف بصره سنة ٧٤١هـ. من تصانيفه: «دول الإسلام»،=

[الكامل]

ضَـلَّ المجَسّمُ والمعَطِّلُ مثلُهُ ... عن منهجِ الحَـقّ المبينِ ضلالا
وأتـى أماثلهُم بنكرٍ لا رُعُـوا ... من مَعْشَرٍ قد حاوَلُوا الإِشْكالا
وَغدَوْا يَقيسون الأمورَ برأيِهِم ... ويُدَلّسُونَ على الوَرَى الأقوَالا
فـالأولـونَ تعدَّوُا الحـدَّ الذي ... قد حدَّ في وصـفِ الإلـهِ تعالى
وتصوَّروه بصورةٍ من جنسِنا ... جسمًا ولـيـسَ اللهُ عـزَّ مِثالا
والآخرونَ فعطَّلوا ما جاءَ في الـ ... قــرآنِ أقْـبِـحْ بـالمـقـالِ مقالا
وأَبَوْا حديثَ المصْطَفى أن يقبلوا ... ورأَوْه حَشوًا لا يُفيدُ منالا

وهكذا هم المجسمة والمعطلة، ضلوا وأضلوا، أما المجسمة فشبهوا الله بخلقه، وأما المعطلة فأنكروا صفات الله.

قول الشيخ العارف بالله السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه (ت ٥٧٨هـ)

قال إمام الصوفية العارف بالله السيد أحمد الرفاعيّ رضي الله عنه ما نصه[١]: «**طهّروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقّه تعالى بالاستقرار كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول، تعالى الله عن ذلك**. وإياكم والقول بالفوقية ـ أي فوقية الذات ـ والسُّفْلية والمكان واليد والعين بالجارحة، والنـزول بالإتيان والانتقال، فإن كل ما جاء في الكتاب والسّنة مِمَّا يدل ظاهره على ما ذُكر فقد جاء في الكتاب والسّنة مثله مما يؤيد المقصود» اهـ. أي من التنزيه الكليّ لله عزَّ وجلّ.

=و«تاريخ الإسلام الكبير»، **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٣٢٦.

١) **البرهان المؤيد**، أحمد الرفاعيّ، ص ١٧، ١٨.

وقال رضي الله عنه أيضًا ما نصه[1]: «غاية المعرفةِ بالله الإيقانُ بوجوده تعالى بلا كيفٍ ولامكانٍ» اهـ. ومعناه أقصى ما يتوصل إليه العبد في معرفة الله أن يعتقد اعتقادًا جازمًا لا شك فيه بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان.

وقال أيضًا ما نصه[2]: «وأنه ـ أي الله ـ لا يَحِلّ في شىء ولا يَحِلّ فيه شىء، تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدَّس عن أن يَحُدَّه زمان، بل كان قبلَ خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[3]: «لا يَحُدُّه ـ تعالى ـ المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وإنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواءً منـزَّهًا عن المماسّة والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال. لا يحمله العرش، بل العرش وحمَلَتُهُ محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شىء إلى تـخوم الثرى فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى» اهـ.

قول الحافظ أبي الفرج بن الجوزيّ الحنبليّ رضي الله عنه (ت ٥٩٧هـ)

قال الحافظ الفقيه الحنبليّ أبو الفرج بن الجوزيّ[4]: «رأيت مَن تكلّم من أصحابنا ـ أي بعض المنتسبين إلى الحنابلة ـ في الأصول بما لا يصلح

١) **حكم الشيخ أحمد الرفاعيّ الكبير**، أحمد الرفاعي، ص ٣٥، ٣٦.

٢) **الدرة السامية في معرفة فضائل سلوك الطريقة الرفاعية**، أحمد الرفاعي، ص ٢٥، ٣٥.

٣) **الدرة السامية في معرفة فضائل سلوك الطريقة الرفاعية**، أحمد الرفاعي، ص ٢٥، ٣٥.

٤) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزيّ، ص ٩٨، ٩٩.

وانتدب للتصنيف ثلاثة أبو عبد الله بن حامد(١) وصاحبه القاضي(٢)، وابن الزاغونيّ(٣)، فصنّفوا كتبًا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوامّ، فحملوا الصفات على مقتضى الحسّ، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته فأثبتوا له صورة ووجهًا زائدًا على الذات، وعينين وفمًا ولَهَوات(٤) وأضراسًا وأضواء لوجهه هي السبحات ويدين وأصابع

١) الحسن بن حامد بن عليّ بن مروان البغداديّ، ت ٤٠٣هـ، أبو عبد الله ـ من مجسمة الحنابلة ـ له مصنفات في الفقه وغيره، منها: «الجامع في فقه ابن حنبل»، و«شرح أصول الدين وتهذيب الأجوبة». **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ابن الجوزيّ،٧/ ٢٦٣. **النجوم الزاهرة**، ابن تغري بردي، ٤/ ٢٣٢.

٢) القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ت ٤٥٨هـ، ـ الحنبليّ المجسّم ـ. وفي **سير أعلام النبلاء** ١٨/ ٩٠ قال الذهبيّ في ترجمته: «وجمع كتاب «إبطال تأويل الصفات» فقاموا ـ أي العلماء ـ عليه لما فيه من الواهي والموضوع، وجرت أمور وفتن ثم أصلح بين الفريقين الوزير علي بن المسلمة، وقال أبو يعلى على الملأ: «القرآن كلام الله وأخبار الصفات تمر كما جاءت» اهـ. قال الحافظ أبو بكر بن العربيّ المالكيّ في كتابه **العواصم من القواصم** ص٢٠٩ ما نصه: «أخبرني من أثق به من مشيختي أن القاضي أبا يعلى الحنبليّ كان إذا ذُكِرَ الله سبحانه يقول في ما ورد من هذه الظواهر في صفاته تعالى: «ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة» اهـ. أي في الله تبارك وتعالى لا يستطيع أن يعتقد فيه اللحية والعورة لكنه يعتقد ما سواهما والعياذ بالله. مع العلم أن هذا القاضي هو غير الحافظ أبي يعلى الموصليّ صاحب المسند المشهور. وقال ابن الأثير في كتابه **الكامل في التاريخ** ٨/ ١٦ ما نصه: «وفيها أنكر العلماء على أبي يعلى بن الفراء الحنبليّ ما ضمّنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بأنه يعتقد التجسيم، وحضر أبو الحسن القزوينيّ الزاهد بجامع المنصور، وتكلم في ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا» اهـ.

٣) عليّ بن عبيد الله بن نصر بن السريّ، ت ٥٢٧هـ، أبو الحسن بن الزاغونيّ ـ من مجسّمة الحنابلة ـ من أهل بغداد. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣١٠. ردّ عليه الحافظ ابن الجوزيّ وأبطل عقيدته وبيَّن أنها ليست عقيدة الإمام ابن حنبل رحمه الله في كتابه «**دفع شبه التشبيه بأكف التنـــزيه**».

٤) «اللَّهاةُ من كلّ ذي حَلق: اللحمة الُمْشرفة على الحَلق» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ل هـ ا، ١٥/ ٢٥٨. وقد تقدّم.

وكفًّا وخِنصِرًا[1] وإبهامًا[2] وصدرًا وفخذًا، وساقين ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس، وقالوا يجوز أن يُحَسَّ ويُمَسّ، ويُدني العبد من ذاته، وقال بعضهم: ويتنفّس، ثم إنهم يُرضون العوام بقولهم: لا كما يُعقل» اهـ.

وكلامهم هذا يشبه كلام مشبّهة هذا العصر وهم الوهابية ومن كان على نهجهم من الذين يعتقدون أن الله جسم ويعتقدون أن له ساقًا وغيرَ ذلك من الأعضاء فهم كفار، حتى إن بعضهم صرّحَ أنَّ الله يُدْخِلُ رجله في جهنم عندما يقال للنار: ﴿ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ (ق) فلا تحترق رجله من باب أن الخزنة لا تضرهم النار فكيف تضرّ الله بزعمه[3]. ومع اعتقادهم أنه جسم يقولون تشبهًا بالسّلف في زعمهم وتمويهًا على الناس: له وجه لا كالوجوه، وله يد لا كالأيدي إيهامًا للناس أنهم على ما قاله بعض السلف من قولهم: لله وجه بلا كيف، ويد بلا كيف وعين بلا كيف، وهم ـ أي الوهابية ـ يعتقدون الكيف ويصرّحون بأنَّ لله كيفًا لا نعرفه، لكن للتمويه على الناس يقولون لفظًا «بلا كيف» وأحيانًا يقولون: «على ما يليق به» ومرادهم أن الله جسم كما قال ابن تيمية[4]: «إن الله بقدر

---

١) «الخِنصَرُ: الإِصبع الصُّغْرَى» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة خ ن ص، ٤/ ٢٦١.

٢) «الإِبهامُ بالكسر: من الأصابع العُظْمَى» اهـ. **تاج العروس**، الزبيدي، ٣١/ ٣١٣.

٣) **ردّ الدارمي على بشر المريسي**، عثمان بن سعيد الدارمي (المجسم)، ص ٦٩.

٤) أحمد بن عبد الحليم الدمشقيّ، ابن تيمية، ولد بحرّان سنة ٦٦١هـ، ظهرت منه بدع كثيرة حتى قال الحافظ أبو زرعة العراقيّ: «إنه خرق الإجماع في أكثر من ستين مسألة، بعضها في الأصول وبعضها في الفروع» اهـ. وقال فيه: «علمه أكبر من عقله» اهـ. ردّ عليه علماء عصره وبدّعوه وكفروه وألّفوا في ذلك كالسبكيّ فإنه صنّف: «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، و«الاعتبار ببقاء الجنة والنار» في الردّ عليه. استتيب عدّة مرات وكان في كل مرّة ينقض عهوده ومواثيقه حتى حُبِس بفتوى من قضاة المذاهب الأربعة سنة ٧٢٦هـ بالقلعة ومات فيها سنة ٧٢٨هـ. **تاريخ ابن الورديّ**، ابن الوردي، ٢/ ٣٨١، ٣/ ٣٩٨. مقدمة **الدرة المضية**، السبكيّ. **عيون التواريخ**، ابن شاكر الكتبيّ، مخطوط ص١٧٩. **الدرر الكامنة**، ابن حجر، ١/ ١٤٤، ١/ ١٥٣. **الإعلان بالتوبيخ**، السخاويّ، ص ٧٧. =

العرش لا أصغر ولا أكبر»، ومرة قال: «بقدر العرش بل أعظم منه» اهـ. فالوهابية على هذا الاعتقاد. وقد نسب ذلك إلى ابن تيمية الحافظ الكبير العلائي شيخ مشايخ الحافظ ابن حجر[١]، ومذكور هذا في كتب ابن تيمية[٢]. وقد قال ابن تيمية أيضًا[٣]: «وليس في كتاب الله وسنَّة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنَّه ليس بجسم» اهـ. وقال ابن تيمية في مجموعة فتاويه[٤]: «إن الله على العرش حقيقة ومعنا حقيقة» اهـ. وهذا شبيه بعقيدة الحلوليين وهو يذم الحلوليين. فالله تعالى بخلاف ذلك كما قال الإمام المحدّث ذو النون المصري: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك»[٥]. والمشبهة لا يعترفون بموجود غير متحيز في جهة ومكان غير متحرك ولا ساكن لأنهم يقيسون الخالق على المخلوق. يظنون أن الوجود لا يصح إلا بالمكان مع ثبوت وجود الله قبل المكان بلا مكان، قال رسول الله ﷺ[٦] «**كانَ اللهُ ولم يكنْ شيءٌ غيرُهُ**» أي كان الله موجودًا قبل المكان والزمان وقبل الجهات السّت والعرش، فالله الذي هو موجود قبل المكان بلا مكان هو موجود بعد وجود المكان بلا مكان، فهذا الحديثُ دليل على صحة وجود الله قبل المكان وبعد وجود المكان بلا مكان.

ويتابع ابن الجوزيّ قائلًا: «وقد أخذوا ـ أي المجسمة الثلاثة الذين ذكرهم ـ بالظاهر في الأسماء والصفات، فسمّوها بالصفات تسمية مبتدعة،

=**ذخائر القصر**، ابن طولون، ١/ ٦٦، ٦٩. **الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتميّ، ١/ ٤٨٠. وغيرها.

١)**الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتمي، ١/ ٢٤٥.

٢) **منهاج السنة**، ابن تيمية، ١/ ١٨٠. **التأسيس**، ابن تيمية، ٢/ ١٥١.

٣)**التأسيس**، ابن تيمية، ١/ ١٠١.

٤)**مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، ٥/ ١٠٣.

٥)**الرسالة القشيرية**، القشيريّ، ص٣. كما تقدَّم.

٦)**صحيح البخاري**، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب وكان عرشه على الماء، ٦/ ٢٦٩٩، رقم ٣٠١٩.

لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث.

ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل، حتى قالوا صفة ذات[1]، ثم لمّا أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل اليد على نعمة وقدرة، ومجيء وإتيان على معنى برّ ولطف، وساق على شدّة، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارَفَة. والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين، والشىء إنما يُحْمَلُ على حقيقته إذا أمكن، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون نحن أهل السّنة وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام.

فقد نصحتُ التابعَ والمتبوعَ فقلتُ لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السياط كيف أقول ما لم يقل فإيَّاكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه، ثم قلتم في الأحاديث تحمل على ظاهرها وظاهر القدم الجارحة فإنه لما قيل في عيسى روح الله اعتقدت النصارى أن لله صفة هي روح وَلَـجَتْ في مريم، ومن قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل، فإنَّا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقِدَم، فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر عليكم أحد إنما حملكم إيّاها على الظاهر قبيح فلا تُدْخِلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه ولقد كسيتم هذا المذهب شَيْنًا قبيحًا حتى صار لا يقال حنبلي إلا مجسّم» اهـ.

ثم قال: «وقد كان أبو محمد التميميّ[2] يقول في بعض أئمتكم لقد شان

١)على زعمهم إن الله تعالى جسم، وهذه الصفات الواردة في الشرع جعلوها على الحقيقة، فقالوا نأخذ بالظواهر فإنَّ له يدًا حقيقية كأيدينا ووجهًا حقيقيًّا كوجوهنا، كذلك في سائر ما ورد يقولون نأخذ بالظواهر، والعياذ بالله تعالى.

٢)هو رزق الله بن عبد الوهاب أبو محمد التميميّ، ت ٤٨٨ هـ، فقيه حنبليّ واعظ، من أهل بغداد، كان كبيرها وجليلها، قال العليميّ: «كان شيخ أهل العراق في زمانه»=

المذهب شينًا قبيحًا لا يُغسل إلى يوم القيامة.

وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه، أحدها: أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هي إضافات وليس كل مضاف صفة فإنه سبحانه وتعالى قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴿٢٩﴾﴾ (الحجر)، وليس لله صفة تسمّى روحًا، فقد ابتدع من سمّى المضاف صفة[1]» اهـ.

ثم قال بعد ذلك في الكتاب: «وقال ابن الزاغونيّ أيضًا ولا بدّ أن يكون لِذَاتِه نهاية وغاية يعلمها، قلتُ ـ القائل هو ابن الجوزيّ ـ: **هذا رجل لا يدري ما يقول! لأنه إذا قَدَّر غاية وفصلًا بين الخالق والمخلوق، فقد حدَّده وأقرَّ بأنه جسم، وهو يقول في كتابه إنه ليس بجوهر لأن الجوهر ما يتحيّز، ثم يثبت له مكانًا يتحيّز فيه**، وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض، فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه، **فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التي لا بدّ لها من حيّز. والتحت والفوق إنما يكون في ما يُقابَل ويحاذَى. ومِن ضرورة المحاذِي أن يكون أكبر من المحاذَى أو أصغر أو مثله، وأن هذا ومثله إنما يكون في الأجسام. وكلّ ما يحاذِي الأجسام يجوز أن يمسّها، وما جاز عليه مماسّة الأجسام ومباينتها فهو حادث، إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسّة والمباينة. فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدوثه**، وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيُّز، والحقُّ سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيُّز، لأنه لو كان متحيّزًا لم يخل إما أن يكون ساكنًا في حيّزه أو متحرّكًا عنه، **ولا يجوز أن**

=اهـ. صنّف «شرح الإرشاد» في الفقه و«الخصال» و«الأقسام». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ١٩. قال ابن الجوزيّ في **المنتظم** ٩/ ٨٩: «قال ابن عقيل: كان سيدَ الجماعة من أصحاب أحمد بيتًا ورياسة وحشمة، أبو محمد التميميّ، وكان أحلى الناس عبارة في النظر، وأجراهم قلمًا في الفتيا، وأحسنهم وعظًا» اهـ. **شذرات الذهب**، =
=ابن العماد الحنبليّ، ٢/ ٣٨٤.

(١) وهي بدعة باطلة ليس لها مستند لغوي ولا شرعي ولا عقلي، وتؤدي بقائلها إلى التناقض والضلال المبين.

يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق، ومن جاور أو باين فقد تناهى ذاتًا، والتناهي إذا اختص بمقدار استدعى مخصّصًا» انتهى كلام ابن الجوزيّ رحمات الله عليه.

ومما قاله ابن الجوزيّ أيضًا[1]: «وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه وقد ملأه والأشبه أنه مماسّ للعرش، والكرسيّ موضع قدميه، **قلت: المماسّة إنما تقع بين جسمين**» اهـ.

وقال رحمه الله أيضًا[2]: «وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحسّ، فقال بعضهم إن الله جسم، تعالى الله عن ذلك، **وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضًا، وذلك ينقض القول بالتوحيد.**

ومن قول المجسّمة إن الله عزَّ وجلَّ يجوز أن يُمسّ ويلمس! فيقال لهم: فيجوز على قولكم أن يمسّ ويلمس ويُعانق! وقال بعضهم إنه جسم هو فضاء والأجسام كلّها فيه!!

وربما تخيّل بعض المشبّهة في رؤية الحق يوم القيامة ما يراه في الأشخاص، فيمثّله شخصًا يزيد حسنه على كل حسن، فتراه يتنفّس من الشوق إليه، ويمثل الزيادة فيزداد توقه، ويتصوّر رفع الحجاب فيقلق ويتذكّر الرؤية فيغشى عليه، ويسمع في الحديث[3] أنه «**يُدْني المؤمنَ إليهِ**» فيخايل القرب

---

١) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزيّ، ص ١٣٥.

٢) **تلبيس إبليس**، ابن الجوزيّ، ١/ ١٠٧.

٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب قصاص المظالم، باب قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ ٣/ ١٦٨. قال بدر الدين العيني في كتابه **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** ٢٧/ ٣٥٦ ما نصُّه: «قوله «**يُدْني المؤمنَ**» على صيغة المجهول من الدنو وهو القرب، وهذا تمثيل لجعله تحت ظل رحمته يوم القيامة،... والكنف والدنو كلاهما مجازان لاستحالة حقيقتهما على الله تعالى، والحديث من المتشابهات» اهـ. وقال القاضي عياض في كتابه **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم** ٨/ ١٣٤ ما نصُّه: «الدنو ها هنا دنو كرامة لا دنو مسافة لأنّ البارئ سبحانه في غير مكان، فلا يصح منه دنو مسافة ولا بعدها» اهـ. وقال النووي في **شرحه على صحيح مسلم**=

الذاتيّ كما يجالس الجنس، وهذا كلّه جهل بالموصوف» اهـ. وهذا دليل على أن الجهل بالموصوف ـ وهو هنا الله ـ كفر.

وقال رضي الله عنه أيضًا[1]: «اعلم أن الحقّ يوصف باليدين والوجه والعين على الوصف الذي يليق به. وليس الخلاف في اليد وإنما الخلاف في الجارحة. وليس الخلاف في الوجه وإنما الخلاف في الصورة الجسمية. وليس الخلاف في العين وإنما الخلاف في الحدقة. فالمعتزلة يذهبون إلى التعطيل والتمويه، والمشبّهة إلى التمثيل، وأهل السنَّة إلى التنـزيه، **والمشبهة قالوا أراد باليد الجارحة، وبالوجه وجهَ الصورة، وأهل السُّنَّة أثبتوا اليد ونفوا الجارحة، وأثبتوا الوجه ونفوا الصورة، وهذا هو المذهب الحقّ**» اهـ.

وقال جزاه الله خيرًا[2]: «وأما قول من أراد به الجارحة فباطل، لأنه لو كان يده يد جارحة ووجهه وجه جارحة، لشبّهتَه بنفسك، والخالق سبحانه وتعالى لا يشبّه بالمخلوق، ولا يجوز عقلًا ولا نقلًا، أما العقل فلاستحالة ذلك عليه، وأما النقل فلقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ (الشورى)، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص)» اهـ.

وقال أيضًا[3]: «إن نفيت التشبيه في الظاهر والباطن فمرحبًا بك، وإن لم يمكنك أن تتخلّص من شَرَك التشبيه إلى خالص التوحيد وخالص التنـزيه إلا بالتأويل فالتأويل خيرٌ من التشبيه، **وإذا اعتقدت أن الله ليس بجسم فلا يخطر ببالك بعد هذا شيء من الاحتياج إلى شيء من الاستواء بطريق الاتصال، أو النزول بطريق الانتقال لأنّ ذلك من صفات الأجسام لا من صفات الجلال**، فإن نزّهت عقيدتك عن دَرَن التشبيه والتمثيل، فقد وقع

=٩/ ١٤٨: «المراد بالدنو هنا دنو كرامة وإحسان لا دنو مسافة، والله تعالى منزّه عن المسافة وقربها» اهـ.

١) **مجالس ابن الجوزيّ**، ابن الجوزي، ص٦.

٢) **مجالس ابن الجوزيّ**، ابن الجوزي، ص٧.

٣) **مجالس ابن الجوزيّ**، ابن الجوزي، ص١١.

الوفاق وحصل الاتفاق» اهـ.

وقال رحمه الله[1]: «تأمّلت سبب تخليط العقائد، فإذا هو الميل إلى الحسّ وقياس الغائبات على الحاضر، فإنّ أقوامًا غلب عليهم الحسّ، فلمّا لم يشاهدوا الصانع جحدوا وجوده، ونسوا أنه قد ظهر بأفعاله[2]، وأن هذه الأفعال لا بدّ لها من فاعل.

ثم جاء قوم فأثبتوا وجود الصانع ثم قاسوه على أحوالهم فشبّهوا حتى إن قائلهم يقول في قوله[3]: «**ينـزلُ إلى السماءِ**»: ينتقل، ويستدلّ بأن العرب لا تعرف النزول إلا الانتقال.

وضلَّ خلق كثير في صفاته، كما ضلَّ خلق في ذاته، فظنَّ أقوام أنه يتأثّر حين سمعوا أنه «**يَغْضَبُ ويَرْضى**»[4]، ونسوا أن صفته تعالى قديمة لا

---

1) **صيد الخاطر**، ابن الجوزيّ، ص٣٢٦.

2) أي يدلُّ عليه كلُّ شيءٍ، فالله تعالى ظاهرٌ من حيثُ الدلائلُ العقليةُ التي قامتْ على وجودِه وقدرتِه وعلمِه وإرادتِه لأنَّ ما من شيءٍ إلا وهو يدلُّ دلالةً عقليةً على وجود الله سبحانه وتعالى.

3) ثبت التأويل عن الإمام مالك في حديث النزول فقد قال: «نزول رحمة لا نزول نقلة» اهـ. وقال بعض العلماء: والأوْلى أن يُحْمَل على نزول المَلَك بأمر الله. **شرح صحيح مسلم**، النووي، ٦/ ٣٦. فقد أخرج النسائيّ من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح عن النبيّ ﷺ: «**إنَّ الله يُمْهِلُ حتى إذا مضى شطرُ الليلِ الأولُ أمرَ مناديًا فينادي هلْ مِنْ داعٍ فيستجابَ له ...**» الحديث ورد في سنن النسائيّ الكبرى، ٦/ ١٢٤، رقم الحديث ١٠٣١٦. وهذا تفسير للرواية المشهورة: «**ينزل ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا فيقولُ هلْ مِنْ داعٍ فأَستجيبَ لهُ**» ..إلخ.

4) قال الحافظ البيهقيّ في كتاب **الأسماء والصفات ٢/ ٤٦٩** ما نصه: «المحبة والبغض والكراهية عند بعض أصحابنا من صفات الفعل، فالمحبة عنده بمعنى المدح له بإكرام مكتسبه، والبغض والكراهية بمعنى الذم له بإهانة مكتسبه، فإن كان المدح والذم بالقول فقولُه كلامه وكلامه من صفات ذاته» اهـ. وقال الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله في كتابه **الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية** ص ٩٧: «يجب إثبات صفة الغضب وصفة الرضى لله مع تنزيهه تعالى عن أن يكون غضبه ورضاه تأثرًا، بل هما صفتان أزليتان قديمتان أبديتان، أما ما ورد في الحديث «**إنَّ الله غَضِبَ اليومَ غضبًا لمْ يغضَبْ قبلَهُ مثلَهُ ولا يغضبُ بعدَهُ مثلَهُ**» فالمراد بذلك آثار الغضب وليس المراد الصفة، ومعناه أن الله أعدّ في ذلك اليوم من آثار الغضب =

يحدث منها شيء.

وضلّ خلق في أفعاله فأخذوا يعلّلون فلم يقنعوا بشيء، فخرج منهم قوم إلى أن نسبوا فعله إلى ضدّ الحكمة، تعالى عن ذلك.

ومَن رُزِق التوفيق فليحضر قلبه لِما أقول: اعلم أن ذاته سبحانه لا يشبه الذوات، وصفاته ليست كالصفات، وأفعاله لا تقاس بأفعال الخلق.

أما ذاته سبحانه فإنّا لا نعرف ذاتًا إلا أن تكون جسمًا، وذاك يستدعي سابقة تأليف، وهو منـزّه عن ذلك لأنه المؤلِف، وإما أن يكون جوهرًا فالجوهر متحيّز وله أمثال، وقد جلَّ عن ذلك، أو عَرَضًا فالعَرَض لا يقوم بنفسه بل بغيره، وقد تعالى عن ذلك.

فإذا أثبتنا ذاتًا قديمًا خارجًا عما يُعرف، فليعلم أن الصفات تابعة لذلك الذات، فلا يجوز لنا أن نقيس شيئًا منها على ما نفعله ونفهمه، بل نؤمن به ونسلّم به» اهـ.

وقال ابن الجوزي[1]: «قال ابن حامد المجسم: الاستواء مماسته وصفة لذاته والمراد به القعود، قال: وقد ذهب طائفة من أصحابنا ـ أي بعض المنتسبين إلى الحنابلة ـ إلى أن الله عزّ وجلّ على عرشه ما ملأه وأنه يقعد نبيَّه معه على العرش.

والعجب من قول هذا ـ أي ابن حامد المجسّم ـ ما نحن مجسمة، وهو تشبيه محض، تعالى الله عزّ وجلّ عن المحل والحيز لاستغنائه عنهما، ولأن ذلك مستحيل في حقه عزّ وجلّ، ولأن المحل والحيز من لوازم الأجرام، ولا نزاع في ذلك، وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك **لأن الأجرام من صفات الحدَث، وهو عزّ وجلّ منزه عن ذلك شرعًا وعقلا**، بل هو أزلي لم يُسْبَقْ بعدم بخلاف الحادث.

=ما لم يسبق قبل ذلك ولا يفعل بعد ذلك ما هو أشدّ، منه لأنّ الله تعالى شاء أن يحصل ذلك اليوم من آثار الغضب منتهى الآثار» اهـ.

١)**دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزي، ص١٢٨.

ومن المعلوم أن الاستواء إذا كان بمعنى الاستقرار والقعود لا بد فيه من المماسة، والمماسة إنما تقع بين جسمين أو جِرمين، والقائل بهذا شبَّه وجسَّم، وما أبقى في التجسيم والتشبيه بقية، كما أبطل دلالة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ (الشورى)» اهـ.

وقال أيضًا[1]: «**وكل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين خرج إلى الكفر، فإن المجسمة دخلوا في ذلك لأنهم حملوا أوصافه على ما يعقلون**» اهـ.

وقال[2]: «ومن تأمَّل حال بني إسرائيل رآهم قد أمروا بقول حِطَّة فقالوا حنطة... ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم، وهذا من أعظم التغفيل لأن الجسم مؤلَّف، ولا بد للمؤلَّف من مؤلِف ـ بكسر اللام المشددّة ـ» اهـ.

قول ابن هبة الله[3] رحمه الله (ت ٥٩٩هـ) في كتابه الذي قدّمه للسلطان صلاح الدين الأيوبيّ رضي الله عنه (ت ٥٨٩هـ)

قدَّم الإمامُ تاج الدين بن هبة الحمويّ[4] للسلطان صلاح الدين أرجوزةً في العقيدة قال في مطلعها: [الرجز]

جمعتُها لِلْمَلِكِ الأمـينِ … الناصرِ الغازي صلاحِ الدينِ

ثم إن السلطان صلاح الدين أمر بتحفيظ هذه العقيدة للطلاب في المدارس الصلاحية وأمر المؤذنين بقراءتها قبل صلاة الفجر.

---

١)**صيد الخاطر**، ابن الجوزي، ص٢٥٦.

٢)**التبصرة**، ابن الجوزي، ١/ ٤٩١.

٣)محمد بن هبة الله الحمويّ، تاج الدّين، كان فقيهًا نحويًّا متكلّمًا، أشعريَّ العقيدة، إمامًا من أئمة المسلمين، إليه مرجع أهل الديار المصرية في فتاويهم، وله نظم كثير، منه أرجوزة سماها: «حدائق الفصول وجواهر الأصول» صنّفها للسلطان صلاح الدين، وهي حسنة جدًّا يانعة عذبة النظم نظمها سنة ٥٧٠ هجرية. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٤/ ١٩٥.

٤)**العقيدة الصلاحية**، ابن هبة الحمويّ، ص ٦٠، ٦١.

ومما فيها في تنزيه الله تعالى[1]: [الرجز]

لیسَ بجسمٍ إذْ لكلّ جسمِ مُـؤلِـفٍ مخصِـصٍ بـعِـلْـمِ

ومما فيها أيضًا قوله[2]: [الرجز]

اعلمْ أصبْتَ نَهـجَ الخـلاصِ وفُـزْتَ بالتوحيدِ والإخلاصِ
أن الــذي يـؤمِـنُ بالرحمنِ يُثْبِتُ ما قد جـاءَ في القرآنِ
مِنْ سائرِ الصفاتِ والتنـزيهِ عَن سَنَنِ التعطيلِ والتشبيهِ
من غـيرِ تجسيمٍ ولا تكييفِ لِـما أتـى فـيـهِ ولا تحريفِ
فـإنَّ مَـنْ كـيَّـفَ شيئًا منها زاغَ عـنِ الحـقِ وضـلَّ عنها
وهكذا ما جـاءَ في الأخبارِ عنِ النبيّ المصطفى المختارِ

وعلى هذا المعتقد كان السلطان صلاح الدين الأيوبيّ رضي الله عنه، وكان له اعتناء خاص بنشر عقيدة الإمام الأشعريّ رحمه الله فقد ذكر السيوطيّ ما نصه[3]: «فلـما وَلِيَ صلاح الدين بن أيوب أَمَرَ الـمؤذنين في وقت التسبيح أن يعلنوا بذكر العقيدة الأشعرية، فوظّف الـمؤذّنين على ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا» اهـ. أي إلى وقت السيوطيّ الـمتوفى سنة ٩١١هـ.

ومما جاء في هذه الرسالة[4]: [الرجز]

وَصَانِـعُ العَالَـمِ لاَ يَحْوِيـه قُـطْـرٌ[5] تعالى اللهُ عن تشبيهِ

١) **العقيدة الصلاحية**، ابن هبة الحمويّ، ص ٦٠، ٦١.

٢) **العقيدة الصلاحية**، ابن هبة الحمويّ، ص٦٤، ٦٥.

٣) **الوسائل إلى مسامرة الأوائل**، السيوطيّ، ص١٥.

٤) **حدائق الفصول وجواهر الأصول**، ابن هبة الله، ص١٠.

٥) قال الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله في بعض دروسه: «القطر الجهة» اهـ.

قَدْ كَـانَ مَـوْجُـودًا وَلاَ مَكَانا وحكمُهُ الآنَ عـلى مـا كانا
سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنِ الـمكَـانِ وعَـــزَّ عَـــنْ تـغـيُّرِ الـزمـانِ
فَـقَـدْ غَـلا وَزَادَ في الغُلُـوّ مَــن خـصَّــهُ بجهةِ الـعُـلُـوّ
وَحَــصَرَ الصَّانِعَ في السَّماءِ مبدِعَهَا والعرشِ فـوقَ الماءِ
وَأَثْـبَـتُـوا لِـذَاتِـهِ التَّحَيُّـزَا قد ضلَّ ذو التشبيهِ في ما جوَّزا

نعم ضل ذو التشبيه وكفر بالله العظيم في ما قال وجَوَّزَ على الله والعياذ بالله.

قول الإمام الفقيه الأصوليّ فخر الدين الرازيّ رحمه الله (ت ٦٠٦هـ)

قال الإمام الأصوليّ فخر الدين الرازيّ(١) في وصف الله تعالى: «لا يجوز أن يكون المراد من العظيم **العظمة بالجثّة وكبر الجسم لأنّ ذلك يقتضي كونه مؤلَّفًا من الأجزاء والأبعاض**، وذلك ضدُّ قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (الإخلاص)» اهـ.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ۝٦٤﴾ (المائدة) ما نصُّه(٢): «واعلم أن الكلام في هذه الآية من المهمّات، فإن الآيات الكثيرة في القرآن ناطقة بإثبات اليد، فتارة المذكور هو اليد من غير بيان العدد، قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۝١٠﴾ (الفتح)، وتارة بإثبات اليدين لله تعالى، منها هذه الآية المذكورة سابقًا، ومنها قوله تعالى لإبليس الملعون: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۝٧٥﴾ (ص)، وتارة بإثبات الأيدي، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ۝٧١﴾ (يس)، وإذا عرفت هذا فنقول: قالت طائفة وهم المجسّمة: إنها عضو

---

١)**مفاتيح الغيب**، الرازيّ، ٢٧/ ١٤٤.

٢)**مفاتيح الغيب**، الرازيّ، ١٢/ ٣٩٥.

جسمانيّ كما في حقّ كلّ أحد، واحتجّوا عليه بقوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ١٩٥ ﴾ (الأعراف)، وجه الاستدلال عندهم أنه تعالى قدح في إلهية الأصنام لأجل أنها ليس لها شيء من هذه الأعضاء، فلو لم تحصل لله هذه الأعضاء لزم القدح في كونه إلهًا، ولمّا بطل ذلك وجب إثبات هذه الأعضاء له، قالوا: وأيضًا اسم اليد موضوع لهذا العضو، فَحَمْلُهُ على شيء آخر تَرْك للغة، وإنه لا يجوز. **واعلم أن الكلام في إبطال هذا القول مبنيّ على أنه تعالى ليس بجسم**، والدليل عليه أن الجسم لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدَثان، وما لا ينفك عن المحدَث فهو محدَث، ولأن كل جسم متناه في المقدار، وكل ما كان متناهيًا في المقدار فهو محدَث. ولأن كل جسم مؤلَّف من الأجزاء، وكل ما كان قابلًا للتركيب والانحلال وكل ما كان كذلك افتقر إلى ما يركّبه ويؤلّفه، وكل ما كان كذلك فهو محدَث، **فثبت بهذه الوجوه أنه يمتنع كونه تعالى جسما**، فيمتنع أن تكون يده عضوًا جسمانيًّا» اهـ.

وهذا ما عليه المسلمون من أولهم إلى آخرهم، وهو تنـزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق ولو بصفة من الصفات.

وقال[1]: «ومن قال ذلك فقد اعتقد كونه مركَّبًا مؤلَّفًا، فكان امتناعه عن إطلاق لفظ المؤلَّف والمركَّب امتناعًا عن مجرد هذا اللفظ مع كونه معتقدًا لمعناه، فثبت أنهم إنما أطلقوا لفظ الجسم لأجل أنهم اعتقدوا كونه تعالى عريضًا عميقًا ممتدًّا في الجهات، فثبت أن امتناعهم عن هذا الكلام لمحض التقيّة والخوف، وإلا فهم يعتقدون كونه تعالى مركَّبًا مؤلَّفًا» اهـ.

وقال كذلك[2]: «**المجسمة كفار** لأنهم اعتقدوا أن كل ما لا يكون متحيزًا ولا في جهة ليس بموجود، ونحن نعتقد أن كل متحيز فهو محدَث، وخالقه

---

١) **أساس التقديس**، الرازي، ص٦٥.

٢) **معالم أصول الدين**، الرازي، ص١٣٨.

موجود ليس بمتحيز ولا في جهة. **فالمجسمة نفَوا ذات الشىء الذي هو الإله، فيلزمهم الكفر**» اهـ.

وقال[1]: «فالخلاف بين المجسّم والموحد ليس في الصفة بل في الذات، **فصح في المجسّم أنه لا يؤمن بالله**» اهـ.

وقال أيضًا: «إنّ اعتقاد أن الله جالس على العرش أو كائن في السّماء فيه تشبيه الله بخلقه» اهـ.

وهذا تصريح منه رحمه الله على إجماع الأمة على أنّ الله ليس جسمًا وعلى كفر المجسّم.

قول الإمام فخر الدين بن عساكر[2] رحمه الله (ت ٦٢٠هـ)

قال تاج الدّين السّبكيّ[3] رحمه الله ناقلًا ما أقرّه الفخر بن عساكر[4]: «اعلم أرشدنا الله وإياك أنه يجب على كلّ مكلَّف أن يعلم أن الله عزَّ وجلَّ

---

١) **مفاتيح الغيب**، الرازي، ١٦/ ٢٤.

٢) عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقيّ الشيخ الإمام الكبير أبو منصور فخر الدين بن عساكر، ت ٦٢٠هـ، شيخ الشافعية بالشام. ولد سنة خمس وخمسين وخمسمائة وتفقَّه بدمشق على الشيخ قطب الدين النيسابوريّ، وزوّجه بابنته واستولدها، وسمع الحديث من عمَّيه الإمامين الحافظ الكبير أبي القاسم والصائن هبة الله وجماعة، وحدّث بمكة ودمشق والقدس، وله تصانيف في الفقه والحديث وغيرهما. وكان إمامًا صالحًا قانتًا عابدًا ورعًا كثير الذكر. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٨/ ١٧٥، ١٨٥.

٣) عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي السبكيّ، ت ٧٧١هـ، أبو نصر تاج الدين قاضي القضاة، المؤرخ الفقيه. ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده العلامة الأصوليّ تقيّ الدين السبكيّ، فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سَبك من أعمالِ المنوفية بمصرَ، وكان طلق اللسان، قويّ الحجة. من تصانيفه: «طبقات الشافعية الكبرى»، و«معيد النعم ومبيد النقم»، و«جمع الجوامع في أصول الفقه»، و«الأشباه والنظائر». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١٤٥، ١٤٨.

٤) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٨/ ١٨٦.

واحد في ملكه، خلق العالم بأسره، العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسموات والأرضَ وما فيهما وما بينهما، جميعُ الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذرةٌ إلا بإذنه، ليس معه مُدبّرٌ في الخلق ولا شريك في الملك، حيٌّ قيّوم لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ، عالم الغيبِ والشهادة، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، يعلمُ ما في البَر والبحر، وما تسقطُ من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، فعّالٌ لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملكُ وله الغِنى، وله العز والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء. لا يرجو ثوابًا ولا يخاف عقابًا، ليس عليه حق ـ يلزمه ـ ولا عليه حكم، وكل نعمة منه فضلٌ وكل نقمة منه عدلٌ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كلٌّ ولا بعض. ولا يقال متى كان ولا أين كان ولا كيف، كان ولا مكان، كوَّن الأكوان ودبَّر الزمان، لا يتقيَّد بالزمان، ولا يتخصَّص بالمكان، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا يلحقه وهم، ولا يكتنفه عقل(١)، ولا يتخصَّص بالذهن(٢)، ولا يتمثّل في النفس(٣)، ولا يُتَصوَّر في الوهم(٤)، ولا يتكيَّف في

---

١)«كَنَفَهُ حاطه وصانه، وبابه نصر، والكَنَفُ بفتحتين: الجانب، وتَكَنَّفُوهُ واكْتَنَفُوهُ وكَنَّفُوهُ تكنِيفًا: أحاطوا به» اهـ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة ك ن ف، ١/ ٥٨٦. أي لا تحيط بالله العقول.

٢)«الذّهْنُ بالكسر: الفَهْمُ والعَقْلُ وحِفْظُ القَلْبِ والفِطْنَةُ، ويُحَرَّكُ، والقُوَّةُ والشَّحْمُ، ج: أذْهانٌ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ذ هـ ن، ص١٥٤٧. الله لا يحدّه زمان ولا مكان ولا يتصور في الأذهان، تنزه عن مشابهة المخلوقين.

٣)«مَثَّلَ له كذا تمثِيلًا إذا صوّر له مثاله بالكتابة أو غيرها، والتِمْثَالُ: الصورة والجمع التَّماثِيلُ» اهـ. **مختار الصحاح**، الرازي، مادة م ث ل، ١/ ٦٤٢. ليس لله مثيل فلا تستطيع النفس أن تتصوّره.

٤)«الصورة: الشكل، وقد صوّره صورة حسنة فتصوّر: تشكل. وتستعمل الصورة=

العقل[1]، لا تلحقه الأوهام والأفكار، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)»اهـ.

وأنوّه أن هذه الرسالة فيها ذكر عقيدة أهل السّنة والجماعة مختصرة جامعة مناقضة لعقيدة أدعياء السلفية زورًا، موضحة لعقيدة الأشاعرة التي هي عقيدة الصحابة رضوان الله عليهم وعقيدة من تبعهم بإحسان من سلف وخلف، وهي رسالة عظيمة أثنى عليها الحافظ صلاح الدين خليل بن كَيكَلدي العلائيّ[2] رحمه الله المتوفى سنة ٧٦١هـ وسماها العقيدة المرشدة وقال: «هذه العقيدة المرشدة جرى قائلها على المنهاج القويم والعقد المستقيم، وأصاب في ما نَزَّه به العليّ العظيم» اهـ. نقل ذلك تاج الدين السبكيّ في طبقاته[3]، ووافقه في تسميتها

= بمعنى النوع والصفة، ومنه الحديث: «**أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة**» (رواه الترمذيّ، ٥/ ٣٦٦، رقم ٣٢٣٣). وقال ابن الأثير في **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ٣/ ١٢٢: «الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا أي صفته، فيكون المراد بما جاء في الحديث أنه أتاه في أحسن صفة، ويجوز أن يعود المعنى إلى النبيّ ﷺ أي أتاني ربي وأنا في أحسن صورة، وتجرى معاني الصورة كلها عليه، إن شئت ظاهرها أو هيئتها وصفتها، فأما إطلاق ظاهر الصورة على الله عزّ وجلّ فلا، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ص و ر، ١٢/ ٣٥٨.

١) «قال الأزهريّ عن كيف: الغالب فيه أن يكون استفهامًا عن الأحوال» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ك ي ف، ٢٤/ ٣٤٩. أي لا يقدر العقل أن يكيّفه أو يتصوّره لأن الله لا صورة له ولا كيف.

٢) خليل بن كيكلدي عبد الله العلائي الدمشقي، صلاح الدين محدّث فاضل عاش وولد وتعلم في دمشق، ورحل رحلة طويلة ثم أقام في القدس مدرسًا في الصلاحية سنة ٧٣١ هـ وتوفي بها سنة ٧٦١هـ. من كتبه: «المجموع المذهب من قواعد المذهب»، و«الأربعون في أعمال المختار». **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٣٢١.

٣) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٨/ ١٨٦.

بالعقيدة المرشدة وساقها بكاملها، وقال في آخرها ما نصه: «هذا آخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سني» اهـ. أي هي مما أجمع عليه أهل السُّنّة والجماعة.

قول الأصوليّ سيف الدين الآمديّ[1] رحمه الله (ت ٦٣١هـ)

قال سيف الدين الآمديّ الذي كان من علماء الأصول[2]: «فانظر إلى هاتين الطائفتين كيف التزم بعضهم التعطيل خوف التجسيم، والتزم بعضهم التجسيم خوف التعطيل، ولسان الحال ينشد على لسان الفريقين ويعبّر عن حال الجمعين: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ١١٣﴾ (البقرة)» اهـ.

وقال أيضًا[3]: «القاعدة الثانية: في إبطال التشبيه وبيان ما لا يجوز على الله تعالى: معتقد أهل الحقّ أن الباريءَ لا يشبه شيئًا من الحادثات، ولا يماثله شيء من الكائنات، بل هو بذاته مُنفَردٌ عن جميع المخلوقات، **وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عَرَض**، ولا تحلّه الكائنات، ولا تمازجه الحادثات، ولا له مكان يحويه، ولا زمان هو فيه، أوَّلٌ لا قَبْلَ له، وآخِرٌ لا بَعدَ له ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشـورى)» اهـ.

---

١)عليّ بن محمد بن سالم التغلبيّ أبو الحسن سيف الدين، ت ٦٣١هـ، أصوليّ باحث، حسده بعض المجسّمة ونسبوا إليه فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفيًا إلى حماة ومنها إلى دمشق فتوفي بها. له نحو عشرين مصنّفًا، منها: «الإحكام في أصول الأحكام»، و«أبكار الأفكار في علم الكلام»، و«لباب الألباب». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣٣٢.

٢)**غاية المرام في علم الكلام**، سيف الدين الآمديّ، ص ١١٢.

٣)**غاية المرام في علم الكلام**، سيف الدين الآمديّ، ص ١٧٩.

قول المحدّث أحمد بن عمر القرطبيّ[1] صاحب كتاب المُفْهِم شرح مسلم (ت ٦٥٦هـ)

قال الحافظ ابن حجر العسقلانيّ[2]: «وقال القرطبيّ في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: «عن عبد الله أنّ يهوديًا جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يا محمّدُ، إنَّ الله يمسِكُ السَّماوات على إِصبعٍ والأَرَضِينَ على إِصبَع والجبالَ على إصبَع والشَّجر على إصبعٍ والخلائقَ على إصبَع ثمَّ يقولُ أنا الملِكُ، فضَحِك رسول الله ﷺ حتى بدتْ نواجِذُه ثمَّ قرأ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ٩١﴾ (الأنعَام). قوله «إن الله يمسك» إلى آخر الحديث، هذا كلّه قول اليهوديّ **وهم يعتقدون التجسيم وأن الله شخص ذو جوارح كما يعتقد غلاةُ المشبهة من هذه الأمة**، وضَحِكُ النبيّ ﷺ إنما هو للتعجّب من جهل اليهوديّ، ولهذا قرأ عند ذلك: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ٩١﴾ (الأنعام) أي: ما عرفوه حقَّ معرفته ولا عظَّموه حقَّ تعظيمه.

فهذه الرواية هي الصحيحة المحقَّقة، وأما من زاد: «وتصديقًا له» فليست بشىء، فإنها من قول الراوي وهي باطلة لأنّ النبيّ ﷺ لا يصدّق المحال، **وهذه الأوصاف في حقّ الله محال، إذ لو كان ذا يد وأصابع وجوارح كان كواحدٍ منّا** فكان يجب له من الافتقار والحدوث والنقص والعجز ما يجب لنا، ولو كان كذلك لاستحال أن يكون إلهًا، إذ لو جازت الإلهية لمن هذه صفته لصحّت للدجّال، وهو محال، فالمفضي إليه كذب.

فقول اليهوديّ كذب ومحال، ولذلك أنزل الله في الردّ عليه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ٩١﴾ (الأنعام)، وإنما تعجّب النبيّ ﷺ من جهله، فظنّ

---

١)أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاريّ القرطبيّ، ت ٦٥٦هـ، فقيه مالكيّ، من رجال الحديث. يعرف بابن المزين، كان مدرسًا بالإسكندرية وتوفي بها. ومولده بقرطبة. من كتبه: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» شرح به كتابًا من تصنيفه في اختصار مسلم. وله في القرويين بفاس كتاب «اختصار صحيح البخاريّ». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ١٨٦.

٢)**فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٣٩٨.

الراوي أن ذلك التعجّب تصديق، وليس كذلك.

فإن قيل: قد صحّ حديث[1]: «**إنَّ قلوبَ بني آدمَ كلَّها بينَ إصبعينِ منْ أصابعِ الرحمنِ**»، فالجواب أنه إذا جاءنا مثل هذا في الكلام الصادق تأوّلناه أو توقّفنا فيه إلى أن يتبيّن وجهه مع القطع باستحالة ظاهره لضرورة صدق من دلّت المعجزة على صدقه، وأما إذا جاء على لسان من يجوز عليه الكذب، بل على لسان من أخبر الصادق عن نوعه بالكذب والتحريف، كذّبناه وقبّحناه.

ثم لو سلّمنا أن النبيّ ﷺ صرّح بتصديقه **لم يكن ذلك تصديقًا له في المعنى، بل في اللفظ الذي نقله من كتابه عن نبيّه، ونقطع بأن ظاهره غير مراد**» اهـ.

قول العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)

قال الشيخ الفقيه عبد العزيز بن عبد السلام[2]: «**ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنـزيه دون التجسيم والتشبيه، وكذلك جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف**، فهم كما قال القائل: [الوافر]

وكُـلٌّ يَـدَّعـون وِصـالَ ليلى ... ولـيـلى لا تُـقِـرُّ لهـم بـذاكـا
إذا اشتبَهَتْ دموعٌ في خُدودٍ ... تَـبَـيَّنَ مَـنْ بَكَى ممَّـنْ تباكى

وكيف يُدَّعى على السلف أنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه أو يسكتون عند ظهور البدع ويخالفون قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (البقرة)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴿١٨٧﴾﴾ (آل عمران)، وقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

---

١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، ٦/ ٢٠٤.

٢) **رسائل التوحيد**، العز بن عبد السلام، ص ١٧.

(النحل)، والعلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام فيجب عليهم من البيان ما يجب على الأنبياء عليهم السلام، وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران). وأنكرُ المنكَرات التجسيم والتشبيه[1]، وأفضل المعروف التوحيد والتنـزيه، وإنما سكت السلف قبل ظهور البدع، فوربّ السماء ذات الرجع،

---

١)أي من أنكر المنكرات، فإن أشدّ الكفر هو كفر التعطيل أي إنكار وجود الله والعياذ بالله، وكفر الحلول، وكفر الوحدة المطلقة، ومما يجب التحذير منه كتاب تستعمله جماعة من النساء المبتدعات مكتوب عليه اسم «مزامير داود»، وهو عبارة عن مجموعة قصائد شعرية يحتوي على كلمات كفرية منها: كل ما تهواه موجود في ذات الله.

ومنها: اثنان نحن وفي الحقيقة واحد لكن أنا أدنى وأنت الأكبر.

ومنها هذه الجملة: دع طـرق الغَيْ فالدنيا فيّ ما الكون إلا القيوم الحيّ.

وهذه العبارات منها ما هو صريح بالقول بالوحدة المطلقة، وهي بزعمهم أن الله جملة العالم، وبعضها صريح في الحلول أي حلول الله في الأجسام، تعالى الله عن ذلك، وكلتا العقيدتين ضد التوحيد، إذ التوحيد هو إفراد الله تعالى بالقِدم والأوَّليَّة والعبادة كما قال الإمام الجنيد رضي الله عنه: «التوحيد إفراد القديم من المحدَث» اهـ.**فتح الباري**، ابن حجر، ٧/ ١٢٤. وقوله هذا فيه إبطال عقيدتَيْ وحدة الوجود والحلول. ولا يغتر بوجود هذه الكلمة: «ما الكون إلا القيوم الحيّ» في ديوان الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ أو ديوان الشيخ محيي الدين بن عربيّ فهما بريئان منها ومن مثلها لأنهما من أكابر الموحّدين المنـزّهين، فقد قال الشيخ عبد الغنيّ في بيان كفر التشبيه وأنه يكفر من اعتقد واحدة منها ما نصه: «أو أنه ـ أي الله ـ له الحلول في شىء من الأشياء أو في جميع الأشياء، أو أنه متَّحِد بشىء من الأشياء أو بجميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلّة منه أو شىء منه، وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه» اهـ. وكيف يُنسب إليه هذا وهو القائل في منظومته في التوحيد: [الرجز]

معرفةُ الله عليكَ تُفترضْ بأنهُ لا جوهرٌ ولا عَرَضْ اهـ.

فمن قال بخلاف ذلك لم يعرف التوحيد ولا هو من أهله. وقد تفشى مذهب الحلول في هذا العصر لدى زنادقة المتصوفة، ومن أبرزهم اليشرطية وهم طائفة تنتسب بالأصل للطريقة الشاذلية، وقد انحرفوا عن شيخهم علي نور الدين اليشرطي الذي حذّر منهم في حياته كما ذكر صاحب «**جامع كرامات الأولياء**» يوسف النبهاني في ترجمته، والطريقة الشاذلية الحقّة بريئة من هذه العقائد الفاسدة.

والأرض ذات الصدع، لقد تشمّر السلف للبدع لمَّا ظهرت، فقمعوها أتمّ القمع، وردعوا أهلها أشدّ الرَّدْع، فردُّوا على القدرية والجهمية والجبرية وغيرهم من أهل البدع، فجاهدوا في الله حقَّ جهاده.

والجهاد ضربان: ضرب بالجدل والبيان، وضرب بالسيف والسنان، فليت شعري! فما الفرق بين مجادلة الحشوية وغيرهم من أهل البدع، لولا خبث الضمائر وسوء اعتقاد في السرائر ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (النساء).

وإذا سُئل أحدهم عن مسألة من مسائل الحشو، أمر بالسكوت عن ذلك، وإذا سُئل عن غير الحشو من البدع أجاب فيه بالحق، **ولولا ما انطوى عليه باطنه من التجسيم والتشبيه، لأجاب في مسائل الحشو بالتوحيد والتنزيه،** ولم تزل هذه الطائفة المبتدِعة قد ضُرِبت عليها الذلَّة أينما ثُقِفوا ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (المائدة)، لا تلوح لهم فرصة إلا طاروا إليها، ولا فتنة إلا أكبُّوا عليها، وأحمد ابن حنبل وفضلاء أصحابه وسائر علماء السلف برءاء إلى الله مما نسبوه إليهم واختلفوا عليهم» اهـ. وقد تقدَّم بعضُه.

وما يُعزى لعز الدين بن عبد السلام في كتاب «القواعد» من عدم تكفير المجسمة الذين يثبتون وجود الله في جهة فوق لا اعتداد به، لأنه يخالف ما قاله إمام المذهب بل إمام المسلمين محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، وعز الدين بن عبد السلام من متأخري الشافعية[1]، على أنّنا لا نعتقد فيه أنه

---

١) فائدة: المنتسبون إلى الإمام الشافعي ثلاث مراتب، أعلاها أصحاب الوجوه، وهم الذين يستنبطون من كلام الإمام ما لم ينص عليه، تليهم مرتبة أخرى هي مرتبة أصحاب الترجيح، وهم الذين يرجحون قولًا على قول للشافعي إذا كان للشافعي في المسألة قولان، أو يرجحون وجهًا على وجه من الوجوه التي استنبطها أصحاب الشافعي الذين فوقهم. ثم تلي هذه المرتبة النَّقَلَةُ وهؤلاء ليس لهم ترجيح ولا استنباط، إنما غاية أمرهم أنهم ينقلون ما قاله الإمام أو ما قاله أصحابه.

قال هذا. كيف لا يكفّر المجسّمة وهم يُكفّرون جميعَ الأمة الإسلامية، فهم يكفرون الأشاعرة والماتريدية. وهؤلاء المشبهة يجسّمون تجسيمًا صريحًا، وإن قالوا في بعض الحالات: لله استواء على العرش بلا كيف، وله وجه وعين ويد بلا كيف. لكن هم يعتقدون الكيف، لكن يقولون ذلك ليوهموا الناس أنهم مع السلف الذين قالوا هذا القول، وشأنهم أنهم لا يُصرّحون دائمًا بالتجسيم، ويوكلون الأمر إلى تلامذتهم في كتب تنشر وفيها السموم مثل كتاب اسمه: «إثبات الحد لله وبأنه قاعد وجالس على عرشه»، للمدعو محمد الدشتي (ت٦٦٥هـ). وبترك تحذير المشايخ منهم اتسعوا وانتشروا.

نحن مقلدون للإمام الشافعي المجتهد وأمثاله من المجتهدين، ولسنا مقلدين لمن خالفهم، فالمخالفون كلامهم ساقط كالعدم، وهذا في الفقهيات وأمور المعاملات، فكيف في العقيدة.

أما الاجتهاد المطلق فهو يكون لمن في مرتبة الشافعي وغيره من المجتهدين، ونحن نعطي كل مرتبة ما يجوز لها.

ثم لو كان الله تعالى جسمًا لاستحال عليه سبحانه أن يخلق الجسم. ولو كان يصح في العقل أن يكون الخالق جسمًا لصحت الألوهية للشمس، فماذا يقول هذا المجسّم لو قيل له: أنت تقول: الله جسم، فكيف لا تصح على موجب قولِك الألوهية للشمس، مع أن الشمس جسم كبير حسن المنظر، كثير النفع.

بأيّ جواب سيردّ المجسم المعتقد أن الله متحيّز في جهة فوق على الذي يقول بألوهية الشمس، وهو لا يملك دليلًا عقليًّا، بل عابد الشمس سيسكته كما تقدّم، يقول له عابد الشمس: أنا أقول الشمس هي الإله لأنها جسم كبير كثير النفع، تنفع البشر والنبات والهواء. أما معبودك الذي تزعم أنه خالق العالم وتزعم أنه جسم قاعد على العرش، فليس مشاهَدًا لك ولا لنا، وليس له منفعة مشاهَدة، فكيف لا تستحق الشمس التي أنا أعبدها أن تكون الإله ويستحق الذي تقول إنه جسم قاعد على العرش أن يكون

الإله؟. فلن يكون عند المجسّم جواب. فإن قال: قال الله كذا وكذا، قال عابد الشمس: أنا لا أؤمن بكتابك، أريد منك دليلًا عقليًّا على صحة ما تقوله وعلى بطلان دين عبادة الشمس، هنا ينقطع المجسم.

أما المنزّه لله تعالى عن الجسمية والتحيز في المكان والمقدار والكمية والحجم وكل صفات الجسم فيقول لعابد الشمس: معبودي أنا هو الذي تصح له الألوهية لأنه لا يشبه شيئًا من خلقه، لا يجوز عليه التغير كما يجوز على الشمس، فالشمس لها طلوع وغروب، وتحتاج إلى من يدبّرها وإلى من يخصصها بهذه الصفات التي فيها بدل غيرها، لأنه لا يصح في العقل أن تكون هي خلقت نفسها، لا يصح أن تكون هي جعلت نفسها على هذا الشكل الخاص من الاستدارة، وعلى هذا الحجم، وعلى هذا المقدار، فالعقل لا يصحح وجود شيء من الأشياء من الأجسام والأعراض إلا بإيجاد موجِد ليس جسمًا وليس متحيزًا في جهة من الجهات. وهذا الموجود الخالق للشمس ولغيرها هو الله، عرفنا وجوده بالعقل، وعرفنا اسمه بطريق الأنبياء المؤيَّدين بالمعجزات عليهم الصلاة وأتمّ التسليم. كما تقدَّم.

وقال السبكيّ[1]: «قال الشيخ عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام: «**ليس ـ** أي الله ـ **بجسم مصوَّر، ولا جوهر محدود مقدّر**، ولا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شيء، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، كان قبل أن كوَّن المكان ودبّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان» اهـ.

قول المفسّر محمد بن أحمد القرطبيّ المالكيّ رحمه الله (ت ٦٧١هـ)

قال المفسّر محمد بن أحمد القرطبيّ في تفسيره[2]: «وقيل: إتيان الله تعالى مجيئه لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ (الفجر)، **وليس مجيئه تعالى حركة ولا انتقالًا ولا**

١) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ترجمة العزّ بن عبد السلام، ٨/ ٢١٩.

٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، ٧/ ١٢٩.

زوالًا، لأنّ ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا. والذي عليه جمهور أئمة أهل السنّة أنهم يقولون: يجيء وينزل ويأتي **ولا يكيّفون** لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)» اهـ. وقال القرطبيّ أيضًا[1]: «الفصل الأول: اعتقاد المسلمين: أما اعتقاد المسلمين فهو أن كل موجود سوى الله تعالى فهو مُحْدَث مخلوق مُخْتَرَع، على معنى أنه لم يكن موجودًا ثم صار موجودًا، وأنَّ له محدِثًا موجودًا قديما **لا يشبه شيئًا من الموجودات الحادثة بل يتعالى عن شبهها من كل وجه، فليس بجسم ولا يحل في الأجسام، ولا جوهر ولا يحلّ في الجواهر، ولا عرض ولا تحلّه الأعراض.** وأنه إله واحد لا شريك له في فعله، ولا نظير له في ذاته وطَوْلِه[2]، لا ينبغي له الصاحبة ولا الولد، ولم يكن له من خلقه كفؤًا أحد، وأنه عالم قادر مريد حيّ، موصوف بصفات الكمال من السمع والبصر والكلام وغير ذلك مما يكون كمالًا في حقّه، وأنه منزّه عن صفات النقص والقصور، وأنه يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء، لا يفتقر إلى شيء، وإليه يفتقر كل شيء، وبيده ملك كل جماد وحيّ، لا يجب عليه لمخلوق حق ـ أي لا حق يلزمه ـ، وتجب حقوقه على الخلق، لا يتوجّه عليه **متى ولا أين ولا لِـمَ ولا كيف فلا يقال: متى وُجد ولا أين وُجِد ولا كيف هو** ولا لِـمَ فعل ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾ (الأنبياء)» اهـ.

وقال رحمه الله تعالى أيضًا[3]: «**ولا يجوز أن يحمل هذا وما أشبهه مما جاء في القرآن والخبر على وجه الانتقال والحركة والزوال لأن ذلك من صفات الأجرام والأجسام، تعالى الله الكبير المتعال ذو الجلال والإكرام عن مماثلة الأجسام علوًّا كبيرًا**» اهـ.

---

١) **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**، القرطبيّ، ص ٤٤٠.

٢) «والطَّوْلُ، والطَّائِلُ، والطَّائِلَةُ: الْفَضْلُ، والْقُدْرَةُ، والْغِنَى، والسَّعَةُ. قَولهُ تَعالَى: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ٣﴾ (غافر)، أي ذِي القُدْرَةِ، وقيل: ذِي الفَضْلِ والمَنّ» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ. مادة ط و ل، ٢٩/ ٣٩٥.

٣) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، ٣/ ٢٨.

قال القرطبيّ[1]: «أو طلبًا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسّنة مما ظاهره الجسمية، حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسَّم وصورة مصوَّرة ذات وجه وعين ويد وجنب ورِجل وإصبع» اهـ.

وقد أورد البيهقيّ في كتاب الأسماء والصفات[2] في شرح الحديث الطويل الذي فيه «**يَأتيهِمُ اللهُ في صورة**» (الحديثَ) أقوال بعض العلماء فقال: «فهذا حديث قد رواه البخاريّ في الصحيح عن أبي اليمان دون ذكر الصورة عن الزهريّ عن عطاء بن يزيد وفيه ذكر الصورة، وأخرجه أيضًا من حديث إبراهيم بن سعد عن الزهريّ، ورواه مسلم بن الحجاج عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ عن أبي اليمان نحو حديث إبراهيم بن سعد عن الزهريّ عن عطاء بن يزيد وفيه ذكر الصورة، وأخرجاه من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدريّ، إلا أن في حديثه[3]: «**في أدْنى صورةٍ منَ التي رأَوْهُ فيها**».

وقد تكلم الشيخ أبو سليمان الخطابيّ رحمه الله في تفسير هذا الحديث وتأويله بما فيه الكفاية، فقال: «وأما قوله: «**فيأتيهم الله**» إلى تمام الفصل فإنَّ هذا موضع يحتاج الكلام فيه إلى تأويل وتخريج، وليس ذلك من أجل أننا ننكر رؤية الله سبحانه بل نُثبِتها، ولا من أجل أنّا ندفع ما جاء في الكتاب وفي أخبار رسول الله ﷺ من ذلك المجيء والإتيان، غير أنّا لا نُكيّف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالًا كمجيء الأشخاص وإتيانها، فإن ذلك من نعوت الحَدَث، وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ويجب أن تعلم أن الرؤية التي هي ثواب للأولياء وكرامة لهم في الجنة غير هذه الرؤية المذكورة في مقامهم يوم القيامة. واحتج بحديث صهيب

---

١) **تفسير القرطبي**، القرطبي، ٤/ ١٤.

٢) **الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٣٧٤.

٣) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١/ ١١٢.

في الرؤية بعد دخولهم الجنة، وإنما تعريضهم لهذه الرؤية امتحان من الله عزّ وجلّ لهم، يقع بها التمييز بين من عَبَدَ الله وبين من عَبَدَ الشمسَ والقمرَ والطواغيت، فيتبع كل من الفريقين معبوده، وليس ننكر أن يكون الامتحان إذ ذاك يعد قائمًا، وحكمه على الخلق جاريًا، حتى يفرغ من الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من الثواب والعقاب، ثم ينقطع إذا حقَّت الحقائق، واستقرت أمور العباد قرارها» اهـ.

ثم قال[1]: «وتخريج معنى إتيان الله في هذا إياهم أنه يشهدهم رؤيته ليثبتوه فتكون معرفتهم له في الآخرة عِيانًا، كما كان اعترافهم برؤيته في الدنيا علمًا واستدلالًا، ويكون طروء الرؤية بعد أن لم يكن بمنزلة إتيان الآتي من حيث لم يكونوا شاهدوه فيه. قيل: ويشبه أن يكون، والله أعلم، إنما حجبهم عن تحقيق الرؤية في الكَرّة الأولى حتى قالوا: **هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا**، من أجل من معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون، فلما تميزوا عنهم ارتفع الحجاب ـ أي المعنويّ ـ فقالوا عندما رأوه: **أنت ربّنا**» اهـ. ثم قال[2]: «وأما ذكر الصورة في هذه القصة **فإنَّ الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمَهُ أنَّ ربَّنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإنَّ الصورة تقتضي الكيفية، وهي عن الله وعن صفاته منفية**، وقد يتأول معناها على وجهين، أحدهما: أن تكون الصورة بمعنى الصفة، كقول القائل: صورة هذا الأمر كذا وكذا، يريد صفته، فتوضع الصورة موضع الصفة.

والوجه الآخر: أن المذكور من المعبودات في أول الحديث إنما هي صور وأجسام كالشّمس والقمر والطواغيت ونحوها، ثم لما عطف عليها ذكر الله سبحانه خرج الكلام فيه على نوع من المطابقة فقيل: «**يَأْتيهِمُ اللهُ في صورةِ كذا**» إذ كانت المذكورات قبله صورًا وأجسامًا، وقد يحمل آخر الكلام على

١)**الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٣٧٤.

٢)**الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٣٧٤.

أوله في اللفظ ويعطف بأحد الاسمين على الآخر. والمعنيان متباينان وهو كثير في كلامهم، كالعمرَيْن والأسودَيْن والعصرَيْن، ومثله في الكلام كثير. وممّا يؤكّد التّأويل الأوّل هو أنّ معنى الصّورة الصّفة قوله من رواية عطاء ابن يسار عن أبي سعيد: «**فيَأتيهِمُ اللهُ في أدنى صورةٍ منَ التي رَأَوْهُ فيها**» وهم لم يكونوا رأوه قط قبل ذلك، فعلمت أن المعنى في ذلك الصفة التي عرفوه بها، وقد تكون الرؤية بمعنى العلم، كقوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة) أي عَلّمْنا. قال أبو سليمان: ومن الواجب في هذا الباب أن نعلم أن مثل هذه الألفاظ التي تستشنعها النفوس إنما خرجت على سعة مجال كلام العرب ومصارف لغاتها، وأن مذهب كثير من الصحابة وأكثر الرواة من أهل النقل الاجتهاد في أداء المعنى دون مراعاة أعيان الألفاظ، وكل منهم يرويه على حسب معرفته ومقدار فهمه وعادة البيان من لغته، وعلى أهل العلم أن يلزموا أحسن الظن بهم، وأن يحسنوا التأني لمعرفة معاني ما رووه، وأن ينزلوا كل شىء منه منزلة مثله في ما تقتضيه أحكام الدّين ومعانيها، **على أنك لا تجد بحمد الله ومَنّه شيئًا صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ إلا وله تأويل يحتمله وجه الكلام، ومعنى لا يستحيل في عقل أو معرفة**» اهـ.

وقال القرطبيّ أيضًا[1] عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ (ق) ما نصه: «وقيل: يُنْطِقُ اللهُ النارَ حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح، وهذا أصح على ما بيَّناه في سورة الفرقان. وفي صحيح مسلم والبخاريّ والترمذيّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تزالُ جهنمُ يُلْقَى فيها وتقولُ: هلْ مِنْ مزيدٍ، حتى يَضَعَ ربُّ العزَّةِ فيها قَدَمَهُ فيَنْـزَوي بعضُها إلى بعضٍ**[2]، **وتقولُ: قطٍ قطٍ**...» لفظ

١)**الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، ١٧/ ١٨، ١٩.

٢)قال الشيخ المحدث عبد الله الهرري رحمه الله في بعض دروسه: «ينضم بعضها إلى بعض» اهـ. وقال ابن بطَّال: «قال النضر بن شميل: القَدَم هاهنا هم الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار وإنه تملأ النار بهم حتى ينزوي بعضها إلى بعض من الملأ لتضايق أهلها» اهـ. **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال، ١٠/ ٤١٢.

مسلم[١]. وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة: «**قالَ اللهُ تبارك وتعالى لِلجنَّةِ: أنتِ رَحمتي أرحمُ بكِ من أشاءُ من عِبادي، وقالَ للنَّارِ: إنَّما أنْتِ عذابٌ أُعَذِّبُ بكِ منْ أشاءُ من عِبادي، ولِكُلِّ واحدةٍ منهما ملؤُها، فأمّا النَّارُ فلا تمتلئُ حتَّى يَضَعَ رِجلَهُ فتقولُ: قطٍ قَطٍ قَطٍ، فهنالك تمتلِئُ ويُزوَى بعضها إلى بعضٍ، ولا يَظلِمُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ مِنْ خَلقِهِ أحدًا...**» لفظ البخاريّ[٢]. قال علماؤنا رحمهم الله: أما معنى القَدَم هنا فهم قوم يقدّمهم الله إلى النار، وقد سبق في علمه أنهم من أهل النار. وكذلك الرِجْل وهو العدد الكثير من الناس وغيرهم، يقال: رأيت رِجْلًا من الناس ورِجْلًا من جراد، قال الشاعر: [الطويل]

فَمَرَّ بنا رِجْلٌ منَ الناسِ وانزوى ... إليهِمْ منَ الحيّ اليَمانِيْنَ أرجُلُ

قبائلُ من لخمٍ وعُكْلٍ وحِمْـيَرٍ ... على ابنَيْ نزارٍ بالعداوةِ أحْفَلُ

ويبيّن هذا المعنى ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما في النارِ بيتٌ ولا سلسلةٌ ولا مِقْمَعٌ[٣] ولا تابوتٌ إلا وعليهِ اسمُ صاحِبِهِ، فكلُّ واحدٍ من الخَزَنَةِ ينتظرُ صاحبَهُ الذي قد عَرَفَ اسمَهُ وصفتَهُ، فإذا استوفى كلُّ واحدٍ منهُمْ ما أمر به وما ينتظرُهُ ولم يبق منهم أحد، قال الخَزَنَة: قطٍ قطٍ، حسبُنا حسبُنا ـ أي اكتفينا اكتفينا ـ، وحينئذٍ تنـزوِي جهنمُ على مَنْ فيها، وتنطبقُ إذْ لمْ يبقَ أحدٌ يَنتظرُ» اهـ. فعبّر عن ذلك الجمع المنتظر بالرّجْل والقَدَم». ثم قال: «وقال النضر بن شميل[٤] في معنى قوله عليه السلام:

---

١)**صحيح مسلم**، مسلم، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ٨/ ١٥٨.

٢)**صحيح البخاريّ**، البخاريّ، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ٣٠﴾ (ق)، ٦/ ١٧٣.

٣)«المِقْمَعُ والمِقْمَعةُ: ما قُمِعَ به، والمقمعة: سِياطٌ تعمل من حديد رؤوسها مُعْوَجَّة» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ق م ع، ٨/ ٢٩٤.

٤)النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو (من بلاد خراسان)=

«**حَتَّى يضعَ الجبَّارُ فيها قَدَمَهُ**» أي مَنْ سَبَقَ في علمه أنه من أهل النار» اهـ.
قال القاضي عياض في كتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار(١): «قوله: **حتَّى يضعَ الجبَّارُ فيها قدَمَهُ**» قيل: هو أحد الجبابرة الذين خلقهم الله لها فكانت تنتظره، وقيل: الجبار هنا الله تعالى وقَدَمُهُ قَوْمٌ قدَّمهم الله تعالى لها أو تقدَّم في سابق علمه أنه سيخلقهم لها وهذا تأويل الحسن البصري(٢) كما جاء في كتاب التوحيد من البخاري «**وأنَّ الله يُنْشِئُ للنارِ مَنْ يشاءُ فيُلْقَوْنَ فيها**».
وقال أيضًا: «وقيل: معناه يقهرها بقدرته حتى تسكن، يقال: وطئنا بني فلان إذا قهرناهم وأذللناهم» اهـ.

قول الحافظ الفقيه محيي الدين النوويّ(٣) رحمه الله (ت ٦٧٦هـ)

قال النوويّ(٤): «قوله ﷺ: «**فيأتيهِمُ الله في صورة غيرِ صورتِهِ التي يعرفونَ فيقولُ: أنا ربُّكُمْ، فيقولونَ: نعوذُ بالله مِنْك، هذا مكانُنَا حتى يأتيَنَا ربُّنا، فإذا جاءَ ربُّنا عرفناهُ فيأتيهِمُ اللهُ في صُورَتِهِ التي يَعرفونَ فيقولُ: أنا**

=وانتقل إلى البصرة، توفي بمرو. من كتبه: «الصفات»، و«كتاب السلاح». **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ٣٣.

١) **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، القاضي عياض، ١/ ٢٦٨.

٢) الحسن بن يسار البصريّ، ت١١٠هـ، أبو سعيد من كبار التابعين، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. شبّ في كنف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أخباره كثيرة. **حلية الأولياء**، أبو نُعَيم، ٢/ ١٣١. **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، ١/ ٢٤٥. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧.

٣) يحيى بن شرف النوويّ، الشافعيّ، ت ٦٧٦هـ، أبو زكريا، محيي الدين، علَّامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا من قرى حوران بسورية وإليها نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنًا طويلًا. من كتبه: «تهذيب الأسماء واللغات»، و«منهاج الطالبين»، و«المنهاج في شرح صحيح مسلم»، و«رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين»، و«المقاصد» رسالة في التوحيد. **طبقات الشافعية**، السبكيّ، ٥/ ١٦٥. **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ١٤٩، ١٥٠.

٤) **شرح مسلم**، النوويّ، ١/ ٣٢٣، رقم ٢٦٧.

ربُّكُمْ، فيقولونَ: أنتَ ربُّنا فيتبعونَهُ».

اعلم أنَّ لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم[1] أنه لا يُتكلم في معناها، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شىء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم. والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفًا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم، فعلى هذا المذهب يقال في قوله ﷺ: «**فيأتيهِمُ الله**» إنَّ الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه،

---

١)قد ثبت عن العلماء أن السلف أوّلوا تأويلًا تفصيليًّا، وإن كان هو عادة الخَلَف، فقد ثبت عن غير واحد من أئمة السَّلَف وأكابرهم كابن عباس رضي الله عنهما من الصحابة، ومجاهد تلميذ ابن عباس من التابعين، والإمام أحمد ممن جاء بعدهم، وكذلك البخاريّ وغيره. وقد تقدَّم. أما ابن عباس فقد قال الحافظ ابن حجر في **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ١٣/ ٤٢٨: «وأما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾ (القلم) قال: عن شدة من الأمر، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق إذا اشتدت، ومنه: [الرجز]

قَدْ سَنَّ أصحابُكَ ضربَ الاعناقْ ... وقامتِ الحربُ بنا على ساقْ

وجاء عن أبي موسى الأشعريّ في تفسيرها: عن نور عظيم، قال ابن فورك: معناه ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف، وقال الخطابيّ: تهيَّب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق، ومعنى قول ابن عباس: أن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة، وأسند البيهقيّ الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كلٌّ منهما حسنٌ وزاد: إذا خفي عليكم شىء من القرآن فابتغوه من الشعر، وذكر الرجز المشار إليه، وأنشد الخطابيّ في إطلاق الساق على الأمر الشديد: في سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا» اهـ. وأما مجاهد فقال الحافظ البيهقيّ في **الأسماء والصفات**، ٢/ ١٠٧: «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا أبو أسامة، عن النضر، عن مجاهد في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة)، قال: قِبلةُ الله، فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها» اهـ.

لأن العادة أنَّ مَنْ غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان، فعبَّر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازًا، وقيل: الإتيان فِعْلٌ من أفعال الله تعالى سمّاه إتيانًا، وقيل: المراد «**يأتيهِمُ الله**» أي: يأتيهم بعض ملائكة الله» اهـ.

ثم قال: «وأما قوله ﷺ: «**فيأتيهِمُ اللهُ في صورتِهِ التي يَعرِفُونَ**» فالمراد بالصورة هنا الصفة، ومعناه: فيتجلَّى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها، وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدَّمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لأنهم يرونه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، وقد علموا أنه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، فيعلمون أنه ربهم فيقولون: «**أنت ربنا**»، وإنما عبَّر بالصورة عن الصفة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام، فإنه تقدَّم ذكر الصورة.

وأما قولهم: «**نعوذُ بالله منكَ**» فقال الخطابيّ: يحتمل أن تكون هذه الاستعاذة من المنافقين خاصة، وأنكر القاضي عياض هذا وقال: لا يصح أن تكون من قول المنافقين ولا يستقيم الكلام به، وهذا الذي قاله القاضي هو الصواب، ولفظ الحديث مصرّح به أو ظاهر فيه وإنما استعاذوا منه لما قدَّمناه من كونهم رأوا سِماتِ المخلوق. وأما قوله ﷺ: «**فيتبعونه**» فمعناه يتبعون أمره إياهم بذهابهم إلى الجنة، أو يتبعون ملائكته الذين يذهبون بهم إلى الجنة. والله أعلم» اهـ. وكلام الحافظ النوويّ في التنزيه ونفي التشبيه كثير منثور في شرحه على مسلم وغيره من كتبه.

قول المفسّر البيضاويّ رحمه الله (ت ٦٨٥هـ)

قال ابن حجر[١]: «وقال الشيخ البيضاويّ: لمّا ثبت بالقواطع **أنه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيُّز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال** من موضع إلى موضع أخفض منه» اهـ.

وقال العينيّ[٢]: «وقال القاضي البيضاويّ: لمّا ثبت بالقواطع العقلية

---

١) **فتح الباري**، ابن حجر، ٣/ ٣١.

٢) **عمدة القاري في شرح البخاريّ**، العينيّ، ٧/ ٢٠٠.

أنه منزّه عن الجسمية والتحيُّز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه، فالمراد دنوّ رحمته» اهـ.

ثم قال: «لا فرق بين المجيء والإتيان والنزول إذا أُضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والسكون والنُّقْلَة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره، فإذا أُضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى» اهـ.

قول ابن حمدان الحنبليّ[1] (ت ٦٩٥هـ)

قال الفقيه ابن حمدان الحنبليّ[2]: «وبعد فإنه قد تكرّر سؤال بعض الأصحاب والطلاب في تلخيص العقيدة السَّنية الحنبلية، مفردة على مذهب الإمام أحمد وأصحابه ومَن وافقهم من أهل السُّنَّة والأثر، فأجبتهم إلى سؤالهم»، ثم قال في الصحيفة نفسها: «الحمد لله القديم الموصوف بصفات الجلال والكمال، المعبود **مع التنـزيه عن التشبيه والتجسيم** والنقائص والإبطال» اهـ.

وقال أيضًا[3]: «وإنه تعالى ليس بجوهر ولا عَرَض **ولا جسم**، ولا تحلّه

محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينيّ الحنفيّ، ت ٨٥٥هـ، مؤرخ من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب وإليها نسبته، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، من كتبه: «مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار» في مصطلح الحديث ورجاله، و«عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ١٦٣.

١) أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميريّ الحرانيّ، أبو عبد الله، ت ٦٩٥هـ، فقيه حنبليّ أديب. ولد ونشأ بحران، ورحل إلى حلب ودمشق، وولي نيابة القضاء في القاهرة، فسكنها وتوفي بها. من كتبه: «الرعاية الكبرى»، و«الرعاية الصغرى»، كلاهما في الفقه، و«صفة المفتي والمستفتي»، مقدمة في أصول الدين. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ١١٩.

٢) **نهاية المبتدئين في أصول الدين**، ابن حمدان، ص ٢١.

٣) **نهاية المبتدئين في أصول الدين**، ابن حمدان، ص ٣٠.

الحوادث ولا يحلّ في حادث، ولا ينحصر فيه، بل هو بائن[1] من خلقه، الله على العرش بلا تحديد ـ أي ليس له حد أي حجم ـ، وإنما التحديد للعرش وما دونه، والله فوق ذلك[2]، لا مكان ولا حدّ له لأنه كان ولا مكان ثم خلق المكان، وهو كما كان قبل خلق المكان. ولا يُعرف بالحواسّ، ولا يُقاس بالناس، **ومَن شبّهه بخلقه كفر، نصّ عليه أحمد وكذا مَن جسّم أو قال: إنه جسم لا كالأجسام**» اهـ.

قول الفقيه ابن دقيق العيد[3] رحمه الله (ت ٧٠٢هـ)

أثنى الفقيه الحافظ الشيخ تقي الدين أبو الفتح محمد بن عليّ بن وهب القشيريّ المعروف بابن دقيق العيد على الرسالة التي صنّفها ضياء الدين أبو العباس أحمد بن محمد القرطبيّ يردّ بها على ما وقع في عصره من بعض

---

١) تنبيه: قول بعض الأئمة: «إنه بائن من الأشياء» وقول بعضهم: «إنه تعالى غير مباين» ليس فيهما خلاف حقيقيّ، بل مراد من قال: «بائن» أنه لا يشبهها ولا يماسّها، ومراد من قال: «ليس مباينًا» نفي المباينة الحسية المسافية. فمن نقل كلام من قال منهم: «إنه بائن» وحمله على نسبة المباينة المسافية والمحاذاة إلى الله تعالى كما يقول ابن تيمية فقد باين الصواب وكفر وضلَّ، وقَوَّلَ أئمة أهل الحقّ ما لم يقولوه. فحذار حذار ممن يحمل كلامهم على غير محمله.

٢) أي قهرهم كلَّهم وغَلَبَهم. ونقل البيهقيّ في **الأسماء والصفات** ص٣٠٩ عن أبي الحسن علي بن إسماعيل أنه قال ما نصه: «وفي ما كتب إليَّ الأُستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيرًا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة، ومعناه أن الرحمن غلب العرش وقهره، وفائدته الإخبار عن قهره مملوكاته وأنها لم تقهره، وإنما خصَّ العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات فنبَّه بالأعلى على الأدنى» اهـ. وحاصله كما لا يخفى أن فوقية الله على عرشه فوقية القهر والعَظَمَة لا فوقية الجهة والمكان.

٣) محمد بن عليّ بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيريّ، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد، قاض، من أكابر العلماء بالأصول. نشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة، وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ فاستمر إلى أن توفي بالقاهرة. له تصانيف، منها: «إحكام الأحكام في الحديث»، و«الاقتراح في بيان الاصطلاح»، و«تحفة اللبيب في شرح التقريب»، وكتاب في أصول الدين. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٨٣.

المبتدعة من هجو الإمام أبي الحسن الأشعريّ[١]، ومن جملة ما جاء في هذه الرسالة: [الطويل]

هـوَ اللهُ لا أيــنَ ولا كيفَ عندَهُ ولا حَدَّ يحويه ولا حَصْر ذي حدّ
ولا القُربُ في الأدنى ولا البُعْدُ والنوى يخالفُ حالًا منه في القربِ والبعدِ[٢]

قول اللغويّ ابن منظور الإفريقيّ المصريّ (ت ٧١١هـ)

قال ابن منظور[٣]: «وفي الحديث[٤]: «**مَن تقرّب إليَّ شبرًا تقرّبتُ إليهِ ذراعًا**» المراد بقرب العبد من الله عزَّ وجلَّ القرب بالذكر والعمل الصالح، لا قرب الذات والمكان، لأنّ ذلك **مِن صفات الأجسام، والله يتعالى عن ذلك ويتقدّس**» اهـ. وقال أيضًا[٥]: «وقال بعض أهل العلم: النور جسم وعَرَض، **والبارئ تقدّس وتعالى ليس بجسم ولا عَرَض**» اهـ.

قول الشيخ شهاب الدين الكلابي الحلبي المعروف بابن جهبل[٦] (ت٧٣٣هـ)

أَلَّف الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن إسماعيل الكلابي الحلبي الأصل المعروف بابن جهبل رسالة في الرد على بعض مجسمة عصره،

(١) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ترجمة أبي الحسن الأشعريّ، ٣/ ١٢٨.

(٢) الله يستحيل عليه الأين أي المكان، والكيف أي الصورة والشكل، والحدود والحصر أي المقدار والمساحة والمسافة، ولا هو قريب من شىء ولا بعيد من شىء بالقُرْب المسافي أي بالأشبار والأمتار ونحوها، وإنما قرب العبد من الله أو بعده معنوي.

(٣) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ق ر ب، ١/ ٦٦٣.

(٤) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ٨/ ٩١.

(٥) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ن و ر، ٥/ ٢٤٢.

(٦) أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الحلبي الشافعيّ الدمشقي المعروف بابن جَهْبَل، كان فطنًا في العلوم، توفّي سنة ٧٣٣هـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ١٥/ ٦٦٩.

وهو ابن تيمية. ومما قاله فيها[1]: «ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه **دون التجسيم والتشبيه**، والمبتدعة تزعم أنها على مذهب السلف» اهـ.

قول الفقيه ابن جماعة[2] رحمه الله (ت ٧٣٣هـ)

قال ابن جماعة الشافعي[3]: «لمَّا انتشر الإسلام في الأرض، ودخل فيه مَن لا يعرف تصاريف لسان العرب من الأعاجم والأنباط، والتبس عليهم اللسان العربيّ بالعرفيّ لعدم علمهم بتصاريفه من حقيقة ومجاز وكناية واستعارة وحذف وإضمار وغير ذلك **وقع مَن وقع في التجسيم وطائفة في التعطيل**، وتفرّقت الآراء في الكلام على الذات والصفات، كما أخبر الصادق ـ يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم ـ عن فِرَق الأمة الكائنة بعده» اهـ.

وقال أيضًا[4]: «الموجود قسمان: موجود لا يتصرّف فيه الوهم والحسّ والخيال والانفصال، وموجود يتصرّف ذلك فيه ويقبله، فالأول ممنوع لاستحالته، **والربُّ لا يتصرّف فيه ذلك، إذ ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر**، فصحّ وجوده عقلًا من غير جهة ولا حيّز، كما دلّ الدليل العقليّ فيه فوجب تصديقه عقلًا، وكما دلّ الدليل العقليّ على وجوده مع نفي الجسمية

---

١) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ٩/ ٣٥.

٢) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله، قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد في حماة وولي الحكم والخطابة بالقدس ثم القضاء بمصر فقضاء الشام ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، كان من خيار القضاة وتوفي بمصر. له تصانيف، منها: « المنهل الروي في الحديث النبوي»، و« كشف المعاني في المتشابه من المثاني». **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٢٩٨.

٣) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، ابن جماعة، ص٩١.

٤) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، ابن جماعة، ص١٠٤، ١٠٥.

والعَرَضية مع بُعد الفهم الحسيّ له، فكذلك دلّ على نفي الجهة والحيّز مع بُعد فهم الحسّ له» اهـ.

قول المفسر علاء الدين الخازن[1] رحمه الله (ت٧٤١هـ)

قال الخازن في تفسيره[2]: «مذهب جمهور السلف وعلماء أهل السّنة وبعض المتكلمين أن يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه، فيجب علينا الإيمان بها والتسليم، ونمرّها كما جاءت في الكتاب والسّنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل... والقول الثاني: قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل، فإنهم قالوا: اليد تُذْكَرُ في اللغة على وجوه، أحدها: الجارحة وهي معلومة. وثانيها: النعمة. يقال: لفلان عندي يد أشكره عليها. وثالثها: القدرة... ورابعها: الملك، يقال: هذه الضيعة في يد فلان أي في ملكه... **أما الجارحة فمنتفية في صفة الله عزّ وجلّ لأن العقل دل على أنه يمتنع أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض، تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوًّا كبيرًا**، فامتنع بذلك أن تكون يد الله بمعنى الجارحة» اهـ.

---

١)الخازن، عليّ بن محمّد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعيّة، بغداديّ الأصل، نسبته إلى «شيحة» من أعمال حلب، سكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها، وتوفّي بحلب، له تصانيف منها: «لباب التأويل في معاني التنزيل» في التفسير ويُعْرَفُ بتفسير الخازن، و«عدّة الأفهام في شرح عمدة الأحكام»، و«مقبول المنقول»، و«عمدة الطالبين في شرح الأحاديث النووية الأربعين». ولد ٦٧٨هـ، وتوفّي ٧٤١هـ. **الأعلام**، الزركليّ، ٥/ ٥.

٢)**تفسير الخازن**، الخازن، ٢/ ٧١.

قول عضد الدين الإيجيّ[1] رحمه الله (ت ٧٥٦هـ)

قال الإيجيّ[2]: «المقصد الثاني: في أنه تعالى ليس بجسم، **وذهب بعض الجهّال إلى أنه جسم**، فالكرّامية قالوا: هو جسم أي موجود ـ، ولا يصح إطلاق الجسم على الله تعالى لأنه ليس معنى الجسم الموجود كما بيَّنَّا ـ، وقوم قالوا: هو جسم أي قائم بنفسه ـ، كذلك هنا لا يصح إطلاق الجسم على الله تعالى ولو أرادوا القائم بذاته ـ، فلا نزاع معهم إلا في التسمية، ومأخذها التوقيف ولا توقيف ـ أي لا نصّ ـ، والمجسمة قالوا: هو جسم حقيقة! فقيل: من لحم ودم! كمقاتل بن سليمان[3]، وقيل: نور يتلألأ كالسبيكة[4] البيضاء، وطوله سبعة أشبار من شبر نفسه! ومنهم من يقول: إنه على صورة إنسان! فقيل: شابٌّ أمرد جعد قطط[5]! وقيل: شيخ أشمط الرأس واللحية[6]! تعالى الله عن قول المبطلين. **والمعتمد في بطلانه أنه لو كان جسمًا لكان متحيّزًا، واللازم قد أبطلناه وأيضًا يلزم تركّبه وحدوثه وأيضًا فإن**

---

١) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجيّ، ت ٧٥٦هـ، عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج بفارس ولي القضاء، وله تلاميذ عظام. من تصانيفه: «المواقف» في علم الكلام، و«العقائد العضدية»، و«الرسالة العضدية»، و«جواهر الكلام مختصر المواقف»، و«شرح مختصر ابن الحاجب» في أصول الفقه، و«الفوائد الغياثية في المعاني والبيان». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٢٩٥.

٢) **المواقف مع شرح الجرجانيّ**، الإيجيّ، ٣/ ٣٨.

٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخيّ، من رؤوس المشبهة، كان متروك الحديث. **الأعلام**، الزركليّ، ٧/ ٢٨١.

٤) «السَّبِيكَةُ كسَفِينَة: القِطْعَةُ المُذَوَّبَةُ من الذَّهَبِ والفِضَّة إِذا اسْتَطالَتْ» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة س ب ك، ٢٧/ ١٩٢.

٥) «القَطُّ: القَصِيرُ الجَعْدُ من الشَّعْرِ، كالقَطَطِ مُحَرَّكَة، يُقَال: شَعرٌ قَطٌّ وقَطَطٌ» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ق ط ط، ٢٠/ ٣٥.

٦) «الشَّمَطُ، مُحَرَّكَة: بياض شَعرِ الرَّأْسِ يُخالِطُ سَوادَه، كذا في الصّحاح، وفي المُحْكَم: الشَّمَطُ في الشَّعرِ: اخْتِلافُه بِلَوْنَيْنِ من سَوادٍ وبَياضٍ» اهـ. **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ش م ط، ١٩/ ٤٢١.

كان جسمًا لاتّصف بصفات الأجسام، إما كلها فيجتمع الضدّان، أو بعضها فيلزم الترجيح بلا مرجّح أو الاحتياج، وأيضًا يكون متناهيًا فيتخصّص بمقدار وشكل، واختصاصه بهما دون سائر الأجسام يكون لمخصِص، ويُلزم الحاجة» اهـ.

قول الحافظ صلاح الدين العلائيّ رحمه الله (ت ٧٦١هـ)

يَدَّعي بعضُ المفترين المدافعين عن ابن تيمية المجسّم أن الحافظ العلائيّ وأبا حيان الأندلسيّ وابن حجر العسقلانيّ وغيرهم أثنوا على ابن تيمية خيرًا. وهاكم ما ذكره الحافظ أبو سعيد العلائيّ فيه، فقد نقل الحافظ المؤرخ شمس الدين بن طولون[١] عن الحافظ العلائيّ شيخ الحافظ العراقيّ[٢] أنه قال[٣]: «وأما مقالاته ـ أي ابن تيمية ـ في أصول الدين فمنها قوله: إن الله سبحانه محل الحوادث، تعالى الله عما يقول علوًّا كبيرًا، وإنه مركّب مفتقر إلى ذاته افتقار الكلّ إلى الجزء، وإن القرآن محدَث في ذاته تعالى، وإن العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوقًا دائمًا، فجعله موجبًا بالذات لا فاعلًا بالاختيار. **ومنها قوله بالجسمية والجهة والانتقال وهو مردود**. وصرّح في بعض تصانيفه، بأن الله تعالى بقدر العرش لا أكبر منه ولا أصغر - يعنى ابن تيمية - تعالى الله عن ذلك، وصنّف جزءًا في أن علم الله لا يتعلق بما

---

١) محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي شمس الدين، ت ٩٥٣هـ، مؤرخ عالم بالتراجم والفقه، من أهل الصالحية بدمشق، ونسبته إليها. من كتبه: «الفرق العلية في تراجم متأخري الحنفية»، و«ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٩١.

٢) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، ت ٨٠٦هـ، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازنان من أعمال إربل، توفي في القاهرة. من كتبه: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج أحاديث الإحياء»، و«نكت منهاج البيضاويّ» في الأصول، و«ذيل على الميزان» و«الألفية في مصطلح الحديث»، وشرحها «فتح المغيث» و«التحرير في أصول الفقه». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٣٤٤، ٣٤٥.

٣) **ذخائر القصر**، ابن طولون، ص٦٩.

لا يتناهى كنعيم أهل الجنة، وأنه لا يُحيط بالمتناهي، وهي التي زلق فيها بعضهم، ومنها أن الأنبياء غير معصومين، وأن نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ليس له جاه ولا يَتوسَّل به أحدٌ إلا ويكون مخطئًا، وصنّف في ذلك عدة أوراق، وأنَّ إنشاء السفر لزيارة نبينا معصية لا يقصر فيها الصلاة، وبالغ في ذلك ولم يقل بها أحد من المسلمين قبله، وأن عذاب أهل النار ينقطع ولا يتأبّد، حكاه بعض الفقهاء عن تصانيفه» اهـ.

فهذا يدلّ على أن الحافظ العلائيَّ كان يُنزّهُ اللهَ عن الجسميّة بدليل إنكاره على ابن تيمية.

قول أبي السعادات اليافعي اليمني المكي (ت ٧٦٨هـ)

قال الشيخ أبو السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي[١] في تنزيه الله عن صفات المخلوقين: «ليس بجوهر فالجوهر بالتحيّز معروف، ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف، **ولا بجسم** فالجسم بالجهة محفوف، هو خالق الأجسام والنفوس» اهـ.

ويقول: «على العرش استوى من غير تمكُّنٍ ولا جلوس، لا العرش له من قِبَلِ القرار، ولا التمكن من جهة الاستقرار. العرش له حَدٌّ ومقدار، والربّ لا تدركه الأبصار. العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول، وهو مع ذلك محمول، والقديم لا يَحُوْل ـ أي لا يتغيّر ـ» اهـ.

قول تاج الدين السُّبكيّ رحمه الله (ت ٧٧١هـ)

قال تاج الدين السُّبكيّ[٢]: «وهو الله الواحد، والواحد الشيء الذي لا ينقسم ولا يشبّه بوجه، والله تعالى قديم لا ابتداء لوجوده، حقيقته مخالفة لسائر الحقائق، **ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض**، لم يزل وحده ولا مكان ولا زمان» اهـ.

---

١) **روض الرياحين**، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، ص٤٩٥.

٢) **جمع الجوامع مع شرح المحلي وحاشية البنانيّ**، السبكيّ، ٢/ ٢٧٦، ٢٧٧.

وقال أيضًا[1] مَتْنًا والشرح للمحلي[2]: «(وما صحّ في الكتاب والسّنة من الصفات نعتقد ظاهر المعنى ونُنَزِّهُهُ عند سماع المشكل) منه كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ٢٧﴾ (الرحمن)، وقوله عزَّ من قائل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ٣٩﴾ (طه)، وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ١٠﴾ (الفتح)، وقول النبيّ ﷺ[3]: «**إنَّ قلوبَ بني آدمَ كلَّها بينَ إصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ كقلبٍ واحدٍ يَصْرِفُهُ كيفَ يشاءُ**»، وقوله عليه الصلاة والسلام[4]: «**إنَّ الله يبسط يَدَهُ بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ ويبسط يدَهُ بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ حتى تطلعَ الشمسُ منْ مغرِبِها**» رواهما مسلم. (ثم اختلف أئمتُنا أنؤوّل) المشكل (أم نفوّض) معناه المراد إليه تعالى، (منزّهين) له عن ظاهره (مع اتفاقهم على أن جهلنا بتفصيله لا يقدح) في اعتقادنا المراد منه مجملًا، والتفويض مذهب السلف وهو أسلم، والتأويل مذهب الخلف وهو أعلم أي أحوج إلى مزيد علم فيؤول في الآيات الاستواء بالاستيلاء، والوجه بالذات والعين بالبصر واليد بالقدرة، والحديثان من باب التمثيل المذكور في علم البيان، نحو: أراك تقدم رِجلًا وتؤخر أخرى، يقال للمتردّد في أمر تشبيهًا له بمن يفعل ذلك لإقدامه وإحجامه، فالمراد من الحديث الأول والظرف فيه خبر كالجار والمجرور: إن قلوب العباد كلها بالنسبة إلى قدرته تعالى شيء يسير يصرفه كيف شاء كما يقلب الواحد من عباده اليسير بين إصبعين من أصابعه، والمراد من الثاني: أنه تعالى يقبل التوبة في الليل والنهار

---

١) **جمع الجوامع مع شرح المحلي وحاشية البنانيّ**، السبكيّ، ٢/ ٢٨٠، ٢٨١.

٢) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، ت٨٦٤هـ، أصولي، مفسر. مولده ووفاته بالقاهرة، وكان مهيبًا صداعًا بالحق، عرض عليه القضاء فامتنع. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٣٣٣.

٣) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، ٨/ ٥١.

٤) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة وإن تكرَّرت الذنوب والتوبة، ٨/ ٩٩.

إلى طلوع الشمس من مغربها فلا يردّ تائبًا كما يبسط الواحد من عباده يده للعطاء أي للأَخَذَة فلا يردّ معطيًا» اهـ.

وقال تاج الدين السبكيّ نقلًا عن ابن جَهْبَل (ت ٧٣٣هـ) ما نصّه[١]: «ووقفتُ له ـ أي ابن جهبل ـ على تصنيف صنّفَه في نفي الجهة ردًّا على ابن تيمية لا بأس به، وهو هذا» اهـ. ثم ذكر الرسالة بكاملها. وذَكر ابنُ جَهْبَل أنه ضَمَّنَ رسالته هذه عقيدة أهل السّنة والردّ على المشبّهة المجسّمة والحشوية والمتسترين بالسلف، ومما قاله: «**ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه**، والمبتدعة تزعم أنها على مذهب السلف» اهـ.

وقال التاج السبكيّ في قصيدة له[٢]: [الكامل]

كذبَ ابنُ فاعِلَةٍ يقولُ لجهلِهِ: اللهُ جسمٌ ليسَ كالجِسمانِ
لو كان جسمًا كانَ كالأجسامِ يا مجنونُ فاصغِ وعدْ عن البهتانِ
واتبعْ صراطَ المصطفى في كلِ ما يأتي وخلّ وساوسَ الشيطانِ
واعلمْ بأنَّ الحقَّ ما كانتْ عليـ ـه صحابةُ المبعوثِ من عدنانِ
قد نزَّهُوا الرحمنَ عن شَبَهٍ وقد دانُوا بما قد جاءَ في الفُرقانِ
وأتتْ على أعقابِهم علماؤُنا غرسُوا ثمارًا يجتنيها الجاني
كالشافعيّ ومالكٍ وكأحمدٍ وأبي حنيفةَ والرضا سفيانِ
وكمثلِ إسحاقٍ وداودٍ ومَنْ يَقْفُو طرائقَهُمْ منَ الأعيانِ
وأتى أبو الحسنِ الإمامُ الأشعرِ ي مُبيّنًا للحقِ أيَّ بَيَانِ

---

١) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٩/ ٣٥، ٣٦.

٢) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٣/ ٣٧٩، ٣٨٠.

قول شرف الدين بن التلمساني[1] رحمه الله (ت٧٩٢هـ)

قال شرف الدين بن التلمساني[2]: «قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، نفى عن نفسه مشابهة العالم إيَّاه، **ففي التحيز بجهة من الجهات مشابهة الأجسام والجواهر**» اهـ.

قول الحافظ ابن الملقّن[3] رحمه الله (ت٨٠٤هـ)

قال الحافظ الفقيه سراج الدين بن الملقن[4]: «وليست ـ أي صفة الله ـ كالجوارح المعقولة بيننا لقيام الدليل على استحالة وصفه ـ سبحانه ـ بأنه ذو جوارح وأعضاء تعالى عن ذلك. **خلافًا لما تقوله المجسّمة من أنه تعالى جسم لا كالأجسام... وذلك كلّه باطل وكفر من متأوله، لقيام الدليل على تساوي الأجسام في دلائل الحَدَث القائم بها، واستحالة كونه ـ تعالى ـ من جنس المُحْدَثات**» اهـ.

---

١)ابن الشريف التلمساني، عبد الله بن محمد بن أحمد، من علماء المالكية، اشتهر في تلمسان. وصنف كتبًا منها: «شرح معالم أصول الدين للفخر الرازي» في الزيتونة، و«شرح لمع الأدلة» للجويني، ومثله «شرح متن السنوسية»، وتوفي غريقًا بالبحر، وهو منصرف من مالقة يريد بلَدَهُ تلمسان. ولد سنة ٧٤٨هـ، وتوفي سنة ٧٩٢هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١٢٧.

٢)**شرح لمع الأدلة**، ابن التلمساني، ص٧٠.

٣)ابن الملقّن، عمر بن عليّ بن أحمد الأنصاريّ الشافعيّ، سراج الدين، أبو حفص بن النحويّ، المعروف بابن الملقّن. من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال، أصله من وادي «آش» بالأندلس، له نحو ثلاثمائة مصنّف، منه: «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال» في التراجم، و«التذكرة في علوم الحديث»، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح». ولد ٧٢٣هـ، وتوفي ٨٠٤هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٥ / ٥٧.

٤)**التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، ابن الملقن، ص٢٨.

قول القاضي أبي زرعة وليّ الدّين العراقي[1] رحمه الله (ت ٨٢٦هـ)

قال القاضي أبو زرعة العراقي[2]: «**وفي صفة الأئمة من شرح المهذّب تكفير المجسّمة**» اهـ.

قول الحافظ ابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ)

قال الحافظ ابن حجر[3]: «فمعتَقد سلف الأئمة وعلماء السنّة من الخلف **أن الله منـزّه عن الحركة والتحوّل والحلول**، ليس كمثله شىء» اهـ.

وقال أيضًا[4]: «وأما أهل السّنة ففسّروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل، ومن ثَمَّ قال الجنيد في ما حكاه أبو القاسم القشيريّ: التوحيد إفراد القديم من المحدَث أي تنزيه الله عن مشابهة المخلوق وعدم الاعتقاد بالحلول والاتحاد، فلا تشابه بين القديم وهو الله، والمحدَث وهو كلّ ما سوى الله» اهـ. وقال ابن حجر أيضًا في كتابه فتح الباري[5] تحت عنوان باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج)، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ (فاطر) ما نصّه: «قال الراغب: العروج ذهاب في صعود، وقال أبو عليّ القالي[6] في كتابه البارع: الـمَعَارج جمع معرج

---

١) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين ابن العراقي، ت ٨٢٦هـ، قاضي الديار المصرية. مولده ووفاته بالقاهرة، رحل به أبوه الحافظ العراقي إلى دمشق فقرأ فيها، وعاد إلى مصر فارتفعت مكانته إلى أن ولي القضاء سنة ٨٢٤ هـ بعد الجلال البلقيني، وحمدت سيرته. من كتبه: «البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مس بضرب من التجريح»، و«فضل الخيل» و«رواة المراسيل». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ١٤٨.

٢) **تحرير الفتاوى**، أبو زرعة، ٣/ ٦٦٨.

٣) **فتح الباري**، ابن حجر، ٧/ ١٢٤.

٤) **فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٤٦٢، ٤٦٣.

٥) **فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٢٥٩، ٢٦٠.

٦) إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى، أبو علي القالي، أحفظ أهل=

بفتحتين كالمصاعد جمع مصعد، والعروج الارتقاء، يقال: عرَج (بفتح الراء) يعرُج (بضمّها) عروجًا ومعرجًا، والمعرج المصعد والطريق التي تعرج فيها الملائكة إلى السماء، والمعراج شبيه السلم أو درج تعرج فيه الأرواح إذا قبضت، وحيث تصعد أعمال بني آدم». ثم قال: «قال البيهقيّ: صعود الكلام الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن القبول، وعروج الملائكة هو إلى منازلهم في السماء، وأما ما وقع من التعبير في ذلك بقوله: «إلى الله» فهو على ما تقدَّم عن السلف في التفويض وعن الأئمة بعدهم في التأويل. وقال ابن بطَّال: غرض البخاريّ في هذا الباب الردّ على الجهمية المجسّمة في تعلقها بهذه الظواهر، وقد **تقرَّر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه فقد كان ولا مكان**، وإنما أضاف المعارج إليه إضافة تشريف، ومعنى الارتفاع إليه اعتلاؤه مع تنـزيهه ـ تعالى ـ عن المكان» اهـ. وكلام الحافظ ابن حجر في ذلك كثير منثور في شرحه على البخاريّ وغيره من كتبه.

قول الحافظ بدر الدين العينيّ (ت ٨٥٥هـ)

قال الحافظ بدر الدين العينيّ[١]: «**تقرّر أن الله ليس بجسم** فلا يحتاج إلى مكان يستقرّ فيه، فقد كان ـ سبحانه ـ ولا مكان» اهـ.

وقال أيضًا[٢]: «فإن قالوا: الرؤية لا تتحقّق إلا بثمانية أشياء....، قلنا: الشرائط الستة الأخيرة لا يمكن اعتبارها **إلا في رؤية الأجسام، والله تعالى ليس بجسم**، فلا يمكن اعتبار هذه الشرائط في رؤيته، ولا يعتبر في حصول الرؤية إلا أمران: سلامة الحاسّة، وكونه بحيث يصحّ أن يُرى، وهذان الشرطان حاصلان» اهـ.

= زمانه للغة والشعر والأدب، ولد ونشأ في منازجرد. أشهر تصانيفه: «كتاب النوادر»، و«البارع» من أوسع كتب اللغة. ولد سنة ٢٨٨هـ، وتوفي سنة ٣٥٦هـ. **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٣٢.

١) **عمدة القاري**، العينيّ، ١٢/ ٢٥، ١١٧.

٢) **عمدة القاري**، العينيّ، ٢٥/ ١٥٩.

قول الكمال بن الهمام[1] (ت٨٦١هـ)

قال الشيخ الكمال بن الهمام محمد بن عبد الواحد[2]: «**من قال: الله جسم لا كالأجسام كفر**» اهـ.

قول المفسر ابن عادل[3] (ت٨٨٠ هـ)

قال ابن عادل في تفسيره اللباب[4]: «التكليف إمَّا في الاعتقادات وإما في أعمال الجوارح، أما الاعتقاد فنذكر منه أمثلة:

أحدها: ما قاله ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ: إن العدل هو قولنا: لا إله إلَّا الله، وتحقيقه: أنَّ نفي الإله تعطيلٌ محضٌ، وإثبات أكثر من إله واحد إشراك وتشبيه، وهما مذمومان، والعدل هو إثبات إلهٍ واحد.

وثانيها: أن القول بأنَّ الإله ليس بموجود ولا شيء تعطيل محضٌ، والقول بأنه جسم مركَّب ومتحيِّز تشبيه محضٌ، والعدل: إثبات إلهٍ واحدٍ موجودٍ منزَّه عن الجسميَّة والأجزاء والمكان.

وثالثها: أن القول بأنَّ الإله غير موصوف بالصِّفات من العلم والقدرة تعطيل محضٌ، والقول بأنَّ صفاته حادثة متغيِّرة تشبيه محض، العدل: إثبات

---

١) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود، السيواسي ثم الإسكندري، كمال الدين المعروف بابن الهمام، ت٨٦١هـ، إمام من علماء الحنفية، عارف بالتفسير والفرائض والفقه والحساب واللغة، أصله من سيواس، ولد بالإسكندرية، ونبغ في القاهرة، وأقام بحلب مدة، وجاور بالحرمين، توفي بالقاهرة. من كتبه: «فتح القدير»، و«التحرير في أصول الفقه»، و«المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٥٥.

٢) **شرح فتح القدير**، الكمال بن الهمام، ص٣٥٠.

٣) عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي أبو حفص سراج الدين، ت ٨٨٠هـ صاحب التفسير الكبير «اللباب في علوم الكتاب»، كتب في آخر سورة طه أنه فرغ من تفسيرها في ١٥ رمضان سنة ٨٨٠ هـ، له: «حاشية على المحرر في الفقه». **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٥٨.

٤) **تفسير اللباب**، ابن عادل الدمشقي، ١/ ٣٢٤٧.

أن الإله عالم قادرٌ حيٌّ، وأن صفاته ليست محدَثة ولا متغيّرة» اهـ.

قول الحافظ السخاويّ[1] رحمه الله (ت ٩٠٢هـ)

قال الحافظ السخاويّ[2]: «واجتنب في إملائك المشكِلَ من الحديث الذي لا تحتمله عقول العوامّ كأحاديث الصفات التي ظاهرها **يقتضي التشبيه والتجسيم وإثبات الجوارح والأعضاء للأزليّ القديم**، وإن كانت الأحاديث في نفسها صحاحًا ولها في التأويل طرق ووجوه إلّا أنَّ من حقها ألّا تروى إلا لأهلها خوف الفَتْن (بفتح الفاء وسكون التاء مصدر فتن أي الافتتان والضلالة)، فإنه لجهل معانيها يحملها على ظاهرها، أو يستنكرها فيردّها ويكذّب رواتها ونَقَلَتها» اهـ.

قول الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)

قال الحافظ السيوطيّ في كتابه تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي[3] شارحًا كلام النووي: «**من كُفّر ببدعته لم يُحتجَّ به**» ما نصّه: «وهو كما في شرح المهذّب للمصنِف: **المجسّم ومنكر علم الجزئيات**» اهـ.

---

١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاويّ، ت ٩٠٢هـ، مؤرّخ وعالم بالحديث والتفسير والأدب. أصله من سخا من قرى مصر، ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة، ساح في البلدان سياحة طويلة، وصنف زهاء مائتي كتاب أشهرها: «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» اثنا عشر جزءًا، ترجم نفسه فيه بثلاثين صفحة. وله: «شرح ألفية العراقيّ» في مصطلح الحديث، و«المقاصد الحسنة» في الحديث، و«القول البديع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع»، و«الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ»، و«الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ١٩٤، ١٩٥.

٢) **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، السخاويّ، ٢/ ٣٤٧.

٣) **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، السيوطي، ١/ ٣٢٤.

قول الشيخ زكريا الأنصاريّ[1] الشافعيّ رحمه الله (ت ٩٢٦هـ)

قال الشيخ زكريا الأنصاريّ[2]: «**إن الله ليس بجسم ولا عَرَض ولا في مكان ولا زمان**» اهـ.

وقال أيضًا[3]: «**لا مكان له ـ أي الله ـ كما لا زمان له لأنه الخالق لكل مكان وزمان**» اهـ.

وقال أيضًا[4]: «**هو تعالى منـزّه عن كل مكان**» اهـ.

وقال أيضًا[5]: «أما من يكفر ببدعته كالمجسم صريحًا ومنكر العلم بالجزئيات، فلا يصحّ أن يكون إمامًا بحال» اهـ.

فهذا تصريح من الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله بأن المجسّم كافر، وعلى ذلك نصَّ إمامُ المذهب رحمه الله.

---

١)زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ السنيْكيُّ المصريّ الشافعيّ، ت ٩٢٦هـ، أبو يحيى شيخ الإسلام. قاض مفسر، من حفاظ الحديث، ولد في سنيكة بشرقية مصر وتعلم في القاهرة، فجمع نفائس الكتب. له تصانيف كثيره منها: «فتح الرحمن في التفسير»، و«تحفة الباري على صحيح البخاري»، و«فتح الجليل» تعليق على تفسير البيضاويّ، و«شرح ألفية العراقيّ» في مصطلح الحديث، و«شرح شذور الذهب في النحو»، و«أسنى المطالب في شرح روض الطالب». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٤٦، ٤٧.

٢)**شرح الرسالة القشيرية**، زكريا الأنصاري، ص٢.

٣)**شرح الرسالة القشيرية**، زكريا الأنصاري، ص٥.

٤)**فتح الرحمن**، زكريا الأنصاريّ، تفسير سورة الملك، ص٥٩٥.

٥)**تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب**، زكريا الأنصاري، ص٨٧.

قول الشيخ ابن عراق الكنانيّ[1] (ت ٩٣٣هـ)

قال الشيخ العيدروس[2]: «الشيخ محمد بن عليّ بن عراق الكنانيّ ـ نفع الله به ـ له عقيدة مختصرة، وهي هذه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. اللهمّ إنّا نوحّدُكَ ولا نحدُّكَ ونؤمن بك ولا نكيّفُك، جلَّ ربنا وعلا تبارك وتعالى.

حياته ليس لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة، قدرته ليس لها نهاية، فالنهاية بالتحقيق ملحوقة، إرادته ليست بحادثة، فالحادثة بالأضداد مطروقة، سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة، بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة، علمه ليس بكسبيّ فالكسبيّ بالتأمل والاستدلال يعلم، ولا بضروريّ فالضرورة على الإرادة والإلزام تلزم.

كلامه ليس بصوت فالأصوات توجد وتُعْدَم، ولا بحرف فالحروف تُؤخَّر وتُقَدَّم، **ذاته ليس بجوهر** فالجوهر بالتحيُّز معروف، ولا بِعَرَض فالعرض باستحالة البقاء موصوف، **ولا بجسم فالجسم بالجهات محفوف.** هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس، على العرش استوى من غير تمكّن ولا جلوس. لا العرش له من قِبَلِ القرار، ولا الاستواء من جهة الاستقرار. العرش له حدٌّ ومقدار، والربّ لا تدركه الأبصار. العرش تكيّفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك محمول، والقديم لا يَحُول ولا يزول. العرش بنفسه هو المكان، وله جوانب

---

١)ابن عراق، محمد بن عليّ بن عبد الرحمن بن عراق، شمس الدين، أبو عليّ الكنانيّ الدمشقيّ، ت ٩٣٣هـ، باحث. ولد في دمشق ونشأ وجيهًا شجاعًا ثم انقطع إلى العلم، وسكن بيروت، وتصوّف وحجّ فجاور بالحرمين، واشتهر وانتفع الناس بعلمه. وتوفي بمكة فخرج أميرها في جنازته. من مصنفاته: «هداية الثقلين في فضل الحرمين»، و«السفينة العراقية»، و«المنح العامية والنفحات المكية». **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ١٢.

٢)**النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، العيدروس، ١/ ٩٧.
العيدروس هو عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله، ت ١٠٣٨هـ، مؤرخ باحث، من أهل اليمن. من كتبه: «الحدائق الخضرة في سيرة النبي وأصحابه العشرة»، و«الدرّ الثمين في بيان المهمّ من علم الدين». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣٩.

وأركان، وكان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان. **جلَّ عن الشبيه والتقدير والتكييف والتغير والتأليف والتصوير**: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد البشير النذير، ونستغفر الله من كلّ تقصير، غفرانك ربّنا وإليك المصير، انتهت العقيدة» اهـ.

قول الشيخ عبد الرحمن بن علي الشهير بشيخ زاده[1] (ت ٩٥١هـ)

قال الشيخ عبد الرحمن بن علي[2]: «إن الصّفات السمعيّة من الاستواء واليد والقدم والنـزول إلى السماء والضحك والتعجب وأمثالها عند السلف صفات ثابتة وراء العقل، **ما كلفنا إلا باعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه لئلّا يضادَّ العقل النقل**» اهـ.

قول ابن نجيم الحنفيّ[3] (ت ٩٧٠هـ)

قال ابن نجيم[4]: «وفي السراجية: صفات الله تعالى قديمة كلّها من غير تفصيل بين صفات الذات وصفات الفعل، وإنها قائمة بذات الله[5] تعالى، لا ـ هي ـ هو ولا غيره ـ، وقول أهل السّنة عن صفات الله: ليست

---

١) محمد محيى الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوي، ت ٩٥١هـ، مفسر من فقهاء الحنفية. كان مدرسًا في إستانبول. له: «حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي» أربعة مجلدات، قال حاجي خليفة: «وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارة» اهـ. وله: «شرح الوقاية» في الفقه، و«شرح الفرائض السراجية». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٩٩.

٢) **نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد**، شيخ زاده، ص٢٤.

٣) زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم، ت ٩٧٠هـ، فقيه حنفيّ، من أهل مصر. له: «البحر الرائق في شرح كنز الدقائق»، و«إجابة السائل باختصار أنفع الوسائل» كلاهما في الفقه. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٣٩.

٤) **البحر الرائق**، ابن نجيم، ٢٢/ ٧٩.

٥) معناه ثابتة له كما تقدم.

عين الذات أي من حيث المفهوم، ولا غير الذات أي وليست غيرًا منفكًّا عن الذات بحيث يصح وجود الذات من غير وجود الصفات، وربما عبروا لا هي هو ولا هي غيره ـ، **والله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَض**، ولا حال بمكان، ثم إن الله تعالى موصوف بصفات الكمال، ويوصف بأن له يدًا وعينًا، ولكن لا كالأيدي ولا كالأعين، ولا يوصف بالكيفية» اهـ.

قول الفقيه ابن حجر الهيتميّ (ت ٩٧٣هـ)

قال الفقيه ابن حجر الهيتميّ[١]: «عقيدةُ إمام السُنّة أحمد بن حنبل هي عقيدةُ أهل السُنّة والجماعة من المبالغة التامّة في تنـزيه الله **تعالى عمّا يقول الظّالمون والجاحِدون عُلوًّا كبيرًا مِنَ الجهة والجِسميّة وغيرهما من سائر سِمات النّقص**، بل وعن كلِ وَصف ليس فيه كمال مُطْلق، وما اشتُهِرَ بين جَهلة المنسُوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنّه قائل بشَىء مِنَ الجِهة أو نحوها فكَذِب وبُـهتَان وافتراء عليهِ، فلَعَنَ اللهُ مَنْ نسَبَ ذلكَ إليه أو رمَاهُ بشَىء مِن هذه المثالِب[٢] التي برّأهُ الله منها» اهـ.

قول الشيخ مرعي الكرميّ الحنبلي[٣] (ت ١٠٣٣هـ)

قال الشيخ مرعي الكرميّ المقدسيّ[٤]: «قال البيهقيّ: المتقدّمون من

---

١) **الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتميّ، ص ١٤٤.

٢) قال مرتضى الزَّبيدي في **تاج العروس من جواهر القاموس**، ٢/ ١٠٠: «الثلبُ: شدة اللوم والأخذ باللسان وهي المَثلَبة بفتح اللام وتضم اللام وجمعها: المثالب، وهي العيوب» اهـ.

٣) مرعي بن يوسف الكرميّ المقدسيّ الحنبليّ، ت ١٠٣٣هـ، مؤرخ أديب، من الفقهاء، له نحو سبعين كتابًا، منها: «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى» في فقه الحنابلة، و«الكلمات السنيات» في التفسير، و«مسبوك الذهب في فضل العرب»، و«توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٢٠٣.

٤) **أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات**، مرعي الكرميّ، ص ١٥٥.

هذه الأمّة لم يفسّروا ما ورد من الآي والأخبار في هذا الباب مع اعتقادهم بأجمعهم أن الله واحد لا يجوز عليه التبعيض» اهـ.

ثم قال: «وذهب بعض أهل النظر إلى أن اليمين يراد به اليد، **واليد لله صفة بلا جارحة**، فالمراد بذكرها تعلّقها بالكائن المذكور معها تعلّق الصفة الذاتية بمقتضاه...، **من غير مباشرة ولا مماسّة**، وليس في ذلك تشبيه بحال، **وهذا مذهب الحنابلة**» اهـ. يعني أنّه مذهب الحنابلة الحقيقي لا المجسّمة منهم.

قول الشيخ الحسين بن محمد النماوي[1] (ت ١٠٦٠هـ)

قال الشيخ الحسين بن محمد النماوي[2]: «قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ (الشورى) حِكْمَةُ تقديم السلب في الآية وهو قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ (الشورى)، وإن كان الأولى في كثير من المواطن العكس أنه لو بدأ بالسمع والبصر لأوهم التشبيه، إذ الذين بالغوا في السمع قالوا: إنه بأُذُن _ والعياذ بالله _، وفي البصر قالوا: إنه بحدقة، فبدأ في الآية بالتنـزيه ليستفاد منه في نفي التشبيه له تعالى مطلقًا حتى في السمع والبصر اللَّذَيْن ذُكِرا بعد» اهـ.

قول محمَّد ميّارة المالكيّ[3] (ت ١٠٧٢هـ)

قال العلامة محمد ميّارة المالكيّ رحمه الله تعالى[4]: «أجمع أهل الحقّ قاطبة

---

١) حسين بن محمد بن علي النماوي المالكي. توفي بمصر في نيف وستين بعد الألف. من تصانيفه: «رسالة في الاستعارات»، و«الحواشي البهية على شرح الهدهدي للسنوسية». **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، ٤/ ٥٦.

٢) **الحاشية المفيدة على العقيدة الفريدة**، النماوي، ص ٧٠.

٣) محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله، ت ١٠٧٢هـ، فقيه مالكيّ من أهل فاس. من كتبه: «الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام»، و«الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين» في الفقه، ويعرف بميارة الكبير، تمييزًا عن مختصر له يسمى ميارة الصغير. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ١١٢.

٤) **الدُّر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروريّ من علومِ الدّين**، ميارة المالكيّ، ص ٣٠.

على أنّ الله تعالى لاجهة له، فلا فوق له ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف» اهـ.

وقال أيضًا[1]: «قال ابن العربيّ: المعرفة الواجبة هي الجزم المطابق عن دليل، فخرج بالجزم من كان إيمانه على ظنّ أو شكّ أو وَهْم فإيمانه باطل بالإجماع، وخرج بوصفه بالمطابق الجزمُ غيرُ المطابق ويسمّى الاعتقاد الفاسد والجهل المركّب **كاعتقاد الكافرين التجسيم أو التثليث أو نحو ذلك، والإجماع** - قائم - **على كفر صاحبه أيضًا وأنّه آثمٌ غيرُ معذور مخلّد في النّار اجتهد أو قلّد**» اهـ.

قول ابن بلبان الحنبليّ[2] (ت ١٠٨٣هـ)

قال الفقيه محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقيّ[3]: «**ويجب الجزم بأنه سبحانه وتعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عَرَض**، لا تحلُّه الحوادث ولا يحلّ في حادث ولا ينحصر فيه، فمن اعتقد أو قال: إن الله بذاته في كل مكان أو في مكان فكافر. فيجب الجزم بأنه سبحانه بائن من خلقه[4]، فالله تعالى كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان. ولا يعرف بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، ولا مدخل في ذاته وصفاته للقياس، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، فهو الغنيّ عن كلّ شىء ولا يستغني عنه شىء، ولا يشبه شيئًا ولا يشبهه شىء، فمن شبّهه بشىء من خلقه فقد كفر، كمن اعتقده

---

١) **مختصر الدُّر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروريّ من علومِ الدّين**، ميارة المالكيّ، ص١٩، ٢٠.

٢) محمد بن بدر الدين بن عبد الحق بن بلبان، ت ١٠٨٣هـ، فقيه حنبليّ، أصله من بعلبك، اشتهر وتوفي بدمشق، أخذ الحديث عنه جماعةٌ من كبراء عصره، منهم المحبي صاحب خلاصة الأثر. له تآليف، منها: «كافي المبتدئ من الطلاب»، و«عقيدة في التوحيد»، و«بغية المستفيد في التجويد». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٥١.

٣) **مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب والزيارات**، ابن بلبان، ص ٤٨٩.

٤) معناه غير مشابه لجميع المخلوقات في الذاتِ أي ذاته لا يشبه ذوات المخلوقات أي حقيقته لا تشبه الحقائق، والصفاتِ أي صفاته لا تشبه صفات المخلوقات، والفعلِ أي فعله لا يشبه فعل المخلوقات لأن فعل الله تعالى أزليّ أبديّ والمفعول حادثٌ أي المخلوقات كلها حادثة لها بداية.

جسمًا أو قال: إنه **جسم لا كالأجسام**. فلا تبلغه سبحانه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا تُضرب له الأمثال، ولا يعرف بالقيل والقال. وبكل حال مهما خطر بالبال وتوهّمه الخيال فهو بخلاف ذي الإكرام والجلال، وهي ـ أي صفاته سبحانه وتعالى ـ قديمة توقيفية[1]، فلا يجوز أن نسمّيه ولا نصفه إلا بما ورد في الكتاب والسُّنَّة أو عن جميع علماء الأمة، فنكفّ عما كفّوا عنه، ونقف حيث وقفوا، ولا نتعدّى الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة في ذلك، فكلّ ما صحّ نقله عن الله تعالى أو رسوله ﷺ أو جميع أمته في أسماء الله وصفاته يجب قبوله والأخذ به وإمراره» اهـ. أي بلا كيف كما تقدّم.

---

١) قال الإمام الأشعريّ: «لا يجوز تسمية الله إلا بما ورد في الكتاب والسّنة الصحيحة أو الإجماع» اهـ. نقله عنه ابن فورك في كتابه **مجرد مقالات الأشعري** ص٤٢، وهذا هو المعتمد، فلا يجوز عند الإمام أبي الحسن الأشعريّ تسمية الله إلا بما صحّ وروده شرعًا أي بما ورد في القرآن أو الحديث الصحيح، أو بما أجمعت عليه الأمة، وأما بغير ما صحّ وروده شرعًا فلا يجوز عنده، هذا شرط قبوله عنده، لكن بعض أتباع أبي الحسن يقولون: يجوز تسمية الله بالوصف ولو لم يكن واردًا بشرط ألّا يوهم النقص، فعندهم يجوز تسمية الله «الطاهر» لأنه لا يوهم النقص، لأن «الطاهر» معناه المنـزّه عن الصفات التي لا تليق به، فتسمية الأب ابنَه «عبد الطاهر» عندهم يجوز، وهؤلاء أجازوا إطلاق اللفظ غير الوارد على الله إذا كان وصفًا غيرَ موهِم لما لا يليق بالله تعالى، واتفقوا على منع إطلاق اللفظ الموهِم ما لا يليق بالله على الله، وهذا في ما كان وصفًا لا في ما كان جامدًا من أسماء الأعيان كالروح فإنه ممنوع بالاتفاق، فإطلاق سيد قطب «الريشة المبدعة» على الله ممنوع بالاتفاق لأنه ليس وصفًا، وكذلك إطلاقه «القوة» على الله ممنوع أيضًا بالاتفاق لأنه ليس وصفًا، «فالريشة» اسم من أسماء الأعيان أي الجمادات، أي ليست لفظًا من ألفاظ الوصف كالطّاهر والنَّاصر اللذين هما على وزن فاعل. لكن قول أبي الحسن الأشعريّ بأن أسماء الله توقيفية هو المعتمد، قال إمام الحرمين الجويني: «ما ورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله تعالى وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع من إطلاقه منعناه» اهـ. **الإرشاد**، الجويني، ٩/ ٢٧٩.

قول الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي[1] (ت ١١٢٢هـ)

قال الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي[2]: «وقال البيضاوي: **لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزَّه عن الجسميّة والتحيُّز** امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه» اهـ.

قول أحمد بن غنيم النفراوي المالكي[3] (ت ١١٢٦هـ)

قال أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي[4]: «وحقيقة الردة شرعًا قطع الإسلام من المكلَّف، وفي الصبي خلاف، وقال ابن عرفة[5]: الردة كفر بعد إسلام تقرر بالنطق بالشهادتين مع التزام أحكامهما بقوله: (ويقتل)

---

(١) الزُّرْقانيّ، محمّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان، المصريّ الأزهريّ المالكيّ، أبو عبد الله، مولده ووفاته بالقاهرة، ونسبته إلى زُرْقان (من قرى منوف بمصر)، من كتبه: «تلخيص المقاصد الحسنة» في الحديث، و«شرح البيقونية» في المصطلح، و«شرح المواهب اللدنيّة»، و«شرح موطّأ الإمام مالك». ولد سنة ١٠٥٥هـ، وتوفي سنة ١١٢٢هـ. **الأعلام**، الزركليّ، ٦/ ١٨٤.

(٢) **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، محمد الزرقاني، ٢/ ٣٦.

(٣) النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم بن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي. فقيه من بلدة نفري، من أعمال قويسنا بمصر، نشأ بها وتفقه وتأدب وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها: «الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» في فقه المالكية، ورسالة في «التعليق على البسملة» في الأزهرية، و«شرح الرسالة النورية» للشيخ نوري الصفاقسي في الأزهرية. ولد عام ١٠٤٤هـ، وتوفي عام ١١٢٦هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ١١٥.

(٤) **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، ٧/ ١٣٧.

(٥) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، أبو عبد الله. نسبته إلى قرية في إفريقيا اسمها «ورغمة»، هو إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها، تولى إمامة الجامع الأعظم سنة ٧٥٠ هـ، وقدم لخطابته سنة ٧٧٢هـ وللفتوى سنة ٧٧٣هـ. من كتبه: «المختصر الكبير»، في فقه المالكية، و«المختصر الشامل»، في التوحيد. ولد سنة ٧١٦هـ، وتوفي سنة ٨٠٣هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٤٣.

وجوبًا كل (من ارتد) أي قطع إسلامه بعد بلوغه بصريح لفظه... أو أتى بلفظ يقتضي الكفر كقوله: الصلوات الخمس غير مفروضة، أو الركوع أو السجود غير فرض، لأن الجاحد كافر، أو الحج غير فرض على المستطيع، أو الله جسم كأجسام الحوادث، أو أتى بفعل يستلزم الكفر كإلقاء شىء من القرآن في قذر اختيارًا» اهـ. أي عمدًا ذاكرًا أنه قرآن.

وقال(١): «(**يمرق) أي يخرج (من الدّين) باعتقاد ما يكفر به، كاعتقاد أن الله جسم** أو أنه لا يعلم الأشياء مفصلة أو لا يعلمها إلا بعد وجودها» اهـ. وهذا أيضًا تكفير صريح لمن اعتقد في الله الجسمية.

قول الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ(٢) (ت ١١٤٣هـ)

قال الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ(٣): «وأما أقسام الكفر فهي بحسب الشرع ثلاثة أقسام تَرجِعُ جميع أنواع الكفر إليها، وهي: التشبيه، والتعطيل، والتكذيب... **وأما التشبيه: فهو الاعتقاد بأن الله تعالى يشبه شيئًا من خلقه كالذين يعتقدون أنَّ الله تعالى جسمٌ فوق العرش،** أو يعتقدون أن له يدَيْن بمعنى الجارحتين، وأنَّ له الصورة الفلانية أو على الكيفية الفلانية، أو أنه نور يتصوّره العقل، أو أنه في السماء، أو في جهة من الجهات الستّ، أو أنه في مكان من الأماكن، أو في جميع الأماكن، أو أنه ملأ السموات والأرض، أو أنَّ له الحلول في شىء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أنه مُتَّحِدٌ بشىء من الأشياء، أو في جميع الأشياء، أو أن الأشياء منحلَّةٌ منه، أو شيئًا

---

١) **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، ٨/ ٩٠.

٢) عبد الغنيّ بن إسماعيل بن عبد الغنيّ النابلسيّ، ت١١٤٣هـ، عالمٌ بالدّين والأدب، مكثر من التصنيف، صوفي، ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سوريا، فتنقَّل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقرّ في دمشق. له مصنّفات كثيرة جدًّا، منها: «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية»، و«قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣٢، ٣٣.

٣) **الفتح الربانيّ والفيض الرحمانيّ**، النابلسيّ، ١٢٤.

منها. **وجميع ذلك كفر صريح والعياذ بالله تعالى**، وسببه الجهل بمعرفة الأمر على ما هو عليه» اهـ.

وقال[1]: «**فلأنه يقتضي الجسمية، وهي تقتضي التركيب والافتقار والحدوث، وذلك ممتنع في حقّ الله تعالى**» اهـ.

قول الشيخ أحمد أبي البركات الدردير[2] (ت ١٢٠١هـ)

قال الشيخ أبو البركات أحمد بن محمد الدردير[3]: «العليّ من العلوّ وهو الرفعة، فيكون علوّه تعالى عبارة عن تنـزيهه عن كلّ نقص واتّصافه بكل كمال» اهـ.

ثم قال: «الغنيُّ عن كلّ شيء، فلا يفتقر إلى محلّ ولا مخصِص ولا معين، فهو غنيّ مطلق يتضمن اتّصافه بجميع الصفات السلبية الكمالية» اهـ.

وقال أيضًا[4]: «المخالفة للحوادث هي عدم المماثلة والموافقة لشيء من الحوادث في الذات وفي الصفات والأفعال. فذات الله تعالى ليست كذوات الحوادث، وصفاته ليست مثل صفات الحوادث. **فليس جوهرًا ولا جسمًا ولا عرضًا ولا متحركًا ولا ساكنًا**، ولا يوصف بالكبر والصغر ولا بالفوقية ولا بالتحتية، ولا بالحلول ولا بالاتحاد ولا بالاتصال ولا بالانفصال ولا باليمين ولا بالشمال ولا بالخلف ولا بالأمام ولا بغير ذلك من صفات الحوادث، إذ لو كان مماثلًا لها لوجب له تعالى ما وجب لها من الحدوث والافتقار، وذلك محال لما مرّ» اهـ.

---

١) **رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السّنة**، عبد الغني النابلسي، ص٨٩.

٢) أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، أبو البركات الشهير بالدردير، ت ١٢٠١هـ، فاضل من فقهاء المالكية. ولد في بني عدي بمصر وتعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة. من كتبه: «أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك»، و«تحفة الإخوان في علم البيان». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٢٤٤.

٣) **الواضح في شرح الخريدة البهية في علم التوحيد**، المقرر للصف الثالث ثانوي بالمعاهد الأزهرية، أحمد الدردير، ص٧.

٤) **الواضح في شرح الخريدة البهية في علم التوحيد**، أحمد الدردير، ص١٠.

قول المحدّث اللغويّ محمد مرتضى الزَّبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)

قال المحدّث اللغويّ محمد مرتضى الزَّبيديّ[١]: «إنه تعالى مقدَّس **منـزَّه عن التغيُّر من حال إلى حال، والانتقال من مكان إلى مكان، وكذا الاتصال والانفصال**، فإن كلًّا من ذلك من صفات المخلوقين» اهـ. وفي كتابه نفي للمسافة عن الله وتكفير من قال بها[٢].

قول مفتي الشام محمد خليل المرادي[٣] (ت ١٢٠٦هـ)

قال مفتي الشام محمد خليل المرادي[٤] **عندما سئل: ما الدليل على أنه ليس بجسم ولا عرض في زمان: «عدم افتقاره إلى المحل والمكان»** اهـ.

قول محمد عرفة الدسوقي[٥] (ت ١٢٣٠هـ)

قال محمد عرفة الدسوقي[٦]: «**(الرّدة كفر المسلم)** المتقرر إسلامُه بالنطق

---

١) **إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، ٢/ ٢٥.

٢) **إتحاف السادة المتقين**، الزبيدي، ٢/ ١٠٩.

٣)المرادي، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل. المؤرّخ، مفتي الشام، ونقيب أشرافها. بخاري الأصل. ولد ونشأ في دمشق، وولي فتيا الحنفية سنة ١١٩٢هـ ونقابة الأشراف سنة ١٢٠٠هـ، توفي بحلب. أشهر كتبه: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر». ولد عام ١١٧٣هـ، وتوفي عام ١٢٠٦هـ. **الأعلام**، الزركلي، ١٣/ ٣٠٠.

٤)**علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري**، محمد مطيع ونزار أباظة، ١/ ١٧٢، ١٧٣.

٥)محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي من علماء العربية، ت١٢٣٠هـ، من أهل دسوق بمصر، تعلم وأقام وتوفي بالقاهرة، وكان من المدرسين في الأزهر. له كتب، منها: «الحدود الفقهية»، في فقه الإمام مالك، و«حاشية على مغني اللبيب». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ١٧.

٦)**حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، محمد عرفة الدسوقي، ١٨/ ٢٨٤.

بالشهادتين مختارًا، ويكون بأحد أمور ثلاثة (بصريح) من القول كقوله: أشرك أو أكفر بالله (أو لفظ) أي قول (يقتضيه) كقوله: الله جسم متحيّز» اهـ.

قول الشيخ محمد عثمان الميرغنيّ[١] الحنفيّ (ت ١٢٦٨هـ)

قال الشيخ محمد عثمان الميرغنيّ[٢]: «**مخالفته للحوادث: ومعناها عدم الموافقة لشيء من الحوادث، وليس تعالى بجوهر، ولا جسم ولا عَرَض، ولا متحرّك ولا ساكن، ولا يوصف تعالى بالصغر ولا بالكبر، ولا بالفوقية ولا بالتحتية، ولا بالحلول في الأمكنة، ولا بالاتحاد ولا بالاتصال ولا بالانفصال، ولا باليمين ولا بالشمال، ولا بالخلف ولا بالأمام، ولا بغير ذلك من صفات الحوادث**» اهـ.

قول الشيخ الصوفي العلامة خالد بن أحمد النقشبندي[٣] (ت ١٢٤٢هـ)

قال الشيخ الصوفي العلامة خالد بن أحمد النقشبندي[٤]: «**أشهد بأنَّ الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض** وكذلك صفاته، لا يقوم به حادث، ولا يحل في شيء، ولا يتحد بغيره، مقدَّس عن التجسم وتوابعه وعن الجهات والأقطار» اهـ.

---

١)محمد عثمان بن محمد أبي بكر بن عبد الله الميرغني، الحنفيّ الحسينيّ، ت ١٢٦٨هـ، مفسر صوفي. هو أول من اشتهر من الأسرة الميرغنية بمصر والسودان. ولد بالطائف في الحجاز وتعلم بمكة وتصوف، وانتقل إلى مصر ثم قصد السودان، فاستقر في الختمية جنوبي كسلا. له كتب، منها: «تاج التفاسير لكلام الملك الكبير»، و«مجموع الغرائب»، و«الأنوار المتراكمة»، و«النفحات المدنية في المدائح المصطفوية». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٦٢.

٢)منظومة **منجية العبيد**، محمد عثمان الميرغنيّ، ص ١٦.

٣)خالد بن أحمد بن حسين أبو البهاء ضياء الدين النقشبندي المجددي، ت ١٢٤٢هـ، صوفي فاضل ولد في قصبة قره طاغ من بلاد شهرزور والمشهور أنه من ذرية عثمان ابن عفان رضي الله عنه وهاجر إلى بغداد في صباه ورحل إلى الشام. من كتبه: «شرح مقامات الحريري»، و«شرح العقائد العضدية». **الأعلام**. الزركلي، ٢/ ٢٩٤.

٤)**علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري**، محمد مطيع ونزار أباظة، ١/ ٣١٢.

قول المفسر شهاب الدين الألوسيّ[1] (ت ١٢٧٠هـ)

قال المفسّر شهاب الدين الألوسيّ[2] في شرح قول الله تعالى إخبارًا عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦﴾ (الأنعام): «**يدلّ على أنه عزَّ وجلَّ ليس بجسم**، إذ لو كان جسمًا لكان غائبًا عنا فيكون آفلًا، والأفول ينافي الربوبية» اهـ. ثم قال: «هذه الآية تدلّ على أنه يمتنع أن يكون تعالى بحيث ينـزل من العرش إلى السماء تارة، ويصعد من السماء إلى العرش تارة أخرى، وإلا لحصل معنى الأفول، وأنت تعلم أن الواصفين ربَّهم عزَّ شأنه بصفة النـزول حيث سمعوا حديثَه الصحيح عن رسولهم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، **لا يقولون إنه حركة وانتقال، كما هو كذلك في الأجسام**، بل يفوّضون تعيين المراد منه إلى الله تعالى بعد تنـزيهه سبحانه عن مشابهة المخلوقين، وحينئذ لا يرد عليه أنه في معنى الأفول الممتنع على الربّ جلَّ جلاله» اهـ.

قول الشيخ محمد بن درويش الحوت الحسيني البيروتيّ[3] (ت ١٢٧٧هـ)

قال الشيخ محمد بن درويش الحوت الحسيني البيروتيّ[4]: «ليس ـ أي

---

١) محمود بن عبد الله الحسينيّ الألوسيّ، ت ١٢٧٠هـ، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، ونسبة الأسرة الألوسية إلى جزيرة ألوس في وسط نهر الفرات على خمس مراحل من بغداد، تقلَّد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ ثم انقطع للعلم. من كتبه: «روح المعاني» في التفسير، و«غرائب الاغتراب» ضمَّنه تراجم الذين لقيهم، وأبحاثًا ومناظرات. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ١٧٦، ١٧٧.

٢) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسيّ، ٧/ ٢٠٩.

٣) محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت، عارف بالحديث، شافعي، اشتهر وتوفي في بيروت. له كتب منها: «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب»، و«حسن الأثر في ما فيهِ ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر»، و«الدرَّة الوضية في توحيد رب البَرِيّة». ولد عام ١٢٠٣هـ، وتوفي عام ١٢٧٧هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٧٤.

٤) **رسائل في بيان عقائد أهل السّنة والجماعة**، محمد بن درويش الحوت الحسينيّ، ص٤٩.

الله ـ بنار ولا نور ـ أي ليس ضوءًا ـ ولا روح ولا ريح **ولا جسم ولا عَرَض**، ولا يتّصف بمكان ولا زمان ولا هيئة...» اهـ.

وقال[1]: «نـزّه الحقّ سبحانه وتعالى عن كل ما يوهم الجسمية أو المكان أو الحدوث، وفَوّض علم الحقيقة له في المتشابه» اهـ.

قول الشيخ عبد الغنيّ الغنيميّ الميدانيّ الحنفيّ[2] (ت ١٢٩٨هـ)

قال الفقيه عبد الغنيّ الغنيميّ الميدانيّ[3]: «**والله تعالى ليس بجسم، فليست رؤيته كرؤية الأجسام**، فإنَّ الرؤية تابعة للشيء على ما هو عليه، فمن كان في مكان وجِهة لا يُرى إلا في مكان وجهة كما هو كذلك، ويُرى ـ أي المخلوق ـ بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة، **ومن لم يكن في مكان ولا جهة** ـ يعني الله ـ **وليس بجسم، فرؤيته كذلك ليس في مكان ولا جهة**» اهـ.

قول الشيخ عبد الحافظ بن علي المالكي الأزهري[4] (ت ١٣٠٣هـ)

قال الشيخ عبد الحافظ المالكي الصعيدي الأزهري[5]: «ذهب أهلُ السنة

---

١) **رسائل في بيان عقائد أهل السّنة والجماعة**، محمد بن درويش الحوت الحسيني، ص١٠٦.

٢) عبد الغنيّ بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيميّ الدمشقيّ الميدانيّ، ت ١٢٩٨هـ، من فقهاء الحنفية، نسبته إلى محلة الميدان بدمشق. له: «اللباب في الفقه»، و«كشف الالتباس» في شرح البخاري، و«شروح ورسائل في الصَّرف والتوحيد». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣٣، ٣٤.

٣) **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الغنيّ الميدانيّ، ٦٩.

٤) عبد الحافظ بن علي بن محمد بن محمود الأزهري المالكي، ت ١٣٠٣هـ، فاضل مصري. له: «زهر الرياض الزكيَّة الوافية بمضمون السمرقندية» في البلاغة، و«شرح روض الأفهام في غاية ما ينتهي إليه الكسر من الأحكام» في الفرائض. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٢٧٦.

٥) **المنهل السيال الدافع لما نشأ من خلاف بين الأشعري والماتريدية من الإشكال**، عبد الحافظ المالكي، ص٥٥.

إلى أنه تعالى يجوز عقلًا أن يُرى، والمؤمنون في الجنة يرونه منـزَّهًا عن المقابلة والجهة والمكان. إذ الرؤية على مذهب أهل الحق قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، لا يشترط فيها اتّصال أشعة، ولا مقابلة للمرئي، ولا غير ذلك، ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك على جهة الاتّفاق على سبيل الاشتراط، فلا يلزم من رؤيته تعالى إثبات جهته - أي جهة له -، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمون أنه لا في جهة» اهـ.

وقال أيضًا[1]: «إنّا نراه بلا كيف أي تكيّف للمرئي من مقابلة ومسافة مخصوصة وإحاطة» ثم قال: «فإن الرؤية نوع من الإدراك يخلقه الله تعالى متى شاء ولأيّ شيء كان. **فالمراد بالمخالفة في الكيف وجوب خُلُوّ رؤية الواجب تعالى عن الشرائط والكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام والأعراض**» اهـ.

ثم قال[2]: «إنه تعالى يُرى بمعنى أنه ينكشف للأبصار انكشافًا تامًّا عند الرَّائي بلا إحاطة به، ولا انحصار له عنده **لاستحالة الحدود والنهايات والوقوف على حقيقته كما هو محمل النفي في الآية الشريفة**» اهـ.

قول الشيخ أبي المحاسن القاوقجي[3] (ت ١٣٠٥هـ)

قال الشيخ أبو المحاسن شمس الدّين القاوقجي في كتابه الاعتماد في

---

١) **المنهل السيال**، عبد الحافظ المالكي، ص٥٥، ٥٦.

٢) **المنهل السيال**، عبد الحافظ المالكي، ص٥٦.

٣) أبو المحاسن شمس الدين محمد بن إبراهيم القاوقجي، ولد في طرابلس سنة ١٢٢٤هـ، وتلقّى علومه الابتدائية على مشايخها، ثم توجَّه إلى مصر طلبًا للعلم في الأزهر، مكث في الأزهر سبعًا وعشرين سنة يتلقى العلوم الدينية عن العلماء المحقّقين الذين ذكرهم في كتابه «معدن اللآلي في الأسانيد الأوالي»، ثم عاد إلى طرابلس يدرّس فيها ويعلّم، وتوفي في مكة سنة ١٣٠٥هـ. من مؤلفاته: «المقاصد السنية في آداب الصوفية»، و«الاعتماد في الاعتقاد»، و«بغية الطالبين في ما يجب من أحكام الدين». **طرابلس مدينة العلم والعلماء**، أحمد الحمصي، ص٦.

الاعتقاد[1]: «إذا سأل سائل: أين الله؟ فينبغي أن يقال له: مع كل أحد بعلمه، وفوق كل أحد بقدرته، وظاهر في كل شيء في آثار صفاته، وباطن بحقيقة ذاته، **منزَّه عن الجهة والجسميّة**» اهـ.

قول مفتي ولاية بيروت الشيخ عبد الباسط الفاخوري[2] (ت ١٣٢٤هـ)

قال مفتي ولاية بيروت الشيخ عبد الباسط الفاخوري الشافعي عن الله تعالى[3]: «**ليس بجِرْمٍ يأخذ قدرًا من الفراغ، فلا مكان له**، وليس بعَرَض يقوم بالجرم، وليس في جهة من الجهات، ولا يوصف بالكبر ولا بالصغر، وكل ما قام ببالك، فالله بخلاف ذلك» اهـ. والجرم هو الحجم والجسم.

قول الشيخ حسين بن محمد الجِسْر الطرابلسي[4] (ت ١٣٢٧هـ)

قال الشيخ حسين بن محمد الجِسْر الطرابلسي[5]: «**إنه تعالى ليس جوهرًا ولا جسمًا**، فلا يحتاج إلى مكان يقوم فيه، **لأن الاحتياج إلى المكان من خواص الجواهر والأجسام**» اهـ.

---

١) **الاعتماد في الاعتقاد**، أبو المحاسن القاوقجي، ص١٣.

٢) عبد الباسط بن علي الفاخوري، مفتي بيروت، ت١٣٢٤هـ. كان متقشفًا زاهدًا. له كتب منها: «ذخيرة اللبيب» في السيرة النبوية، و«تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام»، و«نبذة يسيرة من أقواله ﷺ». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٢١٨.

٣) **الكفاية لذوي العناية**، عبد الباسط الفاخوري، ص١٣.

٤) حسين بن محمد بن مصطفى الجسر، عالم بالفقه والأدب، من بيت علم في طرابلس الشام، له نظم كثير، ولد وتعلم في طرابلس، ورحل إلى مصر، فدخل الأزهر سنة ١٢٧٩هـ فاستمرَّ إلى ١٢٨٤هـ، وعاد إلى طرابلس، فكان رجلها في عصره علمًا ووجاهة، وتوفي فيها. من كتبه: «الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية»، و«الحصون الحميدية»، و«نزهة الفكر»، و«إشارات الطاعة في حكم صلاة الجماعة». ولد عام ١٢٦١هـ، وتوفي عام ١٣٢٧هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٢٥٨.

٥) **الحصون الحميدية**، حسين بن محمد الجسر الطرابلسيّ، ص١٨.

وقال أيضًا[1]: «يجب لله تعالى المخالفة للحوادث، ويستحيل عليه المماثلة للحوادث، بأن يكون تعالى مشابهًا لهذه الموجودات الحادثة في خاصّة من خواصّها، وذلك كالجوهرية والجسميّة والعرضيّة والتحيّز والتركيب والتجزؤ والتولد عن الغير وولادة الغير، والاتّصال والانفصال، والانتقال من حيّز إلى حيز» اهـ.

قول الشيخ سليم البشْري شيخ الجامع الأزهر[2] (تَ ١٣٣٥هـ)

قال الشيخ سليم البِشْري المصريّ شيخ الجامع الأزهر[3]: «اعلم أيَّدك الله بتوفيقه، وسلك بنا وبك سواء طريقه، أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه **أجمع السُّنيُّون أن الله تعالى مُنَـزَّهٌ عن مشابهة الحوادث، مخالف لها في جميع سمات الحدوث، ومن ذلك تَنَـزُّهُهُ عن الجهة والمكان**، كما دلت على ذلك البراهين القطعية» اهـ. فالله منزه عن الجهة والمكان لأنه ليس جسمًا يملأ الجهة والمكان.

وقال أيضًا[4]: «**من اعتقد أنّ الله جسم أو أنّه مماسّ للسطح الأعلى من العرش كافر، وبه قال الكرَّاميّة واليهود، وهؤلاء لا نزاع في كفرهم**» اهـ.

---

١) **الحصون الحميدية**، حسين بن محمد الجسر الطرابلسيّ، ص ٤٨.

٢)سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البشري، ت ١٣٣٥هـ، شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء المالكية، ولد في محلة بشر من أعمال شبرخيت بمصر وتعلم وعلّم في الأزهر. وتولى نقابة المالكية، ثم مشيخة الأزهر مرتين، وتوفي بالقاهرة. له: «المقامات السنية في الرد على القادح في البعثة النبوية». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ١١٩.

٣)**فرقان القرآن** (مطبوع مع كتاب الأسماء والصفات للبيهقيّ)، سليم البشري، ص٧٤.

٤)**فرقان القرآن** (مطبوع مع كتاب الأسماء والصفات للبيهقيّ)، سليم البشري، ص١٠٠.

قول الشيخ إبراهيم المارغني الزيتوني[1] (ت ١٣٤٩هـ)

قال الشيخ إبراهيم المارغني[2]: «ويسمى الاعتقاد الفاسد كاعتقاد قِدَم العالم أو تعدّد الإله **أو أنَّ الله جسم، وصاحب هذا الاعتقاد مجمَعُ على كفره**» اهـ.

وقال في باب المستحيلات على الله[3]: «أو بأن يكون له هو ـ أي الله تعالى ـ جهة، فليس له فوق ولا تحت ولا أمام ولا خلف ولا يمين ولا شمال، أو بأن يتقيّد تعالى بمكان» اهـ.

قول الشيخ محمد بن إبراهيم الحسينيّ الطرابلسيّ[4] (ت ١٣٥٩هـ)

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحسينيّ الطرابلسيّ اللبناني في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴿٥٥﴾ ﴾ (البقرة) ما نصه[5]: «ظنوا أنه سبحانه وتعالى مما يشبه الأجسام وتتعلق به الرؤية تعلقها به ـ أي الجسم ـ على طريق المقابلة في الجهات والأحياز، ولا ريب في استحالته» اهـ.

---

١)إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي، ينسب إلى قبيلة بساحل حامل من أعمال ليبيا. ولد بتونس سنة ١٢٨١هـ، دخل الكُتَّاب بصباه وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بجامعة الزيتونة، وتوفي سنة ١٣٤٩هـ. له تصانيف منها: «الشذرات الذهبية على العقائد الشرنوبية». **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، ٢/ ٦٢٢.

٢)**طالع البشرى على العقيدة الصغرى**، إبراهيم المارغني، ص٦٣.

٣)**طالع البشرى على العقيدة الصغرى**، إبراهيم المارغني، ص٨٧.

٤)محمد بن إبراهيم الحسينيّ، مفسّر طرابلسيّ المولد والوفاة، تعلم في الأزهر بمصر، وعاد إلى بلده في لبنان، فكان عينها وعالمها. وصنف كتبًا منها: «تفسير الحسينيّ» الأول منه، و«فريدة الأصول»، و«رسالة في المقولات العشر»، و«رسالة في تطبيق المبادئ الدينية على قواعد الاجتماع». ولد عام ١٢٧٠هـ، وتوفي عام ١٣٥٩هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٣٠٦.

٥)**تفسير القرآن الكريم**، محمد بن إبراهيم الحسينيّ الطرابلسيّ، ص١٠١.

قول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني[1] (ت ١٣٦٧هـ)

قال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني[2]: «ثم إن هؤلاء المتحمسين في السلف متناقضون لأنهم يُثبتون تلك المتشابهات على حقائقها، ولا ريب أن حقائقها تستلزم الحدوث وأعراض الحدوث كالجسمية والتجزؤ والحركة والانتقال، لكنهم بعد أن يثبتوا تلك المتشابهات على حقائقها ينفون هذه اللوازم، مع أنَّ القول بثبوت الملزومات ونفي لوازمها تناقض لا يرضاه لنفسه عاقل فضلًا عن طالب أو عالم.

فقولهم ـ أي المشبهة ـ في مسألة الاستواء الآنفة: إن الاستواء باق على حقيقته، يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز، وقولهم بعد ذلك: ليس هذا الاستواء على ما نعرف، يفيد أنه ليس الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز، فكأنهم يقولون: إنه مستو غير مستو، ومستقر فوق العرش غير مستقر، أو متحيز غير متحيز، وجسم غير جسم، أو إن الاستواء على العرش ليس هو الاستواء على العرش، والاستقرار فوقه ليس هو الاستقرار فوقه، إلى غير ذلك من الإسفاف والتهافت» اهـ.

ثم قال: «والاستواء في اللغة العربية يدلُّ على ما هو مستحيل على الله في ظاهره، فلا بدَّ إذًا من صرفه عن هذا الظاهر، واللفظ إذا صرف عما وضع له واستعمل في غير ما وضع له خرج عن الحقيقة إلى المجاز لا محالة، ما دامت هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصليّ.

ثم إن كلامهم بهذه الصورة فيه تلبيس على العامة وفتنة لهم، فكيف يواجهونهم به ويحملونهم عليه، وفي ذلك ما فيه من الإضلال وتمزيق وحدة الأمة» اهـ.

---

١) محمد عبد العظيم الزرقاني، ت١٣٦٧هـ، من علماء الأزهر بمصر، تخرَّج من كلية أصول الدين، وعمل بها مدرسًا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة. من كتبه: «مناهل العرفان في علوم القرآن». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢١٠.

٢) **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزرقاني، ٢/ ٢١٠.

قول وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية

الشيخ محمد زاهد الكوثري[1] (ت ١٣٧١هـ)

قال وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي[2]: «فظهر بذلك بطلان التمسك بكلمة «فوق» في الآيات والأحاديث في إثبات الجهة له تعالى، **تعالى الله عن مزاعم الجسمية**» اهـ.

وقد كتب الشيخ محمد الكوثريّ عدة مقالات في الرّد على المجسّمة منها: «خطورة القول بالجهة فضلًا عن القول بالتّجسيم»، و«تحذير الأمة من دعاة الوثنيّة»، و«فتن المجسّمة وصنوف مخازيهم» وغير ذلك. وقد نصّ في مقالاته في غير موضع على تكفير المجسّمة والمشبّهة، وأورد نصوص العلماء في ذلك.

---

١) الكوثريّ، محمّد زاهد بن الحسن بن عليّ، فقيه حنفيّ، جركسيّ الأصل، له اشتغال بالأدب والسير، ولد ونشأ في قرية من أعمال «دوزجة» بشرقي الآستانة، اضطهده «الاتحاديون» لمعارضته خطّتهم في إحلال العلوم الحديثة محلّ العلوم الدينية في أكثر حصص الدراسة، كان يجيد العربية والتركية والفارسية والجركسية، له تعليقات كثيرة على بعض المطبوعات في أيامه في الفقه والحديث والرجال. وله تآليف منها: «الاستبصار في التحدُّث عن الجبر والاختيار»، وله نحو مائة مقالة جمعها السيد أحمد خيري في كتاب «مقالات الكوثريّ». ولد سنة ١٢٩٦هـ، وتوفي سنة ١٣٧١هـ. **الأعلام**، الزركليّ، ٦/ ١٢٩.

٢) **تكملة الرد على نونية ابن القيم**، محمد زاهد الكوثري، ص٨٨.

قول الشيخ محمد الخضر حسين التونسي الأزهري(١)
(ت ١٣٧٧هـ)

قال الشيخ محمد الخضر حسين وهو ممن تولَّوْا مشيخة الأزهر(٢): «**إنَّ الجسميّة تستدعي المحلّ والمكان، وقد ثبت أنَّ ذلك محالٌ على الله**» اهـ.

قول المحدّث الشيخ محمد عربي التباني المالكيّ(٣)
(ت ١٣٩٠هـ)

قال المحدّث الشيخ محمد عربي التباني المالكيّ المدرّس في مدرسة الفلاح وفي المسجد الحَرام في مكة المكرمة(٤): «اتفق العقلاء من أهل السّنة الشافعية

---

١) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولَّوْا مشيخة الأزهر. ولد في نفطة من بلاد تونس وانتقل إلى تونس مع أبيه سنة ١٣٠٦هـ وتخرج بجامع الزيتونة ودرَّس فيه. وأنشأ مجلة «السعادة العظمى» سنة ١٣٢١هـ، ودرَّس في الأزهر. وأنشأ جمعية الهداية الإسلامية وتولَّى رئاستها وتحرير مجلتها. وترأس تحرير مجلة «نور الإسلام» الأزهرية، ومجلة «لواء الإسلام» ثم كان من هيئة كبار العلماء وعُيّن شيخًا للأزهر أواخر سنة ١٣٧١هـ واستقال سنة ١٣٧٣هـ وتوفي بالقاهرة ودفن بوصية منه في تربة صديقه أحمد تيمور باشا. له تآليف، منها: «حياة اللغة العربية»، و«الخيال في الشعر العربي». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ١١٣، ١١٤.

٢) **مجلة الهداية الإسلامية**، ج١٢ ص٤.

٣) محمد عربي التبان، يتصل نسبه بالإمام الشيخ عبد السلام بن مشيش ت ١٣٩٠هـ، وُلِد في قرية رأس الوادي بالجزائر عام ١٣١٥هـ. من مشايخه الشيخ عبد الله بن القاضي اليعلاويّ بالجزائر وغيره بجامع الزيتونة بتونس، ومن مشايخه بالمدينة المنورة الشيخ أحمد الشنقيطيّ والشيخ محمد الشنقيطيّ والشيخ حمدان الونيسيّ، وبمكة المكرمة الشيخ عبد الرحمن الدهان والشيخ مشتاق أحمد. ومن تلامذته السيد محمد أمين كتبي والسيد علوي المالكيّ. بدأ التدريس بالمسجد الحرام عام ١٣٣٨هـ، وكان له درس بالمسجد النبوي الشريف. من مؤلفاته: «إفادة الأخيار ببراءة الأبرار»، و«إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسّنة من فضائل الصحابة». **الجواهر الحسان**، زكريا بن بيلا، ١/ ٢٦٣،٢٧٠.

٤) **براءة الأشعريين**، التبان المالكيّ، ١/ ٧٩.

والحنفية والمالكية وفضلاء الحنابلة وغيرهم على **أن الله تبارك وتعالى مُنَـزَّهٌ عن الجهة والجسمية والحدّ والمكان ومشابَهة مخلوقاته**» اهـ.

قول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المالكيّ[1] (ت ١٣٩٣هـ)

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المالكيّ[2]: «قول الله تعالى: ﴿ أَمَ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ ﴾ (الملك) في الموضعين من قبيل المتشابه الذي يعطي ظاهره معنى الحلول في مكان، **وذلك لا يليق بالله**» اهـ.

قول شيخ الإسلام المحدّث الحافظ عبد الله الهرريّ الحبشيّ الأشعريّ الشافعيّ (ت ١٤٢٩هـ)

قال شيخنا شيخ الإسلام عبد الله الهرري رضي الله عنه[3]: «والله تعالى غنيّ عن العالمين، أي مستغن عن كل ما سواه أزلًا وأبدًا، فلا يحتاج إلى مكان يتحيز فيه، أو شىء يحل به، أو إلى أي جهة، لأنه ليس كشىء من الأشياء، **ليس حجمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا، والتحيز من صفات الجسم الكثيف واللطيف**» اهـ.

وقال رحمه الله[4]: «ومن اعتقد أن الوجهَ إذا أضيفَ إلى الله في القرآنِ أو في الحديثِ معناه الجسد الذي هو مركَّب على البدنِ فهو لم يعرف ربَّهُ بل يكفر،

---

١) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عُيّن عام ١٣٩٣هـ شيخًا للإسلام مالكيًّا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها: «مقاصد الشريعة الإسلامية» و«أصول النظام الاجتماعي في الإسلام» و«التحرير والتنوير» في تفسير القرآن. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ١٧٤.

٢) **تفسير التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ص ٢٩، ٣٣.

٣) **الصراط المستقيم**، عبد الله الهرريّ، ص٤٧.

٤) **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، عبد الله الهرريّ، ص٢٤.

لأن هذه هيئة الإنسانِ والملائكةِ والجن والبهائم، فكيف يكونُ خالقُ العالَم مثلَهم؟ **فالله ليس حجمًا بالمرَّة، لا هو حجم لطيف ولا هو حجم كثيف لأن العالم حجم كثيف وحجم لطيف**. ثم هذا الحجم له صفات حركة وسكون وتغيّر ولون وانفعال وتحيّز في المكان والجهة، والله تعالى ليس كذلك إنما هو موجود غير متحيّز في الجهات والأماكن لأنه كان موجودًا قَبْلَها، ولو لم يكن كذلك لكان له أمثال في خلقه» اهـ.

وقال رحمه الله أيضًا[1]: « كذلك قولنا الله حي قادر مريد سميع بصير عالم متكلم باق، فليس هناك مشاركة بينه وبين خلقه، فإنَّ حياة الله أزلية أبدية أما حياة غيره فليست كذلك، وكذلك يقال في بقية الصفات فلا يكون هذا مشاركة ومماثلة، إنما هذا اتفاق في التعبير، نعبّر عن الله بأنه موجود ونعبّر عن العالَم بأنه موجود، ولاموافقة في المعنى. أما إطلاق لفظ التخلق بأخلاق الله فينبغي تجنبه، وقد ورد في هذا خبران لا أصل لهما، أحدهما: «تخلَّقوا بأخلاق الله» والآخر: «السخاء خُلُق الله الأعظم»، فلا يجوز وصف الله بالخُلُق، ولا يجوز نسبة الخَبَرَيْنِ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم» اهـ.

مجلة الأزهر الشريف

ورد في «مجلة الأزهر» التي تُصْدِرُها مشيخة الأزهر في مصر[2]: «يجب تنزيه ذاتِه تعالى وصفاتِه جلّ وعلا عن النقائص، **ويجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لذلك عن سوء الأدب والذهاب بها مذهب المجسمة والمشبهة**» اهـ.

قول الشيخ داود بن عبد الله الفاطاني

قال الشيخ داود بن عبد الله الفاطاني الذي هو من أشهر علماء المالايو[3]:

---

١)**الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**، عبد الله الهرريّ، ص١٣٣، ١٣٤.

٢)**مجلة الأزهر**، عام ١٩٣٨، المجلد التاسع، الجزء الأول، شرح سورة الأعلى.

٣)**الجواهر السنيّة**، الفاطاني، ص٦، ٧.

«**من شبّه الله بشيء من مخلوقاته فلا شكّ في كفره**» اهـ.

وقال أيضًا[1]: «**من أمثلة الكفر الاعتقادي اعتقاد أنّ الله جسمٌ**» اهـ.

قول الشيخ داود بن الحاج عمر الكلنتاني

قال الشيخ داود بن الحاج عمر الكلنتاني من علماء ماليزيا[2]: «**من اعتقد أنّ ذات الله أو صفاته أو أفعاله تشبه ذات أو صفات أو أفعال المخلوقات فلا شكّ في كفره**» اهـ.

قول الشيخ الدكتور نبيل الشريف اللبناني حفظه الله

قال الشيخ الدكتور نبيل الشريف حفظه الله في بعض دروسه: «اعلم أن النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه، والعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع، إذ إن الشرع لا يأتي إلا بمجوّزات العقل كما قال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي في كتاب الفقيه والمتفقه[3]: «الشرع إنما يَرِدُ بمجوّزات العقول، وأما بخلاف العقول فلا» اهـ.

ثم بيّن حفظه الله الأدلة في تنزيه الله عن الجهة والمكان، ومما قاله: «والغرض من هذا الفصل نفي الحاجة إلى المحل والجهة خلافًا للكرَّاميّة والحشويَّة المشبهة الذين قالوا: إن لله جهة فوق، وأطلق بعضهم القول بأنه جالس على العرش مستقر عليه، تعالى الله عن قولهم. والدليل على أنه مستغن عن المحل أنه لو افتقر إلى المحل لزم أن يكون المحل قديمًا لأنّه قديم، أو يكون حادثًا كما أن المحلَّ حادث، وكلاهما كفر» اهـ.

وقال حفظه الله: «المجسّمة أدعياء السلفية يزعمون أنهم حنابلة، أين هم من أحمد؟ ينتسبون إليه وهو بريء منهم، في القول بريء منهم، وفي العمل بريء منهم، وفي السلوك بريء منهم، وفي المعتقد بريء منهم، وإليكم

---

١)**سلم المبتدي**، الفاطاني، ص٢٢. **مفتاح المريد في علم التوحيد**، الفاطاني، ص٧.

٢)**العقائد والفوائد**، الكلنتاني، ص٧.

٣)**الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، ١/ ٣٩٢.

بعض ما يخالفون فيه الإمامَ أحمدَ رضي الله عنه:

١- أحمد بن حنبل يكفّر من قال بالتجسيم في حق الله تعالى، روى الزركشي في كتابه تشنيف المسامع[1] عن صاحب الخصال أنه قال: «قال أحمد: من قال **إن الله جسم لا كالأجسام كفر**» اهـ.

ثم قال: «وممّا يدل أيضًا على أن المشبهة أدعياء السلفية في هذا الزمان مجسّمة ما ورد في كتاب بعض زعمائهم عبد العزيز بن باز وصالح بن فوزان الفوزان وهو المسمى تنبيهات هامّة[2] وفيه: «ثم ذكر الصّابوني هداه الله تنزيه الله سبحانه عن الجسم والحدقة والصّماخ واللسان والحنجرة، وهذا ليس من كلام أهل السّنة بل هو من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم» اهـ بحروفه. ولا شكّ أن الله تعالى منزّه عمّا ذُكر كلّه، وذلك مفهوم من قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ (الشورى). وهذا لا شك مذهب أهل السّنة كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ الذي هو من السلف الصالح ـ عن الله[3]: «تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» وقال: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» اهـ. والجسم والحدقة والصّماخ واللّسان والحنجرة من أوصاف البشر. وهذا النفي التفصيلي مفهوم من قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ (الشورى) ومن قوله: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ٧٤﴾ (النحل) ومن قوله: ﴿**وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ** ٨﴾ (الرعد). وذلك في فَهم مَن آتاه الله تعالى الفهمَ، فلا يحتاج هذا النفي أن يكون ورد في النص بعينِ الألفاظ المنفية لإثباته. وأما قولهم بأننا لا ننفي ولا نثبت ذلك لأنه لم يأت النص بنفيها أو إثباتها، فهم بذلك فتحوا الباب للملاحدة على مصراعيْه لينسبوا إلى الله ما لا يجوز عليه،

---

١) **تشنيف المسامع**، الزركشيّ، ٤/ ٦٨٤.

٢) الكتاب المسمى **تنبيهات هامة**، عبد العزيز بن باز وصالح بن فوزان الفوزان، ص٢٢.

٣) **النفائس**، كمال الحوت، ص٩، ١٣.

حتى وصل الأمر بهم أن قال أحد كبار المشبهة عن الله[1]: «ألزموني كلّ شىء إلا اللحية والعورة» اهـ. فما أشنع كفره، جعل لله جسمًا وأعضاء وجوارح وأدوات وظهرًا وبطنًا ورأسًا وشعرًا وعنقًا وغير ذلك، فأيّ عاقل يدّعي الإسلام يستجيز مثل هذا على الله تعالى» اهـ.

وقال الشيخ الدكتور نبيل الشريف: «انتسابهم لمذهب أحمد زورٌ وبهتان

٢- أحمد بن حنبل رضي الله عنه يُجوّز التأويلَ الذي هو موافق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولغة العرب، لذلك أَوَّلَ قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ (الفجر) قال[2]: «جاء أمره» وفي رواية: «جاءت قدرته»، معناه الله يظهر يوم القيامة أهوالًا عظيمة هي آثار قدرة الله، ولو كان الإمام أحمد مجسّمًا كأدعياء السلفية في هذا الزمان لما أوّل الآية ولكان أخذ بظاهرها. أمّا المجسّمة أدعياء السلفية فيقولون[3]: «التأويل تعطيل» اهـ. والتعطيل هو نفي وجود الله تعالى أو صفاته، فيكونون بذلك حكموا على الإمام أحمد رضي الله عنه بالكفر لأنهم جعلوه معطّلًا، فكيف بعد ذلك يدّعون الانتساب إليه؟! وقد حصل لمفتي المجسمة أدعياء السلفيّة الذي مات في هذا العصر وهو أعمى البصر أن دخل عليه رجل وقال له: أنت ضدُّ التأويل وتضلّل من يؤوّل فما تقول في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ (الإسراء)، فإن أوَّلت هذا فقد وقعت في ما حرّمت، وإن تركت الآية على ظاهرها فقد حكمت على نفسك بأنّك كما أنت في هذه الحياة الدنيا أعمى فأنت في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلًا. فلم يجد هذا المشبّه جوابًا وما كان منه إلا أن شتمه وأمر بإخراجه.

---

١) هو داود الجواربي مؤسس فرقة الجواربية وسيأتي شرحه. **الملل والنحل**، الشهرستاني، ص١٠٥.

٢) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٥٦. وقد تقدّم.

٣) ممن قال ذلك ابن باز في كتابه المسمّى **تأويلات على من أنكر الصفات**، ص٨٤. وقاله الألباني في كتابيه **فتاوى الألباني**، ص٥٢٢، ٥٢٣، و**مختصر العلو**، ص٢٣: «التأويل عين التعطيل» اهـ. وكذا في كتابه **شرح الطحاوية** ص١٨.

٣- أحمد بن حنبل رضي الله عنه ينزّه الله عن أن يكون متصوَّرًا، فقد ثبت عنه أنّه قال: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» اهـ. رواه أبو الفضل التميمي الحنبلي في كتابه المسمّى اعتقاد الإمام المبجّل أحمد بن حنبل[١]، وقوله هذا مأخوذ من قول الرسول ﷺ: «**لا فِكْرَةَ في الرَّبّ**» رواه أبو القاسم الأنصاري[٢]، ومن قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم). قال الصحابي الجليل أبيّ بن كعب في تفسيره لهذه الآية[٣]: «إليه ينتهي فِكرُ مَنْ تفكّر، فلا تصل إليه أفكار العباد» اهـ.

٤- أحمد بن حنبل يُجيز التبرك بقبر النبي ﷺ ومنبره وآثاره، فقد سُئل عن الرَّجل يَمَسّ منبرَ النبي ويتبرك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثلَ ذلك أو نحوَ هذا، يريد بذلك التقربَ إلى الله عزّ وجل، فقال رضي الله عنه: «لا بأس بذلك» اهـ. رواه عنه ابنه عبد الله في كتاب العلل ومعرفة الرجال[٤]. أما المجسّمة أدعياء السلفية فيقولون[٥]: «التبرك شرك» اهـ. ويعتبرون التمسّح بقبر النبي ﷺ وتقبيله شركًا حتى قال ابن تيمية[٦]: «اتفقوا على أنه لا يقبله ولا يتمسّح به فإنه من الشرك والشركُ لا يغفره الله ولو كان أصغر» اهـ. وهذا دَأْبُه فإنّه إذا قال قولًا لم يسبقه إليه أحد قال: «اتفقوا»

---

١) **اعتقاد الإمام أحمد**، أبو الفضل التميمي، ١/ ٣٠١. ولفظه: «لما كان الله سبحانه وتعالى لا يتصور بالعقول ولا يتمثله التمييز فات العقول دركه، ومع ذلك فهو شيء ثابت، وما تصور بالعقل فالله بخلافه» اهـ.

٢) **شرح الإرشاد**، أبو القاسم الأنصاري، ص٥٨، ٥٩. **تفسير البغوي**، البغوي، تفسير الآية: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم)، ٧/ ٤١٧. **تفسير القرطبيّ**، القرطبي، ١٧/ ١١٥. **الدر المنثور**، السيوطيّ، ٧/ ٦٦٢. **كنز العمال**، المتقي، ٣/ ٣٦٩. وقد تقدّم.

٣) **شرح الإرشاد**، أبو القاسم الأنصاري، ص٥٨، ٥٩.

٤) **العلل ومعرفة الرجال**، عبد الله بن أحمد بن حنبل، ٢ / ٤٩٢.

٥) الكتاب المسمّى **التوسل والوسيلة**، ابن تيمية، ص ٢٤، ١٥٠. الكتاب المسمى **فتاوى في العقيدة**، ابن باز، رسائل إرشادية لرئاسة الحرس الوطني، ١٩١، ص١٣.

٦) الكتاب المسمّى **التوسل والوسيلة**، ابن تيمية، ص ٢٤، ١٥٠.

أو «أجمعوا» ولا يذكر اسم عالم واحد، وكل باحث ومحقّق من أهل الفضل والعَدْل يعرف باعَ ابنِ تيمية في التدليس والافتراء على أئمة الحديث وأعلام الصحابة والتابعين.

٥- أحمد بن حنبل رضي الله عنه يُجِيز التوسل بالنبي والصّالحين، فها هو رضي الله عنه يقول في مَنسكه الذي كتبه للمِروَذي[١]: «إنه يتوسل بالنبي في دعائه» اهـ. يعني المستسقي يسنّ له في استسقائه أن يتوسّل بالنبي ﷺ. أما المجسمة أدعياء السلفية فيقولون[٢]: نداء غير الحي الحاضر شرك كما هو منصوص في كثير من كتبهم، ويُكَفِّرُونَ المتوسلين بالأنبياء والصالحين، والعياذ بالله من شرهم» اهـ.

قول الشيخ الدكتور جميل حليم الحسيني اللبناني حفظه الله

قال الشيخ الدكتور جميل حليم حفظه الله[٣]: «نهى السّلف عن التفكّر في ذات الله تعالى للوصول إلى حقيقته، لأنّه لا يَعلمُ اللَّـهَ على الحقيقة إلا اللَّـه، إنّما معرفتُنا بالله هي بمعرفة ما يجب له تعالى وما يستحيل في حقّه وما يجوز في حقّه. وكلّ من يتفكّر في ذاته تعالى فيتخيّل بخياله صورةً أو يتوهمها بوهمه ويعتقد أنَّ ما تخيّله وتوهمه هو الله ما عرف الله سبحانه، إذ لا فرق بينه وبين عابد الصنم، عابد الصنم عبدَ صورةً نحتها وهذا عبد صورة تخيّلها، وأما المؤمن المصدّق فيعبد من لا شبيه ولا مثيل له ـ أي أن الله لا يُتصوّر في الوهم إذ إنه لا يتصور إلا صورة قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ (الشورى) ـ **فالله يستحيل أن يكون مصوَّرًا أي ذا صورة وشكل لأنَّ ذلك من خواصّ الأجسام**» اهـ.

---

١) **كشاف القناع عن متن الإقناع**، البهوتي، ٢/ ١٥٠.

٢) الكتاب المسمى **رسائل توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع**، محمد بن جميل زينو (المجسم)، ص٩.

٣) **نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسّم**، جميل حليم، ص ٧٢.

قول الشيخ الدكتور سمير بن سامي القاضي اللبناني حفظه الله

قال الشيخ الدكتور سمير القاضي حفظه الله في ما ينقل عن الإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر[1]: «ومعنى الشىء ـ في حقّه تعالى ـ الثابتُ بلا جسم ولا جوهر ولا عَرَض، ولا حدّ له ولا ضدّ له ولا مثل له» اهـ.

ثم قال: «وقال أبو عثمان الصابونيّ في رسالة عقيدة أصحاب الحديث له: «إنّ أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنّة يعرفون ربَّهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله، وشهد له بها رسوله على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيّفونها تكييف المشبهة، ولا يحرّفون الكَلِمَ عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية، وقد أعاذ الله أهل السنّة من التحريف والتكييف، ومنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قوله عزّ من قائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ (الشوى)» اهـ. ثم ذكرَ الفقهاءَ السبعة: أي عبيد الله بن عتبة بن مسعود وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسعيد ابن المسيّب وأبا بكر بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد رضي الله عنهم وسمّى من بعدهم خلقًا كثيرًا من الأئمة وقال: «إنهم كلّهم متفقون في الاعتقاد، لم يخالف بعضهم بعضًا، ولم يثبت عن واحد منهم ما يضادّ ما ذكرنا» اهـ.

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذيّ الفقيه الصوفيّ المسند المتوفّى قريبًا من سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة في شرح صفات الله[2]: «إنّهم ـ أي الصوفية ـ أجمعوا على أن له سبحانه سمعًا وبصرًا ووجهًا ويدًا ليس كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه، وأجمعوا أنها صفاتٌ لله وليست

---

١) **حاشية الكيفوني على الدرة البهية**، سمير القاضي، ص ٣٨ _ ٤٠.

٢) **التعرف لمذهب أهل التصوف**، محمد بن إسحاق الكلاباذي، الباب السادس.

بجوارح ولا أعضاء ولا أجزاء» اهـ.

وفي مقدمته في عقيدة الإمام أحمد بن حنبل وفي أصول مذهبه ومشربه قال أبو محمّد التميميّ الحنبليّ(١): «**إنّ أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان يقول: إن صفات البارئ تعالى ليست أعراضًا ولا أجسامًا، لأنّه قد ثبت أنّ الموصوف ليس بعرض ولا جسم وكذلك صفته**» اهـ.

قول الشيخ أسامة السيد اللبناني حفظه الله

قال الشيخ الأديب أسامة السيد في بعض دروسه: «استدلَّت المجسمة على أن الله يسكن السماء بقول فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ (غافر)، فقلت ـ أي الشيخ أسامة يقول ـ وبالله التوفيق: [مجزوء الكامل]

زَعَمَ المشبّهُ أنَّه ... اللهُ يسكُنُ في العُلا
وقدِ استدلَّ لكُفرِه ... مِن قولِ فرعونٍ خلا
فرعونُ صارَ إمامَهُ ... ذاك المكفَّنُ بالبِلى
إذْ قالَ فرعونُ ابنِ لي ... هامانُ صرحًا في العُلا
نَسَبَ المكانَ لربّنا ... بغبائهِ لما غَلا
وكَذا فراعنةُ الزَّما ... نِ تَتبَّعُوا أَثَر الأُلى
ظهرَ الولاءُ بطبعِهم ... والحقُّ في العِلمِ انْجَلى
لوْ قيلَ عنْهُمْ إنَّهُمْ ... شرُّ البليَّةِ والبَلا
أوَلَيْسَ بادٍ كفرُهُمْ؟ ... فجوابُنا أبدًا: بلى

---

١) مقدمته منها نسخة خطية في الجزء السادس والأربعين من **الكواكب الدراري في ترتيب مسند أحمد على أبواب البخاري** المحفوظة في ظاهرية دمشق لابن زكنون علي بن حسين بن عروة الحنبلي.

هذا بعض ما جمعته من أقوال علماء الخلف في تنزيه الله عن الجسمية، وقد قدَّمنا أنه يكفي في نفي الجسمية عن الله تعالى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ (الشورى) فهي أصرح آية في تنزيه الله التنزيه الكليّ عن مشابهة المخلوقين.

الباب الثاني

الفصل الأول
حكم التجسيم والمجسمة

قال ابن المعلّم القرشيّ وقد تقدّم[١]: «عن عليّ رضي الله عنه قال: سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفَّارًا، قال رجل: يا أمير المؤمنين، كفرهم بماذا: أبالإحداث أم بالإنكار؟ فقال: بل بالإنكار، ينكرون خالقهم فيصفونه **بالجسم** والأعضاء» اهـ.

وقال ابن المعلّم كذلك[٢]: «ثبت أن الشافعيّ قال: من قال الله جالس على العرش كافر» اهـ.

وقال قاضي القضاة الحافظ تاج الدين السبكيّ[٣]: «وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ولله الحمد في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السّنة والجماعة، يدينون لله تعالى بطريق شيخ السّنة والجماعة أبي الحسن الأشعريّ رحمه الله تعالى، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرّأ الله المالكية فلم نر مالكيًّا إلا أشعريَّ العقيدة، وبالجملة عقيدة الأشعرية هي ما تضمّنته عقيدة أبي جعفر الطحاويّ التي تلقَّاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة» اهـ.

حكم التجسيم والمجسمة عند الحنفية:

قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه[٤]: «من اعتقد حدوثَ صفة من

---

١) **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، ص٥٨٨.

٢) **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، ص٥٥٥.

٣) **معيد النعم ومبيد النقم**، السبكيّ، ص ٧٥.

٤) **كتاب الوصية**، ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة بتحقيق الكوثريّ، ص٢.

صفات الله أو شكّ أو توقّف كَفَرَ» اهـ.

ونقل الإمامُ الطحاويّ رضي الله عنه في رسالته[1] التي هي ذكر بيان عقيدة أهل السّنة والجماعة على حسب ألفاظ أبي حنيفة والقاضي أبي يوسف ومحمّد بن الحسن فقال: «ومن وصف الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر» اهـ. وأظهرُ معاني البشر **الجسمية**.

وورد في كتاب كشف الأسرار شرح أصول البزدويّ[2] قوله[3]: «إن أبا حنيفة قال لجهم بن صفوان **المجسّم**[4]: «اخرج عني يا كافر» اهـ.

وقال ابن أمير الحاج الحنفيّ[5]: «**ولا تقبل شهادة المجسّمة لأنهم كَفَرَة**» اهـ.

---

١)نقل الإمام أبو جعفر الطحاويّ الإجماعَ على تكفير المجسم كما في عقيدته المشهورة بالعقيدة الطحاوية.

٢)عليّ بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، ت ٤٨٢هـ، أبو الحسن، فقيه أصوليّ من أكابر الحنفية. له تصانيف منها: «المبسوط»، و«كنـز الوصول في أصول الفقه» ويعرف بأصول البزدويّ، و«تفسير القرآن»، و«غناء الفقهاء» في الفقه. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣٢٨، ٣٢٩.

٣) **كشف الأسرار شرح أصول البزدويّ**، علاء الدين البخاريّ، ١/ ٢٢.

٤)جهم بن صفوان الراسبيّ، أُسُّ الضلالة ورأس الجهمية، كان ينكر الصفات ويقول: إن الله تعالى في الأمكنة كلها، يكثر ذكره في كتب التاريخ والفرق، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سالم بن أحوز بمرو في أواخر ملك بني أمية سنة ١٢٨هـ، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ١/ ١١٣.

٥)**التقرير والتحبير**، ابن أمير الحاج الحنفيّ، ٦/ ٢٩٤.
ابن أمير الحاج هو موسى بن محمد التبريزيّ، ت ٧٣٣هـ، أبو الفتح، مُصلح الدّين، فقيه حنفيّ. زار دمشق سنة ٧١٠ هـ، وسنة ٧٢٦ هـ، ومرّ بالقاهرة، وتوفي بوادي بني سالم في طريق الحجاز وهو قاصد زيارة قبر الرسول ﷺ بعد أداء الحج. من كتبه: «الرفيع في شرح البديع» لابن الساعاتيّ في الأصول. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٣٢٨.

وقال الملا عليّ القاري[1]: «من اعتقد أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها فهو كافر...، **وكذا من قال بأنه سبحانه جسم وله مكان** ويمرّ عليه زمان ونحو ذلك كافر، حيث لم تثبت له حقيقة الإيمان» اهـ.

ولم يَجِدْ علماءُ المذهب عن معتقد الإمام أبي حنيفة في تنـــزيه الله تعالى عن الجسم والهيئة والطول والعرض، ولو شذَّ منهم شاذّون ظلُّوا كنقطة في بحر من هم ينتسبون إليه ممّن فُتِنوا بمجسمة العصر الوهابية[2] وبابن تيمية المجسم وكان في القرن السابع الهجريّ كابن أبي العزّ الحنفيّ[3] الذي تَبع ابن تيمية فشرح العقيدة الطحاوية على خلاف منهج أهل الحق عامة وأهل مذهبه خاصة، فقد حشا شرحَهُ وملأَهُ بضلالات ابن تيمية فإنه كان كالظلّ له.

ومما ذكره ابنُ أبي العز المشبه[4] في هذا الشرح من عقيدة ابن تيمية زعمه

---

١)**شرح الفقه الأكبر**، الملا علي القاري، ص٢٧١.

٢)الوهابية نسبة إلى مؤسس حركتهم الضالة محمد بن عبد الوهاب، كان ابتداء ظهور أمره في الشرق سنة ١١٤٣هـ، واشتهر أمره بعد ١١٥٠هـ بنجد وقراها، توفي سنة ١٢٠٦هـ، وقد ظهر بدعوة ممزوجة بأفكار منه زعم أنها من الكتاب والسُّنة، وكفّر الأمة لأنها على غير ما هو عليه من الضلال، وأخذ ببعض بدع تقي الدين أحمد بن تيمية فأحياها، ومنها عقيدة التجسيم لله والتحيز في جهة، وتحريم التوسّل بالنبيّ ﷺ، وتحريم السفر لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين بقصد الدعاء هناك رجاء الإجابة من الله، وتكفير من ينادي بهذا اللفظ: يا رسول الله أو يا محمد أو يا علي أو يا عبد القادر أغثني أو بمثل ذلك إلا للحيّ الحاضر، وابتدع من عند نفسه تحريم تعليق الحروز التي ليس فيها إلا القرآن وذكر الله، وتحريم الجهر بالصلاة على النبيّ عقب الأذان، وأتباعه يحرّمون الاحتفال بالمولد الشريف خلافًا لشيخهم ابن تيمية.

٣)عليّ بن أبي العز الحنفيّ، ت ٧٩٢هـ، كان بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق وكان من المجسمة. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣١٣. **الدرر الكامنة**، ابن حجر ١/ ٣٧٢.

٤)ذكر ذلك عند الكلام على قول الطحاويّ: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان» اهـ. ص٤٢٧.

أن أهل السّنة يقولون بفناء النار، فيكون عنده وعند ابن تيمية وعند مجسمة العصر عذاب الكفار والمشركين الذين حاربوا اللّـهَ وأنبياءَه في نار جهنم ينتهي وينقطع، مكذّبين قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴿٣٦﴾ (فاطر)، وقوله ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ (الجن).

ومما ذكره[1] أيضًا من عقيدة ابن تيمية قوله بأزلية نوع العالم التي أخذها ابن تيمية عن الفلاسفة الذين قالوا: إن الله لم يخلق نوع العالم إنما خلق الأفراد فقط، والعياذ بالله.

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه[2]: «نقرّ بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قَدَرَ على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا» اهـ.

وقال رضي الله عنه كذلك[3]: «كان الله ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق، كان ولم يكن أينٌ ولا خلقٌ ولا شيء، وهو خالق كل شيء» اهـ.

وقال رضي الله عنه أيضًا[4]: «فمن قال: لا أعرف ربي أفي السماء هو أم في الأرض فهو كافر، كذلك من قال: إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض» اهـ.

وإنما كفَّر الإمامُ قائلَ هاتين العبارتين لأنه جعل الله مختصًّا بجهة وحيّز، وكلّ ما هو مختصّ بالجهة والتحيز فإنه محتاج محدَث بالضرورة أي بلا شك، وليس مراده كما زعم المشبهة إثبات أن السماء والعرش مكان لله تعالى، بدليل

---

١) ذكر ذلك عند الكلام على قول الطحاويّ: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق»، ص١٣٢.

٢) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص٧٠.

٣) **الفقه الأبسط**، أبو حنيفة، ص٥٧.

٤) **الفقه الأبسط**، أبو حنيفة، ص٤٩.

كلامه السابق الصريح في نفي الجهة عن الله ـ وقد نقلنا ذلك ـ، ومن ذلك قوله: «ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان» اهـ. ففي هذا إشارة من الإمام رضي الله عنه إلى إكفار من أطلق التشبيه والتحيز على الله، كما قال العلامة البياضيّ الحنفيّ[1] والشيخ الكوثريّ[2] وغيرهما. وقد قال الإمام البياضي في كتابه إشارات المرام[3] الذي ألّفه لبيان وشرح كلام أبي حنيفة وما يستفاد منه من الإشارات ما نصّه: «**ومن وصفه تعالى بكونه جسمًا منهم أي موجودًا لا كالأجسام كبعض الكرامية، ومنهم من قال: إنه على صورة شاب أمرد، ومنهم من قال: على صورة شيخ أشمط، وكلّ ذلك كفر وجهل بالربّ ونسبة للنقص الصريح إليه، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا**» اهـ.

وقد نقل عددٌ لا يحصى تكفيرَ الإمام أبي حنيفة لمن يقول[4]: «لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض!» وكذا مَن قال: «إنه ـ أي الله ـ على العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض» منهم الإمام تقيّ الدين الحصنيّ[5]

---

١) **إشارات المرام**، البياضيّ الحنفيّ، ص ٢٠٠.
أحمد بن حسن بن سنان الدين البياضي، ت ١٠٩٨هـ، قاض فاضل، بوسنوي الأصل. ولد في إستانبول وأخذ عن علمائها، وتوفي في قرية قريبة منها. له تآليف بالعربية منها: «إشارات المرام من عبارات الإمام» في فقه الحنفية، و«سوانح العلوم» في ستة فنون، و«الفقه الأبسط». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ١١٢.

٢) **التكملة**، الكوثريّ، ص ١٨٠.

٣) **إشارات المرام**، البياضيّ الحنفيّ، ص ٢٠٠.

٤) **الفقه الأبسط**، أبو حنيفة، ص٤٩.

٥) **دفع شبه من شبه وتمرد**، تقيّ الدين الحصنيّ، ص١٨.
أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني تقي الدين، ت ٨٢٩هـ، فقيه ورع من أهل دمشق ووفاته بها، نسبته إلى الحصن من (قرى حوران)، له تصانيف كثيرة منها: «كفاية الأخيار»، و«دفع شبه من شبه وتمرَّد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد». **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٦٩.

والإمام أحمد الرفاعيّ[1] وغيرهما، وذكروا أنه كفّره لأنّه جوّز للحَقّ مكانًا.

فوضح بعد هذا البيان الشّافي أن دعوى إثبات المكان لله تعالى أخذًا من كلام أبي حنيفة رضي الله عنه افتراء عليه وتقويل له بما لم يقل.

ومن العلماء الحنفية الذين كفّروا المجسّمَ الشيخُ زينُ الدين الشهيرُ بابن نجيم الحنفيّ (ت ٩٧٠هـ) الذي قال ما نصّه[2]: «ويكفر بإثبات المكان لله تعالى، فإن قال: الله في السماء، فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر، وإن أراد المكان كفر» اهـ.

وقال الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفيّ الذي هو من السلف الصالح (ت٣٢١هـ) أول رسالته المسماة العقيدة الطحاوية[3]: «هذا ذكرُ بيانِ عقيدةِ أهل السُنَّةِ والجماعة» أي أن هذه هي عقيدة السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين في **تنزيه الله عن المكان والجهة والجسمية**، وكلام الطحاويّ في غاية الأهمية فهو من علماء الحديث ومن علماء الفقه، وهذه العقيدة تدرّس في أنحاء الأرض في المعاهد والجامعات الإسلامية، يقول رضي الله عنه في رسالته ما نصّه: «تعالى - أي الله - عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات السّتُّ كسائر المبتدعات» اهـ. وقد تقدّم بيانه.

حكم التجسيم والمجسّمة عند المالكية:

ثبت تكفير المجسّمة عن الأئمة الثلاثة أبي حنيفة والشافعيّ وأحمد، وثبت تكفيرهم كذلك عن الإمام أبي الحسن الأشعريّ والإمام أبي منصور الماتريديّ رضي الله عنهم، ومثل ذلك عن الإمام مالك رواه الإمام المجتهد

---

١) **البرهان المؤيد**، أحمد الرفاعيّ، ص٢٤.

٢) **البحر الرائق**، ابن نجيم، باب المرتدين، ٥/ ١٢٩.

٣) **النفائس**، كمال الحوت، ص٩، ١٢، ١٣.

ابن المنذر عنه قال[1]: «أرى أن يستتاب أهل الأهواء، فإن تابوا وإلا ضُرِبت أعناقهم» اهـ. وأهل الأهواء هم الذين ابتدعوا في الاعتقاد كالمعتزلة والمشبّهة و**المجسمة** والجبرية إلى آخر فِرَقِهم، وهؤلاء ظهروا في القرون السابقة ولم ينقرضوا، بل إلى الآن ما زال أفراخ وأذناب هؤلاء يصولون ويجولون مشوّشين على عقائد المسلمين ودينهم وإن بأسماء ومسمّيات مختلفة.

وقال الشيخ محمد بن أحمد علّيش المالكيّ[2] **عند ذكر ما يوقع في الكفر والعياذ بالله ما نصّه**[3]: «**وكاعتقاد جسميّة الله وتحيُّزه، فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحْدِث**» اهـ.

وكان شيخ المحدّثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ صاحب الصحيح (ت ٢٥٦هـ) قد فَهِمَ شُرَّاح صحيحه أنه **كان ينـزّه الله عن المكان والجهة والجسم**، فقد قال الشيخ عليّ بن خلف المالكيّ المشهور بابن بطّال أحد شُرَّاح صحيح البخاريّ (ت ٤٤٩هـ) ما نصه[4]: «قال أبو ذرّ: سألت النبيّ ﷺ عن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ٣٨﴾ (يس)، قال: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ**». غرضه ـ أي البخاريّ ـ في هذا الباب رد شبهة الجهمية المجسمة في تعلقها بظاهر قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ٤﴾ (المعارج)، وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ١٠﴾ (فاطر) وما

---

١) **الإشراف على مذاهب العلماء**، ابن المنذر، ٨/ ٧٣.

٢) محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله، ت ١٢٩٩هـ، فقيه من أعيان المالكية مغربي الأصل من أهل طرابلس الغرب ولد بالقاهرة وتعلم في الأزهر، وولي مشيخة المالكية فيه توفي في القاهرة. من تصانيفه: «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك»، و«منح الجليل على مختصر خليل». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ١٩.

٣) **منح الجليل شرح مختصر خليل**، محمد عليش، ٩/ ٢٠٦.

٤) **شرح ابن بطال**، ابن بطال، ٢٠/ ١٠٧.

تضمّنته أحاديث الباب من هذا المعنى، وقد تقدّم الكلام في الردّ عليهم وهو أن الدلائل الواضحة قد قامت على **أن البارئ تعالى ليس بجسم** ولا محتاجًا إلى مكان يحلّه ويستقر فيه لأنه تعالى قد كان ولا مكان وهو على ما كان، ثم خلق المكان، فمحال كونه غنيًّا عن المكان قبل خلقه إياه ثم يحتاج إليه بعد خلقه له، هذا مستحيل، فلا حجة لهم في قوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ لأنه إنما أضاف المعارج إليه إضافة فعل ـ وفعل الله أزليّ والمفعول حادث ـ، وقد قال ابن عباس في قوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ هو بمعنى: العلوّ والرّفعة. وكذلك لا شبهة لهم في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ لأنَّ صعود الكَلِم إلى الله تعالى لا يقتضي كونه في جهة العلوّ لأن البارئ تعالى لا تحويه جهة إذ كان موجودًا ولا جهة، وإذا صحَّ ذلك وجب صرف هذا عن ظاهره وإجراؤه على المجاز لبطلان إجرائه على الحقيقة، فوجب أن يكون تأويل قوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ رفعته واعتلاؤه على خليقته وتنزيهه عن الكون في جهة لأنّ في ذلك ما يوجب كونه جسمًا تعالى الله عن ذلك، وأما وصف الكلام بالصعود إليه فمجاز أيضًا واتساع لأن الكلم عَرَض، والعَرَض لا يصحُّ أن يَفعل، لأن من شرط الفاعل كونه حيًّا قادرًا عالمًا مريدًا، فوجب صرف الصعود المضاف إلى الكَلِمَ إلى الملائكة الصَّاعدين به» اهـ.

وقال أيضًا[1]: «أمر اللهُ تعالى نبيَّه بدعاء العباد إلى دينه وتوحيده ففعل ما ألزمه من ذلك، فبلَّغ ما أمره بتبليغه وأنزل عليه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ (الذاريات)، ووجه ذكر حديث الحث على تلاوة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ (الإخلاص) في هذا الباب لأنها سورة تشتمل على توحيد الله وصفاته الواجبة له وعلى نفي ما يستحيل عليه، من أنه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، **وتضمَّنت ترجمة هذا الباب أن الله واحد وأنه ليس بجسم، لأن الجسم ليس بشىء واحد، بل هو أشياء كثيرة مؤلَّفة،**

---

١) **شرح ابن بطّال**، ابن بطّال، ٢٠/ ٣٤.

ففي نفس الترجمة الردّ على الجهمية في قولها: إنه تعالى جسم. والدليل على استحالة كونه جسمًا أن الجسم موضوع في اللغة للمؤلَّف المجتمع، وذلك محال عليه تعالى، لأنه لو كان كذلك لم ينفك من الأعراض المتعاقبة عليه الدالة بتعاقبها عليه على حَدَثِها لفناء بعضها عند مجيء أضدادها، وما لم ينفك من المحدَثات فمحدَث مثلها، وقد قام الدليل على قِدَمِه تعالى، **فبَطَلَ كونه جسما**» اهـ.

حكم التجسيم والمجسمة عند الشافعية:

قال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه جامعًا ما قيل في التوحيد: «من انتهض لمعرفة مدبّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكرُه فهو مشبّه، وإنِ اطمأنَّ إلى العدم الصّرف فهو معطِل، وإن اطمأن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحّد» اهـ. رواه البيهقيّ وغيره[١] وقد تقدَّم.

وقال ابن المعلّم القرشيّ في سرد مسائل يكفر معتقدها[٢]: «وهذا مُنْتَظِمٌ مَن كفرُهُ مُجمعٌ عليه، ومَن كفّرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرآن[٣] وبأنه ـ تعالى ـ لا يعلم المعدومات قبل وجودها، ومَن لا يؤمن بالقَدَر، وكذا مَن يعتقد أن الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين عن نصّ الشافعيّ» اهـ.

وقال كذلك[٤]: «ثبت أن الشافعيّ قال: من قال: الله جالس على العرش كافر» اهـ.

---

١) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص ١٥٢.

٢) **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، ص ٥٥١. وكذلك نقل ابن الرفعة هذا القول عن الشافعي. **كفاية النبيه شرح التنبيه**، ابن الرفعة، ٤/ ٢٤.

٣) أي من قال بأن لله شفتين وأسنانًا ولهاة، وأن كلامه الأزليّ أصوات وحروف فهو كافر.

٤) **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، ابن المعلم القرشيّ، ص ٥٥٥.

وقال النوويّ[1]: «(فرع) قد ذكرنا أن من يكفر ببدعته لا تصحُّ الصلاة وراءه، ومَن لا يكفر تصح، **فممّن يكفر من يجسّم تجسيمًا صريحًا** ومن ينكر العلم بالجزئيات» اهـ. أي من أنكر علم الله بالجزئيات.

وقال الحافظ النوويّ كذلك[2]: «وأما التفصيل فقال المتولّي: من اعتقد قِدَم العالم أو حدوث الصانع أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه عالمًا قادرًا، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرًا[3]» اهـ.

وقال الحصنيّ[4]: «إلَّا أنَّ النوويّ جزم في صفة الصلاة من شرح المهذّب بتكفير **المجسّمة**، قلت: وهو الصَّواب الذي لا محيد عنه، إذ فيه ـ أي قول من قال بالجسميّة ـ مخالفة صريح القرآن، قاتلَ الله المجسّمةَ والمعطّلةَ ما أجرأهم على مخالفة مَن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، وفي هذه الآية ردّ على الفرقتين» اهـ.

وقال الحافظ السيوطيّ[5]: «قاعدة: قال الشافعيّ: لا يكفر أحد من أهل القبلة، واستُثْنِيَ من ذلك **المجسّم** ومنكر علم الجزئيات» اهـ.

وفي الكتاب نفسه وفي الصحيفة نفسها ينقل السيوطيّ عن الإمام الشافعيّ رضي الله عنه قوله: «**المجسّم كافِر**» اهـ.

وقد ذكر الإمام البيهقي الشافعيّ المذهب في الأسماء والصفات في كثير من المواضع أن الله منـزّه عن المكان والحدّ، ومن ذلك قوله[6]: «واستدلّ

---

١)**المجموع**، النوويّ، ٤/ ١٥٠.

٢)**روضة الطالبين**، النوويّ، ١٠/ ٦٤.

٣)إذ الاتصال والانفصال من صفات الأجسام.

٤)**كفاية الأخيار حل غاية الاختصار**، الحصنيّ، ص ٦٤٧.

٥)**الأشباه والنظائر**، السيوطيّ، ص ٤٨٨.

٦)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٠٠.

بعض أصحابنا في نفي المكان عنه ـ تعالى ـ بقول النبيّ ﷺ[1]: «**أنتَ الظاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ وأنتَ الباطنُ فليسَ دونَكَ شيءٌ**» وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» اهـ.

وقوله[2]: «وما تفرّد به الكلبيّ وأمثاله يوجب الحدّ والحدّ يوجب الحَدَث لحاجة الحدّ إلى حادّ خصَّه به، والبارئ قديم لم يزل» اهـ.

وقوله[3]: «الله تعالى لا مكان له»، ثم قال: «فإنّ الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام، والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء» اهـ.

وقال المناويّ[4] عند الكلام عن تقسيم البدعة إلى كفرية وغير كفرية ما نصُّه: «**أمّا من كفر بها كمنكر العلم بالجزئيّات وزاعم التجسيم أو الجهة أو السكون** أو الاتّصال بالعالم أو الانفصال عنه فلا يوصف عمله بقبول ولا رد، لأنه أحقر من ذلك» اهـ.

وقال ابن حجر الهيتميّ[5]: «واعلم أن القَرَافيّ وغيره حكوا عن الشافعيّ ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة **والتجسيم**، وهم حقيقون بذلك» اهـ.

وأما ما ترويه المشبهة عن الإمام الشافعيّ مما هو خلاف العقيدة السنية ففي سنده أمثال العشاري وابن كادش، أما ابن كادش فهو أبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله المتوفى سنة ٥٢٦هـ من أصحاب العشاري اعترف

---

١) **صحيح مسلم**، مسلم، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ٨/ ٧٨.

٢) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٤١٥.

٣) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٤٤٨، ٤٤٩.

٤) **فيض القدير**، المناوي، ١/ ٧٢.

٥) **المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية**، الهيتميّ، ص ٢٢٤. ومعنى «حقيقون بذلك» أي جديرون بالتكفير وتكفيرهم ليس افتراءً عليهم بل لأنهم مجسمة وخالفوا المعتقد الإسلاميّ السليم فقد خرجوا عن الحق والإسلام وكفروا.

بالوضع ، راجع ميزان الاعتدال في نقد الرجال[1]، وحُكْمُ مِثْلِه عند أهل النقد معروف. وأما العشاري فهو أبو طالب محمد بن عليّ العشاري المتوفى سنة ٤٥٢هـ مغفل، وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبًا، وكل ذلك بإثبات الذهبيّ نفسه في كتاب الميزان[2] وغيره، وكذا ما ينسب للشافعيّ ـ وصية الشافعيّ ـ فهو رواية أبي الحسن الهكاريّ[3] المعروف بوضعه كما هو معروف في كتب الجرح والتعديل[4]، فليحذر تمويهات المجسّمة فإن دأبهم ذكر ما يوافق هواهم وإن كان كذبًا وباطلا.

---

١)**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، الذهبيّ، ١/ ٢٥٩.

٢)قال الذهبيّ في ترجمته: «أدخلوا عليه أشياء فحدّث بها بسلامة باطن، منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء، ومنها عقيدة للشافعيّ ـ وذكر بعض الأباطيل عنه ثم قال ـ فقبّح الله من وضَعَه، والعَتَبُ إنما على محدّثي بغداد كيف تركوا العشاريّ يروي هذه الأباطيل» اهـ. **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، ٦/ ٢٦٧. **لسان الميزان**، ابن حجر، ٥/ ٣٠٢.

٣)عليّ بن أحمد بن يوسف الهكاريّ أبو الحسن، ت ٤٨٦هـ، من ذرية عتبة بن أبي سفيان بن حرب، رحل في الحديث وسمع ابن نظيف الفرا، وقال ابن عساكر: «لم يكن موثقًا في روايته» اهـ. **شذرات الذهب**، ابن العماد، ٣/ ٣٧٩.

٤)قال أبو الوفا الحلبيّ الطرابلسيّ في **الكشف الحثيث عمن رُمِيَ بوضع الحديث** ١/ ١٨٤، (والذهبيّ في **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ٣/ ١١٢، وابن حجر العسقلانيّ في **لسان الميزان** ٥/ ٤٨٣، وكذلك قال الذهبي في **المغني في الضعفاء** ٢/ ٤٤٣): «عليّ بن أحمد أبو الحسن الهكاريّ، قال ابن النجار: متهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد، وقال ابن عساكر: لم يكن موثّقًا» اهـ. وقال ابن الدمياطيّ في **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد** ١/ ١٣٦: «وكان الغالب على حديثه – أي على الهكاريّ – الغرائب والمنكرات، ولم يكن حديثه يشبه حديث أهل الصدق، وفي حديثه متون موضوعة مركبة على أسانيد صحيحة، وقيل: إنه كان يضع الحديث بأصبهان، قدم بغداد، وحدَّث بها. قال أبو القاسم بن عساكر: علي بن أحمد الهكاريّ لم يكن موثّقًا، بلغني أن ابن الخاضبة قصده لما قدم بغداد، فذكر له أنه سمع من شيخ استنكر سماعه منه، فسأله عن تاريخ سماعه منه، فذكر تاريخًا متأخّرًا عن وفاة ذلك الشيخ، فقال ابن الخاضبة: هذا الشيخ يزعم أنه سمع منه بعد موته بمدة، وتركه وقام» اهـ.

فقد كان كل علماء الشافعية المعتبرين على تنـزيه الله سبحانه عن صفات المخلوقات من الأجسام الكثيفة واللطيفة. ولو تخبَّط بعض من ينتسب إليهم في متاهات الجهل، فمردّ هذا إلى عدم ثبات عقيدة التنـزيه في قلوبهم حسبما كان يعلّمها الإمام الشافعيّ رضي الله عنه وكبار علماء مذهبه كما سبق النقل عنهم.

حكم التجسيم والمجسمة عند الحنابلة خصوصًا:

نقل ابن حمدان عن الإمام أحمد رضي الله عنه[١] «**تكفير من قال عن الله: جسم لا كالأجسام**» اهـ. ونقله صاحب الخصال من الحنابلة كما ذكر ذلك المحدّث الأصوليّ بدر الدين الزركشيّ[٢].

وقال ابن الأثير في تاريخه[٣]: «وفيها ـ أي سنة ٤٢٩هـ ـ أنكر العلماء على أبي يعلى بن الفراء الحنبليّ ما ضمّنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بأنه يعتقد التجسيم، وحضر أبو الحسن القزوينيّ الزاهد بجامع المنصور، وتكلم في ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا» اهـ.

ويقول ابن الأثير[٤] أيضًا عند ذكر السَّنَة التي توفي فيها أبو يعلى المجسّم وهي عام ٤٥٨هـ، ما نصه: «وهو مصنّف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة، وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض، تعالى الله عن ذلك، وكان ابن التميميّ الحنبليّ يقول: لقد خرئ أبو يعلى الفرَّاء على الحنابلة خرية لا

---

١) **نهاية المبتدئين**، ابن حمدان، ص٣٠.

٢) **تشنيف المسامع**، الزركشيّ، ٤/ ٦٨٤.

٣) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، ٨/ ١٦.
علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين بن الأثير، المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل، ت ٦٣٠هـ. من تصانيفه: «الكامل»، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣٣١.

٤) **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، ٨/ ١٠٤.

يغسلها الماء» اهـ. وسبب ذلك أنه ألّف كتابًا سماه إبطال التأويلات، وهو كتاب بدعيّ، وهذا غير مؤلفاته الأخرى التي فيها التجسيم والبدع.

ويقول ابن تيمية الحرانيّ[1] ـ وكلامه هنا حق ـ: «إذ لا يختلف أهل السّنة أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل أكثر أهل السّنة من أصحابنا وغيرهم يكفّرون المشبهة **والمجسمة**» اهـ. وهو يناقض نفسه في مواضع أخرى، وهذا شأنه من التذبذب، والعياذ بالله.

ومما قاله الشيخ ابن حجر الهيتميّ[2] في التحذير من ابن تيمية المجسّم وتلميذه ابن القيّم تحت عنوان «مطلب في عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه»: «وسئل ـ أي الهيتميّ ـ: في عقائد الحنابلة ما لا يخفى على شريف علمكم، فهل عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كعقائدهم؟ فأجاب بقوله: عقيدة إمام السّنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنان المعارف متقلبه ومأواه، وأفاض علينا وعليه من سوابغ امتنانه وبوّأه الفردوس الأعلى من جنانه، موافقة لعقيدة أهل السّنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، عن الجهة والجسمية وغيرهما من سائر سمات النقص، بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مطلق. وما اشتهر به جهلة المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه، فلعن الله من نسب ذلك إليه أو رماه بشيء من هذه المثالب التي برّأه الله منها. وقد بيّن الحافظ الحجة القدوة الإمام أبو الفرج بن الجوزيّ من أئمة مذهبه المبرئين من هذه الوصمة القبيحة الشنيعة أن كل ما نسب إليه من ذلك كذب عليه وافتراء وبهتان، وأن نصوصه صريحة في بطلان ذلك وتنزيه الله تعالى عنه، فاعلم ذلك فإنه مهم. وإياك أن تصغي إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله

---

١) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، ٦/ ٣٥٦.

٢) **الفتاوى الحديثية**، ابن حجر الهيتميّ، ١/ ٤٨٠، ٤٨١.

على علم، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله، وكيف تجاوز هؤلاء الملحدون الحدود وتعدَّوا الرسوم وخرقوا سياج الشريعة والحقيقة، فظنّوا بذلك أنهم على هدى من ربهم، وليسوا كذلك، بل هم على أسوأ الضلال وأقبح الخصال وأبلغ المقت والخسران وأنهى الكذب والبهتان، فخذل الله متبعهم وطهّر الأرض من أمثالهم» اهـ.

وقال أبو الفضل التميميّ رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها[١] كما تقدم: «وأنكر أحمد على من قال بالجسم ـ أي في حقّ الله ـ وقال: إن الأسماء ـ أي أسماء الأشياء ـ مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم ـ أي الجسم ـ لذي طول وعرض وسَمك وتركيب وصورة وتأليف، والله سبحانه وتعالى خارج عن ذلك كلّه ـ أي منـزّه عن ذلك كلّه ـ ولم يجئ ذلك في الشريعة ـ أي ولم يَرِدْ إطلاق الجسم على الله في الشرع ـ فبطل إطلاق ذلك على الله شرعًا ولغةً» اهـ. ونقله عنه الحافظ البيهقيّ في مناقب أحمد[٢] وغيرُه[٣].

ويقول التميميّ في الكتاب عينه[٤]: «والله تعالى لم يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، وكان ـ أي الإمام أحمد ـ ينكر على من يقول: إن الله في كل مكان بذاته لأن الأمكنة كلها محدودة» اهـ.

---

١) **اعتقاد الإمام المبجّل**، أبو الفضل التميميّ، ١/ ٢٩٨.

٢) **عقيدة الإمام أحمد**، البيهقي، ص١١١.

٣) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، ابن جماعة، ص٣٣.

٤) **اعتقاد الإمام المبجّل**، أبو الفضل التميميّ، ١/ ٢٩٧.

مسلك التأويل

ثبت بالنقل والعقل أن الله تعالى لا يشبه الأجسام ولا يشبه سائر أنواع العالم بأي وجه من الوجوه، أما النقل فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، فهذه الآية صريحة في وجوب تنزّه الله تعالى عن مشابهة من سواه على الإطلاق، لأن كلمة: ﴿شَىْءٌ﴾ نكرة وقعت في سياق النفي فأفادت العموم، أي أنه ينتفي عن الله مشابهة شيء من العالم، قال الفقيه زكريا الأنصاري في كتابه طريقة الحصول على غاية الوصول[1]: «والنكرة في سياق النفي وفي معناه النهي للعموم وضعًا في الأصح» اهـ. ثم هذه الآية من المحكمات، ومحكم القرآن هو الأصل الذي يُرَدّ إليه المتشابه، فكلّ آية أوهمت تشبيهًا أو جسمية يجب ألّا تحمل على ظاهرها بل تُرَدُّ إلى المحكم، فبذلك نكون قد وفّقنا بين المحكم والمتشابه.

ولفهم هذا الموضوع على الوجه الصحيح ينبغي معرفة أن القرآن الكريم توجد فيه آيات محكمات وآيات متشابهات، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ (آل عمران).

فالآيات المحكمات هي ما لا يحتمل من التأويل بحَسَبِ وَضْعِ اللغة إلا وجهًا واحدًا، أو ما عُرِف بوضوح المعنى المراد منه[2]، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ

---

١) **طريقة الحصول على غاية الوصول**، زكريا الأنصاري، ١٠/ ٢٩٩.

٢) **فتح الباري**، ابن حجر، ٨/ ٢١٠. **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، التهانوي، ٢/ ٧١١.

سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ (مريم)، وقوله سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ (الرعد).

أما المتشابه فهو ما لم تتَّضح دِلالته أو احتمل أوجهًا عديدة واحتاج إلى النظر لحمله على الوجه المطابق، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (طه)، أي قهر العرش واستولى عليه في قول كثير من أهل العلم[1]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴿١٠﴾﴾ (فاطر) أي أن العمل الصالح يصعد إلى محلّ كرامته تعالى وهو السماء[2]، وهذا منسجم مع الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴿١١﴾﴾ (الشورى)، فتفسير الآيات المتشابهة يجب أن يُردّ إلى الآيات المحكمة، وهذا في المتشابه الذي يجوز للعلماء أن يعْلَموه.

وأما المتشابه الذي أُريد بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿٧﴾﴾ (آل عمران) على قراءة الوقف على لفظ الجلالة، فالمقصود ما كان كوجبة القيامة وخروج الدجّال على التحديد، وليس المراد ما هو من قبيل آية الاستواء، وبذلك يكون الإنسان عاملًا بما ورد.

فتبيّن أن المتشابه على قسمين:

- قسم لا يعلمُ تأويلَهُ إلا الله، وهو ما كان من نحو قيام السّاعة وخروج الدّجالِ على التّحديدِ، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿٧﴾﴾ على قراءة الوقف على لفظ الجلالة، وليس من هذا القسمِ ءايةُ الاستواء.

- وقسم يعلم تأويلَه الله والرّاسخون في العلم، ومثاله ما كان من معنى الاستواء المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾.

---

١) **مفاتيح الغيب**، الفخر الرازي، ٢٢/ ٨، ٩.

٢) **تفسير النسفي**، النسفي، ٣/ ١٦٣.

وورد عن النبيّ ﷺ: «**اعْمَلُوا بمُحْكَمِهِ وآمِنُوا بمُتشابهِهِ**»[1].

قال المحدّث الحافظ اللغويّ الفقيه الحنفيّ محمد مرتضى الزَّبيديّ في شرحه على إحياء علوم الدين للغزالي[2] نقلًا عن كتاب التذكرة الشرقية للقشيريّ ما نصّه: «وأمّا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ** ٧﴾ (آل عمران) إنما يريد به وقت قيام الساعة، فإن المشركين سألوا النبيّ ﷺ عن الساعة: أيّان مرساها ومتى وقوعها، فالمتشابه إشارة إلى علم الغيب، فليس يَعلم عواقب الأمور إلا اللهُ عزَّ وجلَّ، ولهذا قال: ﴿**هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ** ٥٣﴾ (الأعراف)، أي هل ينظرون إلا قيام الساعة. وكيف يسوغ لقائلٍ أن يقول في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لمخلوق إلى معرفته، ولا يعلم تأويله إلا الله، أليس هذا مِن أعظم القدح في النبوّات، وأن النبيّ ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلقَ إلى علم ما لا يعلم؟ أليس يقول: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ** ١٩٥﴾ (الشعراء)، فإذًا على زعمهم يجب أن يقولوا كَذَبَ حيث قال: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ** ١٩٥﴾ (الشعراء) إذ لم يكن معلومًا عندهم، وإلا فأين هذا البيان؟! وإذا كان بلُغَةِ العرب فكيف يُدَّعى أنه مما لا تعلمه العرب لَـمَّا كان ذلك الشيء عربيًّا. فما قولٌ في مقالٍ مآله إلى تكذيب الربّ سبحانه؟» اهـ. ثم قال القشيريّ: «ثم كان النبيّ ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى، فلو كان في كلامه وفي ما يلقيه إلى أمته شيء لا يعلم تأويله إلا الله تعالى، لكان للقوم أن يقولوا: بَيِّن لنا أولًا مَنْ تدعونا إليه وما الذي تقول، فإنّ الإيمان بما لا يُعْلَمُ أصلُه غير متأتّ» اهـ. ويردّ القشيريّ قائلًا: «ونسبة النبيّ عليه الصلاة والسلام إلى أنه دعا إلى ربّ موصوف بصفات لا تُعقل أمر عظيم لا يتخيّله مسلم، فإن الجهل بالصفات يؤدّي إلى الجهل بالموصوف، والغرض أن يستبين من معه

---

١) **مشكل الآثار**، الطحاويّ ، ٤/ ١٨٤، ١٨٥. **المستدرك**، الحاكم، ١/ ٥٥٣.

٢) **إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، ٢/ ١١٠.

مسكة من العقل[1] أنَّ قول مَن يقول: استواؤه صفة ذاتية لا يُعْقَلُ معناها، واليد صفة ذاتية لا يُعْقَلُ معناها، والقَدم صفة ذاتية لا يُعْقَلُ معناها، تمويه ضِمنه تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل. وقد وضح الحق لذي عينين، وليت شِعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا الإنكار في كلّ شيء وفي كلّ آية! أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى؟ فإن امتنع من التأويل أصلًا فقد أبطل الشريعة والعلوم، إذ ما من آية أو خبر إلا ويحتاج إلى تأويل وتَصَرُّف في الكلام[2]، لأنّ ثَمَّ أشياء لا بدّ من تأويلها لا خلاف بين العقلاء فيه إلا الملحدة الذين قَصْدُهُمُ التعطيلُ للشرائع، والاعتقاد لهذا يؤدّي إلى إبطال ما هو عليه من التمسّك بالشرع بزعمه. وإن قال يجوز التأويل على الجملة إلا في ما يتعلّق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه فهذا مصيرٌ منه إلى أنّ ما يتعلّق بغير الله تعالى يجب أن يُعلم، وما يتعلّق بالصانع وصفاته يجب التقاصي عنه، وهذا لا يرضى به مسلم» اهـ. ويشرح القشيري حال هؤلاء المجسمة قائلًا: «وسرّ الأمر أنَّ هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدونَ حقيقةَ التشبيه غير أنهم يدلّسون ويقولون: له يد لا كالأيدي، وقدم لا كالأقدام، واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا. فليقل المحقّق: هذا كلام لا بدّ له من استبيان، قولُكُمْ: نُجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه، تناقض، إن أَجْرَيْتَ على الظاهر فظاهر السياق[3] في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾ (القلم) هو العضو المشتمِل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ، فإن أخذتَ بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر، وإن لم يمكنك الأخذ بها ـ أي إن كنت لا تقول بذلك ـ فأين الأخذ بالظاهر؟ ألستَ قد تركت الظاهر وعلمت تقدُّس الربّ تعالى عمّا يوهم الظاهر، فكيف يكون أخذًا بالظاهر؟ وإن قال الخصم: هذه الظواهر

١) أي شيء من العقل.

٢) إلا ما كان نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ (الأنعام).

٣) هكذا في الأصل، ولعل الصواب الساق.

لا معنى لها أصلًا فهو حُكْمٌ بأنها ملغاة، وما كان في إبلاغها إلينا فائدة وهي هَدَر وهذا محال. وفي لغة العرب ما شئت من التجوّز والتوسُّع في الخطاب، وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد. فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلّة فهمه بالعربية، ومن أحاط بطرقٍ منَ العربية هان عليه مدركُ الحقائق. وقد قيل في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴿٧﴾﴾ (آل عمران): فكأنه قال: والراسخون في العلم أيضًا يعلمونه ويقولون: آمنّا به، فإن الإيمان بالشىء إنما يُتصوّر بعد العلم، أما ما لا يُعلم فالإيمان به غير متأتّ، ولهذا قال ابن عبّاس[1]: «أنا من الرّاسخين في العلم» اهـ. كلام القشيريّ، نقله الزَّبيديّ وأقرّه.

فهنا مسلكان كلٌّ منهما صحيح:

الأول: مسلك السلف، وهم أهل القرون الثلاثة الأولى، أي الغالب عليهم فإنهم يؤولونها تأويلًا إجماليًّا بالإيمان بها واعتقاد أنّ لها معنًى يليق بجلال الله وعظمته بلا تعيين، وردّوا تلك الآيات إلى الآيات المُحْكَمة، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

وهذا كما قال الإمام الشافعيّ رضي الله عنه[2]: «آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله[3]» اهـ.

ثم نَفْيُ التأويل التفصيليّ عن السلف كما زعم بعضٌ مردودٌ بما في صحيح البخاريّ في كتاب تفسير القرآن وعبارته هناك[4]: «سورة القصص ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾، إلا مُلْكَهُ» اهـ. أي سلطان الله تعالى وهو

---

١) **زاد المسير**، ابن الجوزيّ، ١/ ٣٥٤. **الدر المنثور**، السيوطيّ، ٢/ ١٥٢.

٢) **دفع شبه من شبه وتمرد**، تقي الدين الحصني، ص٥٦.

٣) يعني رضي الله عنه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسّية الجسمية التي لا تجوز في حقّ الله تعالى.

٤) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة القصص، ١٤/ ٤٣٧.

صفة من صفات الله وقد تقدّم ذكره.

وأَوَّلَ البخاريُّ كذلك الضحكَ الواردَ في الحديث بالرحمة فقد قال ابن حجر العسقلاني[1]: «قوله «**يضحكُ اللهُ إلى رجلينِ**»، قال الخطابي: الضحك الذي يعتري البشر عندما يستخفهم الفرح أو الطرب غير جائز على الله تعالى وإنما هذا مَثَل ضُرِب لهذا الصنيع الذي يحل محل الإعجاب عند البشر، فإذا رأوه أضحكهم، ومعناه الإخبار عن رضا الله بفعل أحدهما وقبوله للآخر ومجازاتهما على صنيعهما بالجنة مع اختلاف حاليهما. قال: وقد تأوّل البخاريُّ الضحكَ على معنى الرحمة وهو قريب وتأويله على معنى الرضا أقرب، فإن الضحك يدل على الرضا والقبول » اهـ.

وصحّ أيضًا التأويل التفصيليّ عن الإمام أحمد رضي الله عنه وهو من السلف فقد ثبت عنه رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الفجر) جاءت قدرته ، صحّح سنده الحافظ البيهقيّ[2]، ومعناها جاءت آثار قدرته من المخلوقات مثل الأهوال العظيمة التي تظهر يوم القيامة، ومنها أنّ الملائكة يجرّون جزءًا من جهنم بسبعين ألف سلسلة إلى حيث يراه الناس، هذا شيء من أهوال يوم القيامة، ثم هناك الأرض التي كان الإنسان يعمل عليها الحسنات والمعاصي، يأتي الله تعالى بكلّ قطعة فتشهد، فتنطق: فلان عمِل عليّ كذا وكذا من حسنات ومن معاصٍ، القطعة من الأرض التي كان يعيش عليها في الدنيا تشهد عليه، أما المعاصي التي تاب منها لا تشهد عليه بها، هذه من جملة الأمور العظيمة، وهذا يكون بعدما تدكّ الأرض ولا يبقى عليها وادٍ ولا جبل، الأرض الجديدة تصير كالفضّة البيضاء، الناس يعادون إليها، بعد ذلك يؤتى بقطعة من الأرض التي بُدّلت فتشهد بما فعله هذا الإنسان من خير

---

١) **فتح الباري**، ابن حجر، ٦/ ٤٠ . ونقله الحافظ البيهقيّ في كتاب **الأسماء والصفات**، ص ٤٧٠.

٢) **مناقب الإمام أحمد**، البيهقي، مخطوط.

أو شرّ، بالنسبة لهذا وبالنسبة لهذا، هذه من آيات قدرة الله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ معناه الله يُظْهِرُ ذلك اليوم أمورًا عظامًا تبهر العقول.

وهناك خلق كثير من العلماء ذكروا في تآليفهم أن الإمام أحمد رضي الله عنه أوَّل تأويلًا تفصيليًّا، منهم الحافظ عبد الرحمن بن الجوزيّ الحنبليّ الذي هو أحد أساطين المذهب الحنبليّ لكثرة اطّلاعه على نصوص المذهب وأحوال الإمام أحمد.

وقال ملا عليّ القاري[1]: «علمت أن مالكًا والأوزاعيّ ـ وهما من كبار السلف ـ أوَّلا الحديث تأويلًا تفصيليًّا. ومنهم الإمام جعفر الصادق، بل قال جمع منهم ومن الخَلَف: «إن معتقد الجهة كافر» اهـ. وهذا واضح، ومثله ما صرّح به العراقيّ، وقال: إنه قولٌ لأبي حنيفة ومالك والشافعيّ والأشعريّ والباقلانيّ.

وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ (الحديد) أي مَعِيَّة العلم والإحاطة، كما قال تعالى لموسى وأخيه هارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ (طه)، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ (المجادلة)، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ (البقرة) قال مجاهد[2]: قِبلة الله، فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ (ق)، أي لا يخفى على الله خافية» اهـ.

١) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ملا علي القاري، ٢/ ١٣٧.

٢) مجاهد بن جبر، ت ١٠٤هـ، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم، تابعيّ مفسر من أهل مكة. قال الذهبيّ: «شيخ القراء والمفسرين» اهـ. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقَّل في الأسفار، واستقر في الكوفة. **حلية الأولياء**، أبو نعيم، ٣/ ٢٧٩. **صفة الصفوة**، ابن الجوزيّ، ٢/ ١١٧. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ٢٧٨.

الثاني: مسلك الخَلَف، وهم مَنْ جاءَ بعد القرون الثلاثة الأولى، وهم يؤولون تلك الآيات المتشابهات تفصيلًا بتعيين معانٍ لها مما تقتضيه لغة العرب ولا يحملونها على ظواهرها أيضًا كالسلف، ولا بأس بسلوكه لا سيّما عند الخوف من تزلزل العقيدة حفظًا من التشبيه، مثل قوله تعالى في توبيخ إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴿٧٥﴾﴾ (ص)، فيجوز أن يقال المراد باليدين العناية[1]، والمراد بذلك تكريم نبيّ الله آدم عليه الصلاة والسلام.

وإذا كان المجسمة قد بالغوا في القدح في مسلك التأويل الإجمالي لتمسكهم بالظواهر والعياذ بالله، وهو ما لم يفعله السلف، فمن باب الأولى عندهم أن يبالغوا في القدح في التأويل التفصيلي الذي أسموه تعطيل الصفات! وقد أخذوه من أشخاص غرقوا في متاهات التجسيم والعياذ بالله، ومنهم الجعد ابن درهم[2]، قال البيهقيّ[3]: «زعم ـ أي الجعد بن درهم ـ أنَّ الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلّم موسى تكليمًا، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علوًّا كبيرًا، قال أبو رجاء: وكان الجهم يأخذ هذا الكلام من الجعد بن درهم» اهـ. وقال أبو منصور البغداديّ[4]: «والجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي زعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أيضًا أن

---

١) **مفاتيح الغيب**، الرازي، ٢٦/ ٤١٣.

٢) الجعد بن درهم، ت ١١٨هـ، مبتدع، له أخبار في الزندقة. قال الذهبيّ: «عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى، فقُتل على ذلك بالعراق يوم النحر» اهـ. وقال ابن الأثير: «كان مروان يلقب بالجعديّ، لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر، وقيل: كان الجعد زنديقًا شهد عليه ميمون بن مهران، فطلبه هشام، فظفر به، وسيّره إلى خالد القسريّ في العراق فقتله» اهـ. كان يقول بخلق القرآن، وهو أول من تكلم بذلك في دمشق، وكان يقول بنفي الصفات ـ وهو كفر والعياذ بالله تعالى ـ. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ١٢٠.

٣) **الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٣٢٩.

٤) **الفرق بين الفرق**، أبو منصور البغداديّ، ١/ ١٩٩.

علم الله تعالى حادث، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حيّ أو عالم أو مريد وقال لا أصفه، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية، ولم يسمّ اللهَ تعالى متكلمًا به، وأكفره أصحابنا في جميع ضلالاته» اهـ.

ومن رؤوسهم ابن تيمية المجسّم الذي قال في كتابه المسمى بيان تلبيس الجهمية[1]، وهو تبع في بعض مقالاته للجهميّة: «فمن ادَّعى أنه ليس لله حدٌّ فقد ردّ القرآن وادَّعى أنه لا شيء لأن الله وصف حدَّ مكانِه في مواضع كثيرة من كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه)، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ۝١٦﴾ (الملك)، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ۝٥٠﴾ (النحل)، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ۝٥٥﴾ (آل عمران)، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ۝١٠﴾ (فاطر)، فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحدّ، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله تعالى، وجحد آيات الله تعالى» اهـ. فكلام ابن تيمية المجسّم هذا تكفير لأمة سيدنا محمد ﷺ سلفها وخلفها، لاتفاقهم على نفي الحدّ عن الله تعالى، كما قال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه[2]: «من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود» اهـ.

وقال ابن تيمية[3] ما نصه: «وقال أهل السّنة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه) الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز» اهـ. وهذا زور وبهتان على أهل السّنة. ويقول في الفتوى الحموية ما نصه[4]: «فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة» اهـ.

وقد تقدّم أن كلام أهل السّنة يدل على أنَّ استوى تأتي بمعنى استولى، وهناك أكثر من سبعين عالـِمًا من السلف والخلف أوّلوا كلمة «استوى» المضافة إلى الله تعالى في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه):

---

١) **بيان تلبيس الجهمية**، ابن تيمية، ص ٤٢٧.

٢) **حلية الأولياء**، أبو نعيم، ١/ ٧٢، ٧٣.

٣) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، ٣/ ٢٢٠.

٤) **الفتوى الحموية**، ابن تيمية، ١/ ٥٢١.

باستولى، ومنهم: الإمام المجتهد الحافظ السلفيّ عبد الله بن يحيى بن المبارك في غريب القرآن وتفسيره[1]، والإمام اللغويّ إبراهيم بن السريّ الزَّجَّاج في معاني القرآن[2]، والإمام أبو منصور الماتريديّ الحنفيّ في تأويلات أهل السُّنَّة[3]، واللغويّ الزجاجيّ[4] في اشتقاق أسماء الله، والشيخ أبو بكر الرازيّ الجصّاص الحنفيّ في أحكام القرآن[5]، وإمام الحرمين أبو المعالي الجوينيّ الشافعيّ في الإرشاد[6] وغيرهم كثير[7]. قال الحافظ أبو بكر بن العربيّ في عارضة الأحوذي شرح الترمذي ما نصه[8]: «وللاستواء في كلام العرب خمسة عشر معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز على الله بحال، وهو إذا كان الاستواء بمعنى التمكن أو الاستقرار أو الاتصال أو المحاذاة، فإن شيئًا من ذلك لا يجوز على البارئ تعالى ولا يضرب لـه الأمثال به في المخلوقات، وإما أن لا يُفسّر» اهـ.

وفي كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانيّ ما نصه[9]: «واستوى يقال على وجهين: أحدهما: يسند إليه فاعلان فصاعدًا نحو استوى زيد وعمرو في كذا أي تساويا، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ

---

١)**غريب القرآن وتفسيره**، ابن المبارك، ص١١٣.

٢)**معاني القرآن**، الزجاج، ٣/ ٣٥٠.

٣)**تأويلات أهل السّنة**، الماتريدي، ١/ ٨٥.

٤)الزجاجي يوسف بن عبد الله الزجاجي الجرجاني أبو القاسم، ت ٤١٥هـ. أديب لغوي، محدّث نسبته إلى شيخه الزجّاج. من كتبه: «عمدة الألباب»، و«اشتقاق الأسماء». **الأعلام**، الزركلي، ٨/ ٢٣٩.

٥)**أحكام القرآن**، أبو بكر الرازي، ١/ ٣٥.

٦)**الإرشاد**، الجويني، ص٥٩.

٧)**الأسماء والصفات**، البيهقي، ص٥١٩. **الغنية**، المتولي، ص٧٨. **المفردات في غريب القرآن**، الأصفهاني، ص٢٥١. **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ١/ ١٢٨.

٨)**عارضة الأحوذيّ بشرح صحيح الترمذيّ**، أبو بكر بن العربيّ المالكيّ، ٢/ ٢٣٦.

٩)**المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهانيّ، ١/ ٤٣٩، ٤٤١.

ٱللَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (التوبة). والثاني: أن يقال لاعتدال الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (النجم)، وقوله: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (المؤمنون)، ومتى عُدّي بـ«على» اقتضى الاستيلاء كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (طه) وقيل: معناه استوى لـه ما في السموات وما في الأرض أي استقام الكل على مراده بتسوية الله إياه كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (البقرة)، وقيل: معناه استوى كل شيء في النسبة إليه، فلا شيء أقرب إليه من شيء، إذ كان تعالى ليس كالأجسام الحالّة في مكان دون مكان» اهـ.

ودونك أيّ كتاب في عقيدة المجسمة، وسترى أنهم يذكرون التأويل منسوبًا للجهمية والإلحاد والتعطيل والتحريف، ويصفونه بأنه أصلُ كلّ بدعة وأنه شرٌّ من التشبيه والتعطيل وأنه الطاغوت الأكبر[1]، والحق يقال: إن أحدًا من هؤلاء الذين وصفوا التأويل بهذه الأوصاف لا يمكنه ترك التأويل في جميع الأخبار، فهل يكون على زعمهم الإلحاد والتعطيل والتحريف والطاغوت مقبولًا في بعض النصوص دون بعض كما هم يصفون وهذا التأويل أيضًا ثابت في بعض الأخبار عن السلف، فما المخرج معه من هذه الأوصاف التي شنعوا فيها هذا المسلك الذي هو مسلك السلف إجمالًا على أنّ منهم من أوّل تفصيلًا. فلا بد هنا من التنبيه على بعض الذي ثبت عن السلف من التأويل الذي يعدّه هؤلاء تعطيلًا وإلحادًا والعياذ بالله.

أولًا: تأويل السلف:

نذكر في هذا السياق بعض الأمثلة لنصوص تأَوَّلَهَا السلفُ[2]، منها

---

١) **الفتوى الحموية**، ابن تيمية، ص١١٨. الكتاب المسمّى **جواب أهل السّنة**، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص٩٥. الكتاب المسمّى **فتح رب البرية**، ابن عثيمين ص١١٤. الكتاب المسمّى **الماتريدية**، أحمد اللهيبـيّ، ص١٦٩، ١٧٣. الكتاب المسمّى **مختصر العقيدة الإسلامية**، طارق السويدان، ص٦٠. **ملاحظات على الباجوريّ**، عمر بن محمود، ص٤٢. وكلّهم من دعاة التشبيه.

٢)جمع ابن المعلم في كتابه **نجم المهتدي ورجم المعتدي** بابًا سرد فيه جماهير المؤولين =

تأويل ابن عباس رضي الله عنهما كما هو ثابت عنه بسندين حسَّنهما الحافظ ابن حجر قال[1]: «وأما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴿٤٢﴾﴾ (القلم) قال: عن شدة من الأمر، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق إذا اشتدت، ومنه: [مشطور السريع]

قد سَنَّ أصحابُك ضَرْبَ الاعناقْ وقامتِ الحربُ بنا على ساقْ

وجاء عن أبي موسى الأشعريّ في تفسيرها: عن نور عظيم. قال ابن فورك: معناه ما يتجدَّد للمؤمنين من الفوائد والألطاف. وقال الحافظ الخطابيّ: تهيّب كثير من الشيوخ الخوض في معنى الساق، ومعنى قول ابن عباس أن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة. وأسند البيهقيّ الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن، وزاد: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر. وذكر الرجز المشار إليه، وأنشد الخطابيّ في إطلاق الساق على الأمر الشديد:

في سنة قد كشفت عن ساقها

وأسند البيهقيّ من وجه آخر صحيح عن ابن عباس قال: يريد يوم القيامة» اهـ.

ومنه تأويل الإمام أحمد، فقد أخرج الحافظ البيهقيّ في كتابه مناقب الإمام أحمد: «عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك[2] عن حنبل[3] أن أحمد

=من الصحابة والتابعين وغيرهم. تعليق الكوثري على **دفع شبه التشبيه** ص٦٦. وهناك أمثلة منثورة في كتاب **الأسماء والصفات** للبيهقيّ ودفع شبه التشبيه لابن الجوزيّ وغيرها.

١) **فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٤٢٨. راجع أيضًا: **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٣٦. **إيضاح الدليل**، ابن جماعة، ص ١٣٥.

٢) قال الذهبيّ في **سير أعلام النبلاء**، ١٥/ ٤٤٤: «الشيخ الإمام المحدث المكثر الصادق مسند العراق أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك» اهـ.

٣) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل، أبو علي الشيبانيّ ابن عم الإمام أحمد، قال الخطيب=

ابن حنبل تأوّل قول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر)، أنه: جاء ثوابه. ثم قال البيهقيّ: وهذا إسناد لا غبار عليه»[1] اهـ.

وقال صالح الفوزان ـ وهو من رؤوس مشبهة هذا العصر ـ تعليقًا على ذلك[2]: «ما نسبه البيهقيّ إلى الإمام أحمد لم يثبت عنه ولم يوثقه من كتبه أو كتب بعض أصحابه، وذِكْرُ البيهقيّ لذلك لا يُعتمد لأن البيهقيّ عنده شيء من تأويل الصفات فلا يوثق بنقله في هذا الباب لأنه ربما يتساهل في النقل» اهـ.

فتأمّل كيف أن الحافظ البيهقيّ نقله بسند صحيح لا غبار عليه، فلا يُحتاج مع هذا الإسناد إلى توثيقه من كتبه أو كتب بعض أصحابه، ولم نسمع يومًا أن هذا التوثيق من شرائط صحة النقل المعتبرة عند المحدّثين. وانظر إلى قوله هذا الذي ضعَّف به ثبوتَ هذا النقل عن الإمام أحمد وهو احتمال تساهل البيهقيّ. فأي قيمة لهذا الاحتمال مع تصريحه بأنّ سنده لا غبار عليه؟ وتأمل كيف يغيب الحد الأدنى من المنهج العلميّ في جوابهم! وتأمل ذلك أيضًا في قول الفوزان[3]: «الحافظ ابن حجر أوَّل الضحك بالرضا، والحافظ متأثر بمذهب الأشاعرة فلا عبرة بقوله في هذا!» وقوله[4]: «الخطابيّ ممن يتأولون الصفات فلا اعتبار بقوله ولا حجة برأيه، وله تأويلات كثيرة، والله يعفو عنا وعنه!» وكلام الفوزان هذا دليل تشبّع قلبه بالتجسيم لدرجة الطعن بعلماء الأمة لأجل التشبيه والتجسيم الذي يتبع فيه شيخه ابن تيمية

=في **تاريخ بغداد**، ٨/ ٢٨٦: «كان ثقة ثبتًا» اهـ. وانظر ترجمته في **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، إبراهيم بن محمد بن عبد الله، ١/ ٣٦٥.

١) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزيّ، ص ١٣. **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٠/ ٣٢٧. وأورده الكوثريّ تعليقًا على **السيف الصقيل** للحافظ السبكيّ، ص ١٢٠، ١٢١.

٢) الكتاب المسمى **تعقيبات على كتاب السلفية للبوطيّ**، صالح الفوزان، ص٣٣.

٣) الكتاب المسمى **تعقيبات على كتاب السلفية للبوطيّ**، صالح الفوزان، ص ٣٤.

٤) الكتاب المسمى **تعقيبات على كتاب السلفية للبوطيّ**، صالح الفوزان، ص ٣٦.

مما لا يقع به طالب علم.

لكن ماذا يقول هذا الفوزان بتأويل الإمام البخاريّ الضحك بالرحمة؟[1] ففي صحيح البخاريّ[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ «**من يضمّ؟**» أو: «**من يضيف هذا؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني! فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيّأت طعامها وأصبحت سراجها ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ضَحِكَ اللهُ الليلةَ**» أو «**عَجِبَ مِنْ فِعَالِكُما**»، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحشر)، قال ابن حجر[3]: «ونسبة الضحك والتعجّب إلى الله مجازية، والمراد بهما الرضا بصنيعهما» اهـ.

وأوّل البخاريّ الضحك الوارد في الحديث بالرحمة، نقل ذلك عنه الخطّابيّ[4] فقال[5]: «وقد تأوَّل البخاريّ الضحك في موضع آخر على معنى الرحمة وهو قريب وتأويله على معنى الرضا أقرب» اهـ.

وأوّل البخاريّ[6] كذلك الآية: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴿٥٦﴾﴾

---

١) **الأسماء والصفات**، البيهقي، ص ٣٧٨.

٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المناقب، باب قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾﴾ الحشر، ٥/ ٦٨٩.

٣) **فتح الباري**، ابن حجر، ٧/ ١٢٠.

٤) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٧٠.

٥) **فتح الباري**، ابن حجر، ٦/ ٤٧٠.

٦) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴿٧﴾﴾ (هود)، ٦/ ٩٢.

(هود)، بقوله: «أي في مُلكه وسلطانه» اهـ.

وكذلك قوله في ما نقله البخاريّ في خلق أفعال العباد عن سفيان الثوريّ أنه قال في قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴿٤﴾﴾ (الحديد) قال[1]: «علمه» اهـ. وما قوله في اختيار البخاريّ في صحيحه تأويل الوجه بالملك في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴿٨٨﴾﴾ (القصص): «إلا ملكه» اهـ. ومن طريق سفيان الثوري قال[2]: «إلا ما ابتغي به وجه الله من الأعمال الصالحة» اهـ.

وقال البيهقيّ[3] رحمه الله: «قال رسول الله ﷺ[4]: «**لا يتوضّأُ أحدُكُمْ فيحسنُ وضوءَهُ ويُسبغُهُ ثمَّ يأتي المسجدَ لا يريدُ إلا الصلاةَ فيهِ إلا تَبَشْبَشَ اللهُ به كما يتبَشْبَشُ أهلُ الغائبِ بطَلْعَتِهِ**»، ثم قال: «وللعرب استعارات في الكلام، ألا ترى في قوله سبحانه: ﴿**فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴿١١٢﴾﴾ (النحل) بمعنى الاختبار وإن كان أصل الذوق في الفم، والعرب تقول: ناظِرْ فلانًا وذُقْ ما عنده أي تعرّف واختبر، واركب الفرس وذقْهُ، قال الشيخ: وقد مضى في حديث أبي الدرداء: «**يستبشر**»، وروي ذلك أيضًا في حديث أبي ذَرّ، ومعناه يرضى أفعالهم ويقبل نيتهم فيها، والله أعلم» اهـ.

وقال الزَّبيديّ[5]: «التَّبَشْبُشُ من الله تعالى الرضا والإكرام وتلقّيه بالبرّ وتقريبه إيّاه، عن ابن الأنباريّ وهو مجَازٌ، وبه فُسّرَ الحَديثُ: «**لا يُوطِنُ الرّجُلُ المسَاجِدَ للصَّلاةِ والذّكْرِ إلا تَبَشْبَشَ اللهُ بِهِ كما يَتَبَشْبَشُ الرّجالُ**

---

١) ضمن مجموعة عقائد السلف، ص ١٢٢.

٢) **فتح الباري**، ابن حجر، ٨/ ٥٠٥.

٣) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٧٨.

٤) **مسند أبي داود**، أبو داود الطيالسيّ، ص٣٠٧. **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، ٣/ ٦٧.

٥) **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ب ش ش، ١٧/ ٨١.

بغائِبِهِم إذا قَدِمَ علَيْهم» اهـ.

ونصّ الإمام المحدث الحافظ المفسر عبد الرحمن بن الجوزيّ الحنبليّ (ت ٥٩٧هـ) على نفي التحيز في المكان والاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق عن الله تعالى، وردّ في كتابه دفع شبه التشبيه[١] على ابن الزاغونيّ المجسّم الذي قال: «فلما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ (الأعراف) علمنا اختصاصه بتلك الجهة!»، وقال ابن الزاغونيّ أيضًا: «ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها!»، وقال ابن الجوزي في الرد عليه ما نصه: «قلت: هذا رجل لا يدري ما يقول، لأنه إذا قدَّر غاية وفصلًا بين الخالق والمخلوق فقد حدَّده وأقرَّ بأنه جسم، وهو يقول في كتابه: إنه ليس بجوهر، لأن الجوهر ما تحيز، ثم يثبت له مكانًا يتحيز فيه. قلت: ـ أي ابن الجوزي ـ وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض، فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق وما يستحيل عليه، فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التي لا بد لها من حيّز، والتحت والفوق إنما يكون في ما يقابل ويحاذي، ومن ضرورة المحاذي أن يكون أكبر من المحاذى أو أصغر أو مثله، وإن هذا ومثله إنما يكون في الأجسام، وكل ما يحاذي الأجسام يجوز أن يمسها، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث، إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها للمباينة والمماسة، فإذا أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدوثه، وإن منعوا جواز هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدوث الجواهر، ومتى قدَّرنا مستغنيًا عن المحل والحيّز ومحتاجًا إلى الحيز ثم قلنا: إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالًا، فإن التجاور والتباين من لوازم التحيز في المتحيزات.

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم المتحيز، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز، لأنه لو كان متحيزًا لم يخلُ إما أن يكون ساكنًا في

---

١)**دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزي، ص١٢٩.

حيزه أو متحركًا عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق، ومن جاور أو باين فقد تناهى ذاتًا، والتناهي يختص بمقدار فيستدعي مخصِصًا، وكذا ينبغي أن يقال: ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه، لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات، فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تختصُّ بالأجرام.

وأما قولهم: خلق الأماكن لا في ذاته فثبت انفصاله عنها! قلنا: ذاته تعالى لا تقبل أن يخلق فيه شىء ولا أن يحل فيه شىء»، ثم قال: «وقد حملهم الحسّ على التشبيه والتخليط، حتى قال بعضهم: إنما ذكر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه، وهذا جهل أيضًا لأن قرب المسافة لا يتصور إلا في حقّ الجسم، وقال بعضهم: جهة العرش تحاذي ما يقابله من الذات ولا تحاذي جميع الذات، وهذا صريح في التجسيم والتبعيض. ويعزُّ علينا كيف ينسب هذا القائل إلى مذهبنا.

واحتج بعضهم بأنه ـ أي الله سبحانه ـ على العرش بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴿١٠﴾﴾ (فاطر)، وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ (الأنعام)، وجعلوا ذلك فوقيَّة حسيَّة، ونسوا أن الفوقية الحسية إنما تكون لجسم أو جوهر، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال: فلان فوق فلان، ثم إنه كما قال: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ (الأنعام) قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ﴿٤﴾﴾ (الحديد)، فمن حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر، وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه وقد ملأه، والأشبه ـ أي على زعم هذه الطائفة المجسمة ـ أنه مماسّ للعرش، والكرسيّ موضع قدميه. قلت: المماسة إنما تقع بين جسمين، وما أبقى هذا في التجسيم بقية». انتهى كلام الحافظ ابن الجوزي، ولقد أجاد وشفى وكفى رحمه الله.

ثانيًا: تأويل من عَدَّ التأويل تعطيلًا وإلحادًا بالإطلاق وهم المشبهة المجسمة كالوهابية في هذا الزمن:

بَيَّن أبو نصر القشيريّ رحمه الله الشناعة التي تلزم نُفاة التأويل، والقشيريّ

هو الذي وصفه الحافظ عبد الرزاق الطبسيّ بأنه إمام الأئمة، كما نقل ذلك الحافظ ابن عساكر[1].

وقد سبق أن المجسمة إذا تحدّثوا عن تأويل أهل السّنة أسرفوا في ذمه، وبالغوا في التمسك بالظواهر الموهمة تشبيهًا، فإذا وقفوا أمام بعض الظواهر التي يعارَضون فيها رَأَيْنَا منهم تهافتًا وتناقضًا واضطرابًا عجيبًا. فنورد بعض النقول عنهم.

أمثلة يظهر فيها اضطرابهم بين التأويل ورفضه:

١ـ من اضطراب مجسمة العصر الوهابية أنهم في نصّ واحد ربما يلتزمون التأويل في موضع ويتمسكون بالظاهر في آخر، فمن ذلك صنيعهم في الحديث الذي أخرجه مسلم[2] بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أمر من يريد النوم بأن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: «**اللهمَّ ربَّ السمواتِ وربَّ الأرضِ، وربَّ العرشِ العظيمِ، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحَبِّ والنَّوَى، ومُنْزِلَ التوراةِ والإنجيلِ والفرقانِ، أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ كلِّ شيءٍ أنتَ آخذٌ بناصيتِهِ، اللهمَّ أنتَ الأولُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليسَ دونَكَ شيءٌ**».

ففي هذا الحديث مقابلة بين وصف الله عزّ وجلّ بأنه الظاهر مفسَّرًا بأنه ليس فوقه شيء، وبين وصفِه تعالى بأنه الباطن مفسَّرًا بأنه ليس دونه شيء. ومن العجيب أن الحديث اشتمل قبل ذلك على مقابلة بين وصفين آخرين هما: «**الأولُ**» المفسَّر بأنه ليس قبله شيءٌ، و«**الآخرُ**» المفسَّر بأنه ليس بعده شيء، فلم يعترِضوا في الاستدلال بهذه المقابلة على تنـزُّهه عن

---

١) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، ١/ ١٦٧. **إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، ٢/ ١٠٨.

٢)**صحيح مسلم**، مسلم، كتاب العلم، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ٤/ ٢٠٨٤. **سنن الترمذيّ**، الترمذي، ٥/ ٥١٨. **سنن أبي داود**، أبو داود، ٤/ ٣١٢. **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، ٣/ ٢٤٦. وغيرها.

الوجود الزمانيّ، ولما وصلوا إلى المقابلة التي يُفترض أن يتنبهوا إلى إشارتها إلى تنـزُّهه عن الوجود المكانيّ عدلوا عن ذلك ولم يراعوا حق هذه المقابلة التي تدل على تنـزُّهه عن المكان، لأن الظاهر الذي لا يكون شيءٌ فوقه إذا كان هو الباطن الذي لا شيءَ دونه، لا يُعقل أن يكون مختصًّا بالمكان[1]. فكما دلت المقابلة الأولى على تنـزهه عن الوجود الزمانيّ كذلك تدلّ المقابلة الثانية على تنزهه عن الحلول في المكان، فالله منـزّه عن الزمان والمكان لأنه خالقهما.

ونشير إلى تصريح ابن عثيمين[2] وهو من غلاة المجسّمة والمشبّهة في هذا العصر في هذين المسلكين حيث يقول[3]: «الظاهر من الظهور وهو العلوّ، فالباطن كناية عن إحاطته بكل شيء، ولكن المعنى أنه مع علوّه فهو باطن، فعلوّه لا ينافي قربه عزَّ وجلَّ، فالباطن قريب من معنى القريب» اهـ. فأنت ترى كيف كان الوصف الأول على ظاهره، وكيف صار الثاني كناية ومفسّرًا، فمرة يمررون على الظاهر، ومرة يؤولون، ومرة ينكرون من دون ضابط ولا دليل، غير مزاجهم وهواهم!

٢ـ ومن اضطرابهم أنهم يلتزمون تأويلَ لفظٍ في موضع ويتمسكون بظاهره في موضع آخر، ومن ذلك أن أحدهم يتأول قول الله عزّ وجلّ:

---

١) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، ابن جماعة، ص ٨٢. **دفع شبه من شبّه وتمرَّد**، الحصنيّ، ص١٩.

٢) هو المجسم محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين التميميّ، ت ١٤٢١هـ، ولد في عنيزة إحدى مدن القصيم وبقي عمره فيها، من مشايخه المجسم عبد العزيز بن باز وغيره، ومن كتبه الملأى بالتجسيم والتشبيه الكتاب المسمى «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى»، والكتاب المسمى «عقيدة أهل السّنة والجماعة»، والكتاب المسمى «شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، والكتاب المسمى «فتح رب البرية بتلخيص الحموية». الكتاب المسمى **المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، إعداد ما يسمى ملتقى أهل الحديث، ١/ ٢٩٨.

٣) الكتاب المسمّى **المحاضرات السنية**، ابن عثيمين، ١/ ١٤٢.

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الطور) فيقولون[1]: «والمعنى: بمرأى منا ولا تغيب عنا، وليس المراد أنك بداخل أعيننا، وقد جاءت السّنة بإثبات عينين لله تعالى يبصر بهما، كما في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال[2]: «**إنَّ ربَّكُمْ ليسَ بأَعْوَرَ**» يعني أن له عينين سليمتين من العور، ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴿١٤﴾ ﴾ (القمر) المعنى: أنه سيحفظها وسيحرسها ومن فيها، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ (طه) المعنى: ستُرَبَّى على مرأى مني، لأنه ورد في السّنة أن لله عينين حقيقيتين[3] تليقان به، وأما عن ورودها في القرآن بصيغة الجمع وبصيغة الإفراد، فليس فيه دليل لأهل التحريف الذين يحرفون معناها إلى الحفظ والرعاية» اهـ. كلام هذا المجسّم.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من التهافت والتناقض، ففي صدر كلامه يتأول ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بالعناية والحراسة، وفي آخره عدّ تفسيرها بالحفظ والرعاية من فعل أهل التحريف. فما الذي جعل الحديث مثبتًا للعينين دون الآية، ولم لا يقبل الحديث الإخراج عن الظاهر كما قبلت الآيات الكريمات التي أخرجها عن ظاهرها. ولا يخفى أن كلامه أبعد ما يكون عن التترّس

---

١) الكتاب المسمّى **التعليقات الزكية**، عبد الله جبرين، ١٧٧، ١٧٨. الكتاب المسمّى **تنبيهات في الرد على من تأول الصفات**، عبد العزيز بن باز، ص٢٦، ٣٠.

٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ٥/ ٢٢٣. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ٨/ ١٩٥. وغيرهما. قال الحافظ ابن حجر في شرح قول النبيّ ﷺ عن الأعور الدجّال: «**إنهُ أعورُ وإنَّ اللهَ ليسَ بأعورَ**»: إنما اقتصر على ذلك مع أن أدلّة الحدوث في الدجّال ظاهرة، لكون العور أثرًا محسوسًا يدركه العالِمُ والعاميّ ومَن لا يهتدي إلى الأدلّة العقلية، فإذا ادّعى أي الدجّالُ الربوبيةَ وهو ناقص الخلقة والإله يتعالى عن النقص علم أنه كاذب» اهـ. **فتح الباري**، ابن حجر، كتاب الفتن، باب ذكر الدجّال، ٩/ ١٦٦.

٣) هنا يشبّه المؤلف صفة البصر لله تعالى ببصر المخلوقين فينسب له عينين حقيقيتين، وهذا تشبيه لله بخلقه، وهو خروج عن الدين. ولم يَرِدْ عن أحد من السلف الصالح لفظ حقيقيتين، فهذه إضافة منه لبث تجسيمه وتشبيهه وللتمويه على العوام.

بالصفة، لأن الحدقة[1] جارحة، خاصة إذا اعتمد على ما جاء في العين بصيغة التثنية، وغلَّبه على ما جاء في باقي الصيغ.

وقد قال الإمام أحمد الرفاعيّ الكبير[2] رضي الله عنه: «صونوا عقائدكم من التمسّك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسُّنَّة فإنّ ذلك مِن أصول الكفر» اهـ. أي أوقع كثيرًا من الناس في الكفر، لأن المشبهة يعتقدون أن وجه الله جسم، لذلك قال بعض قدماء المشبهة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص) إن الله يفنى كلّه ويبقى منه الوجه فقط، وهذا ضلالٌ مبين، والقائل هو بيان بن سمعان التميميّ[3] زعيم البيانية فإنه فسّر الوجه على الظاهر.

٣ـ ومن تذبذبهم أنهم يؤوّلون ولكن لا يسمونه تأويلًا بل يسمونه تفسيرًا، مع أن بعض علماء اللغة جمعوا بين الاثنين على معنًى واحد، ومنهم من فرَّق، أما هم فأحيانًا يخرجون اللفظ عن ظاهره ولكنهم لا يسمونه تأويلًا بل يسمونه تفسيرًا مع ذمّهم للتأويل في كل حال لفظًا،

---

١)الحَدَقَةُ محرَّكةً: سَوادُ العَينِ ج: حَدَقٌ وأحداقٌ وحِداقٌ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ح د ق، ص ١١٢٧.

٢)**البرهان المؤيد**، الرفاعيّ، ١/ ١٤.

٣)بيان بن سمعان التميميّ النهديّ، إليه تنسب الطائفة البيانية، غلا في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قال: هو إله وحلّ فيه جزء إلهيّ اتحد بناسوته، به كان يعلم الغيب ويظفر بالكفار وبه اقتلع باب خيبر. وزعم أن روح الإله تعالى حلَّت في عليّ، ثم من بعده في ابنه محمد بن الحنفية، ثم من بعده في ابنه أبي هاشم، ثم من بعده في بيان نفسه. وذهب لعنه الله إلى أن معبوده على صورة إنسان، عضوًا فعضوًا، وأنه يهلك إلا وجهه، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص) تعالى الله عزّ وجلّ عن قوله وافترائه علوًّا كبيرًا. وكتب بيان إلى محمد الباقر رضي الله عنه كتابًا دعاه فيه إلى نفسه وكان من جملته: أسلِمْ تَسلَمْ وترقى في سلم، فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة، فأمر الباقر رضي الله عنه رسول بيان أن يأكل كتابه، فأكله، فمات من ساعته. ولا خفاء بكفره وكفر تابعيه، ولما ظهر عن بيان هذا ما ظهر قتله خالد بن عبد الله القسريّ اهـ. **الوافي بالوفيات**، الصفديّ، ٣/ ٤٣٨.

قال الزَّبيديّ[1]: «أوَّلَ الكلامَ تأويلًا وتأوَّلهُ: دبَّرهُ وقدَّره وفسَّره». ثم قال: «وفي العُباب: التَّأويلُ: تفسيرُ ما يؤُولُ إليه الشيء. وقال غيره: التَّفسيرُ شرحُ ما جاء مُجملًا مِن القَصَصِ في الكتاب الكريم وتقريبُ ما تدل عليه ألفاظه الغريبةُ وتَبيينُ الأُمور التي أُنزلتْ بسببها الآي، وأمّا التَّأويلُ فهو تَبيينُ معنى المتشابه، والمتشابِهُ هو ما لم يُقطع بفحواه مِن غير ترددٍ فيه، وهو النَّصُّ. وقال الرَّاغبُ: التَّأويلُ ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه قولًا كان أو فعلًا». ثم قال: « وقال ابن الكمال: التأويلُ صَرفُ الآية عن معناها الظاهر إلى معنًى تحتملُه إذا كان المحتملُ الذي تُصرف إليه مُوافقًا للكتابِ والسُّنَّة كقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴿٩٥﴾﴾ (الأنعام) إن أراد به إخراج الطيرِ مِن البيضة كان تأويلًا، أو إخراجَ المؤمنِ مِن الكافرِ والعالِـم مِن الجاهلِ كان تأويلًا. وقال ابنُ الجَوْزِيّ: التفسيرُ إخراجُ الشيء مِن معلُوم الخفاء إلى مَقام التَّجلّي، والتأويلُ نَقلُ الكلامِ عن مَوضعِه إلى ما يُحتاجُ في إثباته إلى دَليلٍ لولاه ما تُرِكَ ظاهِرُ اللَّفظِ. وقال بعضُهم: التفسيرُ كَشْفُ المُرادِ عن اللَّفظِ المُشْكِلِ[2]، والتأويلُ رَدُّ أحدِ المُحتَمِلَيْن إلى ما يُطابِقُ الظَّاهِرَ. قال الراغِبُ: التفسيرُ قد يُقال في ما يَختَصُّ بمُفرداتِ الألفاظِ وغَريبِها، وفي ما يَختَصّ بـالتَّأويل، ولهذا يُقال: عِبارَةُ الرُّؤيا وتفسيرُها وتأويلُها» اهـ.

ومن التذبذب الذي هو دين المجسّمة قول شيخهم ابن تيمية[3]: «إن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ (الحديد) دلّ ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطَّلِعٌ عليكم، شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب

١) **تاج العروس**، الزَّبيدي، مادة أ و ل، ٢٨/ ٣٢.

٢) **فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٥٢٦. **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، ٢/ ١٤٩.

٣) ما يسمى **العقيدة الحموية الكبرى**، ابن تيمية، ١/ ٧٧، ٧٨.

وحقيقته» اهـ. ثم قال[1]: «ولما قال النبيّ ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة) كان هذا أيضًا حقًّا على ظاهره. ودلت الحال على أن حكم هذه المعية الاطّلاع والنصر والتأييد» اهـ. وفي هذا النص السابق يصل ابن تيمية إلى النتيجة التي نصل إليها بالتأويل، ولكن لا يسلّم أن الوصول إلى هذه النتيجة يحصل بصرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله، ويصرح بأن الاطّلاع والعلم والنصرة هي حكم المعية ومقتضاها، وهذا هو ما نسميه تأويل المعية، فيكون ابن تيمية هنا قد اختار في الحقيقة مسلك التأويل، ولكنّه يتبع التمويه كأمثاله من المجسّمة فيقولون: نحن نثبت لله ما أثبت لنفسه، وهو أثبت لنفسه الاستواء على العرش، يريدون باستواء الله استواء الأجسام، يقال لهم: الاستواء الذي أثبته القرآن ليس الاستواء الذي أنتم تريدونه، بل الله أراد بالاستواء معنى لائقًا به، لأن كلمة «استوى» ليست مرادفة لجلس، بل «استوى» لها معانٍ عديدة في لغة العرب، ثم بعض معانيها من صفات المخلوقين كالجلوس والاستقرار، ومنها ما هو لائق بالله تعالى كالاستيلاء والقهر وهو أعلى معاني كلمة «استوى» وهو الذي يؤيده القرآن، فمن اللغويين الذين فسّروا الاستواء المذكور في الآية بالاستيلاء صاحب القاموس[2]، وأبو حيّان الأندلسيّ[3]، والمحدّث الحافظ الفقيه خاتمة اللغويين محمد مرتضى الزَّبيديّ[4] وغيرهم كثير كما تقدّم.

ومن الأمثلة على تأويل ابن تيمية قولُه في الآية الكريمة: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ

---

1) ما يسمى **العقيدة الحموية الكبرى**، ابن تيمية، ١/ ٧٨. **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، ٥/ ١٠٣، ١٣/ ٣٠١٠. متابعة المعاصرين لابن تيمية في هذه النقطة في ما يسمّى كتاب **تنبيهات في الرد على من تأول الصفات**، عبد العزيز بن باز، ٢٦، ٣٠.

2) **بصائر ذوي التمييز**، الفيروزأبادي، ١/ ١٤٤.

3) **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسيّ، ١/ ١٣٤.

4) **إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، ٢/ ١٠٦.

﴿إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ (ق)[1]: «هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله» اهـ. وقال[2]: «وأما من ظن أن المراد بذلك قرب ذات الربّ من حبل الوريد إذ إن ذاته أقرب فهذا في غاية الضعف» اهـ. وهذا تأويل أيضًا لأن ظاهر اللفظ يدل على إسناد القرب إلى الله عزّ وجلّ، وتفسيره بقرب الملائكة صرفٌ للفظ عن ظاهره، فلماذا يمنعون أهل السّنة مما يقومون هم به؟ ولم لا يقال في هذا الصرف إنه تعطيل لما وصف الله تعالى به نفسه كما يتهمون أهل السّنة إن أولوا نصًّا متشابهًا؟ وما الفرق بين هذا وبين تأويل أهل السُّنَّة لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ٢٢﴾ (الفجر) أي أمره؟

ومن تأويل ابن تيمية أيضًا ما ذكره في جواب أهل الكتاب فقال[3]: «ولا يُعرف عالم مشهور من علماء المسلمين ولا طائفة مشهورة من طوائفهم يطلقون العبارة التي حكوها عن المسلمين حيث قالوا عنهم: إنهم يقولون: إنَّ لله عينين يبصر بهما ويَدَيْن يبسطهما وساقًا ووجهًا يوليه إلى كل مكان وجنبًا، ولكن هؤلاء ركبوا من ألفاظ القرآن بسوء تصرفهم وفهمهم تركيبًا زعموا أن المسلمين يطلقونه. وليس في القرآن ما يدل ظاهره على ما ذكروه، فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ٦٤﴾ (المائدة) واليهود أرادوا بقولهم: يد الله مغلولة أنه بخيل! فكذَّبهم الله في ذلك وبيَّن أنه جَوَادٌ لا يبخل، وأخبر أن يديه مبسوطتان كما قال: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾ (الإسراء)، فبسط اليدين المراد به الجود والعطاء، ليس المراد ما توهموه من بسط مجرد، ولما كان العطاء باليد يكون ببسطها صار من المعروف في اللغة التعبير ببسط اليد عن العطاء» اهـ.

---

١) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، ٥/ ١٢٩.

٢) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، ٥/ ٥٠٥. ونحوه في **شرح حديث النـزول**، ابن تيمية، ص١٣٠. الكتاب المسمى **الأجوبة المفيدة**، عبد الرحمن الحُطَيْليّ، ص٦١.

٣) الكتاب المسمى **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ابن تيمية، ٤/ ٤١٢.

قال إمام الصوفية العارف بالله السيد أحمد الرفاعيّ الشافعيّ الأشعريّ ما نصه[1]: «نزّهوا الله عن سمات المحدَثين، وطهّروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول، تعالى الله عن ذلك. وإياكم والقول بالفوقية والسُّفْلية والمكان واليد والعين بالجارحة، والنزول بالإتيان والانتقال، فإن كل ما جاء في الكتاب والسّنة مما يدل ظاهره على ما ذُكر فقد جاء في الكتاب والسّنة مثله مما يؤيد المقصود» اهـ.

وقال سيف الدين الآمديّ ما نصه[2]: «وما يروى عن السلف من ألفاظ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان، فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن إجرائها على ظواهرها، والإيمان بتنزيلها، وتلاوة الآية على ما ذكرنا عنهم». ثم قال: «مع اتّفاقهم جميعًا في المعنى أنه تعالى ليس بمتمكّن في مكان ولا متحيز بجهة، ومن اشتغل منهم بتأويل يليق بدلائل التوحيد قالوا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴿٨٤﴾﴾ (الزخرف): أراد به ثبوت الألوهية في السماء لا ثبوت ذاته، وكذا في هذا قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴿٣﴾﴾ (الأنعام)أي ألوهيته فيهما لا ذاته، وفي قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ (الملك)ألوهيته إلا أن ألوهيته أضمرت بدلالة ما سبق من الآيات، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴿٧﴾﴾ (المجادلة) أي يعلم ذلك ولا يخفى عليه شىء، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ (ق) أي بالسلطان والقدرة، وكذا القول بأنه فوق كل شىء أي بالقهر على ما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ (الأنعام) وقالوا في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴿١٠﴾﴾ (فاطر) إن الله تعالى جعل ديوان أعمال العباد في السماء والحفظة من الملائكة فيها، فيكون ما رفع الى هناك رفعًا إليه، وهذا كما في قوله: ﴿فَلَوْلَآ

١) **البرهان المؤيد**، أحمد الرفاعيّ، ص١٧، ١٨.

٢) **أبكار الأفكار**، الآمديّ، مخطوط، ص١٩٤، ١٩٥.

إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (الواقعة) قالوا: ملك الموت وأعوانه، والمجسمة لا يمكنهم أن يقولوا: إنه بالذات عند كل محتضر، ولا أن يقولوا: إنه بالذات في السماء لما يلزمهم القول بجعله تحت العرش وتحت عدد من السموات، فوقعوا بهواهم في مثل هذه المناقضات الفاحشة، فيكون معنى قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴿١٠﴾﴾ (فاطر) كما في قوله تعالى إخبارًا عن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ (الصافات) أي إلى الموضع الذي أمرني ربي أن أذهب إليه، وقالوا في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ (الأعراف): يعني الملائكة، أن المراد منه قرب المنزلة لا قرب المكان، كما قال عن موسى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ (الأحزاب) وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ (ص) قال المفسرون وأئمة الهدى: أي أصحاب القوة في الدين والبصارة في الأمر، ولم يفهم أحد من السلف والخلف منه الأيدي الجارحة مع كونهم موصوفين حقيقة بالأبصار الجارحة والأيدي الجارحة، فكيف فهمت المشبهة من قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴿٧٥﴾﴾ (ص) اليدين الجارحتين، ومن قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ (طه) العين الجارحة، ومن الخبر المروي[1]: «**ما تصدَّق أحدٌ بصدقةٍ منْ طيّبٍ ولا يقبلُ اللهُ إلا الطيّبَ، إلا أخذَها الرحمنُ بيمينِهِ وإنْ كانتْ تمرةً فتَرْبُو في كَفّ الرحمنِ حتى تكونَ أعظمَ منَ الجبل كما يُرَبّي أحدُكُمْ فُلُوَّهُ أو فَصِيلَهُ**»[2] الكف الجارحة مع قوله

---

١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، ٣/ ٨٥.

٢) «الفِلْوُ بالكسر وكعَدُوّ وسُمُوّ: الجَحْشُ والمُهْرُ فُطِما أو بَلَغَا السَّنَةَ، ج: أفْلاءٌ وفَلاوَى» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ف ل و، ص ١٧٠٤. «الفَصيلُ: ولَدُ الناقةِ إذا فُصِلَ عن أُمه، ج: فُصْلانٌ بالضم والكسر وككِتاب، والفَصِيلَةُ: أُنْثاهُ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ف ص ل، ص ١٣٤٧.

تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ (الإخلاص) وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ (المؤمنون) وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ (العنكبوت) فما فهموا من تلك المتشابهات إثبات الجسم والجوارح والصورة إلا لخبث عقيدتهم وسوء سريرتهم. وبالله العصمة من الخذلان» اهـ.

٤ـ ومن تأويل المجسمة قول ابن أبي العزّ الحنفيّ مع كونه مجسمًا من أتباع ابن تيمية في كتاب ملأه تشبيهًا وسمّاه شرح الطحاوية، وهو يردّ على الإمام الطحاويّ رضي الله عنه في أكثر من موضع[1] قال: «قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ (النساء) وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفَلَك، وإنما المراد إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته[2] ويُحسّن الألبانيّ[3] ـ وهو من مجسّمة هذا

---

١) **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز، ص٣١٤.

٢) **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز، ص٣١٤.

٣) محمد ناصر الدين بن نوح الألبانيّ، ت ١٤٢٠هـ، ولد في ألبانيا وانتقل به أبوه إلى دمشق حيث تعرّف إلى بعض المجسمة كمحمد رشيد رضا، فتأثّر برؤوسهم أمثال ابن تيمية وابن القيم، ثم عارضه وحاربه علماء الشام المنـزّهون من أهل السّنة والجماعة وأسموه الوهابيَّ الضالّ، ثم انتقل إلى الأردن ولحق بالمجسم عبد العزيز ابن باز الذي انتدبه لينشر سمومه حيث حلّ، ومن كتبه: ـ ما يسمى ـ «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، وغيره. ومن ضلالاته قوله في كتابه الذي أسماه **مختصر العلو** ١/ ٥٢: «المذهب الآخر قول بعض غلاة النفاة للعلو: «الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف لا داخل العالم ولا خارجه» ويزيد بعض فلاسفتهم: «لا متصلًا بالعالم ولا منفصلًا عنه» قلت ـ أي الألبانيّ ـ: وهذا النفي معناه ـ كما هو ظاهر ـ أن الله غير موجود وهذا هو التعطيل المطلق والجحد الأكبر تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا» اهـ. ويكفي في الردّ على هذا المجسم الضالّ ما ذُكر في العقيدة المرشدة التي كان يقرؤها الإمام فخر الدين بن عساكر ويعلمها وهي من الرسائل المهمة التي فيها بيان عقيدة أهل السّنة والجماعة، وقد أثنى عليها الحافظ صلاح الدين العلائيّ وسماها «العقيدة المرشدة»=

العصر ـ في تعليقه على كتاب ابن أبي العز المجسّم هذه العبارة ثم يقول: «وهو من التأويل الذي ينقمه الشارح مع أنه لا بد منه أحيانًا» اهـ.

٥ـ إن ابن عثيمين المجسم يصرّح بجواز صرف اللفظ عن ظاهره ويسميه تفسيرًا، فيقول في جواب سائل سأله عن تأويل قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ١٠﴾ (الفتح)[١]: «ينبغي أن نعلم أن التأويل عند أهل السّنة ليس مذمومًا كله، بل المذموم منه ما لم يدل عليه دليل، وما دل عليه الدليل يسمى تفسيرًا سواء كان الدليل متصلًا بالنص أو منفصلًا عنه، فصرف الدليل عن ظاهره ليس مذمومًا على الإطلاق. ومثال التأويل بالدليل المتصل ما جاء في الحديث الثابت في صحيح مسلم في قوله تعالى في الحديث القدسيّ «**عَبْدِي جِعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ومَرِضْتُ فلمْ تَعُدْني**»[٢]. فظاهر هذا الحديث أن الله نفسه هو الذي جاع وهو الذي مرض، وهذا غير مراد قطعًا، ففسّر هذا الحديث بنفس الحديث» اهـ. وهذا ينسف بالكلية كل ما صرَّحوا به من تمسكهم بظاهر المتشابهات وعدم تأويلها، وإبطال صرف اللفظ عن

=كما تقدّم، ووافقه على ذلك تاج الدين السبكيّ وقال في آخرها: «هذا آخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سنيٌّ» اهـ، ومنها قوله عن الله تعالى: «موجودٌ قبل الخلقِ، ليس له قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يَمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌ ولا بعضٌ، ولا يقالُ: متى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كان ولا مكان، كوَّنَ الأكوانَ ودبَّر الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ ولا يتخصَّصُ بالمكان» اهـ.

١) **مجموع فتاوى ابن عثيمين**، ابن عثيمين، ١/ ١٦٨.

٢) ولفظ الحديث القدسيّ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يقولُ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلَمْ تَعُدْني؟ قال: يا ربِّ كيفَ أعودُكَ وأنتَ رَبُّ العالمينَ؟ قال: أما علمتَ أنَّ عبدِي فلانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ؟ أما علمتَ أنَّكَ لوْ عُدْتَهُ لوجدتَني عندَهُ، يا ابنَ آدمَ استطعَمْتُكَ فلم تُطْعِمْني. قالَ: يا ربِّ وكيفَ أُطْعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ؟ قالَ: أمَا عَلِمْتَ أنهُ استطْعَمَكَ عبدي فلانٌ فلمْ تُطْعِمْهُ؟ أما عَلِمْتَ أنكَ لوْ أطعمتَهُ لوجدتَ ذلكَ عندِي؟ يا ابنَ آدمَ استسقيتُكَ فلمْ تسْقِني. قالَ: يا ربِّ كيفَ أسقيكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ؟ قال: استسقاكَ عبدِي فلانٌ فلمْ تسْقِهِ، أما إنكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وجدتَ ذلكَ عندِي**». **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، ٨/ ١٣.

ظاهره، وفيه التصريح بأن من الظاهر ما هو غير مراد قطعًا، وفيه التذبذب في عدّ بعض التأويل محمودًا بعد أن كان تعطيلًا وطاغوتًا بزعمهم.

والحاصل أن التأويل ثابت عن السلف، ولا غنى للخلف عنه، بل لا غنى عنه حتى لمن أنكر على أهل السّنة كما تخبَّط فيه أولئك المشبهة، بل وضع له أهل السّنة منهجًا متكاملًا يقوم على أسس واضحة. وعرضوا كثيرًا من الأخبار التي يجري فيها التأويل على هذا الأساس والمنهج. وباستقراء مواضع تأويلاتهم يتضح لنا المنهج الراسخ الذي سلكه الأشاعرة والماتريدية ـ وهم أهل السنّة والجماعة ـ في التأويل. ويقوم هذا المنهج على عدة أسس.

فالتأويل الذي هو إخراج النص عن ظاهره منه ما هو ممدوح، ومنه ما هو مذموم، ثم الممدوح منه ما هو تأويل إجماليّ وقد شهر في عهد السلف، ومنه ما هو تأويل تفصيليّ وقد شهر في عهد الخلف. وتَرْك التأويل الإجماليّ والتفصيليّ أمر خطير، لأنه يؤدي إلى القول بتعارض القرآن وتضارب الآيات، وهذا لا يجوز في كتاب الله. والمذموم ما خالف الكتاب والسنَّة وما أجمعت عليه الأمة.

٦ـ الوهابية المجسمة تُنكر التأويل مطلقًا أي في كل الأحوال، بل يسمون الذين يؤولون «معاول التأويل والهدم»[1]، وأين الوهابية حين قالت ما قالت من حديث رسول الله ﷺ لسيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن[2]: «**اللهمَّ عَلّمْهُ الحكمةَ وتأويلَ الكتابِ**».

ويقول ابن باز المجسّم[3]: «إنّ تأويل النصوص الواردة في القرآن

١) **شرح العقيدة الطحاوية**، الألبانيّ، ص١٨. **التنبيهات**، ابن باز، ص٣٤، ٧١.

٢) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، فضل ابن عباس، ١/ ١١٤.

٣) فتوى رقم (١٩٦٠٦) تاريخ ٢٤/ ٤/ ١٤١٨ للهجرة.
ابن باز المجسم هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، عَمِيَ وهو ابن ١٦ عامًا، وتلقى علومه من رؤوس المشبهة المجسمة في عصره، وبدأ بنشر سمومه وله الكثير=

والسّنة في صفات الله جلّ وعلا هو خلاف ما أجمع عليه المسلمون من لدن الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا» اهـ. ولا ندري أيّ إجماعٍ ينقله ابن باز الوهابيّ المجسم؟! والحافظ النوويّ ينقل قول القاضي عياضٍ[1]: «لا خلاف بين المسلمين قاطبةً فقيههم ومحدّثهم ومتكلّمهم ونظّارهم ومقلّدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ (الملك) ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم» اهـ. فهذا النووي ينقل إجماع أهل السّنة والجماعة في إثبات التأويل، أما الإجماع الذي يدّعيه ابن باز في نفيه التأويل فما هو إلا كلام أهل التشبيه والتجسيم من لدن نشأتهم إلى يومنا هذا. ومن عجيب جهل هذا الرجل أنه بعد أن نقل إجماعًا مكذوبًا ادّعاه أن يؤوّل قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴿٤﴾﴾ (الحديد) بالعلم[2].

وإليك زيادة بيان وإيضاح وهو أن الحافظ النوويّ الذي هو من علماء أهل السّنة والجماعة صاحب الكتاب المشهور رياض الصالحين الذي قد توفي سنة ٦٧٦ هـ كان قبل ابن تيمية المجسّم الذي توفي سنة ٧٢٨هـ، فما نقله النوويّ كان نقلًا عمَّن سَبَقَهُ من السلف والخلف، ولم يكن يردّ على ابن تيمية لأنه لم يكن بعدُ عُرِف، على أن كلامه يُرَدّ به على ابن تيمية ومن تَبِعه. وها هو الألبانيّ الوهابيّ يقول[3]: «من أوّل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص) فهو تأويل لا يقوله مسلم» اهـ. بينما ثبت أن الحافظ البخاريّ وهو من علماء السلف وأئمتهم رضي

= من الرسائل التي تنضح بتشبيه الله تعالى، ومن كتبه: الكتاب المسمى «التحذير من البدع» وهو محشوّ بالبدع الغريبة، والكتاب المسمى «الفوائد الجلية في المباحثات الفرضية»، وغيرهما، توفي سنة ١٤٢٠هـ. الكتاب المسمى المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، إعداد ما يسمى ملتقى أهل الحديث، ١/ ١٦٧.

١) **المنهاج شرح صحيح مسلم**، النوويّ، ٥/ ٢٤.

٢) ذكر هذا في **مجلة الحج** – جمادى الأولى، عام١٤١٥هـ، ص٧٤.

٣) **الفتاوى**، الألبانيّ، ص٥٢٣.

الله عنهم أوّل هذه الآية فقال[1]: «إلا مُلكَهُ» اهـ. وهذا معناه أنَّ الألبانيّ الوهابيّ يُكفّر البخاريّ بقوله: «لا يقوله مسلم»، يعني من يؤول الوجه في آية: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ۝٨٨﴾ بالملك.

من أسس التأويل وضوابطه عند أهل السّنة والجماعة:

إنَّ التأويل علم له شروط ومبادئ وقواعد لا يقبل تجاهلها ولا يسوغ تخطيها لأن ذلك مؤداه الوقوع في المحظور، لذلك كان لا بد من تقصّي الشروط التي تجب والمبادئ التي تتحتَّم مراعاتها على كل من أراد الخوض في هذا العلم والغوص في بحاره. إنه حقًّا علم مُنظّم الضوابط، محكم المفاهيم، لا لبْسَ فيه ولا لَغَط. وتجد في ما يلي بعض النقول التي بها رسمت المحاور الأساسة والأطُر العلمية التي يتمحور حولها علم التأويل.

ونبدأ بما قاله الإمام النسفي[2] في العقيدة النسفية ونصه[3]: «والنصُوصُ مِن الكتَابِ والسّنةِ تحمَلُ على ظواهرها، والعُدُولُ عنها إلى مَعانٍ يَدَّعيها أَهلُ البَاطِنِ إلحاد، وَرَدُّ النُّصُوصِ كُفر» اهـ.

يعني أن النص القرآنيَّ والنص الحديثي يُحملان على الظاهر ما لم يدلّ دليل عقلي أو سمعي على وجوب العدول عن ذلك، فإن وجد فعندئذ يحمل على غير الظاهر للضرورة، وأما التأويل لغير ذلك فعَبَثٌ.

وقوله: «والعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهلُ الباطن إلحاد» يعني أن تأويلات الباطنية ومن أشبههم مما يؤدي إلى مخالفة الضروريات إلحاد وكفر.

---

١) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التفسير، سورة القصص، ٦/ ١٢١.

٢) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين، ت ٧١٠هـ، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى نسف ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنّفات جليلة، منها: «مدارك التنزيل» ثلاثة مجلدات، في تفسير القرآن، و«كنز الدقائق» في الفقه، و« المنار» في أصول الفقه. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٦٧.

٣) **العقيدة النسفية**، النسفي، ص١٦٨.

وقوله: «وردُّ النصوص كفر» يعني أن رد النصّ القرآني أو النصّ الحديثي الثابت مع اعتقاده أنه كلام الله وكلام رسول الله ﷺ كفر.

ففي هذا تنبيه إلى عدد من الضوابط التي هي ذات صلة وهي:

١ – أن تحميل كل نص من النصوص ما لا يحتمله خروج عن جادَّة الصواب.

٢ – أن النصوص تحمل على الظاهر إلا إن دعا داع إلى حملها على غير هذا الظاهر.

٣– أن النصوص الشرعية يجب ألا تتناقض، فلذا ينبغي ألا يتعارض أي تأويل لأي متشابه مع المحكمات.

فتأمل مدى أهمية هذه الضوابط، وكيف أنها صراط مستقيم لمن أراد سلوك طريق التأويل من أهل العلم والمعرفة، فهي الضامن ألا يؤخذ التأويل عصا يتكئ عليه كل ذي مأرب. وهي الضامن ألا يتقرر تأويل ما لم يدع إليه داع، وهي الضامن أن تتعاضد النصوص في ما بينها ولا تتعارض.

وانظر إلى ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ونصه[1]: «قال ابن دقيق العيد في العقيدة: نقول في الصفات المشكلة إنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله، ومن تأوَّلها نظرنا فإن كان تأويله قريبًا على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه، وإن كان بعيدًا توقفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه، وما كان منها معناه ظاهرًا مفهومًا من تخاطب العرب حملناه عليه» اهـ.

فإذًا لا بد أن يدلّ دليل عقلي أو سمعي على وجوب العدول عن ظاهر اللفظ إلى المعنى المؤول، ثم لا بد أن يكون المعنى قريبًا على مقتضى لسان العرب، فلا يصلح أن يكون بعيدًا، ولا يستساغ ما لم يحتمله لسان الضاد.

فيظهر لك أيها المنصف أن العلماء اشترطوا في تحقيق التأويل الصحيح أمورًا، منها:

---

١)**فتح الباري**، ابن حجر، ١٣/ ٣٨٣.

- أن يكون اللفظ المراد تأويله قابلًا لذلك التأويل، بأن يكون يحتمل بحسب وضع اللغة ذلك.
- أن يكون المعنى الذي صرف إليه اللفظ من المعاني التي يحتملها اللفظ لغةً أو استعمل فيه شرعًا.
- أن يكون الصرف عن ظاهره بدليل صحيح عقلي قاطع أو نقلي ثابت.
- أن يكون المؤوّل أهلًا لذلك، بأن تكون فيه الصّفات التي تؤهّلُه لهذا.

كانت هذه بعض الشروط التي ذكرها أهل الحق ولا بد منها لاستحقاق أهلية التأويل. كيف لا والتأويل موضوع على درجة عالية من الأهمية، لا يسوغ لأحد الخوض فيه ما لم يكن تأهَّل لذلك وحصَّل التمكن المطلوب والرسوخ اللازم.

وعليه فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع[١]، مثال ذلك قول النبيّ ﷺ[٢]: «**إنَّ قلوبَ بنِى آدمَ كلَّها بينَ إصبعينِ مِنْ أصابعِ الرحمنِ**» الحديثَ، قال الغزاليّ[٣]: «حمله على الظاهر غير ممكن، إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع، فَعُلِمَ أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع، وكنّي بالأصابع عن القدرة، لأن ذلك أعظم وقعًا في تفهم تمام الاقتدار» اهـ. أما إذا كان إجراؤه على الظاهر غير محال فلا يجوز تأويله، ولذلك أنكر الغزاليّ على المعتزلة أنهم أوّلوا ما ورد من الأخبار في أحوال الآخرة كالميزان والصراط وغيرهما وقال[٤]: «هو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية، وإجراؤه على الظاهر غير محال، فيجب إجراؤه

---

١) **الإرشاد**، الجوينيّ، ص١٦٠. **أساس التقديس**، الرازيّ، ص ١٨٢.

٢)**صحيح مسلم**، مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، ٨/ ٥١.

٣)**قواعد العقائد مع إحياء علوم الدين**، الغزاليّ، ١/ ١٠٢.

٤)**قواعد العقائد مع إحياء علوم الدين**، الغزاليّ، ١/ ١٠٢، **الاقتصاد في الاعتقاد**، الغزاليّ، ص١٨.

على الظاهر»اهـ.

ومن العقائد الثابتة بالدليل القاطع أن الله عزّ وجل ليس في جهة أو حيّز ولا يجوز عليه التركيب ولا التجسيم ولا التشبيه ولا تقوم به الحوادث[١]، فإذا وردت الظواهر الظنية معارضةً لهذه العقائد نؤول الظواهر إما إجماليًّا ونفوّض تفصيلها إلى الله، وإما نؤوّل تأويلًا تفصيليًّا بتعيين معنى من المعاني التي تحتملها اللغة العربية[٢].

ويشترط لصحة التأويل أن يكون موافقًا لأساليب اللغة العربية وعرف الاستعمال، جاريًا على ما يقتضيه لسان العرب وما يفهمونه في خطاباتهم[٣].

فالتأويل بيان المعنى الذي يَظنّ المؤوّل أنه المراد، لأن اللفظ قد يحتمل أكثر من معنى يصح صرفه إليه، مثال ذلك قول إمام الحرمين: «لا يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة» اهـ.

ومما يشترط لصحة التأويل ألّا يخالف أصلًا ثابتًا[٤]، ومن هذا التأويل المخالف تأويل ابن قتيبة المجسّم المشبّه الاستواء بالاستقرار، قال[٥]: «وقالوا في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ (طه) إنه استولى، وليس يعرف في اللغة استويت على الدار، أي استوليت عليها، وإنما استوى في هذا المكان: استقر» اهـ. ولا يخفى أن في الاستقرار تشبيهًا لله بالمخلوق، ومفارقةً لتنــزيه البارئ عزّ وجلّ، ومثل هذا التأويل غير مقبول لأنه

---

١)**العقيدة النظامية**، الجويني، ص٢١. **الاقتصاد**، الغزاليّ، ص٢٨، ٣٥. **التمهيد**، النسفيّ، ٦/ ١٨. **أساس التقديس**، الرازيّ، ص١٥، ٤٥.

٢)**المواقف**، الإيجيّ، ص ٢٧. **المقاصد**، التفتازانيّ، ٤/ ٥٠.

٣)**فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**، ضمن مجموعة الجواهر الغوالي من رسائل الغزاليّ، ص١٩٩. **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص ٣٤.

٤)**البرهان**، الجوينيّ، ١/ ٥٣٦. **فيصل التفرقة**، الغزاليّ، ص ١٨٨، ١٩١.

٥)**الاختلاف في اللفظ بتعليق الكوثري**، ابن قتيبة، ص٣٧.

يخالف أصلًا ثابتًا[١]، ويردّه موافقة عدد كبير من اللغويين على جواز تفسير الاستواء بالاستيلاء والقهر، وقد تقدّم.

ومن علماء السّنة من يرى أن تأويل المتشابهات تأويلًا تفصيليًّا ضرورة لا يُلْجأ إليه إلا عند وجود مقتضاه، أما إذا لم يوجد ما يقتضي ذلك فالتفويض الذي هو التأويل الإجمالي هو الأصل.

وهي طريقة الحافظ ابن الجوزيّ[٢] الذي يقول: «إن نفيت التشبيه في الظاهر والباطن فمرحبًا بك، وإن لم يمكنك أن تتخلّص من شَرَك التشبيه إلى خالص التوحيد وخالص التنـزيه إلا بالتأويل - أي التفصيلي -، فالتأويل خير من التشبيه» اهـ. وهذا الكلام هو زبدة الكلام... لمن أراد الحقَّ صافيًا زُلالًا عذبًا فُراتًا مُرويًا هنيئًا مريئًا.

وطريقة الحافظ النوويّ حيث قال رحمه الله تعالى[٣] بعد أن ذكر طريقة السلف: «وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم وهي أسلم، إذ لا يطالب الإنسان بالخوض في ذلك، فإذا اعتقد التنـزيه فلا حاجة إلى الخوض في ذلك والمخاطرة في ما لا ضرورة، بل لا حاجة له إليه، فإذا دعت الحاجة إلى التأويل لردّ مبتدعٍ ونحوه، تأولوا حينئذ - أي تأويلًا تفصيليًّا -، وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا» اهـ.

وهي كذلك طريقة ملا علي القاري حيث قال[٤]: «وإنما اختلفوا: هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته، من غير أن نؤول بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل السلف وفيه تأويل إجماليّ، أو مع تأويله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف، وهو تأويل تفصيليّ.

---

١) **الاختلاف في اللفظ بتعليق الكوثري**، ابن قتيبة، ص٣٧.

٢) **مجالس ابن الجوزيّ**، ابن الجوزي، ص١١.

٣) **مقدمة المجموع شرح المهذّب**، النوويّ، ١/ ٢٥.

٤) **مرقاة المفاتيح**، ملا علي القاري، ٣/ ٢٧٠.

ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح، معاذ الله أن يُظنَّ بهم ذلك، وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك، لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامّة، فقصدوا بذلك ردعَهم وإبطال قولهم.

ومن ثم اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنّا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم، لم نخض في تأويل شيء من ذلك، وقد علمت أن مالكًا والأوزاعيّ ـ وهما من كبار السلف ـ أوّلا الحديث تأويلًا تفصيليًّا» اهـ.

وطريقة ابن حجركما نقل ملا علي القاري عنه قال[٥]: «قال ابن حجر: أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمنتهم يفوّضون عِلْمها إلى الله تعالى مع تنـزيهه سبحانه عن ظاهرها الذي لا يليق بجلال ذاته، وأكثر الخَلَف يؤولونها بحملها على محامل تليق بذلك الجلال الأقدس والكمال الأنفس، لاضطرارهم إلى ذلك لكثرة أهل الزيغ والبدع في أزمنتهم.

ومن ثم قال إمام الحرمين: لو بقي الناس على ما كانوا عليه لم نؤمر بالاشتغال بعلم الكلام، وأما الآن فقد كثرت البدع فلا سبيل إلى ترك أمواج الفتن تلتطم» اهـ.

وفي ختام الكلام على هذه المسالك لا بد من التنبيه إلى أمرين:

الأول: أن مَذْهَبَيْ أهل السنَّة والجماعة في التأويل الإجماليّ والتأويل التفصيليّ يقودان إلى غاية واحدة، والثمرة فيهما أن الله عزّ وجلّ لا يشبهه شيء من مخلوقاته، وأنه منزَّه عن جميع النقائص، متصفٌ بصفات الكمال التي تليق به عزَّ وجلَّ.

الثاني: التفويض الذي هو التأويل الإجمالي هو اعتقاد السلف والخلف، والتأويل التفصيلي الوارد عن بعض السلف والذي غلب على الخلف ضرورة

---

٥)**مرقاة المفاتيح**، ملا علي القاري، ١/ ٢٦٠.

دينيّة اضطروا إليها لدفع الوسوسة والشكوك عن العوامّ، والتصدي لرد مذاهب المبتدعة، وتوضيح العقائد الإسلامية. ومما يساعد على تقرير ذلك أن الإمام الخطابيّ ذكر الأحاديث التي ذُكِرَ فيها القَدَمُ والرِّجْلُ وغيرها، وذكر أن مذهب السلف فيها التفويض ثم قال[1]: «ونحن أحرى بألّا نتقدم في ما تأخَّر عنه من هو أكثر علمًا وأقدم زمانًا وسنًّا، ولكن الزمان الذي نحن فيه قد صار أهله حزبين: مُنْكِرٌ لما يُروى من نوع هذه الأحاديث ومكذّب به أصلًا، ومسلّم للرواية فيها ذاهب في تحقيق الظاهر مذهبًا يكاد يفضي إلى القول بالتشبيه، ونحن نرغب عن الأمرين معًا، ونطلب لما يرد من هذه الأحاديث إذا صحَّت من طريق النقل والسند، تأويلًا يُخرَّج على معاني أصول الدّين ومذاهب العلماء» اهـ.

وفي هذا دليل على أن التأويل التفصيلي في حقهم ضرورة اضطروا إليها وقَدروها قَدرها، والتأويل الإجمالي مسلكهم واختيارهم، فإذا احتاجوا لرد مذهب المبتدع أو لتثبيت عقيدة الضعفاء خَرَّجوا لهذه النصوص تأويلاتٍ موافقةً للأدلة العقلية وقواعد اللغة العربية.

---

١) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٤٣، ٤٤٤.

نماذج من تأويلات الصَّحابة وبعض السلف

لقد تقدم كثير من هذه التأويلات خلال الكتاب ونعيدها هنا مجموعة لعموم الفائدة.

تأويل ابن عباس رضي الله عنهما وغيره للساق بالشدّة

روى ابن أبي حاتم[1]: «من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه سُئل عن قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ٤٢﴾ (القلم) قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: [مشطور السريع]

اصــبرْ عـنـاق إنَّــه شرٌّ بـاقْ   قد سَنَّ لي قومُكَ ضَربَ الاعناقْ

وقــامَــــت الحــــــربُ بِـــنـــا عــــلى ســــاقْ

قال ابن عباس: **هذا يوم كرب وشدّة**. وعنه قال: **هو الأمر الشديد المفظع** من الهـول يوم القيامة» اهـ.

وعن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة[2]: في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ٤٢﴾ قال: **يكشف عن شدّة الأمر**» اهـ.

وقال الطبريّ[3]: «يقول تعالى ذكره: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ٤٢﴾ قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: **يبدو عن أمر شديد.**

وحُدّثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد قال: سمعت

---

١)**تفسير ابن أبي حاتم**، ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٣٦٦.

٢)قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسيّ البصريّ، ت ١١٨هـ، حافظ ومفسّر، قال الإمام أحمد بن حنبل: «قتادة أحفظ أهل البصرة» اهـ. وكان مع علمه بالحديث رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وروى عن أنس بن مالك. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ٥/ ٢٦٩، ٢٨٣. **الأعلام**، الزركلي، ٥/ ١٨٩.

٣)**جامع البيان في تفسير القرآن**، الطبريّ، ١٢/ ١٩٧.

الضحَّاك[1] يقول في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾ (القلم) وكان ابن عباس يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: شمّرت الحرب عن ساق، **يعني إقبال الآخرة وذهاب الدنيا**» اهـ.

تأويل ابن عباس وغيره من السلف الإتيان بإتيان الأمر

قال القرطبيّ[2]: «﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾ (الأنعام)، قال ابن عباس والضَّحَّاك: **أمرُ ربك فيهم بالقتل أو غيره**، وقد يذكر المضاف إليه والمراد به المضاف، كقوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ (يوسف)، يعني أهل القرية، وقوله: ﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ (البقرة)، أي: حُبّ العجل، كذلك هنا يأتي أمر ربك، **أي عقوبة ربك وعذاب ربك**» اهـ.

تأويل ابن عباس وغيره من السلف الأيدي بالقوة

قال الطبريّ[3]: «في قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات) ـ أي ـ والسماء رفعناها سقفًا بقوة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدّثني عليّ قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية عن عليّ عن ابن عباس قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ يقول: بقوة» اهـ.

وقال القرطبيّ[4]: «وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقيّ في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ (الذاريات) قال: يعني بقـوة وقدرة» اهـ.

---

١) الضحَّاك بن مخلد بن الضحَّاك بن مسلم الشيبانيّ، بالولاء، البصريّ، ت ٢١٢هـ، أبو عاصم المعروف بالنبيل، شيخ حفاظ الحديث في عصره، له جزء في الحديث. ولد بمكة وتحول إلى البصرة، فسكنها وتوفي بها. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ٢١٥.

٢) **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبيّ، ٧/ ١٢٩.

٣) تفسير **الطبريّ**، الطبري، ١١/ ٤٧٢.

٤) تفسير **القرطبيّ**، القرطبي، ١٧/ ٥٢.

تأويل الإمام أحمد بن حنبل للمجيء بمجيء القدرة

في مناقب أحمد للبيهقيّ[١] قال: «وأنبأنا الحاكم قال حدّثنا أبو عمرو بن السَّمَّاك، قال حدّثنا حنبل بن إسحاق، قال سمعت عمي أبا عبد الله ـ يعني الإمام أحمد ـ يقول: احتجُّوا عليَّ يومئذ ـ يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين ـ فقالوا: تجيء سورة البقرة يوم القيامة، وتجيء سورة تبارك، فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾ (الفجر)، أي تأتي قدرته، وإنما القرآن أمثال ومواعظ[٢]. قال البيهقيّ: هذا إسناد صحيح لا غبار عليه، وفيه دليل على أنه ـ أي الإمام أحمد ـ كان **لا يعتقد في المجيء الذي ورد في الكتاب والنـزول الذي وردت به السنَّة انتقالًا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام** ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، وهذا الجواب الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحذّاق من أهل العلم المنـزّهون عن التشبيه» اهـ.

تأويل الإمام الحافظ البخاريّ الضَّحِكَ بالرحمة

في صحيح البخاريّ[٣] أنّه ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رجلًا أتى النبيَّ ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: ما مَعَنَا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن يضمّ**» أو: «**يضيف هذا؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً. فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونوّمت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين. فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ضَحِكَ اللهُ الليلةَ**»، أو «**عَجِبَ مِنْ**

---

١) **مناقب الإمام أحمد**، البيهقي، مخطوط.

٢) **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٠/ ٣٦١.

٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ٩﴾ (الحشر)، ٥/ ٤٢.

فِعالِكما» فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحشر)». قال البيهقيّ[١]: «عن البخاريّ قال: **معنى الضحك الرحمة**» اهـ.

تأويل الحسن البصريّ والنضر بن شميل القَدَم بمن سبق بهم العلم

قال البيهقيّ[٢]: «إن النضر بن شميل قال في حديث: «**حتى يضعَ الجبارُ فيها قدمَهُ**»[٣] أي: من سبق في علمه أنه من أهل النار، فليس المقصود بالقَدَم العضو الجارحة المشتمل على اللحم والعظم، فإن هذا لا يليق بالله تعالى» اهـ.

وقال الحافظ ابن الجوزيّ[٤]: «روى البخاريّ ومسلم في الصحيحين[٥] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**لا تزالُ جهنمُ تقولُ: هلْ منْ مزيدٍ حتى يضعَ ربُّ العزَّةِ فيها قدمَهُ فتقولُ: قطٍ قطٍ وعزَّتِكَ،**

---

١) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٧٠.

٢) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٣٥٢.

٣) **تاج العروس**، الزَّبيديّ، مادة ق د م، ٣٣/ ٢٣٦، ٢٣٧. : «قالوا: القَدَم والسابقة: ما تقدَّموا فيه غيرهم، قال ابن سيده: وأما ما جاء في الحديث الذي في صفة النار أنه ﷺ قال: «**لا تسكنُ جهنمُ حتى يضعَ ربُّ العزَّةِ فيها قدمَهُ فتُزْوَى فتقول: قطٍ قطٍ**»، فإنه روي عن الحسن وأصحابه أنه قال: «أي حتى يجعل الله الذين قدمهم لها من الأشرار، فَهُم قدم الله للنار كما أن الأخيار قدمه إلى الجنة». والقدم: كل ما قدمت من خير أو شر، أو وضع القدم على الشيء مَثَل للردع والقمع، أي: يأتيها أمر الله تعالى يكفها عن طلب المزيد، وقيل: أراد به تسكين فورتها، كما يقال للأمر تريد إبطاله: وضعته تحت قدمي، والوجه الثاني الذي ذكره هو الأوجه، واختاره الكثير من أهل البلاغة، وقالوا: هو عبارة عن الإذلال مقابلة لها بالمبالغة في الطغيان» اهـ.

٤) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزيّ، ص ١٧٠، ١٧١.

٥) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، ٨/ ١٦٨. **صحيح مسلم**، مسلم، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ٨/ ١٥٢.

ويُزْوَى بعضُها إلى بعضٍ». قلت: الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله تعالى لا يتبعّض ولا يحويه مكان ولا يوصف بالتغيّر ولا بالانتقال، وقد حكى أبو عبيد الهرويّ[1] ـ صاحب كتاب غريب القرآن والحديث ـ عن الحسن البصريّ أنه قال: **القَدَم هم الذين قدَّمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لها** ـ أي للنار ـ. وقال الإمام ابن الأعرابيّ: **القَدَمُ المتقدم**. وروى أبو بكر البيهقيّ عن النضر بن شميل أنه قال: **القدم ههنا الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار**» اهـ.

تأويل الحافظ ابن حبّان القَدَم بالموضع

وقال الحافظ ابن حبان[2] في حديث: «**حتى يضعَ الربُّ قَدَمَهُ فيها**» – أي جهنم – ما نصّه: «هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يُلْقى في النار من الأمم والأمكنة التي عصي الله عليها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الربُّ جلّ وعلا موضعًا من الكفار والأمكنة في النار فتمتلئ، فتقول: قط قط، تريد: حسبي حسبي، لأن العرب تطلق في لغتها اسم القَدَم على الموضع. قال الله عزَّ جلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ ۝٢﴾ (يونس)، يريد: **موضع صدق، لا أنَّ الله جلَّ وعلا يضع قدمه في النار، جلَّ ربُّنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهـه**» اهـ.

تأويل ابن جرير الطبريّ للاستواء بعلوّ السلطان

قال الطبريّ[3] في قول الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩**﴾ (البقرة): «والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول

---

١)أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشاني، أبو عبيد الهروي، ت٤٠١هـ، باحث من أهل هراة في خراسان. له: «كتاب الغريبين» في غريب القرآن وغريب الحديث، و«ولاة هراة». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٢١٠.

٢)**صحيح ابن حبّان**، ابن حبان، ١/ ٥٠٢.

٣)**تفسير الطبريّ**، الطبري، ١/ ١٩٢.

الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾﴾ الذي هو بمعنى العلوّ والارتفاع، هَرَبًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوّله بمعناه المفهم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوّله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينجُ مما هرب منه، فيقال له: زعمت أن تأويل قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ ﴿٢٩﴾﴾: أقبل! أفكان مدبرًا عن السماء فأقبل إليها؟! فإن زعم أن ذلك ليس بإقبالِ فعلٍ ولكنه إقبال تدبير، قيل له: **فكذلك فقل: علا عليها علوَّ ملك وسلطان لا علوّ انتقال وزوال**» اهـ.

تأويل الحسن البصريّ المجيء بمجيء الأمر والقضاء

قال البغويّ[1] عند قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ (الفجر): «**قال الحسن: جاء أمر الله وقضاؤه**» اهـ.

تأويل الأعمش[2] والترمذيّ الهرولة بالمغفرة والرحمة

قال الحافظ أبو عيسى الترمذيّ في سننه[3]: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا عندَ ظنّ عبدِي بي، وأنا معهُ حينَ يذكرُني، فإنْ ذكرَني في نفسِه ذكرتُه في نفْسِي، وإن ذكرَني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهُم، وإنِ اقتربَ إليَّ شبرًا اقتربتُ منهُ ذراعًا، وإنِ اقتربَ إليَّ ذراعًا اقتربتُ إليه باعًا، وإنْ أتاني يمشِي أتيتُهُ هَرْوَلةً**».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث: «**مَن تقرَّبَ منّي شِبرًا تقرّبْتُ منهُ ذِراعًا**»، يعني بالمغفرة والرحمة، وهكذا فسّر بعضُ أهل العلم هذا الحديث وقالوا: إنما معناه

---

١) **تفسير البغويّ**، البغوي، ٤/ ٤٥٤.

٢) سليمان بن مهران الأسديّ بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش، ت ١٤٨هـ، تابعيّ مشهور. أصله من بلاد الري، ومنشؤه ووفاته في الكوفة. كان عالمًا بالقرآن والحديث والفرائض، روى نحو ١٣٠٠ حديث. **طبقات ابن سعد**، ابن سعد، ٦/ ٢٣٨. **تاريخ بغداد**، الخطيب البغداديّ، ٩/ ٣. **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ١٣٥.

٣) **سنن الترمذيّ**، الترمذي، ٥/ ٥٨١.

يقول: إذا تقرّب إليَّ العبد بطاعتي وما أمرتُ أُسرع إليه بمغفرتي ورحمتي.

تأويل المجتهد الحافظ ابن المبارك الكنف بالستر

قال البخاريّ[1]: «عن صفوان بن محرز، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما أنا أمشي معه إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عمر، كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «**يدنُو المؤمنُ منْ رَبِّهِ حتى يضعَ عليهِ كَنَفَهُ، قال: فذكَرَ صحيفتَهُ فيقرِّرُهُ بذنوبِهِ: هلْ تعرِفُ؟ فيقولُ: ربِّ أعرفُ، حتى يبلغَ بهِ ما شاءَ أن يبلغَ، فيقولُ: إنِّي سترتُها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرُها لكَ اليومَ، فيُعطى كتابَ حسنَاتِهِ، وأما الكافرُ فينادي على رؤوس الأشهادِ، قالَ اللهُ سبحانه وتعالى:** ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ (هود)، قال ابن المبارك: **كنفه يعني ستره**» اهـ.

تأويل ابن المبارك الاستواء بالاستيلاء

قال عبد الله بن المبارك[2] في تفسير سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ (طه) استوى أي استولى» اهـ.

تأويل مجاهد وجه الله بالقِبلة

قال الحافظ البيهقيّ[3]: «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدّثنا الحسن بن عليّ بن عفّان، ثنا أبو أسامة، عن النضر، عن مجاهد في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴿١١٥﴾﴾ (البقرة)، قال: قِبلة الله، فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها» اهـ.

---

١) **خلق أفعال العباد**، البخاريّ، ٧٨.

٢) **غريب القرآن وتفسيره**، ابن المبارك، ص ٢٤٣.

٣) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٣٠٩.

تأويل سفيان الثوريّ والبخاريّ
الوجه بالملك

فسّر الإمام سفيان الثوريّ في تفسيره[1] والإمام البخاريّ في جامعه[2] الوجه في قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص) فقالا: «إلا ملكه» اهـ.

ويطلق الوجه أيضًا إذا أُضيف إلى الله بمعنى ما يقرّب إلى الله من الأعمال كالصلاة والصيام وسائر الأعمال الصالحة.

فقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود أن النبيّ ﷺ قال: «**المرأةُ عورةٌ فإذَا خرَجَتْ استَشْرَفَها الشيطانُ، وأقربُ ما تكونُ المرأةُ منْ وجهِ الله إذَا كانتْ في قَعْرِ بيتِها**»، فالوجه هنا ليس له معنى إلا الطاعة، والحديث رواه ابن حبان في صحيحه وصحّحه[3]، والبزّار في مسنده[4].

تأويل مالك والأوزاعيّ
حديث النـزول بنـزول الملك

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَنْـزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخرُ يقولُ: مَنْ يدعوني فأستجيبَ لهُ؟ من يسألُني فأعطيَهُ؟ ومنْ يستغفرُني فأغفرَ لهُ[5]؟**». لا يجوز أن يحمل هذا الحديث على ظاهره لإثبات النزول من علو إلى سفل

---

١) **تفسير القرآن الكريم**، الثوريّ، ص ١٩٤.

٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التفسير: باب تفسير سورة القصص، ١٤/ ٤٣٧.

٣) **صحيح ابن حبان**، ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، ١٢/ ٤١٣.

٤) **مسند البزار**، البزار، ٥/ ٤٢٧.

٥) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الصلاة، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ٣/ ٣٦. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، ٢/ ١٧٥.

في حقّ الله تعالى. قال النوويّ في شرحه على صحيح مسلم[1]: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء:

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلّمين، أنه يؤمن بأنها حقّ على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلّم في تأويلها - أي تفصيلًا - مع اعتقاد تنـزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلّمين وجماعات من السلف، وهو محكيّ هنا عن مالك والأوزاعيّ، أنها تتأوّل على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأوّلوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه تنـزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه الإقبال على الدَّاعين بالإجابة واللطف» اهـ.

ويبطل ما ذهبت إليه **المجسمة** من اعتقاد نزول الله بذاته إلى السماء الدنيا أن بعض رواة البخاريّ ضبطوا كلمة «**يُنْزِلُ**» بضمّ الياء وكسر الزاي، فيكون المعنى نزول المَلَك بأمر الله وهذا صرّح به النبيّ ﷺ في حديث أبي هريرة وأبي سعيد من أنَّ الله يأمر مَلَكًا بأن ينزل فينادي، فتبيّن أن **المجسمة** ليس لها حجة في هذا الحديث.

قال القرطبيّ في تفسير سورة آل عمران عند قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾ (آل عمران) بعد ذكره حديث النزول وما قيل فيه ما نصّه[2]: «وأَوْلَى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائيّ مفسّرًا عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُمهِلُ حتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ الليلِ الأولُ ثمَّ يأمرُ مناديًا فيقولُ: هلْ مِنْ داعٍ يستجابُ لهُ؟ هل مِنْ مُستَغْفِرٍ يُغفرُ لهُ؟ هلْ مِنْ سائلٍ يُعطى؟**» صحّحه

---

١) **شرح صحيح مسلم**، النوويّ، ٦/ ٣٦.

٢) **تفسير القرطبيّ**، القرطبي، ٤/ ٣٩.

أبو محمد عبد الحقّ، وهو يرفع الإشكال ويوضح كلّ احتمال، وأن الأول من باب حذف المضاف، أي ينزل مَلَك ربنا فيقول. وقد روي «**يُنزل**» بضم الياء وهو يبيّن ما ذكرنا» اهـ.

تأويل ابن عباس
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ٣٥﴾ (النور) بالهداية

قال الطبريّ في تفسيره ما نصّه[1]: «عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ٣٥﴾ (النور) يقول: الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض» اهـ.

تمام الآية القرآنية: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ (النور).

في هذهِ الآية ضربَ الله مثلًا للإيمان الذي في صدر المؤمن بأنهُ كالمشكاة فيها مصباح، والمشكاة هي الطاقة المسدودة التي كانت في الزمن الماضي تُبنى في الحائط فيجعل فيها القنديل، وهذا لأنهُ حين يُؤمن العبد بالله ورسوله يصير في قلبهِ نورُ الإيمان، ثُم حين يتعلم هذا المُؤمن القرآن ويعرفُ الحلالَ والحرام يصير فيهِ نورٌ على نور، ولا يجوز تفسير هذهِ الآية بأنّ الله نور بمعنى الضوء لأنّ ذلكَ كيفية، والذي يكون له كيفية مستحيل أن يكون ربًّا وإلهًا. ثُمّ إنّ قول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى) يدلُّ على أنّ الله تعالى ليس نورًا بمعنى الضوء، لأنهُ لو كان ضوءًا لبَطل معنى الآية ولكان له أمثال لا تُحصى، وذلك لأنّ الأنوار مُتماثلة. وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ صريحٌ بأنّ المُراد بهِ أنّ النور هنا مُضافٌ إليه فهو بمعنى الهِداية. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾. ثُمّ

[1] تفسير الطبريّ، الطبري، ١٨/ ١٣٥.

إنّ النور بمعنى الضوء شيء مخلوقٌ لله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ (الأنعام)، كلمة ﴿وَجَعَلَ﴾ هنا بمعنى خلق، أي الله خلق الضوء والظلام، وخالق الشيء لا يشبهه، فإذًا يستحيلُ أن يكون الإله الخالق سبحانه ضوءًا. فثبتَ أنَّه لا بُدّ من التأويل أي تفسير الآية بمعنى يليق بالله، وقد ذهب العلماء في ذلك إلى أقوال:

قال بعضُهم: إنّ المراد بالآية أنّ الله هادي أهل السموات ومن شاءَ من أهلِ الأرض لنورِ الإيمان، وهو تفسير الصحابيّ الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو ابن عم النبيّ ﷺ وقاله غيره كثيرون.

وقال بعضهم: إنّ المُـراد بالآية أنّ الله مُدبّر السموات والأرض بحكمة بالغة[1].

وقال بعضهم: المـُراد أنّ الله مُنوّر السموات والأرض بنورٍ خَلَقَهُ[2].

فيتبين لنا أنه ليس هناك أحد من العُلماء المعتبرين فسّر الآية بأن الله نورٌ بمعنى الضوء، فلا يجوز أن يقال إنّ الله يُشَبّهُ نفسه بالضوء الذي يُوضعُ في الطاقة يُسقى بزيت الزيتون، بل المُراد أنّ الله هو الهادي، وأنه هدى كلّ الملائكة أهل السموات وهدى المؤمنين من أهل الأرض.

إذًا لا يجوز حمل الآيات المتشابهة على الظاهر، لأنّه يلزم من ذلك ضرب القرآن بعضه ببعض، وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه) وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ۝١٠﴾ (فاطر) ظاهرهما تحَيُّزُ الله تعالى في جهة فوق، وهذا مستحيل في حق الله، وقولَه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ۝١١٥﴾ (البقرة)، ظاهره أنّ الله في أفق الأرض، وهذا لا يليق بالله. وقولَه في حقّ إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٩٩﴾ (الصافات)

---

١) **تفسير الطبري**، الطبري، ١٨/ ١٣٥.

٢) **تفسير الطبري**، الطبري، ١٨/ ١٣٥.

ظاهره أنّ الله ساكن فلسطينَ لأنّ إبراهيم كان متوجّهًا إلى فلسطين، تنـزّه الله عن ذلك. فإنّ تفسير هذه الآيات على ظواهرها يؤدّي إلى نسبة التناقض في القرآن، والحق أن القرآن لا يناقض بعضه بعضًا، فوجب ترك الأخْذ بظواهر هذه الآيات القرآنية، والرّجوع إلى آية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، ولا نفسّر المُتشابه من القرآن على هوانا، بلْ لنكنْ مستحضرين لقول الشّافعيّ[1] رضي الله عنه: «آمنتُ بما جاءَ عنِ الله على مُرادِ الله، وآمنتُ بما جَاءَ عن رسولِ الله على مُرادِ رَسولِ الله» اهـ.

(١) دفع شبه من شبه وتمرد، تقي الدين الحصني، ص٥٦.

الفصل الثاني

ظهور التجسيم

لو تتبعنا آثار التجسيم لنعرف أصله ونشأته لوصلنا إلى مطلع القرن الهجريّ الثاني، هذا العصر الذي دهمت فيه العقيدةُ الإسلاميةُ أعشاشَ الوثنية والمجوسية وغيرها من الملل والنحل، فكشفت عن زيغها حتى تركها كثير ممّن كان مقيمًا عليها إلى دين الإسلام، ودخل أهلها فيه أفواجًا أفواجًا.

ولكن بعد انتشار الإسلام هذا الانتشار السريع، نشأت بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم مشاكلُ فكريةٌ لم تكن معروفة في زمن الرسالة، ومن أهم الأسباب في ذلك اختلاط العرب بالعجم، الذي أدّى إلى ظهور اللحن[1] ممّا دفع العرب إلى جمع اللغة ووضعِ علومها وتقعيدها. فلما دخل في دين الإسلام أفواج من أمم لم يتذوقوا بيان العربية، وقفوا على بعض الألفاظ القرآنية مجردةً عن سياقها، وهم لهم جذور في مخالفة التنـزيه في الوثنية والأديان المحرَّفة. وصار من كان معتنقًا لهذه الملل يُشْكِلُ عليه وجود بعض هذه الألفاظ فصارت في حقه موهمة للتجسيم والتشبيه.

ولهذا كان في السلف من يتخوّف من التحديث بمثل هذه الأحاديث الموهمة بدون شرح إشفاقًا على هؤلاء وغيرهم، وفي ذلك يقول القاضي عياض: «رحم اللّـهُ الإمامَ مالكًا، فلقد كره التحدّث بمثل هذه الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى، والنبيّ ﷺ أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه، فلم تكن في حقهم مشكلة، ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية، فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصَّها وصريحها، فتفرَّقوا في

---

١) «اللحن في القراءة: الخطأ فيها» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ل ح ن، ص ١٥٨٧.

تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر[1] فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فأمّا ما لا يصحّ من هذه الأحاديث فواجب ألّا يذكر منها شيء في حقّ الله ولا في حقّ أنبيائه ولا يتحدّث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها»[2] اهـ.

ومما يؤكّد ما سبق أنّ أول ظهور لمقالة التشبيه والتجسيم ممن يدّعي الإسلام وهو ليس بمسلم كان في بلاد بعيدةٍ عن مراكز منابع العلوم الإسلامية، وذلك في بلخ من بلاد خُراسان حيث أظهر مقاتل بن سليمان السدوسيّ (ت ١٥٠هـ) مقالته فقال[3]: «إن الله جسم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل وعينين» اهـ. وهناك أيضا ظهرت مقالة هشام بن الحكم (ت ١٩٠هـ) فقال[4]: «إن لله جسمًا يقوم ويتحرك» اهـ.

وهناك أيضًا ظهرت مقالة جهم بن صفوان الذي تصدَّى لمقالة مقاتل وهشام غير أنه أفرط في النفي كما أفرط خصماه في التشبيه، وجرت بين الفريقين مناظرات انتقل صداها إلى علماء المسلمين من السلف الصالح رضوان الله عليهم لما سارع العوامّ إليهم يسألون عن الحق في ما أحدثه هذا النـزاع من الإفراط والتفريط، وفي ذلك يقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه[5]: «أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهمٌ معطلٌ، ومقاتلٌ مشبه» اهـ. ويقول أيضًا[6]: «أفرط جهم في النفي حتى قال: إنه ليس بشىء، وأفرط مقاتل في الإثبات حتى جعل الله تعالى مثلَ خلقه» اهـ.

---

١)«تفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ ويكسرُ أولهُما: ذَهَبوا في كلَ وجْهٍ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ش ذ ر، ص ٥٣١.

٢)**الشفا**، القاضي عياض، ٢/ ٥٤٢.

٣)**مقالات الإسلاميين**، ينسب الكتاب للأشعري، ٢/ ٢٥١.

٤)**مقالات الإسلاميين**، ينسب الكتاب للأشعري، ٢/ ١٠٣.

٥)**تاريخ بغداد**، الخطيب البغداديّ، ١٣/ ١٦٤.

٦)**تاريخ بغداد**، الخطيب البغداديّ، ١٣/ ١٦٤. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ٧/ ٢٠٢. **تهذيب التهذيب**، العسقلانيّ، ١٠/ ٢٥١.

وكان موقف السلف في أول ظهور هذه البدعة هو إظهار الطعن والبراءة من الخائض فيها من الفريقين كما سبق عن الإمام أبي حنيفة، وكانوا أيضًا يبدّعون السائل على وجه التشكيك ويزجرونه، ومن ذلك الحكاية المشهورة عن الإمام مالك رضي الله عنه وقد تقدّمت في ما أخرج البيهقيّ: «أن رجلًا دخل على الإمام مالك فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ (طه) كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضاء، ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، **وكيف عنه مرفوع**، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه، فأُخرج الرجل»[1] اهـ. فقول مالك رضي الله عنه: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على عرشه كيفًا أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه.

وروى اللالكائيّ[2] عن أم سلمة رضي الله عنها وربيعة بن أبي عبد الرحمن أنهما قالا: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول» اهـ. فمرادهما بقولهما: «غير مجهول» أنه معلوم وروده في القرآن بدليل رواية عند اللالكائيّ وهي: «الاستواء مذكور» أي مذكور في القرآن ولا يعنيان أنه بمعنى الجلوس ولكن كيفية الجلوس مجهولة كما زعم بعض المشبهة النجديين! ويردّ زعمهم قول أم سلمة وربيعة: «والكيف غير معقول»، فإن معناه أن الاستواء بمعنى الهيئة كالجلوس لا يُعقَل أي لا يقبلُه العقلُ لكونه من صفات الخلق، لأن الجلوس لا يصح إلا من ذي أعضاء كالألية والركبة، تعالى الله عن ذلك، فلا معنى لقول المشبهة: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة»[3]، يقصدون بذلك أن الاستواء هو الجلوس لكن كيفية ذلك الجلوس غير معلومة! وهذا ضلال لأنّ الجلوس كيفما كان لا يكون

---

١) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص ٤٠٨.

٢) **شرح السّنة**، اللالكائيّ، ٣/ ٤٤١، ٤٤٢.

٣) هذا اللفظ لم يثبت عن الإمام مالك ولا غيره من الأئمة إسنادًا، فلا اعتداد به.

إلا بأعضاء، وهؤلاء يوهمون الناس أن هذا مراد مالك بما روي ولم يثبت عنه: «والكيف مجهول» ولو ثبت لكان مراده ما قدّمناه وهو أنه بمعنى الحقيقة.

ولما عمَّت البلوى وانتشرت البدعة، نهض العلماء لقمعها، وكانوا أغنى الخلق عن هذا البحث لولا انتشار البدعة، ولم يعد مقبولًا سكوت الأمة عن هذه الضلالات، فتعيّن فرضًا كفائيًّا الذَّبُّ عن السّنة ومحاربة تلك الشركيات.

واتفق جميع أهل المذاهب من أهل السّنة على ترك السّكوت عن ذلك المنكر، فتكلَّم في ذلك المحدّثون والفقهاء والمتكلمون دفاعًا عن الدين والقرآن، وظهرت المعتزلة التي أنكرت القول بالتجسيم والتشبيه، ولكن مالوا إلى رأي جهم في نفي الصفات والعياذ بالله، وقالوا بخلق القرآن، ولما أفرط المعتزلة بالنفي قابلهم بعض المبتدعة بالغلوّ في الإثبات فأثبتوا بعض الأخبار الواهية المنكرة، وجمعوا الصحيح مع الضعيف المنكر في مصنفات وسموها أخبار الصفات، وسموا هذه المصنفاتِ بالتوحيد أو السّنة أو الردّ على الجهمية. ولم يكن هذا الإفراط المقابَل بالتفريط إلا وبالًا على المسلمين، وتعمَّق بسببه الخلاف والتنازع، واشتد به الصراع الفكريّ، وبعدت الشُّقَّة بين المتنازعين حتى أقبل القرن الرابع الهجريّ، حينها ظهرت التيارات الوسطية المعتدلة في عدد من بقاع العالم الإسلاميّ فظهرت الطحاوية في مصر على يد أبي جعفر الطحاويّ، والماتريدية في سمرقند نسبة إلى الإمام أبي منصور الماتريديّ، والأشاعرة في بغداد على يد الإمام أبي الحسن الأشعريّ.

واستطاع المذهب الأشعريّ أن يسود ويغلب، لأنه نشأ في عاصمة الخلافة بغداد، وملتقى علماء الأمة ورجالها، فسهَّل الله تعالى له منهم من يقوم بنُصرته وتنقيحه وتأصيله.

وكان إمام الأشاعرة الذي قد أخرجه الله عزّ وجلّ من نسل الصحابيّ الجليل أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه إمامًا، قام بنصرة دين الله وجاهد بلسانه وبيانه، وزاد في التبيين لأهل اليقين أن ما جاء به الكتاب والسّنة وما

كان عليه سلف هذه الأمة مستقيم للعقول الصحيحة[1].

وبظهور المذهب الأشعريّ انحسر التيار المعتزليّ، ولكن بذر الشيطان بذرته بين بعض الحنابلة الذين ظهر من بينهم من غلا وشبَّهَ الله تعالى بمخلوقاته، وإليهم انتسب ابن تيمية الحرّانيّ الذي ظهر في القرن الثامن بعد مئات السنين من موت الإمام أحمد بن حنبل، ولم يكن هذا حال الجميع، بل قد توالف المحدّثون والفقهاء من الحنابلة المنـزّهة مع المتكلمين الأشاعرة والماتريدية.

فمن ثناء المحدثين على أبي الحسن الأشعريّ قولُ محدّثِ زمانه وشيخ السُّنة في وقته الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ في كلام طويل نقله الحافظ ابن عساكر[2] ومنه: «لا يخفى حالُ شيخِنا أبي الحسن الأشعريّ رحمةُ الله عليه ورضوانُه، وما يرجع إليه من شرف الأصل وكبر المحل في العلم والفضل، وكثرة الأصحاب من الحنفية والمالكية والشافعية الذين رغبوا في علم الأصول وأحبوا معرفة دلائل العقول. وفضائل الشيخ أبي الحسن ومناقبه أكثر من أن يمكن ذكرها، لكني أذكر بمشيئة الله تعالى من شرفه بآبائه وأجداده وفضله بعلمه وحسن اعتقاده وكبر محله بكثرة أصحابه ما يحمل على الذبّ عنه وعن أتباعه» ـ ثم أخذ البيهقيّ في ذكر ترجمة الشيخ وذكر نسبه ـ إلى أن قال: «فلم يُحْدِثْ في دين الله حدثًا، ولم يأتِ فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين، وأن ما قالوا وجاء به الشرع في الأصول صحيح في العقول، بخلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء، فكان في بيانه تقوية ما لم يدل عليه أهل السّنة والجماعة، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوريّ من أهل الكوفة،

---

١) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، ١٠٠، ١٠٥. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٣/ ٣٩٥، ٣٩٨.

٢) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، ١٠٠، ١٠٥. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٣/ ٣٩٥، ٣٩٨.

والأوزاعيّ وغيره من أهل الشام، وصار رأسًا في العلم من أهل السّنة في قديم الدهر وحديثه» اهـ.

واستحسن العلماء من المحدثين والفقهاء والمفسرين والمتكلمين طريقةَ أبي الحسن الأشعريّ، وقد اجتهد السبكيّ[1] ومِن قبله ابنُ عساكر وغيرهم في ترجمة رجال هذا المذهب. وكيف يمكن ذلك وهم الجمهور الأعظم من علماء الأمة وساداتها، كما قال ابن عساكر[2]: «هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعريّ ومنتسبٌ إليه وراضٍ بحميد سعيه في دين الله ومُثنٍ بكثرة العلم عليه، غير شرذمة قليلة تضمر التشبيه وتعادي كل موحد يعتقد التنـزيه» اهـ.

واستمرّ التوافق بين الحنابلة والأشاعرة بعد أبي الحسن، حتى إن شيخ الحنابلة ببغداد أبا الفضل التميميّ حضر جنازة الإمام الباقلانيّ شيخ الأشاعرة بعد أبي الحسن، وأمر مناديًا يقول بين يدي جنازته: «هذا ناصرُ الدين والذابُّ عن الشريعة، هذا الذي صنَّف سبعين ألف ورقة»[3] اهـ. ثم كان يزور قبره كل جمعة.

ومثل هذا يقال في الإمام أبي منصور الماتريديّ، لأنه مثل الأشعري رضي الله عنهما قام بتقرير عقائد السلف بالأدلة النقلية والعقلية بإيضاح واسع، فقد جمع هذان الإمامان الإثبات مع التنزيه، فليسا على التشبيه ولا التعطيل، ولعن الله من يسمي الأشعريّ أو الماتريديّ معطلًا، فهل خالفا التنزيه الذي ذكره الله بقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى)، بل هما نَفَيَا عن الله الجسمية وما ينبني عليها، وهذا ذنبهما عند المشبهة كالوهابية ومن سبقهم من أهل الضلال. فإن المشبهة

---

١) المراد تاج الدين السبكي رحمه الله.

٢) **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، ص ٤١٠. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٣/ ٣٧٤.

٣) **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٧/ ١٩٣.

قاست الخالق بالمخلوق فنفت موجودًا ليس جسمًا، والإمامان ومَنْ تبعهما وهم الأمة المحمدية قالوا: إن الله لو كان جسمًا لكان له أمثال لا تحصى.

وقال العلامة طاشكبري زاده[1]: «ثم اعلم أن رئيس أهل السّنة والجماعة في علم الكلام رجلان، أحدهما حنفيّ والآخر شافعيّ، أما الحنفيّ فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريديّ، إمام الهدى. وأما الآخر الشافعيّ فهو شيخ السُّنَّة ورئيس الجماعة إمام المتكلمين وناصر سنةِ سيّدِ المرسلين والذابّ عن الدين والساعي في حفظ عقائد المسلمين أبو الحسن الأشعريّ البصريّ، حامي جناب الشرع الشريف من الحديث المفترى، الذي قام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصرًا مؤزّرًا» اهـ.

والحاصل أنه بظهور مذهب الأشعريّ انحصر خلاف العقلاء عن الهوى والعصبية في الألفاظ الموهمة في مسلكين: التفويض مع التأويل الإجماليّ أو التأويل التفصيليّ. فجميع ما ورد في الكتاب والسُّنَّة مما لا يجوز اعتقاد ظاهره كاليد والعين يجب الإيمان به مقرونًا بالتنـزيه، فإنَّ كلًّا منها قد يستعمل صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به، وقد يؤوّل كل ذلك لأجل صرف العامّة عن الجسمية على وجه يحتمل أن يكون المعنى المراد لله تعالى ولرسوله بتلك النصوص لا على الجزم والقطع بأنه هو المراد، وهذا يسمّى تأويلًا تفصيليًّا، كأن يقال: استوى أي قهر، وقال البيهقيّ في كتابه الأسماء والصفات[2]: «باب ما جاء في إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة» اهـ.

---

١)**مفتاح السعادة**، طاشكبري زاده، ٢/ ٣٣.
أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير عصام الدين طاشكبري زاده، مؤرخ تركي الأصل مستعرب ولد في بروسة ونشأ في أنقرة وتأدب وتفقه وتنقل في البلاد التركية مدرسًا للفقه والحديث وعلوم العربية. ولي القضاء بالقسطنطينية سنة ٩٥٨هـ، مرض وكف بصره سنة ٩٦١هـ، توفي سنة ٩٦٨هـ. له كتاب «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية»، و«مفتاح السعادة». **الأعلام**، الزركلي، ١/ ٢٥٧.

٢)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٣٠١.

وقال[1]: «باب ما جاء في إثبات العين صفة لا من حيث الحدقة» اهـ.

وقال[2]: «باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة» اهـ.

وقال أيضًا[3]: «باب ما ذكر في الصورة: الصورة هي التركيب، والمصوَّر هو المركَّب، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ (الانفطار) ولا يجوز أن يكون الباريء تعالى مصوَّرًا ولا أن يكون له صورة، لأنّ الصورة مختلفة والهيئات متضادّة، ولا يجوز اتصافه تعالى بجميعها لتضادّها، ولا يجوز اختصاصه ببعضها إلا بمخصّص لجواز جميعها على من جاز عليه بعضها، فإذا اختصّ ببعضها اقتضى مخصّصًا خصّصه به وذلك يوجب أن يكون مخلوقًا وهو محال، فاستحال أن يكون مصوَّرًا وهو الخالق الباريء المصوّر» اهـ.

قواعد نافعة:

أحدها: ما ذكره الحافظ الفقيه البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه ونصّه: «والثانية: لا تثبت الصفة لله بقول صحابيّ أو تابعيّ إلا بما صحّ من الأحاديث النبويّة المرفوعة المتفق على توثيق رواتها، فلا يحتجّ بالضّعيف ولا بالمختلف في توثيق رواته حتى لو ورد إسناد فيه مختلَف فيه وجاء حديث آخر يَعضِدُه فلا يحتجّ به» اهـ.

الثانية: قال فيه أيضًا ما نصّه[4]: «وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متّصل الإسناد رُدّ بأمور: أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه، لأنَّ الشرع إنما يَرِدُ بمجوزات العقول، وأمّا بخلاف العقول فلا، والثاني: أن

---

١)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٣١٢.

٢)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٣١٤.

٣)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٢٨٩.

٤)**الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، ص١٣٢.

يخالف نصّ الكتاب أو السّنة المتواترة، فيعلم أنَّه لا أصل له أو منسوخ، والثالث: أن يخالف الإجماع فيستدلّ على أنه منسوخ أو لا أصل له، لأنه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه» اهـ.

الثالثة: ذكر علماء الحديث أن الحديث إذا خالف صريح العقل أو النص القرءاني أو الحديث المتواتر ولم يقبل تأويلًا فهو باطل، وذكره الفقهاء والأصوليون في كتب أصول الفقه كتاج الدين السبكي في جمع الجوامع وغيره.

قال أبو سليمان الخطابي[1]: «لا تثبت لله صفة إلا بالكتاب أو خبر مقطوع بصحته يستند إلى أصل في الكتاب أو في السّنة المقطوع بصحتها، وما بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن إطلاق ذلك، ويتأوّل على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقوال أهل العلم من نفي التشبيه» اهـ.

ثم قال: «وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب ولا من السنّة التي شرطها في الثبوت ما وصفناه، وليس معنى اليد في الصفات بمعنى الجارحة حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع، بل هو توقيف شرعيّ أطلقنا الاسم فيه على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه» اهـ.

احتجاج المجسمة والمشبهة بحديث الجارية:

وليس في حديث الجارية حجّة لمجسّمة العصر في زعمهم أنَّ الله يسكن السماء، وهو حديث رواه مسلم[2] من طريق راوٍ واحدٍ وهو معاوية بن الحكم وهو: «أنّ رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن جارية له، قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتاه بها فقال لها: «**أينَ اللهُ؟**» قالت: في السماء، قال: «**مَنْ أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أَعْتِقْها فإنَّها مؤمنةٌ**». فهذا الحديث ليس معناه أن الله يسكن السماء كما

---

١)**الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٣٣٥، ٣٣٦.

٢)**صحيح مسلم**، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، ٢/ ٧٠.

توهّم بعض الجهلة، بل معناه أن الله عالي القدر جدًّا، وليس فيه حجّة على تفسيرهم له بالظاهر، لأنَّ ظاهره مخالف للحديث المتواتر الذي رواه خمسة عشر صحابيًّا سمعه كلٌّ منهم من الرسول وهو قوله ﷺ: «**أُمِرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا ألّا إلهَ إلا اللهُ وأني رسولُ الله، فإذا شهِدُوا عَصَمُوا منّي دماءَهُم وأموالَـهُم إلا بحقّها**». فهذا الحديث[1] صريح بأن الإسلام لا يصحّ إلا بالشهادتين، ويدلُّ على ذلك أيضًا الحديث الذي رواه النسائيّ في السنن الكبرى[2] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على غلام من اليهود وهو مريض فقال له: «**أَسْلِمْ**»، فنظر إلى أبيه فقال له أبوه: أَطِعْ رسول الله ﷺ، فقال ـ أي الغلام ـ: أَشهد ألّا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**الحمدُ لله الذي أنقذَهُ بي منَ النارِ**».

فإن حُمِلَ حديث الجارية على الظاهر كان معناه مناقضًا لهذا الحديث، ففيه أن الرسول ﷺ حكم للجارية لإشارتها إلى أن الله في السماء بأنها مؤمنة بالله، ولا يصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بالإيمان لمجرّد قول إنسان: اللهُ في السماء، لأنّ هذا القول مشترك بين اليهود والنّصارى.

فما أسخف عقول المجسّمة والمشبّهة الذين يَرَوْن حديث الجارية أقوى شاهد على عقيدتهم الفاسدة حيث إنهم أخذوا بظاهره فقالوا: «الله حالٌّ في السماء!» يعنون العرش، فوافقوا أهل الكتاب المشركين وكثيرًا غيرهم من الكفار.

أما بعض أهل السُّنَّة ممّن أثبتوه فلم يأخذوا بظاهر هذا الحديث بل أوّلوه وقالوا: إنّ معنى ما ورد في هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لها: «**أينَ اللهُ؟**» ما اعتقادك من التعظيم في الله؟ وقولها: «في السماء»

---

1) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب الإيمان: باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ (التوبة)، 1/ 12. **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، 1/ 38.

2) **السنن الكبرى**، النسائيّ، 5/ 173.

معناه عالي القدر جدًّا. هؤلاء لم يحكموا ببطلانه نظرًا لإمكان هذا التأويل. ثم رواية ابن حبّان(١) لحديث الجارية من حديث الشَّرِيد بن سويد٢ صاحب رسول الله ﷺ تخالف هذه الرواية، ولفظها: أن الرسول ﷺ قال لهذه الجارية: «**مَن ربُّكِ؟**» فقالت: «الله» فقال: «**ومن أنا؟**» قالت: «أنت رسول الله» قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

وروى ابن الجارود(٣) عن الزهريّ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن رجل من الأنصار أنه جاء بأَمَة سوداء فقال: يا رسول الله إنَّ عليَّ رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقها. فقال النبيّ ﷺ: «**أتشهدينَ أنْ لا إله إلا الله؟**» فقالت: نعم، قال: «**أتشهدينَ أني رسولُ الله؟**» قالت: نعم، قال: «**أتؤمنينَ بالبعثِ بعدَ الموتِ؟**» قالت: نعم، قال: «**فأَعْتِقْها**» اهـ.

وقد حكم عدّة علماء بشذوذ وضعف رواية مسلم لحديث الجارية، قال المحدّث عبد الله بن الصديق الغماريّ(٤) ما نصّه: «الحديث شاذٌّ لا يجوز العمل به» ثم قال: «وجاء حديثان مخالفان لحديث معاوية يؤكدان شذوذه، فروى البيهقيّ في «السنن»(٥) من طريق عون بن عبد الله بن عتبة: حدّثني أبي عن جدّي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بأمة سوداء فقالت: يا رسول الله، إن عليَّ رقبة مؤمنة أتجزئ عني هذه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مَن ربُّكِ؟**» قالت: الله ربي، قال: «**فما دينُكِ؟**» قالت: الإسلام، قال: «**فمَنْ أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أفتصَلّينَ الخَمْسَ وتُقرّينَ بما جئتُ بهِ منْ عندِ الله؟**» قالت:

---

١)**الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**، ابن بلبان، ١/ ٢٠٦.

٢) الشريد بن سويد الثقفي، له صحبة، يقال: كان اسمه مالكًا فسمي الشريد لأنه شرد من المغيرة بن شعبة لما قتل رفقته الثقفيين. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، ٣/ ٣٤٠.

٣)**المنتقى من السنن المسندة**، ابن الجارود النيسابوريّ، ١/ ٢٣٤.

٤)**الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشّاذّة المردودة**، عبد الله الغماريّ، ص ٨٧، ٨٩.

٥)**السنن الكبرى**، البيهقيّ، ٧/ ٣٨٨.

نعم، فضرب رسول الله ﷺ على ظهرها وقال: «**أَعْتِقِيها**». وروى أيضًا[1] من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشَّرِيد بن سويد الثقفيّ قال: قلت: يا رسول الله، إن أمي أوصت إليَّ أن أعتق عنها رقبة، وأنا عندي جارية نوبية، فقال رسول الله ﷺ: «**ادعُ بها**» فقال: «**مَن ربُّكِ؟**» قالت: الله، قال: «**فمَنْ أنا؟**» قالت: رسول الله، قال: «**أعتِقْها فإنها مؤمنةٌ**» اهـ.

وهناك عدة أحاديث ضعّفها العلماء في صحيح مسلم، كما ذُكِرَ في كتاب الإلزامات والتتبع للحافظ الدارقطنيّ[2]، وكتاب هدي السّاري وهو مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري[3]، وكلاهما لابن حجر، وكتاب شرح فتح القدير للكمال بن الهمام الحنفي[4]، وكتاب الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج لجلال الدين السيوطي[5]، وكتاب فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي[6]، وغيرها من الكتب[7].

وقد شذّ بعض المصنفين لما جمعوا في كتاب واحد أخبارًا تحت باب خصُّوه لإثبات اليد، وخصُّوا بابًا لإثبات الرجل، وبابًا لإثبات الوجه، فقوي بذلك الإيهام وغلَب الحسّ، ومن هؤلاء المجسّم القاضي أبو يعلى الحنبليّ[8]. وهذه الألفاظ وإن يكن بعضها صدر من رسول الله ﷺ إلا أنه في أوقات متفرقة متباعدة مع كونها محفوفة بقرائن تشير إلى معان صحيحة

---

١)**السنن الكبرى**، البيهقيّ، ٧/ ٣٨٨.

٢)**الإلزامات والتتبع**، الدارقطني، ص١٢٠.

٣)**هدي الساري مقدمة فتح الباري**، ابن حجر، ص١٣، ١٤.

٤)**شرح فتح القدير**، الكمال بن الهمام، ص١٨.

٥) **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاح**، السيوطي، ١/ ٢٠، ٢١.

٦) **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، السخاوي، ١/ ٦٥، ٦٦.

٧)**التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير**، النووي، ص١٨. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ص١٣٨.

٨)الكتاب المسمّى **أخبار الصفات**.

قد يضرُّ بها هذا الجمع ويجردها عن قرائنها ويجعل معها قرينة عظيمة في تأكيد إيهام الظاهر والتشبيه. فالرسول ﷺ لم ينطق بما يوهم خلاف الحق، بل قال كلمة يتطرق إليها احتمال موهم مرجوح، لكن الإشكال يحصل إذا انضم إليها كلمة ثانية وثالثة ورابعة من جنس واحد فيضعف الانتباه إلى هذا الاحتمال.

وأخرج البخاريّ بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: سمع النبيّ ﷺ قومًا يتدارؤون[1] فقال[2]: «**هَلَكَ مَنْ كانَ قبلَكُمْ بهذا، ضربُوا كتابَ الله بعضَهُ ببعضٍ، وإنما نزَلَ كتابُ الله يُصَدّقُ بعضُهُ بعضًا، فلا تضرِبُوا بعضَهُ ببعضًا، ما علِمْتُمْ منهُ فقولُوا وما لا فَكِلُوه إلى عالِـمِهِ**».

وبسنده أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ٧** ﴾ (آل عمران)، فقال رسول الله ﷺ[3]: «**فإذَا رأيتُمُ الذينَ يتَّبعونَ ما تشابَهَ منهُ فأولئكَ الذينَ عنَى اللهُ فاحذَرُوْهُمْ**».

---

١) «تَدَارَؤُوا: تَدَافَعُوا في الخُصومَةِ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة د ر أ، ص٥٠.

٢) **خلق أفعال العباد**، البخاريّ، ص ٤٦. **مسند أحمد**، أحمد، ٢/ ١٨٥. **المعجم الأوسط**، الطبرانيّ، ٣/ ٢٢٧.

٣) **صحيح البخاريّ**، البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ ٤/ ١٦٥٥ رقم ٤٢٧٣. **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه، ٤/ ٢٠٥٣. بلفظ «سمَّى» بدل «عنى» وغيرهما.

المبحث الأول:

التجسيم في عقيدة اليهود وأثره في عقائد بعض من انتسب إلى الإسلام

اليهود مِنْ أَنْزَعِ الـمِلل والنِحَل إلى التجسيم، فالقرآن الكريم يحدّثنا عن ارتداد اليهود إلى التجسيم وسيدُنا موسى عليه السلام ما زال بين ظهرانيهم، فلم يصبروا على التنـزيه برهة، إذ لم يلبث بعضهم بعد أن جاوز الله بهم البحر وأنجاهم من فرعون إلا أن طالبوا نبيّ الله موسى عليه السلام بأن يتخذ لهم إلهًا مجسَّمًا، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ (الأعراف)، وقال سبحانه أيضًا: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ (الأعراف)، وتشهد نصوص التوراة المحرَّفة الموجودة بين الأيدي الآن على اليهود بانتقالهم من التنـزيه إلى التجسيم أيضًا. ونشير إلى بعض هذه النصوص، ففي ما يسمى بسفر الخروج[(١)]: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا».

وفيه أيضًا[(٢)]: «وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية، وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلًا في عمود نار ليضيء لهم». والعياذ بالله ينسبون لله المشي والحيّز والجهة.

وفيه أيضًا[(٣)]: «صعد موسى وهارون...وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف...

---

١)ما يسمّى سفر الخروج في التوراة المحرفة، ٣٢/ ١.

٢)ما يسمّى سفر الخروج في التوراة المحرفة، ١٣/ ٢٠، ٢١.

٣)ما يسمى سفر الخروج في التوراة المحرفة، ٢٤/ ٩_ ١١.

لكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا». والعياذ بالله من الكفر المبين.

ويطول البحث إذا أردنا تتبع ما في التوراة المحرّفة من التجسيم، ويشهد لذلك قول السموأل بن يحيى المغربيّ[1] الذي كان عالِـمًا باليهودية ثم أسلم وألّف كتابه إفحام اليهود[2]: «وأيضًا فإن عندهم في توراتهم ـ المحرفة ـ أن موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجليه كرسيّ منظره كمنظر البلور. ويطول الكتاب إذا عدّدنا ما عندهم من كفريات التجسيم، على أن أحبارهم قد تهذبوا كثيرًا عن معتقد آبائهم بما استفادوه من عقيدة المسلمين» اهـ. ويعزو الشهرستانيّ[3] ميل اليهود إلى التجسيم إلى كثرة النصوص التي توهم ذلك في كتبهم فيقول[4]: «وأما التشبيه فلأنهم وجدوا التوراة المحرفة مملوءة بالمتشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكليم جهرًا، والنزول على طور سيناء انتقالًا، والاستواء على العرش استقرارًا[5]، وجواز الرؤية فوقًا وغير ذلك» اهـ. وبالجملة فإن نسبة التجسيم إلى اليهود مما اتفق عليه كتّاب الملل والنحل والمؤلفون في دراسة الأديان فلا نطيل

---

١) السموأل بن يحيى بن عباس المغربيّ، ت ٥٧٠هـ، مهندس رياضيّ، عالم بالطب والحكمة. أصله من المغرب، سكن بغداد مدة، وانتقل إلى فارس، وكان يهوديًّا فأسلم، ومات في المراغة (بأذربيجان). له: «المفيد الأوسط في الطب»، و«بذل المجهود في إفحام اليهود». **الأعلام**، الزركلي، ٣/ ١٤٠.

٢) **إفحام اليهود**، السموأل بن يحيى المغربيّ، ١/ ١٣١.

٣) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، ت٥٤٨هـ، كان متقدمًا في معرفة أديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. ولد في شهرستان بين نيسابور وخوارزم وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ، فأقام ثلاث سنين وعاد إلى بلده وتوفي بها. من كتبه: «الملل والنحل». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢١٥.

٤) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص ٢١١. **البدء والتاريخ**، المقدسيّ، ٤/ ٣٤.

٥) ليس معناه أن التوراة الصحيحة فيها النزول بالانتقال، ولا الاستواء بالاستقرار، لكن اليهود اعتقدوا في الله الانتقال والاستقرار ونحوه من معاني الأجسام فضلُّوا والعياذ بالله.

البحث فيه، إلا أن من الضروريّ التنبيه قبل أن نختم المبحث إلى أن كتّاب الفِرَق يرون أن لتجسيم اليهود أثرًا في ظهور التجسيم في معتقد بعض الفرق التي انحرفت عن عقيدة التنـزيه، ومن ذلك قول الإمام فخر الدين الرازيّ[1]: «اعلم أن اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام على يد بيان بن سمعان الذي كان يثبت لله الأعضاء والجوارح، وهشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقيّ، ويونس بن عبد الرحمن القمّي، وأبي جعفر الأحول الذي كان يدعى شيطان الطاق، وهؤلاء رؤساؤهم، ثم تهافت في ذلك المُحْدَثون ممن لم يكن لهم نصيب من علم المعقولات» اهـ.

---

١)**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، فخر الدين الرازيّ، ص٣٤. راجع: **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص ٢٨.

المبحث الثاني:

فرق المجسمة التي تنسب نفسها إلى الإسلام زورًا

تكلم بعض الفرق في التجسيم ممن ينتسب إلى الإسلام، نذكر بعضها على سبيل المثال:

الهشامية

يُطْلَق كُتَّابُ الفِرَق اسم (الهشامية) على فرقتين: فرقة تنسب إلى هشام ابن الحَكم (ت١٩٠هـ)، والفرقة الثانية تنسب إلى هشام بن سالم الجواليقيّ، وأشار البغداديّ إلى أن هاتين الفرقتين قد أظهرتا ضلالاتهما في التجسيم وبدعتهما في التشبيه، وقال الأسفرايينيّ: «وهم الأصل في التشبيه[١]» اهـ. وذهب الشهرستانيّ إلى أن الهشامية فرقة واحدة تنسب إلى الهشامين فقال: «الهشامية أصحاب الهشامَيْن: هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه، وهشام بن سالم الجواليقيّ الذي نسج على منواله في التشبيه[٢]» اهـ. وسواء كانت الهشامية فرقة أو فرقتين، فإن أحد الهشامَيْن نسج على منوال الآخر في التجسيم وإن خالفه في بعض المسائل.

وقد ذكر الإمام الأشعريّ رضي الله عنه مقالة هشام وفرقته في التجسيم فقال[٣]: «الهشامية أصحاب هشام بن الحكم يزعمون أن معبودهم جسم له نهاية وحدّ طويل عريض، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، لا يوفي بعضه على بعضه، ولم يعيّنوا له طولًا غير الطويل، وإنما قالوا: طوله مثل عرضه على المجاز دون التحقيق، وزعموا أنه نور ساطع، له قدر من الأقدار، في مكان دون مكان، كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة

---

١) **التبصير في الدين**، الأسفرايينيّ، ص٢٥.

٢) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١٨٤.

٣) **مقالات الإسلاميين**، ينسب الكتاب للأشعري، ص٣٢.

من جميع جوانبها، وأنه ذو لون وطعم ورائحة، وزعموا أنه هو اللون وهو الطعم، وأنه قد كان لا في مكان، ثم حدث المكان بأن تحرَّك البارئ فحدَثَ المكان بحركته فكان فيه، وزعموا أن المكان هو العرش، والعياذ بالله تعالى من الكفر والتشبيه.

وذكر أبو الهذيل ـ وهو معتزليّ ضالّ ـ في بعض كتبه أنّ هشام بن الحكم قال: «إنَّ ربَّه جسمٌ ذاهبٌ جاءٍ، فيتحرَّك تارة ويسكن أخرى، ويقعد مرة ويقوم أخرى، وإنه طويل عريض عميق، لأن ما لم يكن كذلك دخل في حدّ التلاشي!». قال: فقلت له: فأيهما أعظم إلهك أو هذا الجبل على زعمك؟! وأومأت إلى جبل أبي قبيس[1]، فقال: «هذا الجبل يوفي عليه» أي هو أعظم منه.

وزعم الورّاق[2] أن بعض أصحاب هشام أجابه مرة إلى أن الله عزّ وجلّ على العرش مماسٌّ له، وأنه لا يفضل عن العرش ولا يفضل العرش عنه»[3]. انتهى كلام الإمام الأشعريّ.

مقالة هشام الجواليقيّ:

يروى عن الإمام الأشعريّ أنّه قال[4]: «الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقيّ يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان، وينكرون أن يكون لحمًا ودمًا، ويقولون: هو نور ساطع يتلألأ بياضًا، وأنه ذو حواس خمس

---

١) أبو قُبَيْس: جبل مشرف على مسجد مكة. **معجم البلدان**، الحموي، ٩/ ٣٤٢.

٢) محمد بن هارون الوراق، أبو عيسى، ت ٢٤٧هـ، باحث معتزلي، من أهل بغداد، ووفاته فيها. له تصانيف منها: «المقالات في الإمامة»، و«المجالس». **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ١٢٨.

٣) تجد مثل هذا الكلام في: **البدء والتاريخ**، المقدسيّ، ٥/ ١٣٢. **التبصير في الدين**، الأسفراييني، ص ٢٤، ٧٠. **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص ٢٠، ٤٧. **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص ١٨٤. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٠/ ٥٤٤.

٤) **مقالات الإسلاميين**، ينسب الكتاب للأشعري، ص ٣٤، ٢٠٩.

كحواس الإنسان، له يد ورِجل وأنف وأذن وعين وفم، وأنه يسمع بغير ما يبصر به، وكذلك سائر حواسه عندهم متغايرة» اهـ.

وقال أيضًا[١]: «وحكى أبو عيسى الورَّاق أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة سوداء وأن ذلك نور أسود» اهـ.

وزاد الشهرستانيّ في ما حكاه عنه أنه قال[٢]: «إنه تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وفم وله وفرة سوداء هي نور أسود لكنه ليس بلحم ولا دم» اهـ.

المغيرية

المغيرية هم أصحاب المغيرة بن سعيد العجليّ (ت ١١٩هـ)، قال الذهبيّ[٣]: «وكان هذا الرجل ساحرًا فاجرًا خبيثًا» اهـ. وذكر الطبريّ خروج المغيرة بنفر من أصحابه على خالد بن عبد الله القسريّ، ومنهم بيان بن سمعان فأخذهم خالد فقتلهم. أما المغيرة بن سعيد فإنه كان يقول[٤]: «لو أردت أن أحيي عادًا أو ثمودَ وقرونًا بين ذلك كثيرًا لأحييتهم» اهـ.

وللمغيرة مقالات حكاها كُتَّاب الفِرَق منها مقالته في التجسيم. قال البغداديّ[٥]: «ومنها إفراطه في التشبيه، وذلك أنه زعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور، وله أعضاء على صور حروف الهجاء، وأن الألف منها مثال قدميه، والعين على صورة عينيه» اهـ.

---

١) **مقالات الإسلاميين**، ينسب الكتاب للأشعري، ص٢٠٩.

٢) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص ١٧٢.

٣) **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ٩/ ٣٢٣.

٤) **تاريخ الطبريّ**، الطبري، ٤/ ١٧٤، ١٧٥.

٥) **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص ٢٣١.

البيانية

البيانية أصحاب بيان بن سمعان (ت ١١٩هـ) وهو رجل من سواد الكوفة تأوّل قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ١٣٨﴾ (آل عمران) بنفسه، زعم أنه هو المقصود بالآية[١]! وقال البغداديّ[٢]: «وقال ـ كاذبًا ـ إنه البيان والهدى والموعظة، وزعم أن الإله الأزليَّ رجل من نور، وأنه يفنى كله غير وجهه. وتأوّل على ذلك قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ٨٨﴾ (القصص) وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ (الرحمن)» اهـ.

وقد قال الإمام الأشعري[٣]: «ويقال للبيانية إذا جاز على زعمكم فناء بعض الإله فما المانع من فناء وجهه! فأمّا قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ٨٨﴾ (القصص) فمعناه راجع إلى بطلان كل عمل لم يقصد به وجه الله عزَّ وجلَّ. وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ (الرحمن) معناه: ويبقى ربك، لأنه قال بعده: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ بالرفع على البدل من الوجه، ولو كان (الوجه) مضافًا إلى الرب لقال: (ذي الجلال) بخفض (ذي)، لأن نعت المخفوض يكون مخفوضًا، وهذا واضح في نفسه، والحمد لله على ذلك» اهـ.

اليونسية

اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمّيّ مولى آل يقطين، هؤلاء يزعمون أن الحَمَلَةَ ـ أي من الملائكة ـ يحملون البارئ، واحتجّ يونس في أن الحَمَلَةَ تطيق حمله، وشبّههم بالكركي – وهو طائر – وأن رجليه تحملانه

---

١) **البدء والتاريخ**، المقدسيّ، ٥/ ١٣٠.

٢) **الفرق بين الفرق**، البغدادي، ص ٢٢٨.

٣) **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص ١١٤، ٢٢٧، ٢٢٨. راجع: **التبصير في الدين**، الأسفرايينيّ، ص٧٠. **الملل والنحل**، الشهرستاني، ص١٥٣. **الكامل**، ابن الأثير، ٤/ ٢٩.

وهما دقيقتان[1].

وقال البغداديّ[2]: «واستدل على أنه محمول بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ (الحاقة). وقال أصحابنا: الآية دالة على أن العرش هو المحمول دون الرب تعالى ـ وهو الحقّ ـ» اهـ.

وقال الشهرستانيّ[3]: «زَعَمَ ـ أي يونس ـ أن الملائكة تحمل العرش، والعرش يحمل الرب تعالى! إذ قد ورد في الخبر أن الملائكة تئطّ أحيانًا من وطأة عظمة الله تعالى على العرش» اهـ. وقال الرازيّ[4]: «وهم يزعمون أن النصف الأعلى من الله مجوَّف، وأن النصف الأسفل منه مصمت» اهـ.

الجواربية

الجواربية هم أتباع داود الجواربيّ رأس في التجسيم من مرامي جهنم[5]. وقد أخرج اللالكائيّ[6] بسنده عن وكيع بن الجراح أنه قال: «وصف داود الجواربيّ ـ يعني الرب ـ فكفر في صفته، فردَّ عليه المريسيّ» اهـ. وذكر أيضًا[7] «أن أهل واسط أتوا أميرهم وأخبروه بمقالته في التجسيم وأجمعوا على قتله، إلا أنه مات قبل أن يصلوا إليه» اهـ.

وذكر الإمام الأشعريّ مقالة داود الجواربيّ في التجسيم فقال[8]: «حكي

---

١) **مقالات الإسلاميين**، ينسب الكتاب للأشعري، ص٣٥.

٢) **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص٥١، ٢١٦.

٣) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص ١٨٨.

٤) **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، الرازيّ، ص٦٥. **التبصير في الدين**، الأسفرايينيّ، ص١٧، ٢٤.

٥) **لسان الميزان**، ابن حجر، ٢/ ٤٢٧. ومرامي جهنّم مقاصدها.

٦) **شرح اعتقاد أهل السّنة**، اللالكائيّ، ٣/ ٥٣٢.

٧) **شرح اعتقاد أهل السّنة**، اللالكائيّ، ٣/ ٥٣١.

٨) **مقالات الإسلاميين**، ينسب الكتاب للأشعري، ص١٥٢.

عن أصحاب مقاتل بن سليمان: أن الله جسم، وأن له جمة[1]، وأنه على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس وعينين مصمت، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه. وقالت الفرقة الثانية منهم أصحاب الجواربيّ مثل ذلك، غير أنه قال: أجوف مِنْ فِيهِ إلى صدره، ومصمت ما سوى ذلك» اهـ.

وقال الشهرستانيّ[2]: «يحكى عن داود أنه قال: أعفوني عن الفرج واللحية، واسألوني عما وراء ذلك» اهـ. وقال: «إن معبوده ـ أي معبود داود ـ جسم ولحم ودم، ومع ذلك جسم لا كالأجسام، ولحم لا كاللحوم، ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات، وحكي أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره، مصمت ما سوى ذلك، وأن له وَفْرَةً سوداء، وله شعر قطط» اهـ.

الشيطانية

الشيطانية هم أصحاب شيطان الطاق، وهو محمد بن عليّ بن النعمان البجليّ الكوفيّ أبو جعفر (ت ١٦٥هـ)، لُقّب بشيطان الطاق نسبة إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة، وكان يجلس للصرف بها، فيقال: إنه اختصم مع آخر في درهم مزيف فغلب فقال: أنا شيطان الطاق. وكان معاصرًا للإمام أبي حنيفة رحمه الله[3] وكان من متكلمي الروافض

---

١) «الجُمَّة: الشعر، وجمعها جُمَم» اهـ، **العين**، الفراهيديّ، ٦/ ٢٧. «الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين» اهـ، **النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير**، ١/ ٣٠٠.

٢) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص ١٠٥. راجع: **البدء والتاريخ**، المقدسيّ، ٥/ ١٤٠. **التبصير في الدين**، الأسفراييني، ص ٧١. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، الرازي، ص ٦٣. وسير **أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٠/ ٥٤٤.

٣) إن شيطان الطاق كان يتعرض للإمام أبي حنيفة كثيرًا، فدخل الشيطان يومًا في الحمام، وكان فيه الإمام أبو حنيفة، وكان قريب العهد بموت أستاذه حماد، فقال الشيطان: مات أستاذكم حماد فاسترحنا منه! فقال: أما أستاذكم فمن المنظرين=

ومن رؤساء علمائهم[١]، وكان يوافق هشامًا الجواليقيّ في كثير من بدعه[٢].

وذكر الشهرستانيّ مقالة شيطان الطاق في التجسيم فقال[٣]: «وقال: إن الله تعالى على صورة إنسان ربانيّ، ونفى أن يكون جسمًا، لكنه قال: قد ورد الخبر أن الله خلق آدم على صورته وعلى صورة الرحمن، فلا بد من تصديقه» اهـ.

والجواب أنّنا نصدق بما ورد مع تنزيه الله، ولا نشبه ولا نجسّم الله سبحانه وتعالى.

وليعلم أنه يستحيل على الله عقلًا أن يكون صورة كالإنسان أو سائر المخلوقات، لأنّه لو كان صورة لاحتاج إلى مُصَوِّر، والله لا يحتاج إلى غيره.

المقاتلية

المقاتلية هم أصحاب أبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخيّ (ت ١٥٠هـ)[٤]

=إلى يوم الوقت المعلوم، فتحيّر الشيطان وكشف عورته، فأغمض الإمام عينيه، فقال الشيطان: يا نعمان، مذ كم أعمى الله بصرك؟ فقال: منذ هتك الله سترك! **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، ابن أبي الوفاء، ١/ ٤٧٦.

١) **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، الرازيّ، ص٦٣.

٢) **البدء والتاريخ**، المقدسيّ، ٥/ ١٣٢.

٣) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١٨٧.

٤) هو غير أبي سليمان مقاتل بن سليمان بن ميمون الذي يحدّث عنه حماد بن الوليد الأزديّ، قال ابن حجر في **التهذيب**، ١٠/ ٢٤٥: «وهو متأخر في الطبقة عن مقاتل المشهور» اهـ. **الفوائد**، أبو القاسم الرازي، ص٤٩. **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ابن الجوزيّ، ١/ ١٣٧. ومقاتل بن سليمان أيضًا غير مقاتل بن حيان أبي بسطام النبطيّ، وله حديث في **صحيح مسلم** ترجمه الذهبيّ في **سير أعلام النبلاء**، ٦/ ٣٤٠ وقال: «توفي في حدود الخمسين ومائة، وعاش مقاتل المفسّر الضعيف بعده أعوامًا» اهـ. انظر ترجمته في **التاريخ الكبير** للإمام البخاريّ ٨/ ١٣. وقد يستغلّ بعض المهتمين بالدفاع عن المجسمة هذا التشابه لتبرئة مقاتل بن سليمان من نسبة التجسيم إليه كما فعل السكاكيّ في **البرهان** ص ٤٠، فاقتضى التنبيه على ذلك.

الذي اهتمّ بعلم التفسير، حتى روي عن ابن المبارك أنه قال[1]: «ما أحسن تفسير مقاتل لو كان ثقة» اهـ.

وكان مقاتل واسع الدائرة في التفسير معجبًا بكثرة ما جمع، حتى إنه قعد في مجلسه مرة وقال[2]: «سلوني عمّا دون العرش! فقال له رجل: آدم حين حجّ مَن حلق رأسه؟ فقال: ليس هذا من عملكم، ولكنّ الله أراد أن يبتليني بما أعجبتني نفسي»[3] اهـ. ولم يتهافت أهل الحديث على كثرة ما جمع مقاتل، بل زهدوا في الرواية عنه لضعفه ولما أظهره من التجسيم.

وقد سبقت الإشارة إلى إنكار السلف على مقالة مقاتل، وهذا موضع التفصيل في مقالته.

فقد قال الإمام الأشعريّ[4]: «حكي عن أصحاب مقاتل قوله: إن الله جسم، وإن له جثةً، وإنه على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم وجوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس وعينين مصمت، وهو مع ذلك لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره» اهـ.

ومن مرويات مقاتل في التجسيم ما زعمه وأخرجه الذهبيّ بسنده عن مقاتل عن الضَّحَّاك عن ابن عباس أنه قال[5]: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد: أين حبيب الله؟ فيتخطى ـ أي النبي محمد ﷺ بزعمهم ـ صفوف

---

١) **تاريخ بغداد**، الخطيب، ١٣/ ١٦٣. **تهذيب الكمال**، المزّيّ، ٢٨/ ٤٣١. **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، ٤/ ١٧٣.

٢) **التاريخ الكبير**، البخاريّ، ٨/ ١٤. **الجرح والتعديل**، ابن أبي حاتم، ٧/ ٣٤٥. **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، ٤/ ١٧٢. وقال الذهبيّ في سير أعلام النبلاء، ٧/ ٢٠٢: «أجمعوا على تركه» اهـ.

٣) **تاريخ بغداد**، الخطيب، ١٣/ ١٦٣.

٤) **البدء والتاريخ**، المقدسيّ، ٥/ ١٤١.

٥) **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ١٣/ ١٦٢. وهو خبر موضوع كما نبّه عليه الذهبيّ. **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، ٤/ ١٧٤.

الملائكة حتى يصير إلى العرش حتى يجلسه معه على العرش حتى يمسّ ركبته» اهـ.

ومن العجيب بعد شهرة نسبة التجسيم إلى مقاتل أن يحاول ابن تيمية إنكار ذلك فيقول[1]: «وأما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله، والأشعريّ ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة، وفيهم انحراف عن مقاتل بن سليمان، فلعلهم زادوا في النقل عنه، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحدّ، ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن يحتج به في الحديث، لكن لا ريب في علمه بالتفسير وغيره» اهـ.

ويقال: نسبة التجسيم إلى مقاتل لم ينفرد بها المعتزلة، فقد أخرج الخطيب البغداديّ[2] بسنده عن أحمد بن سيار[3] أنه قال: «مقاتل متروك الحديث[4]، كان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه» اهـ.

وأخرج الخطيب البغدادي أيضًا بسنده عن الإمام أحمد أنه قال[5]: «مقاتل بن سليمان كانت له كتب ينظر فيها» اهـ. وقال ابن حبان[6]: «كان يأخذ عن أهل الكتاب علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبّهًا يشبّه الربَّ بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث» اهـ.

---

١)**منهاج السّنة النبوية**، ابن تيمية، ٢/ ٦١٨.

٢)**تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ١٣/ ١٦٢. **المنتظم**، ابن الجوزيّ، ٨/ ١٢٦.

٣) أحمد بن سيار أبو الحسن المروزي إمام المحدّثين في عصره، من أوعية العلم مع الزهد والنبالة والعبادة وثقه الدارقطني، عاش سبعين سنة وتوفي ٢٦٨هـ. **تذكرة الحفاظ** للذهبيّ ١/ ٢٥٤. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٢/ ١٩٣.

٤)قال المناوي: «الحديث المتروك من أقسام المردود، وهو ما يكون بسبب تهمة الراوي بالكذب» اهـ. **اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر**، المناوي، ١/ ١٣٩.

٥)**تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، ١٣/ ١٦٢.

٦)**المجروحون**، ابن حبان، ٢/ ١٥. **التعديل والتجريح**، الباجيّ، ١/ ١٩٧. **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ابن الجوزيّ، ١/١٣٦. **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ٥/ ٢٥٥.

وقال الذهبيّ[1]: «ظهر بخراسان الجهم بن صفوان ودعا إلى تعطيل صفات الله عزّ وجلّ، وظهر في خراسان في قبالته مقاتل بن سليمان المفسر، وبالغ في إثبات الصفات حتى جسَّم، وقام على هؤلاء علماء التابعين وأئمة السلف وحذّروا من بدعهم» اهـ.

وأما استشهاد ابن تيمية بعلم مقاتل في التفسير، فلم يبرئه الذهبي بهذا العلم من التجسيم بل قال[2]: «قد لُطِّخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلوم بحرًا في التفسير» اهـ. على أن الخطيب نقل في تاريخ بغداد ما يطعن في هذا التفسير أيضًا، فقد نقل أنه جمع تفاسير الناس فجعلها لنفسه وحدَّث بها من غير سماع[3].

إذا تبيَّنَ هذا نقول: إن هذه الرغبة في تبرئة مقاتل من عقيدة التجسيم التي ينسبونها زورًا إلى السلف مع قول مقاتل في إثبات الصورة لله والعياذ بالله، والإقعاد على العرش، إنَّما تدلُّ على فساد معتقدهم وسوء مرادهم.

الكرّامية

قبل التعريف بالفرقة الكرامية، لا بدَّ من التنبيه إلى تمييز هذه الفرقة عن سائر فرق المجسمة، لأنها تمكنت بتلبُّسها لباس الزهد والتقشف أن تخدع بعض الحكام وتقنعهم بمقالاتها وتفوز بأحضانهم وقمعهم لمخالفيها، وتميّزت أيضًا بتسرُّب بعض مقالاتها إلى المصنفات التي تنتسب زورًا إلى ما يسمّى بالعقيدة السلفية.

وتاريخ هذه الفرقة يوضح كيفية انتشار مقالة التجسيم بين العوامّ،

---

١)**تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ١/ ١٢٠.

٢)**تذكرة الحفاظ**، الذهبي، ١/ ١٣٠.

٣)**تاريخ بغداد**، الخطيب، ١٣/ ١٦٢. **المنتظم**، ابن الجوزيّ، ٨/ ١٢٦. **تهذيب الكمال**، المزّيّ، ٢٨/ ٤٣٦.

وذلك لانخداعهم بما يظهر على أصحاب تلك المقالة من زهد وتقشف وعبادة، وانخداعهم بتشنيع أصحاب تلك المقالة الخبيثة على التنـزيه بدعوى موافقته للفلسفة الأجنبية. وتوضيح ما سبق يتم بإطلالة على تاريخ هذه الفرقة ودراسة مقالتها.

أما مؤسس هذه الفرقة فهو أبو عبد الله محمد بن كرّام[1] السجزيّ[2]، ولد في سجستان ونشأ فيها، وقد دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وهو القائل: إنّ معبوده مستقرّ على العرش وإنه جوهر، تعالى الله عن ذلك، وزعم أنه ـ أي الله ـ جسمٌ له حدّ ونهاية من تحته وهي الجهة التي منها يلاقي عرشه، ويقول الشهرستانيّ[3]: «نبغ رجل متنمّس[4] بالزهد من سجستان، قليل العلم، قد قمش[5] من كل مذهب ضِغْثًا[6]، وأثبته في كتابه وروّجه على سواد بلاد خراسان، فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبًا» اهـ. ويقول ابن السبكيّ في طبقات الشافعية[7]: «وكان من خبر ابن كرّام هذا وهو شيخ

---

١) كَرّام بفتح الكاف وتشديد الراء على المشهور، كان والده يحفظ الكروم فقيل له الكرّام، وقيل كِرام بالكسر والتخفيف على لفظ جمع كريم. **طبقات الشافعية**، السبكيّ، ٢/ ٥٣. **لسان الميزان**، ابن حجر، ٣/ ٣٥٣.

٢) **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص ٢٠٣. **المنتظم**، ابن الجوزيّ، ١٢/ ٩٧. **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ابن الجوزيّ، ١/ ٩٥. **طبقات الشافعية**، السبكيّ، ٢/ ٥٣. **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١١/ ٢٠. **الكشف الحثيث**، أبو الوفاء الحلبيّ، ١/ ١٤٨٩. **لسان الميزان**، ابن حجر، ٣/ ٣٥٣.

٣) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١٠٧.

٤) «التَّنْميسُ: التَّلْبِيسُ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ن م س، ص ٧٤٧.

٥) «القَمْشُ: جمعُ القُماشِ وهو ما على وجْهِ الأرضِ من فُتاتِ الأَشْياءِ حتى يقال لرُذالَةِ الناسِ: قُماشٌ. وما أعْطاني إلا قُماشًا أي: أرْدَأَ ما وَجَدَهُ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ق م ش، ص ٧٧٨.

٦) «الضِغْثُ بالكسر: قَبْضَةُ حَشيشٍ مُخْتَلطَةُ الرَّطْبِ باليابِسِ» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة ض غ ث، ص ٢١٩.

٧) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٢/ ٥٢.

سجستانيّ مجسّم أنه سمع يسيرًا من الحديث، ونشأ بسجستان ثم دخل خراسان، وعاد إلى نيسابور وباح بالتجسيم. وكان من إظهار التنسك والتألُّه[1] والتعبد والتقشف على جانب عظيم، فافترق الناس فيه على قولين، منهم المعتقد ومنهم المنتقد». ثم قال: «قال الحاكم: لقد بلغني أنه كان معه جماعة من الفقراء، وكان لباسه مسك ضأن مدبوغ غير مخيط وعلى رأسه قلنسوة بيضاء، وقد نصب له دكان من لَبِن وكان يُطرح له قطعة فرو فيجلس عليها فيعظ ويذكر ويحدّث، وأثنى عليه في ما بلغني ابن خزيمة(٢) واجتمع به غير مرة» اهـ.

يقول ابن السبكيّ(٣): «وصاحب سجستان هو الذي نفاه، ولم يكن قصد الساعين إلا إراقة دمه، وإنما صاحب سجستان هاب قتله لما رأى من مخايل العبادة والتقشف» اهـ. وهذا ابن خزيمة الذي كان قد حكي عنه ثناؤه على ابن كرّام يكفّر من قال بمقالة الكرّامية(٤)، قال ابن حجر(٥): «ولما نفي من سجستان وأتى نيسابور، أجمع ابن خزيمة وغيره من الأئمة على نقله منها فسكن بيت المقدس» اهـ.

وقال تقيّ الدين الحصنيّ(٦): «وسمع الحديث الكثير وأظهر التقشف، واتخذ قطعة فرو يجلس عليها ويحفظ ويحدّث ويتخشع حتى أخذ بقلوب العوام والضعفاء من الطلبة لوعظه وزهده، حتى حصر من تبعه من الناس

---

١) «عبدَ اللهَ يعبُدُهُ عبادةً ومعبدًا ومعبدةً تألَّه له». **لسان العرب**، ابن منظور مادة ع ب د، ٣/ ٢٧٣.

٢) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر، كان عالمـًا بالحديث. مولده ووفاته بنيسابور، رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر. ولد ٢٢٣هـ، وتوفي ٣١١هـ. **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ٢٩.

٣) **طبقات الشافعية**، السبكيّ، ٢/ ٥٣.

٤) **لسان الميزان**، ابن حجر، ٣/ ٣٥٤.

٥) **لسان الميزان**، ابن حجر، ٣/ ٣٥٤.

٦) **دفع شبه من شبه وتمرد**، الحصني، ص٢٩.

فإذا هم سبعون ألفًا» اهـ. فلما أظهر ابن كرّام بدعته أنكر العلماء عليه وسعوا في سجنه وقتله، ثم إنه أُخرج من نيسابور في سنة إحدى وخمسين ومائتين بعد أن مكث بالسجن ثماني سنين، وتوفي ببيت المقدس سنة خمس وخمسين ومائتين، وكان أصحابه ببيت المقدس نحو عشرين ألفًا، وكان له من الأتباع مثل ذلك في خراسان وسجستان[1]، ومع أن ابن كرّام لم يكن يحسن العلم ولا الأدب فقد ألّف تصانيف كثيرة كما ذكر ذلك البغداديّ، ثم قال[2]: «إلا أن كلامه في غاية الركاكة والسقوط» اهـ. وكان مصير مؤلفاته الحرق بعدما أظهر بدعته، ونجا كتابه عذاب القبر من النار، إذ نقل منه البغداديّ وغيره قول ابن كرّام في وصف الله عزّ وجلّ: إنه أحديّ الذات أحديّ الجوهر[3]، ووصفُه اللهَ أنه الجوهر ضلال كبير.

ومن أتباع ابن كرّام أبو عبد الله محمد بن الهيصم الذي اجتهد في إتمام مقالة ابن كرّام، ومن ذلك أنه زعم أن الفوقية بمعنى العلوّ مع إثبات البينونة غير المتناهية بينه وبين خلقه[4]، وقال الشهرستانيّ[5]: «قد تخطَّى بعض الكرّامية إلى إثبات الجسمية، فقال: أعني بها القيام بالنفس، وذلك تلبيس على العقلاء، وإلا فمذهب أستاذهم أنَّه مع كونه ـ يعني الله ـ محلًّا للحوادث مستويًا على العرش استقرارًا مختصًا بجهة فوق مكانًا واستعلاءً، فليس ينجيه من هذه المخازي تزويراتُ ابن الهيصم، فليس يريد بالجسمية القيام بالنفس، وإنما هو إصلاح مذهب لا يقبل الإصلاح! وكيف يستوي الظلّ والعود أعوج؟ وكيف استوى المذهب وصاحب المقال أهوج؟» اهـ.

---

١) **التبصير في الدين**، الأسفرايينيّ، ص٦٥. **المنتظم**، ابن الجوزيّ، ١٢/ ٩٨. **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، ٤/ ١. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي، ٢/ ٣٠٤.

٢) **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص٢٠٣. **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١٠٧.

٣) **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص٢٠٣. **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص ١٠٨.

٤) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١١١.

٥) **نهاية الإقدام في علم الكلام**، الشهرستانيّ، ص١٢٢.

وكان ابن الهيصم من مجالسي السلطان محمود بن سبكتكين[1]، وكان ابن فورك هو الذي يناظر ابن الهيصم في هذا المجلس[2]، وكانت هذه المناظرات سببًا في قتل ابن فورك شهيدًا مسمومًا. قال ابن السبكيّ[3]: «وكان ابن فورك شديدًا على الكرّامية، وأذكر أن ما حصل له من المحنة من شغب أصحاب ابن كرّام وشيعتهم من المجسمة، فتحزَّبوا عليه ونَمُّوا عليه غير مرة وهو ينتصر عليهم، فلما أيست الكرّامية من الوشاية والمكايدة عدلت إلى السعي في موته والراحة من تعبه، فسلطوا عليه من سَمَّهُ فمضى حميدًا شهيدًا» اهـ.

وكان أبو إسحاق الأسفرايينيّ قد تعيَّن عليه مناظرة الكرّامية بعد ابن فورك، ومن هذه المناظرات ما ذكره أبو المظفر الأسفرايينيّ قال[4]: «سأل بعض أتباع الكرّامية في مجلس السلطان محمود بن سبكتكين إمامَ زمانه أبا إسحاق الأسفرايينيّ عن هذه المسألة الاستواء على العرش فقال: هل يجوز أن يقال: إن الله تعالى على العرش؟ وأن العرش مكان له؟ فقال: لا. وأخرج يديه ووضع إحدى كفيه على الأخرى، وقال: كون الشيء على الشيء يكون هكذا، ثم لا يخلو إما أن يكون أكبر منه أو أصغر منه، فلا بد من مخصّص خصَّه، وكل مخصوص يتناهى، والمتناهي لا يكون إلهًا. فلم يمكنهم أن يجيبوا، عنه فأغروا به رعاعهم حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه، ولما ورد عليهم هذا الإلزام تحيّروا، فقال قوم: إنه أكبر من العرش، وقال قوم: إنه مثل العرش، وقال ابن المهاجر: إن عرضه عرض العرش. وهذه الأقوال كلها متضمنة لإثبات النهاية، وذلك عَلَمُ الحدوث ـ أي علامةُ الحدوث ـ لا يجوز أن يوصف به الصانع» اهـ.

---

١) السلطان محمود بن سبكتكين أبو القاسم الملقب بيمين الدولة، صاحب بلاد غزنة وما والاها. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٥/ ٣١٤. **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٣/ ٢٩٣٠.

٢) **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٢/ ٣٠.

٣) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٤/ ١٣١. **شذرات الذهب**، ابن العماد، ٤/ ١٨١.

٤) **التبصير في الدين**، الأسفرايينيّ، ص٦٦.

وابتلي الإمام الفخر الرازيّ بمناظرة الكرّامية بعد ابن فورك وأبي إسحاق، وكان رأس الكرامية في زمانه مجد الدين عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة، وهو الذي تسبّب في محنة الفخر الرازيّ مستغلًا مكانته عند بعض الغوريين الذين خلفوا آل سبكتكين في حكم بلادهم[١]، وحدثت بذلك فتنة عظيمة ذكرها ابن الأثير (ت ٥٩٥هـ) في حوادث فقال[٢]: «وفي هذه السّنة حدثت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين[٣] ملك الغور وغزنة، وسببها أن الفخر محمد بن عمر الرازيّ كان قد قَدِمَ إلى غياث الدين فأكرمه واحترمه وبنى له مدرسة بهراة[٤]، فقصده الفقهاء من البلاد فعظم ذلك على الكرّامية وهم كثيرون بهراة، وأما جزء من الغورية فكانوا كرّامية، فاتفق الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية عند غياث الدين للمناظرة، وحضر الفخر الرازيّ وابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية، وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه، فتكلم الرازيّ فاعترض عليه ابن القدوة، وطال الكلام فاستطال عليه الفخر الرازيّ وسبَّه وشتمه وبالغ في أذاه، وابن القدوة لا يزيد على أن يقول: لا يفعل مولانا إلّا وأخذك الله، وأستغفر الله، فانفصلوا على هذا، وقام ضياء الدين[٥] في هذه الحادثة وشكا

---

١)ينسب الغوريون إلى بلاد الغور، وهي جبال وعرة ومضايق غلقة تجاور غزنة، وكان الغوريون أول الأمر يستغلون طبيعة مناطقهم في الغزو وقطع الطريق، ثم تجمعوا وتحزبوا ضد آل سبكتكين وقضوا على دولتهم سنة أربعين وخمسمائة. وآخر ملوكهم هو غياث الدين محمد بن غياث ت٦٠٥هـ. **الكامل**، ابن الأثير، ٨/ ٦٢ و٩/ ٣٥٦. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ٢٠/ ٤٠٦.

٢)**الكامل**، ابن الأثير، ١٠/ ٢٦٢. **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٣/ ١٩.

٣)غياث الدين محمد بن سام أبو الفتح، ت٥٩٩هـ، أحد ملوك الغوريين، كان على مذهب الكرامية إلى أن هداه الله تعالى إلى هجره سنة ٥٩٦هـ وصار شافعيّ المذهب، وبنى المدارس للشافعية ومسجدًا بغزنة. **الكامل**، ابن الأثير، ١٠/ ٢٤٦.

٤)من مدن خراسان. **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، ٥/ ٩٧.

٥)هو أحد أمراء الغوريين ضياء الدين محمد الغوريّ، وهو ابن عم غياث الدين. **الكامل**، ابن الأثير، ١٠/ ٧٣، ١٠/ ٢٦٢. **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٣/ ١٩.

إلى غياث الدين وذم الفخر الرازيّ ونسبه إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ غياث إليه. فلما كان الغد وعظ ابن القدوة بالجامع فلما صعد المنبر قال بعد أن حمد الله وصلى على النبيّ صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، أيها الناس، إنا لا نقول إلا ما صحّ عندنا عن رسول الله ﷺ، وأما علم أرسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها، فلأيّ شيء يُشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذبّ عن دين الله وعن سُنَّة نبيّه، وبكى وضجّ الناس وبكى الكرَّامية واستغاثوا، وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتتلون ويجري ما يهلك فيه خلق كثير، فبلغ ذلك السلطان فأرسل جماعة من عنده إلى الناس وسكَّنهم ووعدهم بإخراج الفخر من عندهم، وتقدم إليه بالعودة إلى هراة فعاد إليها» اهـ. وهذه حادثة في تاريخ التجسيم نأخذ من دراستها العِبَر في شدة فتنتهم وتلبيسهم على العامّة والعياذ بالله.

مقالة الكرّامية في التجسيم

اختلف كتّاب الملل والنحل في ذكر فرق الكرّامية، فالبغداديّ جعل الكرّامية ثلاثة أصناف، وجعلها الرازيّ ستّ فرق، وأوصلها الشهرستانيّ إلى اثنتي عشرة فرقة. ولا نطيل في تفصيل مقالاتهم لسببين: أولهما أن جهدًا قد بُذل من قبل في مذهب الكرّامية، والثاني أن هذه الفرق وإن كان لكل واحدة منها رأي إلا أن الشهرستانيّ قال[1]: «إلا أن ذلك لمَّا لم يصدر عن علماء معتبرين بل عن سفهاء جاهلين لم نفردها مذهبًا. وأوردنا مذهب صاحب المقالة وأشرنا إلى ما يتفرع منه» اهـ.

وهذا بيان مقالة ابن كرّام وما تفرع منها:

وأشنع مقالاته تجسيم معبوده، إذ زعم ابن كرّام أن الله جسم له حدّ ونهاية من تحته وهي الجهة التي يلاقي منها العرش[2]، ثم اختلف أصحابه في النهاية، فمنهم من وافقه، ومنهم من أثبت النهاية له من ست جهات، ومنهم من أنكر النهاية له وقال: هو عظيم.

واتفق أكثر الكرّامية على إطلاق لفظ الجسم، واجتهد بعضهم في تزيين هذه المقالة، فزعم أنه يريد بلفظ الجسم أنه قائم بنفسه، وزعم أن هذا هو حد الجسم! قال الشهرستانيّ[3]: «وبنوا على هذا أن مِنْ حُكْمِ القائمَيْنِ بأنفسهما أن يكونا متجاورين أو متباينين، فقضى بعضهم بالتجاور مع العرش، وحكم بعضهم بالتباين. وربّما قالوا: كل موجودين فإما أن يكون أحدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر، وإما أن يكون بجهة منه. والبارئ

---

١)**الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١٠٧. يراجع: **الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص٢٠٣. **اعتقادات فرق المسلمين**، الرازيّ، ص١٧.

٢)**الفرق بين الفرق**، البغداديّ، ص٢٠٣. **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص ١٠٨، **اعتقادات فرق المسلمين**، الرازيّ، ص١٧.

٣)**الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١٠٧.

ليس بِعَرَضٍ إذ هو قائم بنفسه، فيجب أن يكون بجهة من العالم وأشرفها جهة فوق فقلنا: هو بجهة فوق بالذات» اهـ. وعين هذه الشبهة موجودة في المؤلفات التي توصف بجمع ما يسمّى زورًا بالعقيدة السلفية[1]، مع أن أحدًا من السلف الصالح المنزّه لله عن الجسمية والحجم والشكل لم يهمس فيها ببنت شفة.

وقبل أن نختم القول في تأريخ المجسمة وبعض فرقهم نشير إلى بعض العبر والفوائد التي ينبغي ألّا تغيب عن الأذهان في دراسة مثل هذه الآراء.

أولا: إن اتّباع الكتاب والسُّنَّة والسلف شعار يرفعه بعض من خالف قواطع الكتاب والسّنة وأقوال السلف، فها هو ابن القدوة الكرّاميّ يزعم أنه آمن بما أنزل وما صح، وهذا مقاتل وشيطان الطاق يزعم كل منهما أنه لم يثبت صورة للرحمن على صورة آدم إلا اتباعًا للأثر على زعمهما، وحقيقة الأمر على خلاف ما فهماه.

ثانيًا: إن هذا الشعار يُلبَّس بتشنيع مذهب المخالف بنسبته إلى الفلسفة كما فعل ابن القدوة.

ثالثًا: إن مثل هذه المقالات الشنيعة وَقُودها كثير من العوامّ الذين يفتقرون إلى الفهم الدقيق، وربما فتن بهذه المقالة بعض ضعاف الطلبة الذين يقتنعون في اعتقادهم بتقليد من أظهر مخايل الزهد وأطال في النسك وأثر في الوعظ، ويستدلون بما يظهر من التدين على ما بطن من الدين، فها هو ابن كرّام على شناعة مقالته ينخدع بزهده ووعظه الآلاف.

رابعًا: إن أكثر الناس تصريحًا بالعقائد الباطلة في هذا الباب يتمسكون بنفي التشبيه وإثبات ما أثبتوه، مع إيهام أنّهم يريدون التنزيه، كما زعم هشام ابن الحكم أنه إنما أثبت جسمًا لا كالأجسام. وفي هذه المقالة يقول ابن

---

١)الكتاب المسمّى **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص٦٧٢. الكتاب المسمّى **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد بن صالح العثيمين، ٢/ ٥٥٤.

السبكيّ: [الكامل]

كذبَ ابنُ فاعلةٍ يقولُ لجهلِهِ: اللهُ جسمٌ ليسَ كالجسْمانِ
لو كان جسمًا كانَ كالأجسامِ يا مجنونُ فاصغِ وعُدْ عن البُهْتانِ

ومن ذلك أيضًا أن مقاتل بن سليمان بعد أن تجرَّأ على الله عزَّ وجلَّ بإثبات الجسم والصورة والأعضاء والجوارح زعم أنه مع ذلك لا يشبهه شيء ولا يشبه غيره.

وهذه النقاط لا تغيب في عصر من العصور عن فكر الخائضين في وصف الله عزَّ وجلَّ بغير الحق، والمتبعين لما تشابه من كتابه وسنة رسوله ﷺ فزاغوا بذلك وضلّوا وأضلّوا بما يدخلون في كلامهم من تمويه.

المبحث الثالث

التجسيم في فكر بعض المحدّثين

من المعروف أن كتب الرجال وبيان حال الرواة ومصنفات المحدثين تشهد بأنّ في رواة الحديث مَنْ حُكِمَ عليهم بالبدعة ومخالفة السّنة، وحالهم كان معروفًا فلا يؤخذ منهم ما يخالف الشرع.

فأهل الحديث هم المشتغلون برواية الحديث ودرايته، والسواد الأعظم هم من أهل السّنة والجماعة إلا من شذّ وضلّ، فمن أهل التنزيه من يجاهر بتنـزيه الله عزَّ وجلَّ باختيار مذهب التأويل الإجماليّ أو التأويل التفصيليّ في المتشابه، وعلى رأس هؤلاء من المحدّثين إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه الذي كان ينهى عن التحديث بالأحاديث التي توهم التشبيه وتشكل في المعنى[1] ـ لمن يخشى عليه الوهم ـ، مثل الحديث الذي جاء في صورة آدم عليه السلام، وكان ينكر ذلك إنكارًا شديدًا كما في سير أعلام النبلاء للذهبيّ[2].

ومن أصحاب هذا الموقف الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه الذي ثبت عنه التأويل التفصيليّ، ومن أصحاب هذا الموقف من حكينا عنهم اختيار التأويل الإجماليّ الذي يعدُّه ابن تيمية ـ الذي شذَّ ـ من شرّ أقوال أهل البدع كما سبق.

ومنهم أيضًا من نصَّ على اختيار وجه من وجوه التأويل في أحد الأحاديث كما سبق، فلولا أنه رأى ما يقتضيه الحمل على الظاهر من مخالفة أدلة التنـزيه ما اختار التأويل، وهؤلاء الذين ساروا على نهج الإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل هم الجديرون بالانتساب إلى الحديث الشريف.

وهناك قلة ممن يُثبِت بعض الأخبار الواهية المنكرة التي لا تكاد تحتمل

---

١) **الشفا**، القاضي عياض، ٢/ ٥٤٢.

٢) **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ٥/ ٤٤٩.

التأويل، ومن هذا الفريق من ألَّف وجمع من هذه الأحاديث والأخبار التي يسمونها أخبار الصفات، وعلى هؤلاء العمدة في تقرير ما يسميه المشبهة اليوم بعقيدة السلف، والسّلف الصالح بريء من عقيدة التجسيم.

وهنا نشير إلى بعض المصنَّفات مع المرور على بعض ما فيها لندرك التباين الشاسع جدًّا بين أصحاب الموقف الأول وأصحاب هذا الموقف الذين يتتبَّعون المتشابه.

أولًا: كتاب «الرد على الجهمية» وكتاب «نقض عثمان بن سعيد[1] على المريسيّ[2] العنيد» لعثمان بن سعيد الدارميّ (ت ٢٨٠هـ)[3] وهو غير صاحب السنن فليتنبّه[4].

أما كتاب الرّد على الجهمية ففيه الكثير من الأسانيد الواهية والمتون المنكرة التي تخالف التنـزيه، وأثبت فيه أن العرش يئطّ من ثِقَلِ الجبَّار فوقه، وأنه ينزل في الليل إلى جنة عدن، وهي مسكنه يسكن معه فيها النبيون والصديقون والشهداء، وأنه يهبط من عرشه إلى كرسيه ثم يرتفع عن كرسيه إلى عرشه، وعقد فيه بابًا في تكفير الجهمية، وبابًا في قتلهم واستتابتهم من الكفر، ولا يخفى أن «الجهمية» مصطلح تشنيع يريد المشبّهة أحيانًا به مَن نزّه وأوَّل المتشابهات، ولا يريدون تلك الفرقة التي انتسبت إلى جهم بن صفوان، مع أنّ شيخهم الضّال ابن تيمية اتبع جهمًا في بعض أقواله كالقول

---

١)عثمان بن سعيد بن خالد الدارميّ السجستانيّ، ت ٢٨٠هـ، أبو سعيد من هراة. **تذكرة الحفاظ**، الذهبيّ، ٢/ ١٤٦، ١٤٧. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٢٠٥، ٢٠٦.

٢)بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسيّ، العدويّ بالولاء، ت ٢١٨هـ، أبو عبد الرحمن، معتزليّ عارف بالفلسفة، يُرْمَى بالزندقة. قال أبو زرعة الرازي: «بشر المريسيّ زنديق» اهـ. **لسان الميزان**، ابن حجر، ٢/ ٢٩، ٣٠. **الأعلام**، الزركلي، ٢/ ٥٥.

٣)**سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٣/ ٣١٩.

٤)هو غير الإمام الحافظ السني أبي محمد عبد الله الدارمي رحمه الله صاحب كتاب «السنن» الذي توفي سنة ٢٥٥هـ.

بفناء النار[١] وهو كفر.

أما الكتاب الآخر فهو مثل سابقه، وزيد فيه باب سمّي باب إثبات الحركة لله عزَّ وجلَّ، وفيه إثباتُ الحدّ، وأن الله مسَّ آدم مسًّا بيده، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وأنه قادر على الاستقرار على ظهر بعوضة، وأنه إذا غضب ثقل على حملة العرش، وأن رأس المنارة أقرب إليه من أسفلها، وغير ذلك مما هو مبسوط في موضعه، وكلّ ذلك كفر وضلال.

وهذان الكتابان لهما منزلة عظيمة عند ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، وقد أكثرا النقل عن هذين الكتابين، ويقول ابن القيم[٢]: «وكتاباه من أجلّ الكتب المصنَّفة في السنَّة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنَّة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان ابن تيمية يوصي بهذين الكتابين أشدَّ الوصية ويعظّمهما جدًّا، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما» اهـ.

ثانيًا: الكتاب المسمى (السّنة) المنسوب زورًا إلى عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ)

أخذ هذا الكتاب من نسبته إلى ابن الإمام أحمد مكانة كبيرة عند المنتسبين زورًا إلى السلف خاصة في العصر الحديث، وقد قطع المعلّق على هذا الكتاب بنسبته إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل، وبذل وسعه في الردّ على من نزَّه الإمام أحمد عن أن يخوض ولدُه الذي تربَّى في كنفه في كل ما خاض فيه المؤلف، ولم يأت هذا المعلّق بشىء علميّ، بل اجتهد في كلام خطابيّ لا يدفع ما ذكره هو نفسه من الاعتراف بوجود مجهولين في طبقتيْنِ من طبقات إسناد هذا الكتاب إلى من نُسب إليه، والذي يبدو لنا أن هذا الكتاب من مؤلفات

١) **الرد على من قال بفناء الجنة والنار**، ابن تيمية، ص٦٧.

٢) الكتاب المسمّى **اجتماع الجيوش**، ابن قيّم الجوزية، ص ١٤٣.

مَنْ يسمّيه المشبهة شيخ الإسلام، وهو أبو إسماعيل الهرويّ[1] صاحب المؤلفات المعروفة في ما يسمونه زورًا بالعقيدة السلفية، وهذا الهرويّ شديد التعصُّب، وربما ركَّب له إسنادًا فرواه عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم القراب الهرويّ[2] عن شيخ مجهول عن شيخ مجهول عن الذي نسب إليه. وأبو إسماعيل الهرويّ لا يستبعد منه صدور ما في هذا الكتاب منه، أما ابن الإمام أحمد فلا نظنّ به أن يتعدّى على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى الإمام أحمد والإمام أبي حنيفة النعمان، وقد ذكر المعلّق في توثيق الكتاب وصحة نسبته إلى المؤلف نقلَ الحنابلة عنه وأخذَهم منه. وكل من ذكر نقلَهم عنه مِن بعد عصر الهرويّ المذكور، فلا تدفع هذه النقول هذا الشكّ في نسبة الكتاب إليه، ونحن نبرِئ ابن الإمام أحمد من ذلك جزمًا لا على الشكّ.

واشتمل هذا الكتاب على أكثر من مائة وثمانين نصًّا في الطعن في الإمام أبي حنيفة، بل في بعضها تكفيره، وأنه أُخِذ من لحيته كأنه تيس يدار به على الخلق يستتاب من الكفر أكثر من مرة، وأنه أفتى بأكل لحم الخنزير! وفيه نقلٌ عن الإمام مالك أنه ذكره بسوء، وقال: كادَ الدّينَ ومَن كادَ الدّينَ فليس من الدين، ووثَّق المعلّق رجال سند هذه الرواية[3]، وغير ذلك من المثالب[4] التي تقشعر منها الأبدان، وتخريج هذه الرواية في كتاب صنف لجمع السّنة والعقيدة المتوارثة بزعمهم خير مثال على أن الطعن بأكابر المسلمين وعلمائهم ركن من أركان هذه العقيدة التجسيمية التي تصدّى

---

١) عبد الله بن محمد بن عليّ الأنصاريّ الهرويّ، أبو إسماعيل، ت ٤٨١هـ، من كبار مجسمة الحنابلة، من كتبه: الكتاب المسمى «ذمّ الكلام وأهله»، والكتاب المسمَّى «الفاروق في الصفات». **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ١٢٢.

٢) إسحاق بن إبراهيم بن محمد أبو يعقوب القراب السرخسيّ ثم الهرويّ. محدّث هراة ربما زاد عدد شيوخه على ألف ومائتي نفس. توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٧/ ٥٧٠. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٤/ ٢٦٤.

٣) الكتاب المسمّى **السُّنَّة**، المنسوب كذبًا لعبد الله بن أحمد بن حنبل، ١/ ١٩٩.

٤) «المثالِبُ: العيُوبُ» اهـ. **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ث ل ب، ١/ ٢٤١.

لها العلماء فتركوا به الجواب العلميّ واستبدلوا به هذا الأسلوب في فتنة العوامّ المأخوذين بما يظهره هؤلاء من التزهد الهرويّ الكرّاميّ، المخدوعين بلافتات الدعوة إلى الكتاب والسّنة واتباع السلف زورًا وبهتانًا.

ومما اشتمل عليه هذا الكتاب من الكفر والضلال والجرأة على الله عزّ وجلّ وصفُه بالجلوس على العرش، وإثبات صدر وذراعين لله والعياذ بالله، وإثبات الثقل والصورة التي صُوّر عليها آدم، وأنه على كرسيّ من ذهب يحمله أربعة من الملائكة، وأنه واضع رجليه على الكرسيّ، وأن الكرسيّ قد عاد كالنعل في قدميه، وأنه إذا أراد أن يخوّف أحدًا من عباده أبدى عن بعضه، وأنه قرَّب داودَ عليه السلام حتى مسّ بعضه وأخذ بقدمه، وغير ذلك من الكفر والتجسيم والطامات الشنيعة.

ومما اشتمل عليه في حق الإمام أحمد أنه نقل عنه تصحيح الأخبار التي تثبت جلوسَه عزَّ وجلَّ على العرش وحصولَ صوت الأطيط من هذا الجلوس، وأنه واضع رجليه على الكرسيّ وأن الكرسيّ موضع قدميه، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وغير ذلك من التجسيم. فحاشا أن يصحّح الإمام أحمد رضي الله عنه هذه الأخبار ويخفى عليه ضعف سندها وما في متنها من النكارة ومخالفة عقيدة السلف الصالح المنزّه لله عن الجسمية والكيفية.

ثالثًا: الكتاب المسمّى (السّنة) للخلال

هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال (ت٣١١هـ)، وفي كتابه هذا أطال في تقرير قعود النبيّ ﷺ مع البارئ سبحانه على الفضلة التي تفضل من العرش! وحشر مع ذلك نقولًا عن بعض المحدِثين في تكفير منكره ورميه بالبدعة والتجهم، وغير ذلك مما لو قرأه رجل لم يسمع عن دين الإسلام شيئًا لظنَّ أنَّ هذا الخبر ركن من أركان الإسلام! وفيه أيضًا الكذب على الإمام أحمد وأنه تلهَّف لسماع هذا الخبر إذ

لم تحصل روايته له من علو[1].

وفيه أن الله عزّ وجلّ ينادي: «يا داود، ادْنُ مني» فلا يزال يدنيه حتى يمسّ بعضه ويقول: «كن أمامي» فيقول «ربّ، ذنبي ذنبي»، فيقول الله له: «كن خلفي خذ بقدمي!» اهـ. والعياذ بالله عزّ وجلّ.

رابعًا: الكتاب المسمى (التوحيد) لابن خزيمة

هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوريّ (ت ٣١١هـ) أخذ عليه العلماء خوضه في الأهواء، ولعله تأثَّر برأس الكرَّامية، فقد نقل ابن السبكيّ عن الحاكم أنه ذكر في تاريخه محمد بن كرّام فقال[2]: «وقد أثنى عليه في ما بلغني ابنُ خزيمة واجتمع به غير مرة» اهـ.

وقد لامه بعضُ المحدثين على الخوض في ما لا يحسنه، فمن ذلك ما أخرجه البيهقيّ بسنده عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيّ أنه قال[3]: «ما لأبي بكر والكلام؟ إنما الأولى بنا وبه ألا نتكلم في ما لم نتعلمه! قلت ـ أي قال الحافظ البيهقيّ ـ: والقصة فيه طويلة، **وقد رجع محمد بن إسحاق إلى طريقة السلف، وتلهَّف على ما قال، والله أعلم**» اهـ.

واعترف ابن خزيمة على نفسه بأنه لا يحسن الكلام، فقد نقل الحافظ البيهقيّ عنه أنه قال[4]: «**فما تنكرون على فقيه راوي حديث أنّه لا يحسن الكلام**» اهـ.

وكتاب «التوحيد» هو جزء من صحيحه على التحقيق، لأنه يحيل في أكثر من موضع على أبواب الصلاة وغيرها من أبواب الصحيح، وفيه باب بعنوان: «إثبات الأصابع لله عزَّ وجلَّ»، وباب «في إثبات القدم»، ونحو ذلك. ومع أنه اشترط الصحة في ما يذكره إلا أنه لم يلتزم بذلك فأخرج فيه متونًا منكرة وأسانيدَ واهيةً، منها ما جاء في أن الكرسيّ موضع قدميه، وأن العرش

---

١) الكتاب المسمّى **السُّنَّة**، الخلال، ص ٢٤٤، ٢٥٥.

٢) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، ٣/ ٣٠٤.

٣) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٣٤٢.

٤) **الأسماء والصفات**، البيهقيّ، ص٣٤٠.

يئطّ به، وأنه تجلَّى منه مثل طرف الخنصر، وأنه يهبط ثم يرتفع، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأن جنة عدن مسكنه، وأن محمدًا ﷺ رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب يحمله أربعة من الملائكة، وغير ذلك مما هو مذكور في موضعه، وهذا كله كفر.

خامسًا: الكتاب المسمى «الصفات» المنسوب كذبًا للدارقطني

وهو الحافظ أبو الحسن عليّ بن عمر الدّارقطني الذي انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق وصحة الاعتقاد(١). وهذا الكتاب تشهد حاله الحديثية على براءة الدارقطني البصير بعلل الحديث ورجاله منه. فلا تصحّ نسبته إلى الدارقطنيّ كما نبه عليه الكوثريّ(٢)، لأن في سنده إليه أبا العز بن كادش أحمد بن عبيد الله (ت ٥٢٦هـ) قال الذهبيّ في ترجمته(٣): «أقرَّ بوضع حديث...» اهـ.

ويرويه ابن كادش عن محمد بن عليّ أبي طالب العشاريّ، قال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني(٤) والذهبيّ(٥): «شيخ صدوق معروف، لكن أدخلوا عليه أشياء فحدَّث بها بسلامة باطن، منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء، ومنها عقيدة للشافعيّ ـ وذكر بعض الأباطيل عنه ثم قال ـ فقبَّح الله من وضعه، والعتب إنما هو على محدِثي بغداد كيف تركوا العشاريّ يروي هذه الأباطيل» اهـ.

وفي هذا الكتاب باب في «إثبات القدمين»، وفيه أن «الكرسيّ موضع القدمين»، وفيه الأطيط ونحو ذلك من التجسيم والتشبيه.

---

١) **العبر في خبر من غبر**، الذهبيّ، ٣/ ٣٠

٢) **تبديد الظلام المخيم**، الكوثريّ، ص٢٠٦.

٣) **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، ١/ ٢٥٩.

٤) **لسان الميزان**، ابن حجر، ٥/ ٣٠٢.

٥) **ميزان الاعتدال**، الذهبيّ، ٦/ ٢٦٧.

سادسًا: الكتاب المسمّى «التوحيد» لابن منده

وهو أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن منده (ت ٣٩٥هـ)[١]، وله أيضًا كتاب «الردّ على الجهمية» وفيه أن الله خلق الملائكة من نور الصدر والذراعين، وأن الكرسيّ موضع قدمه، ونحو ذلك من الأخبار الملفّقة المدسوسة المجسّمة.

سابعا: كتاب «العرش» وغيره من الكتب لابن تيمية المجسم

قال التقيّ السبكيّ[٢]: «**وكتاب العرش من أقبح كتبه** ـ أي ابن تيمية ـ **ولمّا وقف عليه الشيخ أبو حيّان ما زال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه**» اهـ. وقد قال أبو حيّان الأندلسيّ في النهر المادّ عند تفسِير آية الكرسيّ ما نصّه: «وقرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرَنا وهو بخطّه سماه كتاب العَرش: إنّ الله تعالى يجلس على الكرسيّ وقد أخلى منه مكانًا يُقعِدُ فيه معه رسول الله ﷺ، تحيّل عليه التاج محمد بن عليّ بن عبد الحق البَارنْبَاريّ وكان أظهر أنه داعية لـه حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه» اهـ.

ويقولُ ابنُ تيمية[٣]: «إنّ محمّدًا رسول الله يجلِسُه ربُّه على العرش معه» اهـ.

ويقول[٤]: «إنّ الله على العرش والملائكة حملة العرش تَشعُر بثِقَل الجبّـــار» اهـ.

---

١) **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٧/ ٣٨.

محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده، أبو عبد الله العبدي (نسبة إلى عبد ياليل) الأصبهاني، ت ٣٩٥هـ، من كبار حفاظ الحديث الراحلين في طلبه، المكثرين من التصنيف فيه. من كتبه: «فتح الباب في الكنى والألقاب»، و«الرد على الجهمية»، و «معرفة الصحابة». **الأعلام**، الزركلي،٦/ ٢٩.

٢) **إتحاف السادة المتقين**، الزَّبيديّ، ٢/ ١٠٦.

٣) **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، ٤/ ٣٧٤.

٤) **بيان تلبيس الجهمية**، ابن تيمية، ١/ ٥٧٣.

وهذا ابنُ القيّم تلميذ ابنِ تيمية يقول(١): «إنّ الله يَقعُد على العَرش ويُقعِدُ مَعه محمّدًا» اهـ.

ويقول ابنُ تيمية نقلًا عن أحدِ الـمجسّمة موافقًا له(٢): «ولو قد شاءَ ـ أي الله ـ لاستقَرّ على ظَهر بعُوضَة فاستقَلّت به بقُدرتِه ولُطْفِ ربُوبيتِه فكيف على عرشٍ عظِيم» اهـ. وهذا كله كفر صريح نعوذ بالله منه ومن أهله.

ويقول أيضًا في الكتاب المسمى منهاج السنَّة ما نصه(٣): «فإنا نقول: إنه يتحرّك وتقومُ به الحوادث والأعراض، فما الدليلُ على بُطلان قولنا؟» اهـ.

ويقول كذلك نقلًا عن أحدِ الـمجسّمة موافقًا له ما نصّه(٤): «والله تعالى لـه حدّ لا يعلمه أحد غيرُه ولا يجوز لأحدٍ أن يتوَهّم لحدّه غاية في نفسه، ولكن يؤمن بالحدّ ويَكِلُ عِلمَ ذلك إلى الله تعالى، ولمكانِه أيضًا حَدّ وهو على عرشه فوق سمواته فهذان حدّان اثنان» اهـ. وكلّ ذلك كفرٌ مُرَكَّب.

ويقولُ في الكتاب نفسه أيضًا نقلًا عن أحدِ الـمجسّمة موافقًا له(٥): «وقَد اتّفقت الكلمةُ مِن المسلمين والكافرين أنّ الله في السّماء وحَدُّوه بذلك» اهـ.

ويقول كذلك ما نصُّه(٦): «ولم يذُمّ أحدٌ مِنَ السّلف أحدًا بأنّه مجسّم، ولا ذم الـمجَسِمة»اهـ.

ويقول أيضًا في الكتاب المسمى التّأسيس في ردّ أساس التّقديس ما

---

١)الكتاب المسمى **بدائع الفوائد**، ابن القيّم، ٤/ ٤٠.

٢)**بيان تلبيس الجهمية**، ابن تيمية، ١/ ٥٦٨.

٣)**منهاج السّنة**، ابن تيمية، ١/ ٢١٠.

٤)الكتاب المسمى **موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**، ابن تيمية، ٢/ ٢٩.

٥)الكتاب المسمى **موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**، ابن تيمية، ٢/ ٢٩، ٣٠.

٦)الكتاب المسمى **التّأسيس في ردّ أساس التّقديس**، ابن تيمية، ١/ ١٠٠.

نصُّه[1]: «وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمّة وأئمتها أنه ليس بجسم وأنّ صفاته ليست أجسامًا ولا أعراضًا؟! فنفي المعاني الثابتة بالشّرع والعقل بنفي ألفاظ لم ينفِ معناها شرع ولا عقل، جهلٌ وضلال» اهـ. وهذا كله كفر صريح نعوذ بالله منه.

ثامنًا: الكتاب المسمّى «الأربعين في دلائل التوحيد» لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي

الهرويّ هو الذي كان المجسّمة بهراة يلقبونه شيخ الإسلام نكاية بمن سمى بذلك الحافظ أبا عثمان الصابونيّ، قال ابن السبكيّ[2]: «وأما المجسّمة بمدينة هراة فلما ثارت نفوسهم من هذا اللقب عمدوا إلى أبي إسماعيل عبد الله الأنصاريّ صاحب كتاب ذم الكلام فلقبوه بشيخ الإسلام! وكان الأنصاريّ المشار إليه رجلًا كثير العبادة - على فساد في العقيدة - محدّثًا إلا أنه يُظْهِرُ التجسيم والتشبيه، وينال من أهل السّنة، وقد بالغ في كتابه ذمّ الكلام حتى ذكر أن ذبائح الأشعرية لا تحلّ! وكان أهل هراة في عصره فئتين: فئة تعتقده وتبالغ فيه لما عنده من التقشف والتعبد، وفئة تكفّره لما يظهره من التشبيه.

ومن مصنفاته التي صوّبت نحوه سهام أهل الإسلام الكتاب المسمّى «ذمّ الكلام»، والكتاب المسمى «الفاروق في الصفات»، وكتاب «الأربعين»، وهذه الكتب الثلاثة أبان فيها عن اعتقاد التشبيه وأفصح، وكان شديد التعصب للمجسّمة المشبهة من الحنابلة الذين شذّوا عن المنهج الحنبليّ السليم المنزّه، بحيث كان ينشد على المنبر على ما حكى عنه تلميذه محمد بن طاهر[3]:

---

1) الكتاب المسمى **التّأسيس في ردّ أساس التّقديس**، ابن تيمية، 1/ 101.

2) **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكيّ، 4/ 272، 273.

3) محمد بن طاهر بن عليّ بن أحمد المقدسيّ الشيبانيّ، ت 507هـ، أبو الفضل، رحالة مؤرخ، من حفاظ الحديث. مولده ببيت المقدس ووفاته ببغداد. له كتب كثيرة، منها: «تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام»، و«تذكرة الموضوعات»،

[الكامل]

أنا حنبليٌّ ما حييتُ وإن أَمُتْ فوصيتي للناسِ أن يَتَحَنبلُوا

وترك الرواية عن شيخه القاضي أبي بكر الحيريّ لكونه أشعريًّا، وكل هذا تعصب زائد برَّأنا الله من الأهواء» اهـ.

وفي كتابه المسمى الأربعين قال: «إن محمدًا ﷺ رأى ربه في صورة شابّ أمرد[1] في قدميه خضرة!»، وفيه باب بعنوان: «وضع الله عزّ وجلّ قدمه على الكرسيّ»، وباب في «إثبات الجهات لله عزَّ وجلّ»، وباب في «إثبات الحد لله عزَّ وجلّ»، وباب في «إثبات الخط لله عزَّ وجلّ»، وباب في الهرولة لله عزَّ وجلّ، ومن عناوينها يتبيّن ما تحتها من الأخبار الواهية التي لا يركن إليها في الاعتقاد بالله عزّ وجلّ.

و«أطراف الكتب الستة»، و«إيضاح الإشكال في من أبهم اسمه من النساء والرجال» و«صفوة التصوف». **الأعلام**، الزركلي، ٦/ ١٧١.

١) «الأَمْرَدُ: الشَّابُّ طَرَّ شارِبُهُ ولم تَنْبُتْ لِحْيَتُهُ. مَرِدَ كفَرِحَ مَرَدًا ومُرُودَةً وتَمَرَّدَ: بَقِي زمانًا ثم الْتَحَى» اهـ. **القاموس المحيط**، الفيروزأبادي، مادة م ر د، ص ٤٠٧.

المبحث الرابع

التجسيم في فكر بعض المنتسبين إلى الحنابلة

نعوذ بالله أن يكون غرضنا في عقد هذا المبحث هو الطعن بمذهب من مذاهب أهل السّنة المعتبرة، بل الأمر على عكسه لأن الذي دعا إلى تخصيص البحث في مسألة التجسيم في فكر بعض المنتسبين إلى الحنابلة خاصة دون غيرهم من المذاهب الفقهية، هو ميل هؤلاء البعض إلى الغلوّ في التجسيم والتشبيه، وهو ما لا يقول به الإمام أحمد رضي الله عنه ولا أركان مذهبه أمثال ابن الجوزي وشيخه ابن عقيل. والحق أن علماء الحنابلة منزَّهون عن هذا الغلوّ، وقد لهجوا بالبراءة منه ومن تبرئة إمامهم منه أيضًا، وفي ذلك يقول ابن الجوزيّ كلامًا ينبغي أن يكتب بماء الذهب[1] نعيده مع أننا ذكرناه خلال الكتاب لعظيم فائدته.

«اعلم وفقك الله تعالى أني لما تتبَّعت مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى رأيته رجلًا كبير القدر في العلوم، قد بالغ رحمة الله عليه في النظر في علوم الفقه ومذاهب القدماء حتى لا تأتي مسألة إلا وله فيها نص أو تنبيه، إلا أنه على طريق السلف، فلم يصنّف إلا المنقول، فرأيت مذهبه خاليًا من التصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم... ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد، وصاحبه القاضي أبو يعلى بن الفراء، وابن الزاغونيّ، فصنفوا كتبًا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوامّ، فحملوا الصفات على مقتضى الحسّ، فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهًا زائدًا على الذات، وعينين وفمًا ولهواتٍ وأضراسًا وأضواء لوجهه هي السبحات ويدين وأصابعَ وكفًّا وخنصرًا وإبهامًا وصدرًا وفخذًا وساقين

---

١) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزيّ، ٣٠ ، ٣٣.

ورجلين! وقالوا: ما سمعنا بذِكْرِ الرأس! وقالوا: يجوز أن يُمسَّ وَيَمَسّ[1]، ويدني العبد من ذاته. وقال بعضهم: ويتنفّس. ثم يرضون العوام بقولهم: لا كما يعقل، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث، ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات، ثم لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على ما توجبه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة، ولا مجيء وإتيان على معنى بر ولطف، وساق على شدة، بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين، والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السّنة! وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام، فقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم: يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل، وإمامكم الإمام الأكبر أحمد ابن حنبل كان يقول وهو تحت السياط: «كيف أقول ما لم يُقَل». فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه... فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت، ما أنكر عليكم أحد، إنما حمْلكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تُدخِلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفيّ ما ليس منه. ولقد كسيتم هذا المذهب شينًا قبيحًا حتى صار لا يقال حنبليّ إلا مجسّم» اهـ.

ولهج شيوخ الحنابلة المنزّهون لله تعالى عن التجسيم من قَبْلِ ابن الجوزيّ في الإنكار الشديد على أبي يعلى، حتى قالوا فيه كلمة فظيعة لا نقصد بنقلها إلا بيان غيرة أكابر هذا المذهب على مذهبهم، كما فعل شيخ الحنابلة رزق الله التميميّ، فقال في حق القاضي أبي يعلى ـ وهو غير صاحب المسند

---

١) قال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين رضي الله عنهما في الصحيفة السجادية: «سبحانك أنت الله لا إله إلا أنت، لا يحويك مكان، لا تُحَسُّ ولا تُمَسّ ولا تُجسّ» اهـ. رواه الحافظ محمد مرتضى الزَّبيديّ في **إتحاف السادة المتقين**، ٤/ ٣٨٠. وقد تقدَّم.

ـ وكتابه إبطال التأويلات[1]: «لقد خرئ أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء» اهـ.

وأنت إذا تأمَّلت منزلة هذا القائل المشهود له بالرئاسة والتقدُّم في الفقه والأصول والتفسير والعربية والحشمة والهيبة وعلوّ الكعب في الوعظ، ونظرت في كتاب أبي يعلى، تعرف أن هذه الكلمة لم تصدر منه إلا لغيرته الشديدة على مذهب الحنابلة من أمر فظيع نسب إليهم بسبب أبي يعلى، فإذا وقفت على ما في كتاب أبي يعلى من إثبات الأضراس واللهوات والفخذ والساعد والساق والأبعاض، والرؤية على صورة شاب أمرد! ونحو ذلك مما هو مذكور في موضعه، علمت أن التميميّ لم يقل هذا إلا للضرورة. وكان الغرض من هذه اللفظة لفت الأنظار إلى براءة المذهب مما نسب إليه بسبب أولئك المشبّهة المجسّمة.

وحكى أبو الفضل التميميّ ـ كما ذكرنا سابقًا ـ اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل فقال[2]: «**وأنكر على من يقول بالجسم** ـ أَي في حقّ الله ـ **وقال: إن الأسماء** ـ أي أسماء الأشياء ـ **مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم** ـ أي الجسم ـ **على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله** ـ أى منزّه عن ذلك كلّه ـ فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية – **ولم يجئ في الشريعة** ـ أي لم يَرِدْ إطلاق الجسم على الله في الشرع ـ **فبَطَل** ـ أي بطل إطلاق ذلك على الله شرعًا ولغةً» اهـ.

ومعنى كلامه إجمالًا أنّ أسماء الأشياء تُعرف إما من اللّغة وإمّا من الشّرع، فهناك أشياءُ عُرفت أسماؤها من اللغة كالرجل والفرَس، وأشياء عُرفَت أسماؤها اصطلاحًا من طريق الشّرع مثل الصّلاة الشّرعيّة.

والجسم في اللغة يطلق على ما له طول وعرْض وسَمْك وتركيب وصورة

---

١) **الكامل**، ابن الأثير، ٨/ ٣٧٨. **السيف الصقيل**، السبكيّ، ص١٤٨.

٢) **اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل**، أبو الفضل التميميّ، ص٢٩٤، ٢٩٥.

وتأليف، والله لا يوصف بشىء من ذلك، وإلا لكان مشابهًا لخلقه، وذلك ضدّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ (الشورى). ثم لو كان الله جسمًا ذا طول وعرض وسَمْك وتركيب وصورة وتأليف لاحتاج لمن خصّصه بذلك الطول وذلك العرض وذلك السَّمك وذلك التركيب وتلك الصّورة، والمحتاج لا يَصحّ في العقل أن يكون إلهًا، فمعنى الجسم لا يجوز وصف الله به شرعًا ولا عقلًا، واللفظ أي لفظ الجسم لم يرِدْ في الشرع إطلاقه على الله، ولا يجوز في الشرع تسمية الله إلا بما سمّى به نفسَه، أي إلا بما ثبت في الشرع تسميته به، كما ذكر إمام أهل السنَّة أبو الحسن الأشعريّ[1] وغيره، كما تقدَّم، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسَه أو وصفه به نبيّه أو أجمعت عليه الأمّة، فبَطَلَ إطلاق ذلك على الله تعالى، بل نُقِلَ عن الإمام أحمد نفسه الإنكار على منْ قال: الله جسم[2]. وهذا موافق لما جاء عن باقي الأئمة، فقد ثبت عن الشافعيّ تكفير المجسّم، كما نقل عنه ذلكَ السُّيوطيُّ في الأشباه والنَّظائر[3]، وفي المنهاج القويم[4] لابن حجر الهيتميّ: «**واعلم أنَّ القرافيَّ وغيرَهُ حكَوا عن الشافعيّ ومالكٍ وأحمدَ وأبي حنيفةَ القولَ بكفرِ القائلينَ بالجهةِ والتجسيم، وهم حقيقون بذلك**» اهـ. أي بالتكفير، وهو كفر مَن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى الجسميةَ أو الكونَ في جهةٍ لأنّ كلّ ذلك من معاني البشر أي صفاتهم.

ومثل هذه النصوص كثيرة مذكورة في مواضعها، فنبرأ إلى الله عزَّ وجلَّ من نسبة التجسيم إلى الحنابلة المنزّهة، كما برَّأهم من ذلك الأشعرية، فقد قال الشهرستانيّ[5]: «فأما أحمد بن حنبل وجماعة من أئمة السلف فجروا

---

١) **الإرشاد**، الجويني، ٩/ ٢٧٩.

٢) **اعتقاد الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل**، أبو الفضل عبد الواحد التميمي، ١/ ٢٩٨.

٣) **الأشباه والنظائر**، السيوطيّ، ص ٤٨٨.

٤) **المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية**، ابن حجر الهيتميّ، ١/ ٢٩٤.

٥) **الملل والنحل**، الشهرستانيّ، ص١٠٤.

على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث، وسلكوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسّنة، ولا نتعرض للتأويل ـ أي التفصيليّ ـ بعد أن نعلم قطعًا أن الله عزَّ وجلَّ لا يشبه شيئًا من المخلوقات، وأن كل ما تمثَّل في الوهم فإنه خالقه ومقدّره» اهـ. فهذا التوالف بين الحنابلة والأشعرية يدل على الاتفاق على تنـزيه الله عزَّ وجلَّ.

فإن قيل: ما السبب في اختيار الغلاة مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه؟

الجواب لسببين:

الأول: أن الإمام أحمد اشتهر موقفه في محنة خلق القرآن، وطال فيها صبره وثباته حتى صار له من القبول ما دفع إلى ادّعاء الغلاة الانتساب إلى مذهبه متظاهرين بالتمسك بالأثر والسّنة. ولا يخفى أن الإمام لم يتمسَّك بالإسرائيليات والأخبار الضعيفة والمتون المنكرة كما فعل هؤلاء، واستغلوا ما كتبه الله للإمام من القبول عند العوام، فزخرفوا مذهبهم بالانتساب إليه واستثاروهم بالغيرة على مذهبه.

وقد امتحن الإمام أحمد رضي الله عنه عام ٢٢٠هـ، فأريد منه أن يقول بخلق القرآن.

وهنا نتوقف لنبيّن أمرًا مهمًّا في هذه المسألة: وهو أنّ التلفظ بهذه العبارة «القرآن مخلوق» حرام لإيهامها ما لا يجوز وهو أن كلام الله الذي هو صفة ذاته مخلوق والعياذ بالله، لكن يبيَّن في مقام التعليم أن اللفظ المنـزّل الموجود في المصاحف ليس قائمًا بذات الله بل هو مخلوق لله، لأنه حروف يسبق بعضها بعضًا، وما كان كذلك فهو حادث مخلوق قطعًا، فالتلفظ بهذه العبارة «القرآن مخلوق» يوهم أنّ الصفة الأزلية مخلوقة، فمن كفّر من السلف المعتزلةَ لقولهم: «القرآن مخلوق»، فذلك لأن المعتزلة لا تعتقد أن لله كلامًا هو صفة له، بل تعتقد أن الله متكلم بكلام يخلقه في غيره كالشجرة التي سمع موسى عليه السلام عندها، فكفّروهم لذلك، لأنّهم نفوا صفة

الكلام لله، وهي ثابتة له سبحانه في القرآن الكريم. وقد نُقِلَ هذا التفصيلُ عن أبي حنيفةَ رضي الله عنه، حيث قال[1]: «والله يتكلم لا بآلة وحرف، ونحن نتكلّم بآلة وحرف» اهـ. فَلْيُفَهم ذلك، وليس الأمر كما تقول المشبّهة بأن السلف ما كانوا يقولون بأن الله متكلم بلا حرف وإنما هذا بدعةُ الأشاعرة، وهذا الكلام من أبي حنيفة ثابت ذكره في إحدى رسائلِهِ الخمسِ كما تقدّم.

والقرآن يُطلَقُ ويرادُ به الكلام الذاتيّ، ويُطلَقُ كذلك على اللفظ المنزَّل على سيدنا محمد ﷺ. ومن الأدلة الواضحة في بيان أن القرآن يُطلَقُ ويُرادُ به اللفظ المنزَّل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴿١٥﴾﴾ (الفتح) فالكفَّارُ يريدون تبديلَ اللفظِ المنزَّلِ وليس الصّفة الذّاتية، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[2] (القيامة) أي إذا جمعناه لك في صدرك فاتبع قرآنه أي اعمل به، ويقال: قرأت الماء في الحوض أي جمعته[3]. ومن الدليلِ الصريح على أن الله تعالى لم يقرأ القرآن على جبريل كما قرأه جبريلُ على محمدٍ وقرأهُ محمدٌ صلى الله عليه وسلم على صحابتِهِ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾﴾ (الحاقة)، فلو كانَ القرآنُ بمعنى اللفظ المنزلِ عينَ كلامِ الله الذي هو صفتُهُ لم يقل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾﴾ أي جبريل بإجماع المَفسرين، فالآية صريحة في أن القرآن بمعنى اللفظ المنـزل المقروء هو مقروءُ جبريل، وليس مقروءَ الله تعالى، وهذا دليل مفحم للمشبّهة، فلو كان الأمر كما تقول المشبهة لكانت الآية: إنه لقولُ ذي العرشِ.

ونعود إلى المحنة التي امتحن بها الإمام أحمد، وأرادوا إجباره على القول بخلق القرآن، فلمّا رفض ضُرِبَ وحبس إلا أنه لم يعط المعتزلة وأعوانهم

---

١) **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري، ص ٥٨.

٢) عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: «فإذا بيَّنّاه فاعمل بما فيه» اهـ. وحكي عنه أيضًا أنه قال: «فإذا أنزلناه فاستمع قرآنه» اهـ. وقال قتادة: «فإذا تلي عليك فاتبع شرائعه وأحكامه» اهـ. **النكت والعيون**، الماوردي، ٦/ ١٥٦.

٣) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة ق ر أ، ١/ ١٢٨.

من حكام بعض العباسيين ما أرادوا، وكان زمن شوكة المعتزلة إلى أن أتى الخليفة العباسيّ المتوكل[1] ففكّ أسره، بل كان أحمد وهو في سجنه يطعن في رؤوس المعتزلة، فلم يسلموا من حكمه بالكفر على من ثبت عليه منهم قضية تُخرِجُه من الإسلام، فقد ذكر الحافظ المقدسيّ (ت ٦٠٠هـ)[2] في كتاب محنة الإمام أحمد أنَّ أبا شعيب الحجّام وكان قد أُرسِل إلى السجن لمناظرة الإمام أحمد قال: إنَّ علم الله مخلوق! فكفّره الإمام أحمد قائلًا له أمام الناس: لقد كفرت بالله العظيم[3].

وفي لسان الميزان[4] لابن حجر في ترجمة ضرار بن عمرو المعتزلي أن أحمد شهد عند القاضي بضرب عنقه فهرب ضرار، وكان ينكر عذاب القبر، وهو كذلك في ميزان الاعتدال[5] للذهبيّ.

وكان الإمام أحمد ملتزمًا طريق السّنة، مجانبًا للبدعة، ولم يُجِب إلى القول بخلق القرآن، بل كان يبدّع من يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، كما ذكر

---

١)جعفر بن محمّد بن هارون بن محمّد بن عبد الله، الخليفة العبّاسي، المتوكل على الله، أبو الفضل، ولد سنة ٢٠٥هـ، حكى عن أبيه وعن يحيى بن أكثم، أظهر السُّنَّة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وزجر عن القول بخلق القرآن، قُتِل في الخامس من شوال سنة ٢٤٧هـ. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ٨/ ٣٣٩، ٣٤٠.

٢)عبد الغنيّ بن عبد الواحد المقدسيّ الجماعيليّ الدمشقيّ الحنبليّ، ت ٦٠٠هـ، حافظ للحديث، من العلماء برجاله. ولد في جماعيل قرب نابلس وانتقل صغيرًا إلى دمشق. ثم رحل إلى الإسكندرية وأصبهان، وامتحن مرات وتوفي بمصر. له: «الكمال في أسماء الرجال» ذكر فيه ما اشتملت عليه كتب الحديث الستة من الرجال، و«الدرة المضية في السيرة النبوية»، و«عمدة الأحكام من كلام خير الأنام»، وغيرها. **الأعلام**، الزركلي، ٤/ ٣٤.

٣)**لسان الميزان**، ابن حجر، ٣/ ٢٠٣. راجع: **تبيين كذب المفتري**، ابن عساكر، ص٣٣٩.

٤)**لسان الميزان**، ابن حجر، ٣/ ٢٠٢.

٥)**ميزان الاعتدال**، الذهبي، ٢/ ٣٢٨.

الحافظ ابن الجوزيّ في كتابه في مناقب أحمد والحافظ ابن أبي بكر السعديّ[1] (ت ٩٠٠هـ) في الجوهر المحصّل في مناقب الإمام أحمد ابن حنبل، وعلى هذا كان الإمام البخاريّ، والفتنة التي تعرّض لها في ذلك فأخرج بسببها من نيسابور معروفة، وألَّف في بيان ذلك كتاب خلق أفعال العباد. وقد أراد قومٌ نسبة البخاريّ إلى البدعة فسألوه ما تقول في اللفظ بالقرآن: مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنهم الإمام، فألحوا فقال الإمام البخاريّ[2]: «القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة» اهـ.

وكُتُب الله المنزلة من القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك مما أنزله على رسله عبارات عن كلامه الذاتيّ الأزليّ الأبديّ. والعبارة غير المُعبَّر عنه، ولذلك اختلفت باختلاف الألسنة. فإذا عُبِّر عن الكلام الذاتيّ بحروف القرآن التي هي عربية فقرآن، وبالعبرانية فتوراة، وبالسريانية فإنجيل وزبور. فالاختلاف في العبارات دون المعبَّر عنه. وحروف القرآن حادثة، والمعبَّر عنه بها هو الكلام الذاتي القائم بذات الله وهو أزليٌّ. فتبيَّن أن القراءة والتلاوة والكتابة حادثة، والمعبَّر عنه ـ أي ما دلّت عليه الكتابة والقراءة والتلاوة من كلامه الذاتيّ ـ قديم أزليّ، كما أنه إذا ذُكر اللهُ بألسنةٍ متعددةٍ ولغات مختلفة فإن الذِكْرَ حادث، والمذكور وهو ربّ العباد قديم أزليّ.

فالقرآن الكريم له إطلاقان ـ كما تقدَّم ـ:

أحدهما: إطلاقه على كلام الله الذاتيّ الأزليّ الأبديّ الذي لا يتجزأ ولا يتبَعَّض، الذي ليس عربيًّا ولا سريانيًّا ولا غيرهما من اللغات، فالقرآن بهذا المعنى قديم لا بداية له قطعًا.

---

١) محمد بن محمد بن أبي بكر السعديّ، ت ٩٠٠هـ، قاضٍ، من فقهاء الحنابلة من أهل مصر، أفتى ودرّس وولي قضاء القضاة بالديار المصرية، وألف كتبًا منها: «الجوهر المحصّل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل»، و«مناسك الحج»، قال ابن العماد: «هو كتاب في غاية الحسن» اهـ. **الأعلام**، الزركلي، ٧/ ٥٢، ٥٣.

٢) **فتح الباري**، ابن حجر، ١/ ٤٩١. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١٢/ ٤٥٤.

وثانيهما: إطلاقه على اللفظ المُنَزّل على سيدنا محمد ﷺ لإعجاز المعارضين بأقصر سورة منه. ويسمى هذا اللفظ كلام الله أيضًا لأنه دالّ على الكلام الذاتيّ وعبارة عنه.

وكِلا الإطلاقين حقيقة شرعية. أما تسمية الأول كلام الله فظاهر لا يحتاج إلى تأويل، وأما تسمية اللفظ المنزّل كلام الله، فلأنه يدل على الكلام الذاتيّ، ولأنه ليس من تأليف جبريل ولا من تأليف سيدنا محمد ﷺ. فالكلام الأزليّ لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى قلوب العباد والأوراق، ولا التقديم ولا التأخير، ولا اللحن (الخطأ) ولا الإعراب ولا سائر التغييرات.

الثاني من أسباب اختيار الغلاة مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أن الإمام لورعه لم يصنف إلا في المنقول المأثور: «وكان الإمام لا يرى وضع الكتب وَيَنْهَى عن كتابة كلامه ومسائله»[1] اهـ. ولهذا طمع هؤلاء في نسبة بعض أفكارهم إليه، فتجد الاختلاف في الرواية عن الإمام أحمد كثيرًا. وتجد بعض الرسائل المنسوبة إلى الإمام قد اعتمد عليها الكثيرون مع أن فيها رواة مجهولين.

ونختم الكلام في هذه المسألة بأبيات صادقة ختم بها ابن الجوزيّ دفاعه عن مذهب الحنابلة المنزّهة فقال[2]: [الطويل]

وجـاءَكَ قومٌ يدَّعونَ تَمَذهُبًا ... بمَذهبِهِ ما كلُّ زَرْعٍ لهُ أُكْلُ
فلا في فـروعٍ يثبتونَ لنصْرةٍ ... وعندَهُمُ منْ فَهمِ ما قالَه شُغْلُ
إذا ناظروا قامُوا مَقامَ مقاتلٍ ... فَواعَجَبًا والقَومُ كلُّهُمُ عُزْلُ
قياسهُمُ طردًا إذا ما تصدَّرُوا ... وهُمْ مِنْ علومِ النَّقْلِ أجمعِها عُطْلُ

١) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزيّ، ص٣٠. **سير أعلام النبلاء**، الذهبيّ، ١١/ ٣٢٧.

٢) **دفع شبه التشبيه**، ابن الجوزي، ص٢٧٦.

إذا لم يكُنْ في النقلِ صاحبُ فطنة تَشابهتِ الحياةُ وانقطعَ الحبْلُ
ومالُوا إلى التَّشبيهِ أخذًا بصورةٍ لِـمَا نقلوهُ في الصِفاتِ وهُمْ غُفْلُ
وقالوا: الذي قُلناهُ مذهبُ أحمدٍ فمالَ إلى تَصْديقِهِمْ مَنْ بهِ جَهْلُ
وصارَ الأعادي قائلينَ لِكُلّنا: «مشبّهةٌ»، قد ضرَّنا الصحبُ والخِلُّ
فقد فَضحُوا ذاك الإمامَ بجهلِهِمْ ومذهَبُهُ التنـزيهُ لكنْ هُمُ اختلُّوا
لَعَمري لقد أدركتُ منهُم مشايخًا وأكثرُ مَنْ أدركتُهُم ما لهُ عقْلُ
ومازِلتُ أجلُو عندَهُمْ كلَّ خصلةٍ من الاعتقادِ الرذْلِ كيْ يُجْمَعَ الشملُ
تسمَّوا بألقابٍ ولا عِلْمَ عندَهُمْ موائدُهُمْ لا حُـرْمَ فيها ولا حِلُّ

الخاتمة

تبيّن في هذا البحث أن مقالة التجسيم مقالة باطلة فاسدة كفرية لا خلاف في تكفير معتقدها وقائلها، نبتت من الخوض في ما تشابه من نصوص الكتاب والسّنة، وثبت مخالفتها لما دلَّت عليه القواطع المعقولة، والنصوص المنقولة.

وتبيَّن أن اعتراض المخالف على هذه الأدلة المحكمة لا يردّ على هذه الأدلة التي تعاقب على إظهارها وصيانتها وتجويد صياغتها العقلاءُ الأذكياء من علماء أهل السّنة والجماعة، الذين لم يتركوا للمخالف خيارًا في الاعتراض إلا بالمكابرة أو التلاعب بالألفاظ والمعاني.

واستند المخالف إلى شُبَهٍ وأحكام وهمية مبناها على قياس ما لم يره على ما رآه، وكذَّب بوجود موجود خالق لا يشبه مخلوقاته. ثم عمد المخالف إلى كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ فاتّبع ما تشابه منهما، ووقع بعض المتسبين زورًا إلى الإسلام قديمًا وحديثًا في الخوض في المتشابه فوقعوا في الضلال والكفر ومحاربة القرآن الكريم وحديث النبيّ ﷺ الصحيح الثابت، فخرجوا إلى أقوال مضطربة شنيعة كفرية أيّدوها بأخبار سكتوا عن نكارة متونها، وغضّوا الطرف عن موضوع أسانيدها، ثم أرادوا تحصين هذا المزلق بنسبته إلى السلف الصالح المنـــزّه تارة، وإلى المحدّثين تارة، وإلى الإمام أحمد رضي الله عنه تارة أخرى، وجمعوا لذلك آثارًا وأقوالًا غلطوا وضلّوا في فهمها ونسبوها إلى السلف الصالح وجهابذة المحدّثين وأكابر الحنابلة، وقد ثبتت براءة هؤلاء مما نسب إليهم بثبوت التأويل والتفويض عنهم، وبعجز المخالف عن نقل نص واحد يثبت عنهم التصريح بهذا النهج الباطل الذي نسبوه إليهم.

والحكاية عن أهل الحديث في هذا المقام استعارة وتهويل، إلا أن يكون المراد بأهل الحديث بعضَ المحدثين المشبّهين لله تعالى بخلقه الذين خالفوا

نهج المحدثين المنــزّهين مثل الضّال ابن تيمية، فوصلوا إلى نسبة الحركة والمقدار والجهة والمماسة والصورة والثقل والمسافة وغيرها من لوازم الجسم إلى الله القديم، والعياذ بالله من الكفر والضلال، ثم عمدوا إلى جمع الأخبار المتفرقة المتفاوتة دلالة وثبوتًا وجعلوا ما جاء في كتاب الله عزَّ وجلَّ من الاستواء، نحو ما جاء في الإسرائيليات من القعود على العرش وحصول الأطيط من ثقل الجبار فوقه على زعمهم! وهذا كفر وضلال.

أما الحكاية عن الحنابلة فقد تبيَّن أنَّ بَيْنَ رجالات الحنابلة والمنتسبين إليهم من كان موغلًا في التشبيه والتجسيم، فكشف المحققون منهم عن دفع شُبَه من شبَّه وتمرَّد، ونسب ذلك إلى الإمام أحمد زورًا، ودفعوا بأكف التنـزيه شبه التجسيم ولهجوا بالبراءة من هؤلاء المنتسبين، فتبيَّن شذوذُ مسلكهم فلم تقم لأولئك المجسّمة قائمة، حتى حكم ابن تيمية في ترميم هذه المقالة وأطال النفس فيها بما لم يسبقه إليه أحد قبله، ولم يزد عليه أحد بعده حتى الساعة، وتبعه تلميذه ابن قيّم الجوزية الذي كان مجرَّد صدى له.

ومن هنا برزت الحاجة إلى ردّ ما أحدثه ابن تيمية المجسّم والمشبّه من الاعتراض على أهل التنـزيه والتوحيد أهل السنّة والجماعة، وما رمّم به الشبه البالية، فتبيَّن أنه بذل جهدًا واسعًا فلم يزدد بهذا التوسع إلا تناقضًا، فما يعدُّه في موضع مخالفًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الأئمة والسلف والعقل، يعدّه في موضع آخر قولًا ظاهرًا مؤيّدًا بما كان مخالفًا له من قبل، وذكرتُ لذلك أمثلة.

ولم يُكتب لحَمْلَة ابن تيمية المجسّم في عصره الانتشار كمثل الانتشار الذي كُتب لها في العصر الحديث الذي شهد اهتمامًا واسعًا بمؤلفاته نشرًا وتعليقًا وتوزيعًا بسبب بعض الزائغين، وكُتِبَتْ حول اعتقادات التشبيه والتجسيم مئات الرسائل الجامعية بعضها من بعضٍ ما ذكره ابن تيمية المجسّم، لم يزد فيها الباحثون دليلًا ولا اعتراضًا ولا مقدمة، واهتمّ آخرون في التعليق على المؤلفات البائسة مثل كتاب «السّنة» المنسوب إلى عبد الله

ابن الإمام أحمد الذي تضمَّن من التجسيم ما تضمن مما لا يخفى على مسلم موحّد منزه، ولكن مع ذلك زعم المشبهة المجسمة أنه من المصادر السلفية التي يجب أن تحتل مكان الصدارة في المكتبة الإسلامية بعد كتاب الله! وأيّ جهل وضلال هذا، وتصدى آخرون للطعن بمذهب الأشاعرة والماتريدية من أهل السّنة والجماعة. ونشروا كل هذا الجهد في مكتبات العالم الإسلاميّ ومساجده بالمجَّان، بل ببذل المال لمن نشره، وسخّروا الحاسب الآليّ في خدمة منهجهم الفاسد وفكرهم التكفيريّ ومحاربة مخالفيهم.

وقد ظهر في هذا البحث حاجة المكتبة الإسلامية إلى جهد علميّ غيور واسع يقابل هذا الجهد الخبيث الذي حاول فيه المجسّمة تزييف مذهب أهل السّنة والجماعة. ومن متطلبات هذا الجهد:

أولا: العناية بكتب أهل السُّنَّة والجماعة أمثال كتاب «الأسماء والصفات» للحافظ البيهقيّ الأشعريّ رحمه الله، لأن هذا الكتاب يجمع بين طريقة المحدّثين وطريقة المتكلمين في التعامل مع أحاديث العقائد المتعلقة بالصفات، وكتاب «المقالات السُّنّية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية» لشيخنا شيخ الإسلام عبد الله الهرري رحمه الله، فإنه بيّن فيه بعض مقالات الضّال ابن تيمية التي شذَّ بها عن معتقد أهل السّنة والجماعة، مع الرد العلمي بالحجة والبرهان، بالإضافة إلى إيراد أسماء عشرات العلماء الذين ردوا على ابن تيمية وعلى مشبهة العصر الوهابية، فكان من المهم الاطّلاع على كتاب المقالات السُّنيّة لِما فيه من هدمٍ لدين هؤلاء المشبهة الفاسد بالدليل القاطع.

ثانيًا: إفراد مسلك التأويل الإجمالي بالبحث في رسائل تنشر في كل وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، تُبيّن حقيقة هذا المسلك وأدلته والآثار المنقولة عن السلف الصالح فيه، بما يؤكّد نفي الشبيه والجسم وبقية صفات المخلوقات عن الله تعالى، وأن من السلف مَنْ أوَّل تأويلًا تفصيليًّا.

ثالثًا: تخصيص كُتُبٍ من كتب المشبهة كالكتاب المسمّى «بيان تلبيس

الجهمية» لابن تيمية المجسّم بالنقد العلميّ والتفنيد والردّ على الشُّبَهِ التي فيه، لأن هذه الكتب من المصادر الكبيرة التي اعترض فيها مؤلفها المجسّم ابن تيمية على أدلة التنـزيه.

رابعًا: دراسة كتب والتعليق عليها ككتاب «السيف الصقيل» للحافظ السبكيّ مع شرحه «تبديد الظلام» المخيم للكوثريّ، فقد تضمن هذا الكتاب مع شرحه فوائد عظيمة في التنبيه على مخايل القوم وأغاليطهم، وتحتاج هذه الفوائد إلى شيء من الخدمة والشرح والتعليق لإتمام الانتفاع بها.

خامسًا: تضمن كتاب «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكيّ كثيرًا من الفوائد المتناثرة التي أجاب فيها بعض المعاصرين لابن تيمية المجسّم عن بعض مسائله، فتحتاج هذه المنثورات إلى جمع ودراسة مع التعريف بمنزلة من تصدى للرد على ابن تيمية ومبلغهم من العلم، لأن المشبهة أوهموا العوامّ بأن حسد الجهال هو الذي دفع إلى التصدي لابن تيمية المجسّم، فيحتاج الأمر إلى من ينقل رد السبكيّ مع التعريف بمكانته ووجاهته في علوم الحديث واللغة والفقه والأصول والوعظ، وينقض هذه الدعوى.

سادسًا: تبرز الحاجة أيضًا إلى التصنيف ردًّا على ابن القيم المجسّم في كتابه المسمّى «اجتماع الجيوش» الذي اغترّ به بعض الجهلة.

سابعًا: نشر المفاهيم الصحيحة، ومنها أن علم الدين يؤخذ بالتعلم لا بالمطالعة، ولا بمجرد مشاهدة الفضائيات التي لا يُراعى في أغلبها تصدير المشايخ أهل الكفاءة، وأنه يجب على كل مكلّف أن يتعلم من علم الدين قدرًا لا يستغني عنه كل فرد من المكلّفين، وهو ينقسم إلى علم العقيدة وعلم الأحكام. ومن الواجب على المكلّف معرفته واعتقاده من أمور العقيدة الإيمان بالله وبما جاء عن الله، والإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء عن رسول الله، كمعرفة الشهادتين وصفات الله الواجب معرفتها وتنزيهه تعالى عمّا لا يليق به ونحو ذلك، وتصديق الرسول محمد ﷺ بكل ما جاء به عن

الله من أخبار الأمم السابقة والأشياء التي تحصل في البرزخ ويوم القيامة، وكذلك تحليل شيء أحلّه الله أو تحريم شيء حرّمه الله ونحو ذلك، ومعرفة الأشياء التي تخرج من الإسلام من أنواع الكفر كي يجتنبه. ومن الواجب معرفته من الأحكام: معرفة أحكام الصلاة من شروط وأركان ومبطلات والطهارة ونحو ذلك. وهذه الأمور لا تؤخذ بالمطالعة من الكتب، لأنه قد يكون في هذه الكتب التي يطالعها الشخص دسٌّ وافتراء على الدين، أو قد يفهم منها أشياء على خلاف ما هي عليه عند السلف والخلف على ما تناقلوه جيلًا عن جيل من الأمّة فيؤدي إلى عبادة فاسدة، أو يقع في تشبيه الله بخلقه والتمثيل والكفر والضلال. وعلى كلّ فليس مجرد قراءة الكتب ومشاهدة الفضائيات سبيل التعلّم الذي نَهَجَه السلف والخلف.

إذًا لا بدّ من تعلّم أمور الدين من عارف ثقة يكون أخذ عن ثقة وهكذا إلى الصحابة، فإن الذي يأخذ الحديث من الكتب يسمّى صُحُفيًّا، والذي يأخذ القرآن من المصحف يسمّى مصحفيًّا ولا يسمّى قارئًا[1].

ولو سُمع من عالم كلامٌ مخالفٌ للشرع فعلى السامع أن ينبهه على خطئه، إن كان تنبيهه لا يجرّ إلى مفسدة أعظم من ذلك، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾ (آل عمران). فقد مدح الله تبارك وتعالى أمة النبيّ محمد ﷺ بهذه الصفة. وإن العالم التقيّ الناصح للناس الشفيق على دينه الورع الذي يخاف الله إذا أخطأ فبُيّن له خطؤه - ولو أمام جمع من الناس - يعود عنه ويبيّن للناس ذلك.

فقد خطب[2] عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الناس مرّة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: «ألا لا تغالوا في صداق النساء، فإنه لا يبلغني عن

---

١) **الجرح والتعديل**، ابن أبي حاتم، ٢/ ٣١. **الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، ص٩٧. **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، السخاوي ٢/ ٢٦٢.

٢) **سنن البيهقي الكبرى**، البيهقي، ٧/ ٢٣٣.

أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال»، ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين، أكتاب الله تعالى أحق أن يتبع أو قولك؟ قال: بل كتاب الله تعالى، فما ذاك؟ قالت: نهيتَ الناس آنفًا أن يغالوا في صداق النساء، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔا ٢٠﴾ (النساء). فقال عمر رضي الله عنه: «كل أحد أفقه من عمر» مرتين أو ثلاثًا، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: «إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء، ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له» اهـ.

وما ورد في هذا الكتاب من تكرير لبعض المعلومات أو العبارات أو الأقوال، فهو متعمَّد، فسياق العناوين يتطلَّب ذلك.

والله نسأل، وبنبيّه عليه الصلاة والسلام نتوسل، أن يرزقنا نيّاتٍ خالصاتٍ لوجهه الكريم، وأن يجعل في هذا الكتاب النفع العميم في تنزيه الله عن التشبيه والتجسيم.

كما نرجو من كلّ الغيارى على دين الله عزّ وجلّ أن يزوّدونا بملاحظاتهم وزياداتهم، وأن يتواصلوا معنا عبر هذا البريد الإلكتروني:

Sh_Tarek_Laham@hotmail.com

ولا أنسى في الختام شكر كلّ من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب، سائلًا الله لي ولهم غفران الذنوب، وتنوير القلوب والدروب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

قائمة الفهارس:

١ . فهرس الآيات القرآنية.

٢ . فهرس أطراف الأحاديث القولية والفعلية.

٣. فهرس الأعلام.

٤ . فهرس المصادر والمراجع.

٥. فهرس المحتويات.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

العقيدة:

- **أبكار الأفكار**، عليّ بن محمد بن سالم التغلبيّ، سيف الدين الآمديّ، مخطوط.
- **إجابة الداعي إلى بيان اعتقاد الإمام الرفاعي**، إعداد قسم الأبحاث والدراسات في جمعية المشاريع، بيروت، د.ط، د.ت.
- الكتاب المسمّى **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعيّ أبو عبد الله بن قيم الجوزية (المجسّم)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- الكتاب المسمّى **الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة**، عبد الرحمن الحطيليّ (المجسم)، مكتبة ومطبعة النهضة بمكة، د.ط، ١٣٩٤هـ.
- **أخبار الصفات**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، ابن الجوزيّ، د.ن، د.ب، د ط، د.ت.
- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينيّ الشافعيّ، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د ط، د.ت.
- **أساس التقديس**، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الأسماء والصفات**، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.
- **أصول الدين**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغداديّ التميميّ الأسفرايينيّ، أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل**، عبد الواحد عبد العزيز بن الحارث، أبو الفضل التميميّ، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ط، د.ت.
- **اعتقاد أهل الحديث أو اعتقاد أهل السنّة**، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو بكر الإسماعيليّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٤٠٢هـ.
- **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام**، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبيّ، أبو عبد الله، دار التراث العربيّ، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات**، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرميّ المقدسيّ الحنبليّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- **الاقتصاد في الاعتقاد**، محمد بن محمد بن محمد الغزاليّ الطوسيّ، أبو حامد، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **إلجام العوام عن علم الكلام**، محمد بن محمد بن محمد الغزاليّ الطوسيّ، أبو حامد، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، محمد بن إبراهيم بن سعد الله، المعروف بابن جماعة الكنانيّ الحمويّ الشافعيّ، بدر الدين، دار السلام، القاهرة، د.ت.
- **البحر الرائق**، عمر بن إبراهيم بن محمد، سراج الدين بن نجيم الحنفيّ

المصريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **بحر الكلام**، أبو المعين النسفي، دار الفرفور، د.ب، د.ط، د.ت.

- **براءة الأشعريين من عقائد المخالفين**، أبو حامد بن مرزوق، د.ن، دمشق، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمّى **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ، تقيّ الدين ابن تيمية (المجسّم)، مؤسسة قرطبة، د.ط، د.ت.

- **تأويلات أهل السُّنَّة**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريديّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تبديد الظلام المخيم في الرد على القصيدة النونية لابن القيم**، محمد زاهد ابن الحسن بن عليّ الكوثريّ الحنفيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تبصرة الأدلة في أصول الدين**، أبو المعين النسفي، رئاسة الشؤون الدينية للجمهورية التركية، أنقرة، د.ط، ١٩٩٣م.

- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، طاهر بن محمد الأسفراييني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

- **تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، عليّ بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين بن عساكر الدمشقيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

- **تحقيق رسائل أبي حنيفة** (وتضم: **الفقه الأكبر، الفقه الأبسط، والوصية** وغيرها)، محمد زاهد بن الحسن بن عليّ الكوثريّ الحنفيّ، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمّى **التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية لابن تيمية**، عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (المجسّم)، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

- **التعاون على النهي عن المنكر**، عبد الله الهرري، شركة دار المشاريع، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

- **التعرف لمذهب أهل التصوف**، أبو بكر محمد ابن إسحاق الكلاباذي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تعليق الكوثريّ على الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، ابن قتيبة الدينوريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تكملة الرد على نونية ابن القيم**، محمد زاهد الكوثري، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، د.ب.

- **تلبيس إبليس**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، ابن الجوزيّ، دار الفكر ودار الرائد العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل**، محمد بن الطيب الباقلانيّ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، ١٤٠٧هـ.

- **التمهيد لقواعد التوحيد**، ميمون بن محمد بن محمد بن معبد بن مكحول، أبو المعين النسفيّ الحنفيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمّى **تنبيهات في الردّ على من تأوّل الصفات**، عبد العزيز بن باز (المجسّم)، الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمى **تنبيهات هامة**، عبد العزيز بن باز وصالح بن فوزان الفوزان، ما يسمى بالرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمى **توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع**، محمد بن جميل زينو (المجسم)، دار الصميعي، الرياض، د.ط، د.ت.

- **التوحيد**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريديّ، دار المشرق، بيروت، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمّى **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ط، د.ت.
- الكتاب المسمّى **جواب أهل السّنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية**، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجديّ (المجسّم)، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٣٤٩هـ.
- الكتاب المسمّى **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ، تقيّ الدين بن تيمية (المجسّم)، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- **حاشية الكيفوني على الدرة البهية**، سمير بن سامي القاضي، شركة دار المشاريع، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.
- **حدائق الفصول وجواهر العقول** (وضمنها **العقيدة الصلاحية** التي أهداها للسلطان صلاح الدين الأيوبيّ رضي الله عنه، فأقبل عليها وأمر بتعليمها حتى للصبيان في الكتَّاب وصارت تسمى في ما بعد العقيدة الصلاحية نسبةً إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي) محمد بن هبة الله البرمكي الحمويّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية**، حسين بن محمد الجسر الطرابلسيّ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ط، د.ت.
- **الحكم الرفاعية** (أو **حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي**)، رسالة رواها عليّ أبو الفضل الواسطيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **خلق أفعال العباد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ، دار المعارف، الرياض، د.ط، د.ت.
- **الدرّ الثمين والمورد المَعين شرح المرشد المُعين على الضروريّ من علوم الدين**، أحمد ميَّارة، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية**، عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الهرريّ المعروف بالحبشيّ، شركة دار المشاريع، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- **الدرة السامية في معرفة فضائل سلوك الطريقة الرفاعية**، أحمد بن محمد بن خميس الحضرمي الرفاعي، مطبعة البابي، القاهرة، د.ط، ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م.
- **دَفْع شُبَه التشبيه بأكُفّ التنزيه**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، ابن الجوزيّ، دار الإمام النوويّ،د.ب، د.ط، ١٩٩٢م.
- **دَفْع شُبَه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد**، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسينيّ، المشهور بتقيّ الدين الحصنيّ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **رائحة الجنة شرح إضاءة الدُّجُنَّة في عقائد أهل السّنة**، عبد الغني النابلسي، مطبعة البابي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الكتاب المسمّى **الردّ على الجهمية**، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، أبو سعيد الدارميّ (المجسم)، دار ابن الأثير، الكويت، ط٢، ١٩٩٥م.
- **رد الدارمي على بشر المريسي**، عثمان بن سعيد الدارمي (المجسم)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **رسائل التوحيد**، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلميّ، المشهور بالعزّ بن عبد السلام، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **رسائل في بيان عقائد أهل السّنة والجماعة**، محمد بن درويش الحوت الحسيني البيروتي، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
- **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**، عليّ بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **رسالة الصفات**، أحمد بن علي الخطيب البغداديّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمّى **السّنة** المنسوب كذبًا لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيبانيّ، دار ابن القيّم، الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ.

- **السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل** (في الرد على قصيدة نونية تسمى «الكافية» لابن قيم الجوزية)، عليّ بن عبد الكافي بن عليّ بن تمام السبكيّ الأنصاريّ الخزرجيّ، أبو الحسن، تقيّ الدين، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **الشامل في أصول الدين**، عبد الملك الجويني، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **شرح أصول اعتقاد أهل السّنة والجماعة من الكتاب والسّنة وإجماع الصحابة**، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائيّ، أبو القاسم، د.ن، الرياض، د.ط، ١٤٠٢هـ.

- **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الغنيّ بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيميّ الدمشقيّ الميدانيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **شرح العقيدة الطحاوية**، ناصر الدين الألبانيّ (المجسّم)، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **شرح عقيدة مالك الصغير**، عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **شرح الفقه الأكبر**، عليّ بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهرويّ الحنفيّ، المعروف بالملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **شرح لمع الأدلة**، شرف الدين التلمساني، مخطوط.

- **الشرح الميسّر على الفقهين الأبسط والأكبر**، النعمان بن ثابت، التميمي الكوفيّ، الإمام أبو حنيفة، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ، أبو بكر البيهقيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الصراط المستقيم**، عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الهرريّ المعروف بالحبشيّ، شركة دار المشاريع، بيروت، ط٩، ١٩٩٣م.
- **كتاب الصفات**، المنسوب زورًا لعليّ بن عمر بن أحمد بن مهديّ، أبي الحسن المعروف بالدارقطنيّ، ط١، ١٩٨٣م.
- **كتاب الوسيلة بذات الله وصفاته**، سعيد بن محمد العقباني، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ط، د.ت.
- **العقيدة رواية أبي بكر الخلال**، أحمد بن حنبل الشيبانيّ، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.
- **العقيدة النسفية**، عمر بن محمد النسفي، دار المشاريع، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
- **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ابن محمد الجوينيّ الشافعيّ، أبو المعالي، إمام الحرمين، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ**، محمد بن عبد الله، أبو بكر بن العربيّ المعافريّ الإشبيليّ المالكيّ، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.
- **غاية المرام في علم الكلام**، عليّ بن محمد بن سالم التغلبيّ، سيف الدين الآمديّ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ط، ١٣٩١هـ.
- **الغُنْيَة في أصول الدين**، عبد الرحمن بن مأمون المتولّي الشافعيّ النيسابوريّ، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- **الغُنْيَة في الكلام**، أبو القاسم سلمان بن ناصر الأنصاريّ النيسابوري، دار السلام، د.ن، د.ت.

- **الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ، تقي الدين بن تيمية (المجسّم)، د.ن، الرياض، ط١، د.ت.

- الكتاب المسمّى **فتاوى إسلامية**، عبد العزيز بن باز ومحمد بن صالح العثيمين وعبد الله بن جبرين (من المجسّمة)، دار القلم، بيروت، د.ط د.ت.

- **الفتوى الحموية الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ، تقي الدين بن تيمية (المجسّم)، دار الصميعيّ، الرياض، ط٢، ٢٠٠٤م.

- **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغداديّ التميميّ الأسفرايينيّ، أبو منصور، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

- **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة** (ضمن مجموعة الجواهر الغوالي من رسائل الغزاليّ)، محمد بن محمد بن محمد الغزاليّ الطوسيّ، أبو حامد، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمّى **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ، تقي الدين بن تيمية (المجسّم)، مكتبة الفرقان، عجمان، ط١، ١٤٢٢هـ.

- **قواعد العقائد من إحياء علوم الدين**، محمد بن محمد بن محمد الغزاليّ الطوسيّ، أبو حامد، تخريج الحافظ العراقيّ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الكفاية لذوي العناية**، عبد الباسط الفاخوري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، د.ت.

- الكتاب المسمّى **الماتريدية**، أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبيّ الحربيّ (المجسم)، رسالة ماجستير، دار العاصمة، د.ب، د.ط، د.ت.

- **مجالس ابن الجوزيّ**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، ابن الجوزيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **مجموع فتاوى ورسائل**، محمد بن صالح بن عثيمين (المجسّم)، جمعها فهد بن ناصر السليمان، مما يسمى منتدى مجالس الإيمان والدعوة، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مجرد مقالات الأشعري**، محمد بن الحسن بن فورك، المكتبة الشرقية، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.
- **المحاضرات المسمّاة مختصر العقيدة الإسلامية**، طارق السويدان (المجسّم)، د.ط، د.ت.
- الكتاب المسمّى **المحاضرات السنية**، محمد بن صالح بن عثيمين (المجسّم)، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مختصر العلو للعليّ الغفار**، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، الدار المسمّاة المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، عليّ بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهرويّ الحنفيّ، المعروف بالملا علي القاري، د.ط، د.ت.
- **معالم أصول الدين**، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، أحمد بن مصطفى ابن خليل المعروف بطاش كبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣.
- **مقاصد الطالبين في أصول الدين**، السعد التفتازاني، مطبعة العاصر، إستانبول، د.ط، ١٢٢٧هـ.
- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، عليّ بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعريّ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة. د.ط، د.ت.
- **مقالات الكوثريّ**، محمد زاهد بن الحسن بن عليّ الكوثريّ الحنفيّ، دار

الأحناف، الرياض، د.ط، د.ت.

- **ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد**، عمر بن محمد أبو عمرو، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستانيّ، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٤٠٤هـ.

- **منجية العبيد في علم التوحيد**، محمد عثمان بن محمد أبي بكر بن عبد الله الميرغنيّ المحجوب، الحنفيّ الحسينيّ، المكتبة الإسلامية، د.ب، د.ط، د.ت.

- **منهاج السنّة النبوية**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيّ الدمشقيّ، تقي الدين بن تيمية (المجسّم)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **المنهل السيال الدّافع لما نشأ من خلاف بين الأشعريّ والماتريديّة من الإشكال**، عبد الحافظ بن عليّ المالكيّ الصعيديّ الأزهريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

- **المواقف**، عبد الرحمن بن أحمد الإيجيّ، عضد الدين، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

- **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، الفخر بن المعلم القرشيّ الدمشقيّ، مخطوط، المكتبة الأهلية بباريس ٦٣٨.

- الكتاب المسمّى **نظرات وتعقيبات على كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلاميّ لمحمد سعيد رمضان البوطي**، صالح الفوزان (المجسّم)، دار الوطن، الرياض، د.ط، د.ت.

- **نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد**، عبد الرحيم بن عليّ الشهير بشيخ زاده، المطبعة الأدبية، مصر، ١٣١٧هـ.

- **النفائس**، كمال الحوت، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت،

ط٢، ١٩٨٧م.
- **نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسّم**، جميل حليم الحسيني الشافعي، شركة دار المشاريع، بيروت، ط١.
- **نهاية الإقدام في علم الكلام**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستانيّ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **نهاية المبتدئين في أصول الدين**، أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميريّ الحرانيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الواضح في شرح الخريدة البهيّة في علم التوحيد**، أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، د.ط، د.ت.

التفاسير:
- **أحكام القرآن للجصّاص**، أحمد بن عليّ المكنى بأبي بكر الرازي الجصّاص الحنفيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، ١٤٠٥هـ.
- **البحر المحيط**، محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان الغرناطيّ الأندلسيّ، أثير الدين، أبو حيّان، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.
- **تفسير ابن أبي حاتم**، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميميّ الحنظليّ الرازي، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت.
- **تفسير أسماء الله الحسنى**، إبراهيم بن محمد الزجَّاج، دار الثقافة العربية، دمشق، د.ط، ١٩٧٤م.
- **تفسير البغويّ، واسمه معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغويّ، دار طيبة، ط ٤، ١٩٩٧م.
- **تفسير البيضاويّ**، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازيّ البيضاويّ، ناصر الدين أبو سعيد، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **تفسير التحرير والتنوير**، محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م.
- **تفسير فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، زكريا الأنصاري، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ط، د.ت.
- **تفسير القرآن العظيم** (أو **تفسير ابن كثير**)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ، دار طيبة، د.ب، ط٢، ١٩٩٩م.
- **تفسير القرآن الكريم**، محمد بن إبراهيم الحسيني الطرابلسي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **تفسير اللباب**، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **تفسير النيسابوري**، النيسابوري، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ، دار هجر، مصر، د.ط، ٢٠٠٣م.
- **جامع البيان في تفسير القرآن أو تفسير الطبريّ**، محمد بن جرير بن يزيد الطبريّ، أبو جعفر، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبيّ**، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجيّ الأندلسيّ القرطبيّ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤م.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبد الله الحسينيّ الألوسيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ.

- **زاد المسير في علم التفسير**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، ابن الجوزيّ، طبعة زهير الشاويش (المجسّم)، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الفتح الربانيّ والفيض الرحمانيّ**، عبد الغنيّ النابلسيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **فرقان القرآن**، (مطبوع مع كتاب **الأسماء والصفات** للبيهقيّ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب الأندلسيّ المحاربيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير أو تفسير الرازي)**، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.
- **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، علي بن محمد بن حبيب الماورديّ البصريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **النهر المادّ من البحر المحيط**، محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان الغرناطيّ الأندلسيّ، أثير الدين، أبو حيان، دار الجنان، بيروت، د.ط، د.ت.

علوم القرآن:

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، محمد بن يعقوب بن محمد ابن إبراهيم بن عمر الفيروزأباديّ، د.ط، د.ت.
- **غريب القرآن**، عبد الله بن يحيى بن المبارك، العدويّ البغداديّ، المعروف باليزيديّ، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٩٨٥م.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزرقانيّ، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، القاهرة، ط٣، د.ت.

متون الحديث:

- **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان،** محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد البستيّ، ابن حبان، (لعليّ بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسيّ، المنعوت بالأمير)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الجامع الصحيح (صحيح البخاريّ)،** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ، دار إحياء التراث العربيّ، د.ط، د.ت.
- **الجامع الصحيح (صحيح مسلم)،** مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ، دار الكتب العربية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **دلائل النبوة،** أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية ودار الريّان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ.
- **سنن أبي داود،** سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزديّ السجستانيّ، أبو داود، دار إحياء التراث العربيّ، د.ط، د.ت.
- **سنن البيهقيّ الكبرى،** أحمد بن الحسين بن عليّ بن موسى، أبو بكر البيهقيّ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، د.ط، ١٩٩٤م.
- **سنن الترمذيّ،** محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السُّلَمِيّ الترمذيّ، دار الكتب العربية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **صحيح ابن حبان،** محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد البستيّ، ابن حبان، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- **المستدرك على الصحيحين،** محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- **مسند أبي داود الطيالسيّ،** سليمان بن داود بن الجارود، دار هجر، د.ب، ط١، ١٩٩٩م.
- **مسند الإمام أحمد،** أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **مسند البزار**، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، البزَّار، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبرانيّ، أبو القاسم، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، ١٤١٥هـ.

- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبرانيّ، أبو القاسم، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **المنتقى من السنن المسندة**، عبد الله بن علي بن الجارود، أبو محمد النيسابوريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.

الأجزاء الحديثية وكتب التخريج والمصطلح:

- **التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة**، صلاح الدين العلائي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ، أبو بكر، المعروف بالخطيب، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ، أبو نُعَيم، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ.

- **رياض الجنة بتخريج أصول السّنة**، محمد بن عبد الله بن عيسى المَرِيُّ الأندلسيّ المالكيّ، ابن أبي زمنين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، د.ط، ١٤١٥هـ.

- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاويّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشّاذّة المردودة**، عبد الله الغماريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين عليّ بن حسام الدين المتقي الهنديّ البرهان فوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٩٨١م.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٢هـ.
- **المدخل إلى الصحيح**، محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النيسابوريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- **المعلم بفوائد مسلم**، محمد بن عليّ بن عمر التميميّ المازريّ المالكيّ، أبو عبد الله، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانيّ الجزريّ، أبو السعادات، مجد الدين، ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م.
- **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، عبد الفتاح السيد عجمي المرضعي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢، د.ت.
- **اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر**، عبد الرؤوف المناويّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

شروح الأحاديث:

- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، القاضي عياض المالكي اليحصبي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الإلزامات والتتبع**، عليّ بن عمر بن أحمد بن مهديّ، أبو الحسن المعروف بالدارقطنيّ دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د.ت.
- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ابن الملقن، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مصر، د.ط، د.ت. وطبعة أخرى: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د.ط، د.ت.

- **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطيّ الشافعيّ، دار الأرقم، د.ب، د.ط، د.ت.
- **شرح البخاريّ**، عليّ بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **شرح حديث النزول**، ابن تيمية الحرانيّ (المجسّم)، دار العاصمة، د.ب، ط١، ١٩٦٨م.
- **شرح السّنة**، الحسين بن مسعود البغويّ، ما يسمى المكتب الإسلاميّ، دمشق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
- **شرح فتح القدير**، الكمال بن الهمام الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- **شرح النووي على صحيح مسلم**، يحيى بن شرف الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م.
- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، أبو بكر بن العربي المعافريّ الإشبيليّ المالكيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد، بدر الدين العينيّ الحنفيّ، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الفتاوى الحديثية**، أحمد بن حجر الهيتميّ المكيّ، شهاب الدين، طبعة دار المعرفة مصورة عن طبعة مصطفى الحلبيّ الثانية، د.ب، د.ط، د.ت.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن عليّ زين العابدين الحداديّ ثم المناويّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، عياض بن موسى بن عياض

اليحصبيّ السبتيّ المالكيّ، المكتبة العتيقة ودار التراث، د.ط، د.ت.

- **معالم السنن (شرح سنن أبي داود)**، أحمد بن محمد الخطابيّ البستيّ، المطبعة العلمية، حلب، د.ن، ط١، ١٩٣٢م.

- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- **هدي الساري مقدمة فتح الباري**، أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، ابن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.

الجرح والتعديل:

- **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تذكرة الحفاظ**، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- **التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاريّ في الجامع الصحيح**، سليمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد الباجيّ، دار اللواء، الرياض، ط١، ١٩٨٦م.

- **تهذيب التهذيب**، أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، ابن حجر، د.ط، د.ت.

- **تقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل**، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين بن الزكيّ أبي محمد القضاعيّ الكلبيّ المزيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

- **الثقات**، محمد بن حبّان بن أحمد بن معاذ بن معبد البستيّ، ابن حبان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الضعفاء والمتروكين**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ

البغداديّ، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **الطبقات الكبرى،** محمد بن سعد، أبو عبد الله البصريّ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

- **العلل ومعرفة الرجال،** أحمد بن حنبل الشيباني، ما يسمّى المكتب الإسلامي، دار الخاني، بيروت، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

- **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث،** إبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجميّ، أبو الوفا الحلبيّ الطرابلسيّ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

- **لسان الميزان،** أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، ابن حجر، مؤسسة الأعلميّ، بيروت، د.ط، د.ت.

- كتاب **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين،** محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميميّ البستيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ ابن النجار البغداديّ،** أحمد بن أيبك ابن عبد الله الحسامي، ابن الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **المغني في الضعفاء،** محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد،** إبراهيم بن محمد بن عبد الله، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

الفقه وأصوله:

- **إشارات المرام من عبارات الإمام،** أحمد بن حسن بن سنان الدين البياضيّ، مكتبة مصطفى الحلبيّ، القاهرة، د.ط، د.ت.

- **الأشباه والنظائر في قواعد الفقه،** عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد

السيوطيّ الشافعيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، زين الدين بن إبراهيم، ابن نجيم المصريّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **البرهان (في أصول الفقه)**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينيّ الشافعيّ، أبو المعالي، إمام الحرمين، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **التبصرة**، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب**، زكريا الأنصاري، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **تشنيف المسامع بشرح جمع الجوامع (جمع الجوامع** لعبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي، تاج الدين السبكيّ)، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشيّ، أبو عبد الله، بدر الدين، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **التقرير والتحبير في علم الأصول (أصول الفقه)**، محمد بن محمد بن أمير الحاج، المطبعة الأميرية، بولاق، ودار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٦م.
- **جمع الجوامع (في أصول الفقه)**، عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي، تاج الدين السبكيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، ابن عابدين محمد علاء الدين أفندي، دار الفكر، بيروت، د.ط، ٢٠٠٠م.
- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، محمد بن أحمد الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الذخيرة** (في الفقه المالكيّ)، أحمد بن إدريس القرافيّ المالكيّ، دار الغرب، بيروت، د.ط، ١٩٩٤م.
- **الرسالة**، المنسوبة لمحمد بن إدريس الهاشميّ القرشيّ المطلبيّ، الإمام

الشافعيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزاميّ الحورانيّ النوويّ، أبو زكريا، محيي الدين، ما يسمى المكتب الإسلاميّ، بيروت، د.ط، ١٤٠٥هـ.

- **شرح اللمع في أصول الفقه**، إبراهيم بن عليّ بن يوسف الفيروزأبادي، المشهور بأبي إسحاق الشيرازيّ، دار الغرب، بيروت، د.ط، د.ت.

- **طريقة الحصول على غاية الوصول**، زكريا الأنصاري الشافعي، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

- **غاية الوصول في شرح لب الأصول**، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ، أبو يحيى، د.ن، د.ط، د.ت.

- **غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر**، أحمد بن محمد الحنفي الحمويّ، د.ن، د.ط، د.ت.

- **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، مكتبة الثقافة الدينية، د.ب، د.ط، د.ت.

- **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدويّ**، عبد العزيز بن أحمد ابن محمد، علاء الدين البخاريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

- **كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**، أبو بكر بن محمد الحسيني الحصينيّ الدمشقيّ الشافعيّ، تقيّ الدين، دار الخير، دمشق، د.ط، ١٩٩٤م.

- **كفاية النبيه في شرح التنبيه**، نجم الدين بن الرّفعة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن، د.ب، ط١، د.ت.

- **المجموع شرح المهذب للشيرازي**، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزاميّ الحورانيّ النوويّ، أبو زكريا، محيي الدين، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

- **مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب والزيارات،** محمد بن بدر الدين بن عبد الحقّ بن بلبان الحنبليّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مشكل الآثار،** أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الطحاويّ الأزديّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **منح الجليل شرح مختصر خليل** (في الفقه المالكيّ)، محمد بن أحمد بن محمد علّيش، أبو عبد الله، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية،** أحمد بن محمد بن عليّ، ابن حجر الهيتميّ السعديّ الأنصاريّ، شهاب الدين، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، د.ط، د.ت.

التاريخ:
- **البدء والتاريخ،** مطهر بن طاهر المقدسيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **البداية والنهاية،** إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ، دار إحياء التراث العربي، وطبعة مكتبة المعارف، د.ب، ط٢، ١٩٩٠.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- **تاريخ الأمم والملوك،** محمد بن جرير بن يزيد الطبريّ، أبو جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **تاريخ بغداد،** أحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ، أبو بكر، المعروف بالخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **تاريخ الخلفاء،** عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٩٥٢م.
- **تاريخ دمشق الكبير،** عليّ بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين

ابن عساكر الدمشقيّ، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **التكملة لكتاب الصلة**، محمد بن عبد الله القضاعيّ، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٥م.
- **علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجريّ**، محمد مطيع الحافظ نزار أباظة، دار الفكر المعاصر، د.ب، ط١، ١٩٩١م.
- **عيون التواريخ**، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبيّ، دار الثقافة، بيروت، د.ط، ١٤١٦هـ.
- **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: الصلاحية والنورية**، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسيّ الدمشقيّ، أبو شامة المقدسيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **العبر في خبر من غبر**، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **فوات الوفيات**، محمد بن شاكر الكتبيّ، د.ن، د.ب، ط١، ١٩٧٣م.
- **الكامل في التاريخ**، عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ، عزّ الدين بن الأثير، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، ابن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، يوسف بن تغلب بن تغري بردي بن عبد الله الظاهريّ الحنفيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- **الوسائل إلى مسامرة الأوائل**، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ، مطبعة النجاح، بغداد، د.ط، ١٩٥٠م.

السيرة:

- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبيّ السبتيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

المعاجم اللغوية:

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينيّ الزَّبيديّ، أبو الفيض، مرتضى، بيروت، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٩٤م. ونسخة أخرى: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- **التعاريف (اسمه التوقيف على مهمات التعاريف، ذيل لتعريفات الجرجانيّ)**، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن عليّ زين العابدين الحداديّ ثم المناويّ، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
- **التعريفات**، عليّ بن محمد بن عليّ الجرجانيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- **جمهرة اللغة**، محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ البصريّ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- **الصحاح في اللغة**، إسماعيل بن حماد الجوهريّ الفرابيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الفيروزأباديّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفيّ، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، ١٩٨٩م.
- **المصباح المنير**، أحمد بن محمد بن عليّ الفيّوميّ ثم الحمويّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا، ابن فارس، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م.
- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقري التلمسانيّ، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٦٨م.

التراجم والطبقات العامة:
- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن عليّ بن فارس، الزركلي الدمشقيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت.
- **تاج التراجم في طبقات الحنفية**، قاسم بن قطلوبغا السودونيّ (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخونيّ) الحنفيّ، زين الدين أبو العدل، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت. جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني، ، مركزسنت بركات رضا، الهند، ط١، ٢٠٠١م.
- **الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان**، زكريا ابن عبد الله بيلا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، د.ب، د.ط، د.ت.
- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الناشر مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ط، د.ت.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلانيّ، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
- **سير أعلام النبلاء**، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكريّ الحنبليّ، دار ابن كثير، دمشق، د.ط، ١٤٠٦هـ.
- **صفة الصفوة**، عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزيّ، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- **طبقات الحنابلة**، محمد بن محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي، تاج الدين السبكيّ، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ط، د.ت.
- **طبقات المناويّ الكبرى**، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن عليّ زين العابدين الحداديّ ثم المناويّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، (سبط أبي الفرج بن الجوزيّ)، د.ط، د.ت.
- **الكتاب المسمى المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، إعداد ما يسمى ملتقى أهل الحديث، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.
- **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن مفلح الرامينيّ الأصل الدمشقيّ، مكتبة الرشد، الرياض، د.ط، ١٩٩٠م.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، شمس الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس، بغداد، د.ط، ١٩٣٤م.
- **الوافي بالوَفَيات**، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفديّ، صلاح الدين، دار

«فيسبادن» أوروبا، د.ط، د.ت.

- **وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

التصوف والرقائق:

- **التعرُّف لمذهب أهل التصوّف**، محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوريّ القشيريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت.
- **روض الرياحين في حكايات الصالحين**، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي، مؤسسة عماد الدين، قبرص، د.ط، د.ت.
- **صيد الخاطر**، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ القرشيّ البغداديّ، ابن الجوزيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- **معيد النعم ومبيد النقم**، عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي، تاج الدين السبكيّ، د.ن، د.ب، د.ط، د.ت.

علوم إسلامية:

- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الرزاق الحسينيّ الزَّبيديّ، أبو الفيض، مرتضى، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

البلدان:

- **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٨٦م.

الأدب والبلاغة والشعر:

- ديوان المتنبي، المتنبي الحسين بن أحمد الجُعْفيّ الكِنْدِيّ، دار صادر،

بيروت، د.ط، د.ت.

- **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، المحسن بن علي التنوخي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

- **العقد الفريد**، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

فهارس الكتب:

- **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد عليّ التهانويّ، دار عالم الكتب، د.ب، د.ط، ١٤٢٣هـ.

المجلات:

- **مجلة الأزهر**، المجلد التاسع، الجزء الأول، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٩٣٨م.

- **مجلة الهداية الإسلامية**، محمد الخضر حسين، مصر، ١٣٤٧هـ.

فهرس الآيات القرآنية

(سورة الأعراف)

(سورة التوبة)

(سورة يونس)

(سورة هود)

(سورة فاطر)

(سورة يس)

(سورة الصافات)

(سورة ص)

(سورة غافر)

(سورة الشورى)

(سورة الزخرف)

(سورة محمد)

(سورة الحديد)

(سورة المجادلة)

(سورة الحشر)

(سورة الملك)

(سورة القلم)

(سورة الحاقة)

(سورة المعارج)

فهرس أطراف الأحاديث النبوية القولية والفعلية

فهرس الأعلام

فهرس المحتويات